لماذا؟ وكيف؟
تكتب بحثا اجتماعيا

أستاذ دكتور
محمد سعيد فرح
أستاذ علم الإجتماع
كلية الآداب جامعة طنطا

الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية
جلال حزى وشركاه

أ.د محمـــد سعيد فرح
استاذ علم الا

أ.د محمـــد سعيد فرح
استاذ علم الاجتماع

الناشر: منشأة المعـــارف، جلال حزى وشركاة
٤٤ شـارع سـعـد زغلول - مـحطة الرمل - الاسكندرية - ت/ف: ٤٨٧٣٣٠٣ - ٤٨٥٣٠٥٥ الاسكندرية
٣٢ شـارع دكـتـور مـصطفى مـشـرفـة - سـوتيـر - الاسكندرية ت: ٤٨٤٣٦٦٢ - ٤٨٥٤٣٣٨ الاسكندرية
الادارة: ٢٤ شـارع ابراهيم سـيـد أحـمـد - مـحـرم بك - الاسكندرية ت: ٣٩٢٢١٦٤ الاسكندرية
Email: monchaa @ maktoob.com

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق:
اسم الكتاب : لماذا وكيف نكتب بحثاً
اسم المؤلف : د/ سعيد فرج
رقم الايداع : 14430/2002
الترقيم الدولى : 977-03-1060-3
التجهيزات الفنية:
طباعـة : شركة الجلال للطباعة ت: ٠٣/٤٤٩١٢٤٤

إهداء

إلي الإنسان

الأستاذ الدكتور/ محمد ثابت الفندي - أستاذ الفلسفة

طيب الله ثراه

نصحني بالمثابرة فأخذت بالنصيحة

سعيد فرح

المقدمة

كتب هذا الكتاب ليساعد الطالب الذى يدرس علم الاجتماع وآلاف الباحثين فى مراكز البحوث المتخصصة. بل كل الطلاب الذين يدرسون العلوم السلوكية على مستوى المرحلة الجامعية الأولى، ثم مرحلة الدراسات العليا ليصبح باحثاً متميزاً، يجيد إعداد البحوث العلمية وكتابتها. فالهدف الأساسى من وراء إعداد هذا العمل، تعليم الطالب كيف يكتب بحثاً علمياً. وتوعيته أن هذا الهدف لن يتحقق إلا إذا عرف لماذا يكتب البحث؟ وكيف يعد رسالته الأكاديمية لتجاز من قبل لجنة المناقشة(×). وهذا الطالب يحقق كل النجاح فى صعود السلم الأكاديمى وحياته المهنية إذا ما قبل التحدى الأول وتعلم كيف يكتب بحثاً يقرأ ينال به تقدير الأساتذة واحترام الزملاء.

والمسألة التى تثير الحيرة والألم النفسى والشفقة هى: هل يتعلم الطلاب فى ظل الأعداد الكبيرة والمدرجات المكدسة بهم، كيف يكتبون؟ ولماذا يكتبون؟-حتى لو تفاءلنا وأجبنا أنهم يكتبون فهل تصحح الأخطاء- إن الإجابة مقر بها مقدما. ومن ثم أصبح التعليم الذاتى ضرورياً. وأصبح كيف يعرف الطالب أخطاء الكتابة ومشكلاتها وكيف يتجنب ذلك أمرين ضروررين. فمن المهم أن يتعلم الطالب كيف يكتب؟ وأن يتجنب الأخطاء الشائعة، ويتفادى تكرارها.

وإذا كان الهدف تعليم الطلاب كيف يكتبون أبحاثهم، وكيف يتبعون الاجراءات المنهجية فى البحث فإن هذا الهدف يتحقق من خلال خطوات عديدة أهمها: كيف يلتزم بقواعد اللغة عند الكتابة ومزايا هذا الالتزام، ومعرفة كيفية تحديد موضوع البحث. أو الرسالة وتحديد مصادر المعلومات والوقائع، وكيف يجمع البيانات؟ وكيف يوثقها ؟

وهذا الكتاب جامع لأكثر المشكلات التى تواجه الطلاب عند اجراء وكتابة أبحاثهم... ويضم أغلب الأسئلة التى قد تعترض الطالب سواء الطالب المبتدئ

×- يتكرر دائماً فى هذا العمل كلمة بحث ورسالة أكاديمية، ونقصد بهما فى هذا العمل معنى واحد، وغرض واحد؛ وإن إختلفا فى الهدف والحجم والشكل، لأن خطوات إعداد كل منهما واحدة.

فى أول طريق البحث أو من سار على الدرب ووصل حتى مرحلة الدكتوراة ويحاول أن يجد إجابة عنها. لكى يحقق الغرض من إجراء البحوث.

وثمة مشكلات عديدة تواجه إعداد الباحث الاجتماعى المتميز، أهمها عدم تدريب الطلاب على إعداد وممارسة البحوث الاجتماعية تدريباً حقيقياً. فما يحدث يأخذ شكل التدريب على إجراء البحوث، وبعيد عن الهدف من ممارسة إعداد البحوث؛ وعدم تدريب الطلاب على تطبيق أدوات البحث فى علم الاجتماع. وخلط البعض بين البحوث ودراسات علم الاجتماع ودراسات الخدمة الاجتماعية، فثمة ضرورة لتعليم الطالب فن البحث، بل ضرورة اطلاعهم على ما كتب من بحوث رائدة ومتميزة. ومعرفتهم الفارق بين أهداف البحث وأهميته وطريقة البحث التى استخدمت وأهم النتائج ونوع الدراسة.

وليست عدم الدراية، وافتقاد التدريب على إجراء البحوث هى السبب الوحيد فى تعثر إعداد الباحث الاجتماعى، بل نجد أيضاً عدم المعرفة بمدارس العلوم السلوكية سبباً فى تعثر الباحث، بالإضافة إلى أسباب مالية وإدارية، وسياسية وثقافية وتعليمية، وعدم الالتزام بأخلاقيات البحث العلمى، وكلها أسباب يفرزها الوضع القائم فى بعض بلدان العالم الثالث.

وإذا كانت الكتابة نشاطاً يعتمد على مجموعة من القواعد مثلما تعتمد على المهارة الشخصية والممارسة. فالحقيقة التى ينبغى أن نواجهها ولا نهرب منها، هى أن رفوف المكتبة العربية تمتلىء بالكتب التى تقدم لنا طرق إعداد الطعام؛ وغذاء البطون، وبرغم تزايد عدد الكتب المنشورة عن فن الطهى، فالمكتبة العربية فقيرة، وتكاد تخلو من الكتب التى تعلمنا فن الكتابة عامة وكيف نكتب البحوث العلمية خاصة. وتعرفنا بقواعد كتابة البحوث الاجتماعية. ومن الكتب الرائدة فى تعليم الطلاب كيفية إجراء البحوث كتاب الأستاذ الدكتور/ أحمد شلبى الذى طبع منه منذ صدوره عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٨٩ أربع عشرة طبعة (أحمد شلبى).

وعلينا أن نفرق بين كيفية كتابة بحث علمى ينشر فى مجلة محكّمة وكتابة رسالة للحصول على درجة علمية أو كتاب للمتخصصين أو كتاب للترفيه

والتسلية وكتابة تقرير يعرض فى مؤتمر علمي يلقى شفاهة فى فترة لا تتجاوز ١٥ دقيقة، ولا يزيد عدد كلماته عن ألفى كلمة ويقدم بصورة مختصرة أو مقال ينشر فى مجلة أسبوعية أو يكتب فى العمود المخصص للكاتب فى الجريدة.

وهناك كتابات عديدة، أصدقها وأهمها ما ينشر ويقرأ خارج أسواق الجامعة، والتى تلتزم بقواعد المنهج وأخلاقيات البحث العلمى بعيداً عن المجاملات التى يرسخها المناخ الاجتماعى السائد فى مصر فى الفترة الراهنة الذى يشجع المتسيبين والمتسلقين (مصطفى سويف، ص.١١٢).

ويهدف هذا الكتاب إلى الإجابة عن سؤالين: السؤال الأول، لماذا نكتب البحث؟ والسؤال الآخر كيف نكتب البحث؟ وإذا كانت الإجابة عن السؤال الأول تنحصر فى تواصل المقولة الشهيرة للفيلسوف سقراط «اعرف نفسك»، ولكن فى صياغة جديدة تنادى « اعرف مجتمعك» أى افهم المجتمع الذى تعيش فيه، واعرف سلوك الناس فى مواقف التفاعل، وافهم طبيعة العلاقات الاجتماعية المتبادلة، وكيف تتكون النظم الاجتماعية أو الظواهر الاجتماعية، وكيف تستمر وكيف تتغير، وكيف نصف الظواهر الاجتماعية الطبيعية والمرضية ونفسرهما مثلما نفسر أنماط السلوك غير المألوف الخارج على المعايير المتفق عليها، كل ذلك بقصد تحقيق النظام فى مجتمعنا، فإجراء البحث ليس ترفاً بل ضرورة لإسعاد الناس.

أما كيف نكتب البحوث، فتلك هي المسألة الأصعب، فليس كل من رغب الكتابة كاتباً ماهراً؛ فللكتابة قواعد فنية، كما أن لكتابة البحوث العلمية قواعد وإجراءات تبدأ من تحديد مشكلة البحث، وتحديد أنسب طريقة لجمع البيانات، وتنظيم هذه البيانات والمعلومات وترتيبها وتوظيفها لخدمة أهداف البحث، والإجابة عن التساؤلات التى بدأ منها البحث سواء بالسلب أو الإيجاب.

والكتابة نشاط يعتمد على مهارة الباحث ومثابرته وحرصه على تنظيم أوقات العمل فى البحث، وتنظيم عناصر البحث بغية إعداد بحث متكامل مترابط بداية من تحديد المشكلة حتى كتابة النتائج التى توصل إليها، وهو فى كل

خطوة باحث أمين يوثق كتاباته، وملتزم بمنهج علمى صارم ويكتب بلغة علمية.

فكتابة البحوث كتابة عملية بعيدة عن التسيب والشطارة وترتبط ارتباطاً وثيقاً بقواعد وأخلاقيات العلم، كل ذلك بقصد كتابة بحث يفيد المجتمع ويفيد قضايا العلم. والطالب عندما يكتب بحثاً يتعين عليه أن يعرف قواعد الكتابة وطرق البحث الاجتماعى .

وتشبه علاقة مناهج البحث بإعداد البحوث الاجتماعية، والتدريب عليها علاقة علم التشريح بالجراحة علما وتطبيقا، فطالب الطب قبل أن يمارس العمليات الجراحية ويمسك بالمشرط وقبل أن يصير جراحاً ذائع الصيت، عليه أن يدرس علم التشريح، ولكن ليس كل من درس علم التشريح جراحاً بارعاً متميزاً، فبجانب العلم توجد مهارة وبراعة وحذق وخبرة ودراية ومراس من يمسك بالمشرط، فكذلك الباحث الاجتماعى عليه أن يدرس طرق ومناهج البحث. ولكن دراسة قواعد المنهج لا تكفى وحدها لتجعل منه باحثاً متمرساً، فبجانب دراسة قواعد المنهج فى علم الاجتماع تبدو الحاجة إلى مهارة وخبرة الباحث ليتفوق على أقرانه وليصمم أبحاثاً تزيد من المعرفة الإنسانية وتساهم فى خدمة المجتمع.

وكما يشاهد طالب الطب فى الفرقتين النهائيتين وفترة الامتياز العمليات الجراحية والحالات المرضية قبل أن يسمح له بممارسة الطب. كذلك يطلب من طالب الدراسات الاجتماعية بجانب دراسة قواعد المنهج العلمى وطرق البحث فى الدراسات الاجتماعية ،الاطلاع على نماذج من أبحاث مميزة، والتدريب تحت إشراف أساتذته على إجراء البحوث الاجتماعية. فالبحث الاجتماعى علم وممارسة، فلا تكفى معرفة القواعد النظرية دون الممارسة ولا تغنى الممارسة والخبرة عن ضرورة معرفة القواعد.

وعلينا أن نبين أن إعداد الأبحاث التى نالت شهرة واسعة وخلدت أسماء أصحابها لم يأت من فراغ أو أن القائمين عليها طبقوا طرق البحث تطبيقاً سليماً، ولكن تحققت هذه السمعة الطيبة والشهرة الذائعة الصيت، من كون هذه الأبحاث أفادت المجتمع والعلم، واستخدام الباحث خياله الاجتماعى فى تصميم وتنفيذ البحث منذ البداية حتى النهاية، واستخدام أفضل الطرق

لاكتشاف العالم الاجتماعي المحيط به.

وايمانا منا بضرورة إعداد الباحث الاجتماعى اعداداً سليما وأهمية اجراء البحوث الاجتماعية فكرنا فى إعداد هذا الكتاب لفهم المجتمع من أجل مستقبل أفضل.

فالقصد من هذا الكتاب، تعليم الطلاب كيف يكتبون أبحاثهم ورسائلهم، وكيف يقومون باجراء بحوثهم وتأكيد الثقة فى أنفسهم، وتوعيتهم أن الكتابة ليست عملية سحرية أو عملية مستعصية لا يقدر عليها إلا القلة المحظوظة، بل عملية تحتاج الي تدريب، وتقوم علي التعلم والممارسة، وتمرين الطالب على إجادة عرض أفكاره بوضوح. وتحديد موضوع الدراسة تحديداً دقيقاً، واستخدام مفهومات العلم، وتتحقق مهارة الكتابة أثناء عملية الممارسة. واكتشاف هذه المهارات أمر ضرورى لكل من عزم على السير فى طريق البحث العلمى،وينصح كل من رغب فى إجادة عملية الكتابة، أن يقرأ كتابات الآخرين ويدرب نفسه كيف يحصل على المعلومات ويدونها ليستفيد منها، وماهى المشكلات التى تستحق الدراسة، ويتبع خطوات البحث العلمى؟

والباحث لا يبدأ من فراغ ولا يولد عبقرياً سواء أكان هذا الباحث ابن خلدون ، أم دوركيم أم سوروكين أم جيد نجز بل يمر بفترة إعداد تبدأ منذ التحاقه بالجامعة بل قبلها- منذ دراسته للقضايا الأساسية فى تاريخ الفكر الاجتماعى، واكتشافه أن السلوك الإنسانى يوجد وتشكله وتكونه علاقات اجتماعية، وأن هذا السلوك يتم فى مواقف اجتماعية نتيجة تفاعل الأشخاص الذين يتأثرون بالظواهر الاجتماعية ويؤثرون عليها.

ووفق آراء علماء الاجتماع كلهم منذ كونت ودوركيم مروراً بفيبر وميلز وبارسونز وانتهاء بهبرماس، وحسب قضايا كل النظريات الاجتماعية الكبرى فإن الظروف الإنسانية لا تكمن داخل جينات أو توجد فوق سطح القمر، بل إن الحياة الاجتماعية نتاج نظم اجتماعية متباينة، وتنظيمات اجتماعية مختلفة مثل الأسرة والاقتصاد والتعلم والسياسة، وإن الأشخاص يحتلون مراكز اجتماعية متباينة، ويلعبون أدواراً مختلفة، وينتجون فنوناً شتى، ويحتلون طبقات متفاوتة. وأن هؤلاء الأشخاص يتعاونون أو

يتنافسون أو يتصارعون فى مواقف اجتماعية عديدة.

ولقد طور علماء الاجتماع منذ جيل الرواد حتى جيل المعاصرين فهمهم وتفسيرهم للمجتمع من خلال كتاباتهم، ونقلوا قضاياهم وردود أفعالهم إلى الآخرين من خلال تعبيراتهم اللغوية بين صفحات الكتب. ومنذ التاريخ القديم فالافكار لا تعيش فى رؤوس أصحابها ما لم تسطر على الأوراق أو الأحجار أو الجلود. وفى العصر الحديث يعبر الكتاب الاجتماعيون عن أفكارهم من خلال كلمات تكتب على الورق أو تعبأ على اسطوانة (ديسك) ليكتب لها الانتشار والخلود.

فالهدف من هذا العمل تحقيق هدفين، الأول ذاتى، يبغى إرضاء الضمير والمساهمة المتواضعة فى تخفيف معاناة الطلاب بعجزهم عن الكتابة، والهدف الآخر موضوعى، إذ نسعى إلى مساعدة الطلاب على الكتابة، والتدريب على تفسير الوقائع الاجتماعية حولهم، وكيف يستفيدون مما يكتبونه، وما يسطرونه من عبارات، وفقرات، وفصول وتحقيق هذا الهدف يتطلب من الباحث المبتدئ أداء مهمتين أساسيتين:

المهمة الأولى: أن يتعلم الطالب كيف يبحث وكيف يحصل على المعلومة، وأن يجمع البيانات، وكيف يكتب أبحاثاً علمية مقبولة فى الوسط العلمى عامة وعلم الاجتماع خاصة.

والمهمة الأخرى: أن يبث الثقة لدى الباحث ليحسن قدرته على الكتابة. ولتحقيق هذين الهدفين، يتعين على الباحث أن يسأل نفسه لماذا أكتب؟ ثم يسأل نفسه كيف أكتب؟ ولمن أكتب؟ فثمة علاقة متداخلة بين الكاتب، والموضوع الذى يكتب عنه والقارئ الذى سوف يقرأ ما كتبه الكاتب.

إن تدريب الطالب على الكتابة السليمة، وتعويده على أن يفكر أولاً ثم يمسك بالقلم ويعبر عن فكرة ليس بالأمر اليسير، ولكن تشجيع الباحث وبث الثقة فى نفسه ومعرفته أن الكتابة أمر متاح لكل إنسان فى موضوعات العلم عامة وعلم الاجتماع خاصة لو ألمّ بموضوع العلم وتمكن من تطبيق طرق البحث، وأجاد استخدام قواعد اللغة هو مايجعل الكتابة أمرا يسيرا.

وهذا العمل حصاد جهد بذل فى تدريس الطلاب مقرر «تصميم وتنفيذ البحوث»، وثمرة الحوار مع الطلاب، لحل مشكلاتهم أثناء تدريس هذا المقرر منذ عام ١٩٧٣ ونحاول أن نعرض فيه للمشكلات التى كانت تواجه الطلاب لتجنب تكرارها ساعين فى ذلك إلى الإجابة عن السؤالين كيف؟ ولماذا أكتب بحثا؟

وأخيراً أوجه شكرى لكل من ألهمنى وساعدنى فى كتابة هذا العمل، وأشكر كل الشكر الزميل الأستاذ الدكتور السيد حافظ الأسود، الذى أهدانى بعض الكتب التى أفدت منها فى كتابة هذا الكتاب والزميلة الدكتورة لبنى عبد المعز نصر التي أرشدتنى إلى بعض القراءات الجادة والدكتور عزت حجازى المستشار بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية الذى قرأ مخطوطة البحث قراءة متأنية وأفادنى بنصائحه.

كل الشكر للزملاء الذى نصحونى، واستمعت الى نصائحهم، وإلى طلابى الذين تعلمت من أخطائهم، ولكن الشكر الأعظم لله الذى أنعم علىَّ نعمة المثابرة على العمل، مقتدياً بنصيحة المرحوم الأستاذ الفيلسوف محمد ثابت الفندى صاحب الأيادى البيضاء، طيب الله ثراه. وأنزله فسيح جناته الذى كان نعم القدوة وأفضل مثال للأستاذ الجامعى.والشكر الجزيل لمن كتب هذا الكتاب على الحاسب الآلى، وأخص أسرة مكتب سلطان للكمبيوتر بكل التقدير، كما أشكر الأستاذ جلال حزى شيخ الناشرين بمدينة الاسكندرية، وصاحب منشأة المعارف بالاسكندرية وأسرة المنشأة الذين بفضلهم ظهر هذا العمل ووصل إلى القارىء.

عسى أن نكون قد وفقنا فى خدمة الطلاب والله ولينا

محمد سعيد فرح

رشدى - الاسكندرية

أكتوبر ٢٠٠٢

الباب الاول

البحث وأهميته فى حياتنا الاجتماعية

الفصل الاول

البحـــوث

معناها وأهدافها وأهميتها والمعوقات

البحـــوث

ما معنى بحث؟

تعنى كلمة بحث فى اللغة طلب الحقائق والمعلومات. وبحث عن الشئ سأل عنه أى فتش عنه، وحاول معرفة حقيقته.

وعملية البحث هى عملية تقصى الوقائع باستخدام طريقة منظمة منهجية. ومن ثَمَّ فالبحث يسعى إلى الوصول إلى المعرفة باتباع أساليب علمية مقننة أو عملية استقصاء منظم تهدف إلى إضافة معارف أو اكتشاف حقائق والتحقق من صحتها عن طريق الاختبار العلمى.

ويتضح لنا من هذا التعريف أن البحث يفترض وجود مشكلة تتطلب الحل، وأن حل هذه المشكلة يزيد من معارفنا، بيد أن هذه المشكلة ليست مشكلة ذاتية شخصية، وإنما هى مشكلة ذات دلالة عامة. كما أن نتائج البحث ينبغى أن تكون قابلة للاختبار والإثبات أو التفنيد فى الواقع المعاش، وتخضع لشروط البحث العلمى وفى ضوء المنهج يمكن التحقق من تقويم النتائج التى يتوصل إليها الباحث، والتحقق من مدى صدق هذه النتائج وثباتها.

وثمة تعريف آخر للبحث عرضه داى Day إذ يرى أن البحث نشاط اجتماعى يتضمن اتصالاً واضحاً صريحاً ملائماً بين الباحث والمبحوث، من أجل إعادة إنتاج موضوع جديد ويتعين عند إجراء البحث التأكيد على أهمية الوضوح وعدم الغموض بل تجنبه، وسهولة فهم الباحث لما يطرحه من تساؤلات، وفهم المبحوث لما يسأل عنه (Day, p, ix) .

والبحث العلمى نشاط بعيد عن الزيف والبهتان، ولن يرى النور ويخلد إلا إذا كان أصيلاً ويتميز بالجدة وإضافة الجديد. والهدف من كتابة البحث العلمى نشره من أجل إسعاد البشر وتحسين مستواهم. ويتم النشر عادة فى مجلات متخصصة ومعترف بها، ويعرف الباحث من خلال ما يقرأ من

أبحاث منشورة جهود الآخرين، وكيف يستفيد منها، ومدى تقدمه فى بحثه، ومدى إسهامه فى مجال العلوم الاجتماعية أو غيرها من المجالات، ومدى فائدة البحث الذى يعده فى خدمة الإنسانية وتقدم العلم، وإن لم يتحقق النشر يموت العلم والبحث العلمى ويحتضران. إذ يقوم الركن الأساسى فى فلسفة العلم على افتراض مؤدّاه أن البحث الأصيل ينبغي أن ينشر، ومن خلال النشر تصبح المعلومات الجديدة التى توصل إليها البحث موثوقاً بها وأصيلة وحقيقية، وتضيف جديداً. وتتواصل المعرفة، وتتراكم الحقائق.

والبحث العلمى نوع من البرهان والتدليل ويتضمن معلومات تخضع للملاحظة والقياس ويمكن البرهنة على وجودها فى عالم الواقع، وتكون هذه المعلومات مرتبة ترتيبا منطقياً. فإذا ما رتب الباحث المعلومات ونظمها، تصبح عملية الكتابة سهلة وهينة، وينجم الخلط والغموض أو العجز عن الكتابة نتيجة عدم تنظيم الأفكار وتعارضها وعدم وضوح المنهج. والجهل بتطبيقه، فالمهمة الأساسية للباحث أن يعرف معرفة دقيقة ما ينبغى أن يفعله، ويعرف ما النظام (Day pp, 9-11) الذى يتبعه منذ بداية إجراء البحث حتى استخراج نتائجه. والنظام الذى يقوم البحث كتشييد معماري– أياً كان موضوع البحث. يستند على العناصر التالية :

١– **المقدمة :** ويوضّح فيها مشكلة البحث.

٢– **المنهج :** وتعنى المنطق الذى يقوم عليه البحث، وكيف ندرس المشكلة.

٣– **جمع البيانات والمادة العلمية.**

٤– **النتائج :** الإجابة على التساؤلات التى أثارتها المشكلة والنتائج التى توصل إليها.

٥– **تفسير النتائج :** أى دلالة النتائج، وماذا تعني بالنسبة للباحث، إذ عليه أن يقف منها موقف المحاور ويناقشها.

وثمة عوامل تحدد الهدف من البحث :

١- الدافع العلمى: ويقصد منه اختبار الفرض العلمى أو اختبار نظرية من النظريات والوصول إلى حقائق يمكن أن تُعَدُّ أساساً لنظرية جديدة أو تدعم نظرية موجودة بالفعل، وهذا الدافع هو أساس القضية القائلة: إجراء البحث بقصد البحث العلمى وحده، أى البحث من أجل البحث.

٢- الدافع العملى : ويكون الهدف من البحث تطويع العلم لخدمة المجتمع ورفاهيته عن طريق الوصول إلى حلول للمشكلات التى تواجه الأفراد والجماعات سواء فى مجال الطبيعة أو الكيمياء أو الهندسة أو علم الأحياء أو علم الاجتماع وعلم النفس. ومن نماذج المشكلات التى تؤرق الاجتماعيين مشكلة شغل أوقات الفراغ والعمال الزراعيين والمهاجرين إلى المدينة وتخلف القرية وازدحام المرور، والمناطق العشوائية، ومشكلات الشباب. والبطالة والإدمان والإسكان وأخيراً وليس آخراً تزايد السكان وأثره على التنمية.

والحق أنه لا يمكن الفصل بين البحث النظرى العلمى والبحث التطبيقى العملى. فثمة ترابط وثيق بين البحث العلمى والبحث التطبيقى. وإذا كانت هناك تفرقة بينهما فإنها تفرقة وقتية، فكلاهما يحقق أهدافاً علمية، كما أن علم الاجتماع لا يستحق ساعة من عناء إذا تحول إلى علم مكتبى بين جدران أربعة ولا يساهم فى فهم مشكلات الناس ورفع المعاناة عنهم وفهم سلوكهم وتقديم الحلول التى تخفف شقاءهم متى أغمض علماء الاجتماع أعينهم عن مشكلات المجتمع ولم يلتزموا بحل قضاياه.

والبيانات الاجتماعية التى يجمعها علماء الاجتماع هى نفسها الحقائق التى يفسرونها فى محاولة منهم فهم المجتمع الإنسانى. ويهتم علماء الاجتماع بالتنوع الكبير فى البيانات. فعلى سبيل المثال يهتم علماء الاجتماع بالناس عندما يؤدون أدواراً متصارعة. كما يدرسون أدوات الاتصال والإعلام التى

تؤثر علي تكوين الرأى العام فى المجتمع المحلى، كما يدرسون الأنشطة العلمية والدينية والاقتصادية فى المجتمع كبير الحجم، كما يهتمون بالقيم وكيفية اكتسابها والصراع بين القيم، كما يدرسون الجماعات المهنية المختلفة وسلوك كل منها، وهم يحصلون على هذه البيانات الاجتماعية من مصادر كثيرة متباينة، وهم يستخدمون أدوات بحث كثيرة لجمع هذه البيانات بطريقة منظمة، كما يستخدمون أساليب كثيرة لتحليلها وتفسيرها، وتستند القيمة العلمية لهذه الحقائق على مدى قدرة هذه الحقائق على المساهمة فى نمو المعرفة الإنسانية عن السلوك الاجتماعى، وعن علاقة الإنسان بالآخرين، واختبار النظريات الإجتماعية المقبولة، إما لدحضها أو تأييدها.

ويمكن أن نفهم طبيعة البيانات الاجتماعية ومنابعها والطرق التى تجمع بها فهماً أفضل داخل إطار عملية البحث الاجتماعى. وثمة مرحلتان أساسيتان فى عملية البحث الاجتماعى. المرحلة الأولى: المرحلة التجريبية، وتقود الباحث فيها مجموعة من الأفكار المستقاة من النظرية الإجتماعية أو من الواقع المعاش للوصول إلى مجموعة من الحقائق. وهذه الأفكار الموجهة أشبه بالبوصلة للسائر فى الصحراء أو أشبه بالدفة من السفينة.

والمرحلة الأخرى :مرحلة التفسير، وفيها يقارن الباحث بين هذه الحقائق الاجتماعية فى ضوء النظريات السائدة، ويحاول أن يفهم مغزى هذه الحقائق.

وكل مرحلة من هاتين المرحلتين لها طرقها الخاصة فى البحث، أى القواعد التى تضبط كل إجراء يقوم به الباحث. فليست عملية البحث الاجتماعى عملية عشوائية. وتساعد أدوات البحث، وطرق البحث الاجتماعى الباحث على إخضاع ظواهر اجتماعية محسوسة فى العالم الاجتماعى لإجراء المقارنة بينها هذا من جهة، ومن جهة أخرى تساعد المناهج العلمية الباحث على تمحيص الأفكار والقضايا التى تكون النظرية.

ويتعين أن تعرض المعلومات التى يقدمها الباحث عرضاً واضحاً منظماً، وأن تيسر للقارى إمكانية:

١- إعادة قياس واختبار الظواهر التى تخضع للملاحظة.

٢- تكرار إجراء البحث، وإعادة اختبار النتائج.

٣- تقييم النتائج والإجابة عن الأسئلة التالية.

٤- هل توصلنا المقدمات إلى النتائج التى توصل إليها الباحث؟

٥- هل تتناسق النتائج سوياً ؟

٦- وهل تترابط مع المقدمات؟

٧- هل تؤكد الشواهد على صدق النتائج. (Day, p,9)

والهدف من البحث التعرف علي العالم الذي حولنا، واكتشافه، ولقد تزايدت الحاجة إلى البحوث فى كافة المجالات لإحكام السيطرة على العالم الطبيعى والاجتماعى، فلم تعد مراكز البحوث الاجتماعية مجرد أبنية مزخرفة جميلة المنظر، بل أماكن تضم أفضل الباحثين الذين يحاولون فهم العالم الاجتماعى فهماً أفضل، وتقديم معلومات وبيانات تفيد صانع القرار- لو أحسن استخدامها- فى حل مشكلات المجتمع وإنجاز أهداف التنمية.

ويجب أن نفرق بين بحث علمى يعكس الأصالة والإبداع والجدة ويضيف معلومات جديدة، وتقرير يقدم الى هيئة سياسية أو إدارية أو خطاب يلقى فى مؤتمر أو مجلس نيابى أو حيثيات حكم يصدرها قاض. فالبحث العلمى وإن كان يقوم علي المهارة الأدبية وحلو الكلام، فالمهارة فى استخدام الأسلوب الأدبى لا تخفي نقائص المعلومات، وافتقاد المنطق بين المقدمات والنتائج، وغموض الأفكار. ولذا فالبحث العلمى يعتمد على التنظيم والوضوح أكثر مما يعتمد علي طلاوة الأسلوب. ومن ثَمَّ فهناك فارق بين العمل الأدبى والعمل العلمى. كما أن هناك مسافة شاسعة بين الأسلوب

الأدبى والكتابة العلمية، والباحث العلمي ليس اديبا ولا يحترف كتابة الأدب، وإن كان يتعين عليه أن يكتب كتابة واضحة مفهومة بأسلوب أدبى واضح، ولكى يتمكن من هذه الكتابة الواضحة ينصح بأن يطالع ويقرأ كتابات أدبية راقية، ليرقى أسلوبه ويجوده. ولا يجهل بعض المصريين كتابات علماء أفاضل تخصصوا فى العلم وكتبوا ونبغوا فى مجالات الأدب مثل د. حسين فوزى وأحمد زكى، ولكن كتابة الأبحاث العلمية تتجاوز الإطناب ولا تعتمد على الأسلوب الأدبى، وتتجرد من أسر الأيديولوچيا وتهدف تحقيق الموضوعية.

فالبحث العلمى فى مجال الدراسات الاجتماعية عملية إبداع، وتتطلب استخدام الخيال الاجتماعى وتحديد الأفكار، ودقة اختيار طرق البحث؛ وإحكام العلاقة المنطقية بين المقدمات والنتائج.

والباحث الذى يقوم بإجراء بحث ما، يخطط له. ويتبع خطوات منهجية صارمة وتعرف تلك الخطوة بـ «تصميم البحوث».

تصميم البحوث :

يقصد بتصميم البحث: الإجراءت التى تتخذ لتخطيط البحث، أى وضع خطة لتنفيذ البحث، وتدور اهتمامات الباحث حول محورين. (Swuft, Betty, pp.77-78)

المحور الأول: تأكيد أن مشكلات التمثيل والقياس وتحديد مجتمع الدراسة قد حسمت، بطريقة تؤكد جمع بيانات صادقة موضوعية.

المحور الثانى : يرتبط بتنظيم البحث- فهناك كثير من القرارات التى تتعلق بإجراءات البحث تتخذ نتيجة الحوار مع الآخرين- مثل قرار شكل الاستمارة فى صورتها الأخيرة، ومدى الالتزام بآراء المحكمين وأعضاء فريق البحث لو وجد هذا الفريق، والالتزام بآراء المشرف ونتائج الدراسة التمهيدية لاختبار تساؤلات البحث.ثم الحصول على الموافقات الإدارية التى

تسمح بإجراء البحث دون معوقات ومقابلة المبحوثين والحصول على البيانات. ومدى الالتزام بالفترة المحددة لإجراء البحث وتحديد أفراد مجتمع الدراسة والبديل لو تعذر إجراء البحث معهم.

فكل خطوة من خطوات البحث تحتاج من الباحث اتخاذ قرارات معينة قد تؤثر بدورها على موضوعية النتائج والخطوات التى تتبعها. وقد يسأل الباحث ما الاعتبارات التى تسبق مرحلة تصميم البحث؟ وما الجوانب التى تعكس الخيارات المفتوحة أمام الباحث قبل إجراء البحث؟ فهناك بعض الجوانب التى تعد مهمة فى بعض البحوث، وفى الوقت نفسه تعد غير مهمة بالنسبة لبعض البحوث الأخرى، وليست كل هذه الجوانب مستقلة عن بعضها البعض فأحياناً ما تتأثر بجوانب أخرى.وكل خطوات وجوانب البحث ينظر إليها على أنها خيوط أساسية تترابط سوياً لإعداد البحث فى أفضل صورة وهذه الخطوة تتطلب:

- تحديد المشرف على البحث.
- تحديد الامكانات المتاحة.
- تحديد مجال البحث.
- تحديد الوقت الكافى لإجراء البحث.
- تحديد الهدف من إجراء البحث؛ هل الحصول على درجة جامعية، أو اختبار نظرية- أو تحقيق أهداف سياسية أو تحقيق مطالب الجهة الإدارية أو السعى إلى تغيير وتحسين الواقع.
- تحديد مشكلة البحث الأساسية، والفروض المرتبطة بها، وتحديد أهمية البحث وأهدافه وماذا يدرس؛ هل يدرس السلوك؟ أم الاتجاهات أم العلاقات الاجتماعية.

– تحديد خبرة الباحث ومستوى كفاءته ومستواه العلمى وتحديد مدى درايته وإلمامه بنظريات العلوم السلوكية وطرق البحث وتحديد خبراته الميدانية السابقة.

ويضع الباحث دائماً نصب عينيه هدفين:

الهـــدف الأول: تصميم البحث، والتأكيد على أن مشكلات البحث كلها ابتداء من مدى ملاءمة العينة المختارة لتمثيل مجتمع البحث وأدوات القياس وجمع البيانات والقدرة على تنفيذ البحث، تحل– كلها– بأسلوب علمى بعيداً عن التخبط والارتجال، مما يؤدى فى النهاية إلى الحصول على نتائج دقيقة صارمة.

والهدف الآخر: يرتبط بتنظيم البحث وعدم تحيز البيانات التى تجمع، بل ضرورة صدقها، وعدم الوقوع فى الخطأ ابتداء من مرحلة الدراسة المكتبية مروراً بالدراسة الميدانية وانتهاء بمرحلة استقراء النتائج.

وهناك إجراءات ينبغى تحديدها قبل تصميم البحث:

وتوجه هذه الجوانب الباحث إلى تحديد ما إذا كان البحث وصفياً أو تفسيرياً أو استطلاعيا. ويعكس كل بحث سواء أكان البحث وصفياً أم تفسيرياً اتجاها منهجيا واضحا، أى مجموعة متكاملة واضحة من الاهتمامات النظرية، وطرق البحث التى تطورت وتبلورت ونضجت خلال عقود طويلة نتيجة تفاعل العلوم الإنسانية معاً. كذلك تحديد فترة البحث، والنظريات التى توظف فى البحث ومدى القدرة على اختبارها؛ ومدى الإستفادة من الأساليب الإحصائية، ومدى القدرة على تعميم النتائج.

والحقيقة أن البحث المجدى المفيد يتضمن عناصر ثابتة وينطلق من أفكار واضحة، ويعتمد على طرق بحث محددة للوصول إلى بيانات صادقة.

فعملية تصميم البحث ليست عملية ارتجالية فوضوية، بل عملية منظمة

من الألف للياء تتخذ في كل خطوة من خطوات البحث مجموعة من القرارات، بعض هذه القرارات قبل بداية البحث، أى فى مرحلة الاختمار فى الذهن قبل إصدار القرار بصلاحية البحث للتنفيذ، وبعضها الآخر أثناء تنفيذ البحث، وثمة قرارات تتخذ أثناء صياغة مشكلة البحث، إذ يطرح الباحث مجموعة من الأسئلة، يتعين عليه الإجابة عليها: مثل ماذا ندرس؟ وكيف نحدد مجتمع البحث؟ وهل يدرس المجتمع كله أم جزء منه؟ ثم يتخذ القرار الذى يحدد الأداة الأصلح لجمع البيانات، ثم قرار المنظور الأنسب لتفسير البيانات لو كانت الدراسة تفسيرية.

والباحث الناجح هو الذى يستطيع أن يصمم البحث تصميماً نموذجياً ودقيقاً ليحصل على أدق النتائج وأقربها إلى الصحة والموضوعية، وأبعدها عن التحيز والخطأ.

ويمر اجراء البحث بمرحلتين :

المرحلة الأولى : وضع الخطة التى تحتاجها الدراسة،

والمرحلة الأخرى: تنفيذ هذه الخطة عملياً ومتابعة تنفيذها.

ويستخدم الباحث فى كل بحث يقوم به مجموعة معينة من مناهج البحث وطرق وأدوات جمع البيانات التى تتلاءم وطبيعة الموضوع الذى يدرسه، من أجل الحصول على نتائج صادقة وموثوق بها.

وهو يختار المنهج الأصلح للبحث، والأدوات الأكثر ملاءمة من بين مجموعة كبيرة من المناهج وطرق البحث، ومجموعة أكبر من أدوات جمع البيانات. ويطلق على كيفية اختيار هذه المجموعة من أدوات جمع البيانات والمناهج مفهوم تصميم البحوث. ومن أجل إجراء التخطيط اللازم لتصميم البحث واختيار أدوات البحث الميدانى، يتعين علي الباحث أن يقرر كيفية اختيار حقائق معينة، وكيفية تصنيف هذه الحقائق الاجتماعية، وكيفية

اكتشاف طبيعة العلاقات بين هذه الحقائق. ويمكن أن يقرر الباحث- كجزء من بحثه- على سبيل المثال أن يجمع حقائق جديدة، وعدم الاقتصار على البيانات المتاحة فعلاً ، وأن يستخدم عينة كبيرة من الحالات. وعدم الاكتفاء بعينة صغيرة. ويمكن أن يقرر استخدام طريقة معينة- دون غيرها- أو أكثر من أداة لجمع البيانات اللازمة للبحث، وعليه أن يفاضل بين المقابلة واستمارة الاستبيان، واستخدام الأسئلة أو الملاحظة أو دراسة الحالة، أو تحليل المضمون. واختبارات المواقف.

ولا تحدث عملية البحث على المستوى التجريبى وحده، بل تتعداه، ولا تقتصر على الملاحظة وحدها، أو الإجابة على مجموعة من الأسئلة، فالبحث ليس مجرد مجموعة من الإجراءات التجريبية التى تؤدى إلى اكتشاف نتائج معينة محددة، وسواء كان الباحث واعياً بذلك أم لا، فدوره لا يقتصر على مجرد جمع البيانات وتصنيفها، وكشف الارتباطات بينها، بل إنه- فى اختياره لوقائع معينة بغية دراستها- يسترشد ببعض الآراء والأفكار المستوحاة من النظريات المقبولة فى الوسط العلمى وغير العلمى، أو المستوحاة من النظريات التي درست الظواهر التى تخضع للدراسة، وتساعده الاستفادة من النظرية فى تحديد طريقة اختيار البيانات ونوعها، كما تساعده فى تحليل هذه البيانات وإيجاد العلاقات بينها، فمثلاً يمكن أن يدرس الباحث انتشار نظام الزواج العرفى فى المدينة أو الفتور السياسى أو الاستهلاك الترفى، أو الأسباب الكامنة وراء الاعتداء على البيئة الخضراء مقابل حفنة من المال، والباحث الذى يدرس الموضوع الأول، لديه تصور واضح عن نظام الزواج، وهذا يقوده إلى استخلاص الحقائق الملائمة من مجموعة من الظواهر المعقدة، وإذا ما اختلطت التصورات لدى الباحثين وتعددت ،أدى ذلك إلى تعدد المناهج وتعدد أدوات البحث التى يستعملونها، وتباين النتائج التى يمكن أن يصل إليها كل باحث. فمثلاً إذا ما قام باحث بدراسة انتشار شائعة معينة فى مجتمع محلى فهو يجرى دراسته مستنداً على

فكرة مؤداها أن الانتشار يحدث من خلال التفاعل الشخصى، وتبادل المواطنون الحديث سوياً، ومرة أخرى يمكن أن يؤثر فهم أو عدم فهم الباحث للظاهرة التى يدرسها والتى يجمع البيانات عنها، ثم يصنفها ويحللها على نتائجه التى يتوصل إليها.

ولما كان الباحث الاجتماعى يريد دراسة ظواهر معينة من السلوك وتوجهات الناس فى التجمعات البشرية، فإنه قد يعتمد على نموذج نظرى يتكون من مجموعة من القضايا، تختلف درجة وضوحها من عالم لآخر، وتدور هذه القضايا النظرية حول ما يلى:

١- الإنسان لا يمارس حياته إلا داخل التجمعات.

٢- هناك مظاهر متعددة للسلوك الإنسانى.

٣- السعى إلى معرفة كيف تتلاءم هذه المظاهر سوياً، وكيف تتبادل مظاهر السلوك التأثير والتفاعل فيما بينها.

وعلينا أن نعى أن الباحث، قبل أن يصمم بحثه، وقبل أن يخطو الخطوة الأولى فى تصميم البحث، يخضع لمجموعات من الأفكار تسيطر عليه ويسترشد بها لتحديد مسار البحث وخطواته.

وتصف المجموعة الأولى من الأفكار التى تشكل النموذج، الجماعة أو جزءاً منها، وقد يكون موضوع البحث جماعة صغيرة تتميز بالتفاعل الواضح، أو يكون مجتمع البحث مجتمعاً أكبر يتقاسم أفراده قيماً مشتركة، رغم أنهم لا يتفاعلون سوياً تفاعلاً مباشراً، وقد يكون موضوع البحث جماعة فرعية أو مجموعة من الأفراد انسلخوا عن الجماعة الأصلية.

وتشير المجموعة الثانية من الأفكار فى النموذج إلى صفات معينة محددة للسلوك الإنسانى الذى ندرسه، مثل حالة تكامل الجماعة أو اتجاهات أعضاء الجماعة نحو بعضهم بعضا والمعايير التى يقبلها أعضاء الجماعة عادة. أو

عدم تكامل الجماعة وتنافر أعضائها.

وتفترض المجموعة الثالثة من الأفكار وجود علاقات معينة بين الأعضاء، كأن يفترض مثلاً أن تزايد التفاعل الاجتماعى بين أعضاء الجماعة يؤدى إلى تباين مستمر ودائم فى أدوارهم.

وإذا ما وضعنا نصب أعيننا هذا التمييز بين الأفكار عند دراسة الحالات، وخصائص كل حالة، والعلاقات بين الخصائص موضوع الدراسة، فإننا نلاحظ أن بعض علماء الاجتماع ينظرون إلى الجماعة كنسق اجتماعى يساعدهم على فهم التمييزات المجردة بين الحالات التى يدرسونها،وفهم الصفات والعلاقات بين الخصائص، وضرورة إحاطة الباحث الاجتماعى إحاطة شاملة بالجماعة كنسق، أى أن كل عنصر من عناصر الجماعة يؤثر فى العناصر الأخرى، كما يتأثر بدوره بالأجزاء الأخرى. وفى بعض النماذج الأخرى، تعرف الأدوار باعتبارها الأجزاء المكونة للجماعة الصغيرة كنسق أو يمكن أن ينظر إلى المجتمع المحلى بوصفه نسقاً تتفاعل أجزاؤه الداخلية معاً، أو نموذجاً أكثر تعقيداً كالبناء السياسى للدولة.

ويمكن القول بأن عملية البحث تبدأ من نموذج تصورى أى من صورة تنظيمية عن الظاهرة التى يجب أن تبحث. ويبدأ الباحث وفى ذهنه مجموعة من الأفكار سواء كانت غامضة أو واضحة، عن طبيعة هذه الظاهرة، ويحدد هذا النموذج التصورى نوع الأسئلة التى يجب أن توجه للمبحوث ويجيب عليها، وكيف يستخدم الإجراءات التجريبية كأدوات لاكتشاف إجابات هذه الأسئلة، فالباحث لا يبدأ من فراغ، ولا يبحث إلا عن حقائق واضحة، مثلما يعتمد على نموذج واضح يسترشد به.

والسؤال الذى يطرح أثمة ضرورة للنموذج، ومن ثم يصعب الاستغناء عنه؟ ذلك سؤال مهم جداً، ونرجىء الإجابة عنه.

لماذا الحاجة إلى إجراء البحوث الاجتماعية؟

فى عالم يواجه التغير فى كل لحظة، بل نسمع عن اختراع جديد فى كل ثانية، أو نسمع أو نقرأ عن أفكار جديدة مثل العولمة والخصخصة والحرب ضد الارهاب!! وحقوق الأطفال والمساواة والعدالة وكلها عوامل تؤثر على علاقات الإنسان وسلوكه والنظم الاجتماعية التى يتفاعل معها، أصبحت الحاجة إلى البحوث الاجتماعية ضرورة ملحة. ونحن نفيد من البحوث الاجتماعية فى جمع بيانات ومعلومات عن القيم والاتجاهات أنماط السلوك عن جماعات كثيرة، سواء أكانت هذه البيانات تتعلق بأنماط طبيعية سوية إيجابية فندعمها أم أنماط سلبية ومرضية نحاول أن نعدلها ومعرفة أسباب الخروج عن المألوف (Palmer Monte, p. 103) .

ونحن فى عالمنا العربى فى مرحلة التحول من المجتمع التقليدى إلى المجتمع المعاصر فى أشد الحاجة إلى إجراء البحوث الاجتماعية، وتسخير هذه البحوث لخدمة المواطنين مثلما أفاد منها الغرب فى خدمة المواطن الغربى. وهذه الاستفادة من البحوث الاجتماعية مشروطة باقتناع النظم السياسية، بفائدة البحوث الاجتماعية وإيمانها بأهميتها وجدواها فى تغيير حياة المواطن وإسعاده، وتغيير بعض المعايير الثقافية - مثل الشفافية والسرية- وانتشار التعليم والقضاء على الأمية- وكلها عوامل أساسية تعظم من أهمية مشاركة المعلومة الشخصية حول عدد كبير من القضايا المحلية والقومية، وكيف تساهم هذه المشاركة فى إجراء تغييرات اجتماعية مقصودة تهدف إلى إسعاد المواطنين وتخفيف شقائهم.

وقد تزايد الاهتمام بالبحوث الاجتماعية فى السنوات الأخيرة باعتبارها وسيلة هامة لوضع خطط التنمية، وأداة مساهمة فى إحداث التغيير الاجتماعى والاقتصادى والثقافى. وقد أعطى اهتمام للبحوث فى مجالات التعليم والإعلام والصحة. فإعداد البرامج الاجتماعية والاقتصادية، ورسم

سياسة اجتماعية تقوم على التخطيط، لن تحقق الفاعلية والغرض المرجو منهـا، ولن تؤتى ثمـارها، إلا بالاسـتناد على معلومـات تكشف الواقع الاجتماعى وتعريه، أى لن يتحقق هدف أى سياسة تقوم على التخطيط، إذ ما تجاهل القائمون على هذه السياسة البحوث الاجتماعية التى تجمع الحقائق وتنظمها وتفسرها من أجل تفسير المجتمع الإنسانى. فالبحث الإجتماعى ليس عملية ارتجالية عشوائية. بل عملية تهدف إلى تقصى الحقائق باستخدام أساليب منظمة. فالباحث يطرح منذ البداية مجموعة تساؤلات يسعى إلى الإجابة عليها عن طريق البحث، وتدور هذه التساؤلات حول المشكلة. فالهدف الأساسى للبحث وسبب وجوده، إضافة أفكار جديدة الى الأفكار التى يبدأ منها البحث أو إختبار الأفكار الى بدأ منها البحث.

وأهم خطوة من خطوات البحث العلمى، هى أى طريق يسلكه الباحث لبحث المشكلة. وقد يبدو هذا السؤال بسيطاً لأول وهلة. ولكن إذا عرفنا أن هناك عدداً كبيراً من طرق جمع البيانات يستطيع الباحث أن يستعين بها فى إجراء بحوثه لإدركنا أن إختيار الطريقة الملائمة لبحث المشكلة مسألة ذات أهمية قصوى وقد يترتب عليها نجاح البحث أو فشله فى تحقيق أهدافه.

ولكى يستطيع الباحث أن ينتقى من بين هذه الطرق الطريقة الأكثر ملائمة لأهدافه، لابد له أن يكون ذا دراية واقعية بطرق البحث المختلفة ومميزات وعيوب كل طريقة حتى تكون له القدرة على الإختيار السديد.

والحقيقة، وباستثناء حالات قليلة فإن البحوث الإجتماعية فى العالم العربى تفتقد التراكم والتكامل (Tesseler, p. 149) تلك الخاصيتان اللتان ساهمتا فى تأكيد وتوضيح أهمية البحوث الاجتماعية في العالم الغربى، فكل بحث فى العالم العربى منفصل عن الأبحاث الاجتماعية الأخرى، وكل باحث يدور حول نفسه، ورغم أن الهدف الأول للبحوث الاجتماعية فهم الواقع.

وإذا مافهمنا البحث على أنه عملية يقوم بها الباحث ليحول موقفا غير محدد إلى موقف محدد، أو إجراء يقصد منه فهم التنافر والتعارض بين عناصر الموقف. وطبيعة العلاقات بين هذه العناصر المتنافرة بغية الوصول إلي نتائج أو قوانين عامة، فإن البحث الاجتماعى مثله مثل كل البحوث يعتمد على مجموعة من القواعد المنهجية. والمنهج علامة من علامات نضج العلم، يكشف عن أننا نضع أقدامنا على أرض صلبة (فؤاد زكريا، ص٣٣٠).

وأن الباحث يسير خطوات ثابتة إلى الأمام، فالإنسان لا يتقدم إلى الأمام إلا إذا وضع قدماً أمام الأخرى، أما إذا قدم رجلا وأخر أخرى، فلن يتقدم إلى الأمام.

ويعرف المنهج بأنه مجموعة من القواعد التى يتبعها الباحث فى دراسة موضوع أى علم من العلوم للوصول إلى مجموعة من القوانين ومعرفة الحقيقة. وإذا اتبع الباحث تلك القواعد كان فى مأمن من الزلل، ولن يحسب الصواب خطأ. فالمنهج يتطلب اتباع طريق واضح مستقيم للوصول إلى اليقين.

ويقصد بالمنهج العلمى تطبيق مجموعة القواعد والشروط المنطقية التى يتبعها الباحث للوصول إلى الحقائق المنظمة وكشفها وتنظيمها باستخدام العقل والبرهان التجريبى. ويرى كلود برنار أن الغرض من المنهج العلمى واضح وواحد؛ هو ربط الظواهر بأسباب وجودها ربطا واقعيا، بحيث لو عرفت هذه الروابط أصبح فى مقدور الباحث أن يسيطر عليها أو يعدلها أو يمنعها (برنار).

ويرى برنار أن إحلال القياس محل الرأى الشخصى هو جوهر الانقلاب الذى أحدثه المنهج العلمى: والمنهج لايعترف إلا: ١- بحجة الوقائع، ٢- ولايقوم إلا على التجربة. ٣- ولا يعترف إلا بالوقائع التى أثبتتها التجربة. والمنهج يزيد من كم الصواب. ويقلل من كم الخطأ، ويخضع كل شىء لسلطان التجربة، ولا ينشد إلا الحقيقة العلمية (برنار، ص٤٢).

ولا يدرس المنهج العلمى الظواهر البعيدة عن متناول التجربة وبل يدرس الظواهر التى تخضع للملاحظة والقياس.

ولكل علم منهج للبحث خاص به. مادام لكل علم موضوعه ومشاكله وتنوع الظواهر التي يدرسها ومجموعة أدواته التى يتفرد بها فهناك: ١- منهج العلوم الرياضية. ٢- منهج العلوم الطبيعية، ٣- المنهج التاريخى، ٤- منهج العلوم الاجتماعية؛ ٥- المنهج المقارن.

ويكمن الفرق بين منهج كل من العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية فى مادة البحث وموضوعه؛ فالعلوم الاجتماعية تهتم بالانسان. وعلاقاته الاجتماعية، والتفاعل الاجتماعية، والنظم الاجتماعية. ومن الضرورى أن نميز بين الدراسات العلمية الاجتماعية. والدراسات التى تبغى الإصلاح الاجتماعى، فالأولى تتبع منهجا علميا أما الأخرى فانطباعية تعتمد على النوايا الحسنة.

لكن الاجتماعيين لم يتفقوا علي منهج واحد. بل تشتتوا بين مناهج اجتماعية مختلفة لصعوبة فهم الإنسان وتعقد سلوكه. أهمها المنهج الوضعى، والمنهج التجريبى، والاستقراء التاريخى، والجدلية التاريخية، والمنهج الاستنباطى، والمنهج المقارن، البنائية والمنهج التوليدى.

والحقيقة التى لانستطيع الهروب منها هى أن ثمة خلطاً عند بعض الباحثين بين المنهج والطريقة وأداة البحث .

ويؤكد فؤاد زكريا ذلك إذ يرى عدم وجود تمييز واضح بين منهج البحث وطريقته (فؤاد زكريا، ص٣٢٥).

كما ان طريقة البحث تختلف عن اداته، فالمنهج يتعلق برؤية عامة تتصف بالشمول للاتجاه الذي يشير إليه البحث. أما طرق البحث فأكثر جزئية وتعنى القواعد الخاصة بالعلم التى تستخدم للحصول على وقائع ترتبط بموضوع العلم وهى تختلف من علم لعلم وتؤدى كل طريقة إلى غرض معلوم نريد

تحصيله. فالمنهج أعم. وتعد دراسة الحالة طريقة، وتحليل المضمون طريقة فى البحث ودراسة تاريخ الحياة طريقة، والفهم التفسيرى عند فيبر شأنه شأن التجربة المتخيلة طريقتان فى البحث. ويقصد بطريقة البحث الأساليب التى يتبعها الباحث فى مجال تخصصه لدراسة صحة الغرض أو تفنيده أو الإجابة على التساؤات بالايجاب أو النفى للوصول على الحقيقة التى تقبل البرهان، وتختلف الطريقة باختلاف موضوع البحث. أما الأداة فهى وسيلة لجمع البيانات بغية قياس الظاهرة موضوع الدراسة أو وصفها.

وثمة ظروف تعوق البحث الاجتماعى العلمى فى العالم العربى أهمها:

١- عدم وجود هيئات وطنية صميمة تضطلع بمهمة تمويل البحوث وهناك بعض الجهات التى تمارس إجراء البحوث الاجتماعية، ولكن ثمة شبهات حول جهات تمويلها. وأغراض البحوث التى تقوم بها، كما أن بعضها يخفى نتائج الأبحاث عن أبناء الوطن ولا تنشر بلغة الوطن الذى تم فيه البحث.
٢- عدم وجود فريق من الباحثين المدربين على جمع البيانات.
٣- نفور الجهاز الإدارى من البحوث الاجتماعية.
٤- البيانات الرسمية الحكومية، رغم تحسنها النسبى دوماً، فإنها تفتقد النموذج والدقة مما يعوق مهمة الباحثين. كذلك يصعب الحصول على بيانات توثق بالأرقام عن ظواهر تحدث فى مجتمعنا، وخاصة التى تتعلق بالحراك الاجتماعى والهجرة (جلال أمين ص ٢٣).
٥- افتقاد الجدية فى الإشراف على بعض الرسائل الأكاديمية.
٦- ضعف الارتباط بالواقع الاجتماعى وافتقاد الاستقلال العلمى.
٧- إجهاض الديمقراطية فى بعض البلدان. ورفض الرؤية النقدية.
٨- عدم الإلتزام بالقضايا الإجتماعية داخل الوطن العربى وإسترجاع

أبحاث أنجزت خارج البلدان ومحاولة محاكاتها والاقتداء بالقضايا التى تتصدى لدراستها أو تطبيق المنهج وطريقة البحث رغم اختلاف الظروف المجتمعية فى بلدان العالم العربى عن العالم الغربى.

٩- سلبية بعض المواطنين حيال ما يحدث داخل المجتمع من تفاعلات اجتماعية.

١٠- حرص بعض الاجتماعيين على تحسين مستوى معيشتهم وطموحاتهم والنفور من المساهمة الإيجابية فى قضايا المجتمع إيثاراً للسلامة والحصول على مغانم إدارية ومالية.

١١- هيمنة بعض المفهومات والنماذج الغربية مثل المشاركة السياسية والاغتراب وتحديد النسل والحداثة والطبقة والقومية والمادية التاريخية والطبقة على البحوث الاجتماعية فى العالم العربى وتسلطها على توجهات تفكير بعض الاجتماعيين العرب .

والحقيقية أن الباحثين العرب يعملون فى فراغ علمى نسبى، ولا تتاح لهم إلا فرص قليلة للمساهمة الإيجابية فى أحوال مجتمعاتهم. ففريق منهم أسير التغريب، وفريق ثان يعانى من الصراع بل والتيه بين التغريب والأصالة، وفريق ثالث يدعو إلى قيام علم اجتماع إسلامى!!، ولا يقدرون على تحديد هذا المفهوم. ولا توجد فى مجتمعنا مدرسة اجتماعية علمية واضحة المعالم، فالجهود كلها فى مجال البحوث الاجتماعية جهود فردية ولا توجد جهود تنطلق من رؤية تهدف إضافة قيمة جديدة إلى المعرفة. إذ تقتصر الجهود الشائعة على مناقشة القضايا المسيطرة فى علم الاجتماع الغربى،، وتسعى إلى إيجاد مثيل لها فى عالمنا العربى بل ولا تحاول تفنيدها فى واقع اجتماعى مغاير، ولا تبذل الجهود لجمع بيانات بطرق منهجية تسهم فى بناء نسق معرفى، وخلت الساحة من مجتمع علمى متكامل الأركان، يعى كل أفراده المعوقات وعياً كاملاً التى تقف أمام البحث العلمى وتراكم المعرفة

(Tesseler, pp. 149- 155).

إن التحدى الأكبر الذى يواجه إجراء البحوث الاجتماعية فى العالم العربى، ويمنع الاستفادة منها ينبع من عدم إيمان بعض النظم السياسية بالبحوث الاجتماعية، رغم وجود مجموعة تؤمن بأهمية البحوث Palmer) (Monte p, 103 وتزايد أعداد أقسام علم الاجتماع وبالتالى تزايد خريجى هذه الأقسام فى كل عام.

كذلك تعوق بعض المعايير الاجتماعية وانتشار الأمية، وخاصة فى الريف، عمل الباحثين. وتساهم هذه المعايير الثقافية فى رؤية الناس من عائد البحوث الاجتماعية، واعتقادهم أن البحوث الاجتماعية تقتحم عليهم حياتهم الخاصة، كما يهاب الناس الإجابة عن الأسئلة التى تتعلق بالسلطة- سواء أكانت السلطة السياسية أم الأبوية- ومظاهر الإنفاق ومصادر الدخل ربما إيثاراً للسلامة أو خشية الحسد أو الخوف من الضرائب، مثلما يخشون الإجابة على الأسئلة التى تتعلق بالدين والجنس.

وضع البحوث فى بعض أنحاء العالم العربى

فالباحثون يواجهون مشكلات كثيرة بعضها علمية، وبعضها عملية، ومن المشكلات العلمية ما يتعلق بالمنهج وطرق البحث، أو التنظير والجهل بتراكم المعرفة أو التنشئة على اخلاق البحث العلمى والتوحد بها، والمناخ الأيديولوجى الذى لا يساهم فى دفع عجلة البحوث. واعتقاد العامة والخاصة من الناس أن الأبحاث لا تؤدى إلى نتائج علمية مثمرة، كذلك لا تؤدى البحوث إلى نتائج عملية، تساهم فى تحسين أحوال المجتمعات، وتسعد أفرادها. وبعض المجتمعات تميز بين الباحثين، فبعضها تفتح أبوابها للأوربيين لإجراء البحوث، وتضن على العرب بالمعلومات والبيانات، وما هو حلال على الطير من كل جنس حرام على الباحثين العرب.

ثمة اتهامات توجه إلى عدد من الباحثين، مؤداها أن الذين أفادوا من العلم

الاجتماعى أكثر من الذين أفادوا العلم، وأن هناك فئة انسلخت عن الواقع ولم تساهم مساهمة إيجابية وعملت فى صمت واكتفت أما بترجمة بعض المؤلفات أو التدريس أو توليف الكتاب المدرسى من مصادر متعددة بلا معاناة.

وهذه الاتهامات، تعبر عن ظاهرة مؤداها أن البحث الاجتماعى يمر بمأزق وأزمة، وإن البحوث الاجتماعية التى تفيد مجتمعنا نادرة بل غائبة، وأن الأبحاث التى يقوم بإعدادها طلاب البحث العلمى فى مرحلة الدراسات العليا أحياناً ما يكون بعضها رفيع المستوى، تكتب وتقرأ من قلة محدودة، ويفيد منها صاحبها وتوضع فى الأدراج ولا يفاد منها على مستوى المجتمع.

..والحقيقة أن ثمة تغيرات كثيرة وسريعة طرأت علي المجتمع المصرى منذ ١٩٥٢ والمجتمع العربى منذ حرب ١٩٧٣ ، وما تبع ذلك من تغير فى بناء العلاقات الاجتماعية ووظائف النظم الاجتماعية، وانعكس ذلك على الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتعليمية والخصائص السكانية، بل ثمة تحولات طرأت على النظم التعليمية والسياسية والاقتصادية والطموحات الشخصية والانتماء إلى المكان والتدرج الاجتماعى. وسواء أكانت هذه التغيرات سريعة أم بطيئة؛ واضحة أم كامنة، فإنها لن تحدث دون ألم وآثار سلبية وبلا ثمن أو ضحايا .

ولا يستطيع إنسان عربى أن يهرب من تأثير هذه التغيرات، بوصفه مواطناً يعيش فى مجتمع يتأثر به ويتفاعل معه ويؤثر عليه، ولا نستطيع كباحثين اجتماعيين أن نغمض أعيننا عما يحدث حولنا، بل علينا أن نتقصى ما يحدث حولنا ويغير أحوال الناس ونقدر ونقيم كيف كنا وكيف أصبحنا لكى نتجاوز المرحلة الحاضرة إلى مرحلة أكثر راحة وأقل شقاء لكل المواطنين ولنعرف أسباب ما أنجز وأسباب ما تحقق وأسباب ما لم يتحقق، ولنفهم كيف ولماذا تتقدم بعض المجتمعات مادياً ولا مادياً، ولماذا تتراجع بعض المجتمعات عن معدلات التقدم المفروضة لها، والمتوقعة منها، وعلينا أن نعرف مكاننا فى

هذا العالم، خاصة وأن تاريخنا القديم ساهم فى صنع الحاضر، وعلينا أن نفهم لماذا تحولنا من مجتمعات لها قوة وساهمت فى صنع الحضارة إلى مجتمعات مستضعفة.

ولقد نشرت بعض الدراسات والمقالات التى تتصدى لفهم الواقع الاجتماعى وأغلبها تفتقد خبرة ودراية ومنهج علماء الاجتماع، وتعبر عن تجارب وخبرات شخصية (جلال أمين: ص٥) تعكس ما طرأ على المجتمع المصرى من تغيرات.

وكان جلال أمين صادقاً عندما عاتب علماء الاجتماع المصريين على موقفهم السلبى وإهمالهم دراسة بعض الظواهر التي طرأت على المجتمع مثل الحراك وقال «كان الأمل أن يمدنا علماءَ الاجتماع بالتحليل المطلوب لما طرأ على الحراك الاجتماعى فى مصر ولكن النتيجة هنا مخيبة للآمال أو يكاد يستحيل الحصول علي دراسة واحدة على الحراك الإجتماعى فى مصر.... وعلاقته بما طرأ من تغير على أنماط السلوك والقيم والعلاقات»(جلال أمين ص١٩). وليت الأمر يقتصر على الحراك الاجتماعى بل لم يتصدّ علماء الاجتماع لدراسة ظواهر مهمة مثل آثار حروب ٥٦ و٦٧ و٧٣ على قيم المجتمع المصرى، ووقفوا موقف المتفرج من هذه الحروب وكأن هناك علامات حمراء أمام إجراء البحوث لا يصح تجاوزها، أيضاً آثار الانفتاح الاقتصادى لم تدرس دراسات متعمقة واعية.

نحن فى حاجة إلى إجراء مزيد من البحوث الاجتماعية لفهم مجتمعاتنا أفضل فهم، ولن يتحقق هذا الفهم إلا إذا جمعنا قدراً كبيراً من المعلومات والبيانات عن واقعنا الاجتماعى. وهذا القدر من المعلومات والبيانات يساعدنا على حل بعض المشكلات السلبية، وفهم وتفسير الواقع، وإنجاز أهداف التنمية التى تيسر للمواطنين كلهم حق إشباع مطالبهم وحاجاتهم العضوية والاجتماعية والنفسية، إشباعاً يناسب كرامة الإنسان. وهذه البحوث

والدراسات توفر لنا معلومات عن اتجاهات الناس إزاء قضايا اجتماعية كثيرة، وتمدنا بمعلومات وبيانات عن أنماط السلوك الإيجابية والسلبية وأشكال التفكير العقلانى واللاعقلانى، وأنواع الاتجاهات والآراء وأنماط السلوك التي تؤثر على سرعة تنمية المجتمعات أو تعوق تقدمها. والحقيقة أن كل من يعمل فى خدمة المجتمع ابتداء من السياسيين والتنمويين ورجال السلطة التنفيذية والقادة على المستوى القومى والمحلى فى حاجة إلى نتائج البحوث الاجتماعية لفهم الواقع والسعى إلى تغييره إلى الأحسن.

فالأبحاث الاجتماعية ليست ترفاً زائداً بل ضرورة مُلحَّة فى عالم متغير، فلسنا فى موقف المفاضلة بين الغذاء والكساء والطرقات السريعة والمدن الجديدة وماذا نستورد ،وبين البحوث الاجتماعية. فالبحوث هى التى تحدد احتياجاتنا ومطالبنا وتساهم فى القضاء على التخلف بعد معرفة أسبابه.

إن الاحتماء بالبحوث الاجتماعية يؤكد على تكريم عقل الإنسان. وإن هذا العقل هو القوة الدافعة لتحسين البيئة وتغيير الظروف المعيشية، فنحن فى حاجة إلى إجراء البحوث لفهم أسباب بعض الظواهر الاجتماعية الجديدة والآثار الاجتماعية المترتبة على ذلك؛ والتغيرات فى أنماط السلوك والعلاقات الاجتماعية، وقد توارت بعض أنماط السلوك كانت شائعة ومهيمنة، وظهر بدلا منها أنماط سلوك جديدة، وضعفت علاقات القرابة، ونمت قيم جديدة تؤكد الفردية والنجاح الشخصى.

ونحن فى حاجة فى مجال الدراسات السكانية إلى دراسة وفهم الظواهر التالية:

- تزايد السكان فى بعض البلدان العربية.
- الهجرة من بعض البلدان إلى دول النفط، والآثار الاجتماعية والاقتصادية للهجرة.
- الهجرة من الريف أو البادية إلى الحضر.

- معدلات الخصوبة فى الريف.
- تغير الخصائص السكانية.
- تنظيم الأسرة وجدوى ذلك.

وفى المجال السياسى :

- العزوف عن إبداء الرأى فى الانتخابات.
- انتشار اللامبالاة بالقضايا القومية.
- مدى عجز المعارضة السياسية عن المشاركة فى اتخاذ القرار السياسى.
- شيوع العقلانية فى اتخاذ القرارات السياسية.
- مدى وعى المواطن بمشكلات المجتمع على المستوى المحلى.
- مدى وعى المواطن بمشكلات المجتمع على المستوى القومى.
- مدى تأثر الصوت الإنتخابى بالمصالح الخاصة والعائلية.
- مدى تحكم العلاقات القرابية فى الترشيح لبعض الوظائف.

وفى المجال الاقتصادى :

- اتجاهات الإصلاحات الاقتصادية.
- اتجاهات الشباب نحو العمل.
- آثار الانفتاح على البطالة.
- معايير الإنجاز.
- أشكال الجريمة بعد الخصخصة.
- ظاهرة سيدات الأعمال.
- تحول القرية إلى وحدة مستهلكة.
- الاستهلاك الترفى.

وفى المجال الاجتماعى :

- القيم المرتبطة بتربية الأولاد.

- مدى التكامل بين الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام فى توجيه سلوك الطفل.
- اتجاهات القيم فى عصر العولمة.
- مدى الارتباط بالقيم الجمعية.
- عودة ظاهرة الخدم فى المدن. (الأسباب والنتائج)
- عمالة الأطفال.
- أسباب ازدياد مظاهر العنف.
- الحراك الاجتماعى والتغير الاجتماعى.
- الآثار الاجتماعية للفساد الإدارى.
- أثر الكسب السريع على العمل المنتج.
- مظاهر تفكك الأسرة.
- مدى شيوع العقلانية فى الريف والمدينة.
- الآثار الاجتماعية للدروس الخصوصية.

وفى مجال التعليم :

- التسرب من المدرسة.
- العدالة الاجتماعية والدروس الخصوصية.
- تحليل مضمون كتب القراءة فى اللغة العربية والتاريخ (والتعليم الخاص وتكافؤ الفرص).

وفى مجال التنمية :

- فهم معوقات التنمية فى الريف والمدنية.
- الدافع إلى التنمية.
- الشعور بعدالة توزيع الخدمات.
- عدالة توزيع مواقع الإنتاج وفرص العمل.
- مدى تطبيق الأسلوب العلمى فى تشييد المواقع الاقتصادية.

– أثر التنمية الاقتصادية فى تغيير نظام القيم التقليدى .

ونحن نتحدث كثيراً عن التنمية ونطالب بإنشاء مراكز للتنمية، وتكوين جمعيات وهيئات للتنمية. مثلما ندرس التنمية ضمن مقررات الدراسة ونعرف فى الوقت نفسه أن التنمية تتطلب تغيرات اجتماعية كثيرة وإرساء نظم اجتماعية جديدة، ولكننا لن نفهم معني ودلالة التنمية، إن لم نوجه الاهتمام إلى المشكلات التى تؤثر على التنمية والعمليات الاجتماعية التى تدفع بالتنمية إلى مجتمع أفضل أو تعطل جهود التنمية.

وهذه الموضوعات الاجتماعية مثل موضوعات اجتماعية أخرى كثيرة تستحق الدراسة– لا يمكن أن نحصرها، بل نعرضها على سبيل المثال– يمكن أن يشاهدها المواطن فى القرية والنجع، والحارة والشارع والمقهى والمدرسة وأثناء التجول فى الأسواق أو أثناء التفاعل مع أعضاء الأسرة أو زملاء العمل أو يقرأ عنها فى الصحف اليومية سواء فى صفحة الحوادث أو فى صفحة الرأى أو بريد القراء أو يشاهدها فى البرامج التليفزيونية وما يسمعه من الأهل والجيران والزملاء عن أخبار الطلاق والزواج وجرائم الاعتداء على المال العام، وصراع السلطة فى القرية، ولكن ثمة فرقاً بين موقف الناس، وموقف الباحثين من هذه المشكلات.

والناس عادة لا تفكر فى معانى هذه الظواهر، وخاصة المعاني الكامنة، ولا تفكر فى ارتباط الظاهرة بعوامل أخرى؛ ولا تحاول تفسيرها، وتلك مهمة الباحث الإجتماعى، فمهمته أن يقول شيئاً بصوت عال؛ وهو عندما يكتب بحثه، لا يشبه الضارب على الآلة الكاتبة بل يفسر ويقارن، ويبدع ويبسط المادة العلمية ويعرض قضاياه، ويدفع المتخصصين ومن يعمل فى البحث الاجتماعى إلى التفكير فيما كتبه.

والحقيقة أن كل الموضوعات التى أشرنا إليها يدرك أهميتها وخطورتها كل من ينتمى إلى هذه البلد، وكلها موضوعات تستحق الدراسة، لأنها تعكس

التغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. فمن الضرورى أن تعرف آراء الأفراد ومعتقداتهم وسلوكهم، لما لذلك الفهم من آثار فى توجيه التطورات الاقتصادية والاجتماعية، وفهم دلالة التغيرات التى تطرأ على المجتمع، وفهم طريقة حياة الناس وأثر ذلك على فهم الثقافة السائدة.

الهدف من كتابة البحوث الاجتماعية :

تهدف البحوث الاجتماعية إلى وصف ومقارنة وتفسير الموضوع الاجتماعى الذى ندرسه، سواء أكان الموضوع دراسة السلوك الاجتماعى أم البناء الاجتماعى أم العلاقات الاجتماعية، أم ظاهرة اجتماعية، سوية أو مرضية شاذة. والباحث الاجتماعى قد يدرس نظاماً اجتماعياً فى مجتمع محدد: مثل، الأسرة أو الاقتصاد، أو يدرس مشكلات مثل مشكلات الهجرة أو البطالة أو الإدمان أو صراع القيم أو تزايد السكان فى الريف، أو الانفجار الحضرى؛ أو التدرج الطبقى أو العنف أو الانحراف الخلقى أو أساليب الضغط الاجتماعى أو التغيير الاجتماعى، وآثار انكماش حجم الأسرة، أو الحراك المهنى والتعليمى للأبناء على علاقاتهم القرابية.

وعادة ما يسأل الباحث الاجتماعى الأسئلة الآتية، ويسعى إلى البحث عن إجابة عليها.

١ - كيف تستمر وتتغير المجتمعات؟
٢ - كيف تتغير النظم الاجتماعية؟
٣ - كيف تكتسب الشخصية القيم الاجتماعية السائدة؟
٤ - كيف تنتقل الحياة الاجتماعية من جيل لآخر؟
٥ - كيف تظهر أنماط السلوك غير المرغوبة فى المجتمعات التى تحكمها التنظيمات الرسمية؟
٦ - كيف ينحرف الناس عن المعايير ؟
٧ - ما أساليب الضبط الاجتماعى فى المدينة والقرية؟

فالبحوث كلها تهدف إلى وصف ظواهر ونظم واقعية وأنماط سلوك تتواجد داخل المجتمع. فالباحث يصف ويدرس نظماً اجتماعية أو علاقات اجتماعية قائمة بالفعل . ويبحث عن أسباب تواجدها فى عالم الواقع، وهذه التفسيرات العلمية لأحوال الناس في المجتمع تعكس رؤى جديدة ترفض التفسيرات الخرافية أو الفلسفية للواقع الاجتماعى، فهى تصف وتفسر ما هو قائم لا ما يجب أن يكون عليه المجتمع.

والباحث الاجتماعى يهتم بتقصى أسباب اجتماعية وسياسية واقتصادية وتعليمية ساهمت فى تكوين ظواهر المجتمع أو تغييرها. ولقد أدرك الباحثون الاجتماعيون، أنه بقدر ما تتغير البيئة الاجتماعية تتغير حاجات الناس، وتتغير النظم، وتتبدل العلاقات، وتظهر مشكلات اجتماعية جديدة، مثلما تنبثق ظواهر اجتماعية جديدة وتختفى أخرى.

فمنذ تقدم المنهج العلمى فى الغرب وسيطرة الرؤية العلمية على تفكير الاجتماعيين بوصفها الرؤية الأدق، تحول هؤلاء من التفكير فى السكون إلى التفكير فى المجتمع المتغير، وإلى الإنسان محور وصانع هذا المجتمع. وإلى البحث عن عوامل اجتماعية تخضع لسيطرة الإنسان ويمكن تعقلها، وإدراكها، واخضاعها للبحث والتجريب. فالطريقة العلمية فى التفكير وسيلة مهمة فى فهم السلوك الإنسانى، والنظم الاجتماعية التى تكّون المجتمع. ولمعرفة كيف يتفاعل الناس فى المواقف الاجتماعية داخل المجتمع. ولقد أدى التفكير العلمى فى أحوال المجتمع إلى تحقيق التقدم الاجتماعى، وتخفيف معاناة الناس.

وكان تقدم المجتمعات أمراً لا مفر منه للوصول إلى سعادة الناس وتخفيف شقاء المواطنين. وقد أدى المناخ العلمى الذى يحيط بالبيئة الاجتماعية إلى ظهور نماذج اجتماعية علمية تسعى إلى وصف وتفسير المجتمع، وترفض كل التفسيرات الاجتماعية غير العلمية.

ويهدف الباحث الاجتماعى عادة دراسة عمليات التفاعل الاجتماعى ودراسة الأبنية الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية، وهو عندما يدرس المجتمع يحاول أن يزيل الغموض الذى يحيط بالسلوك الاجتماعى، كما يسعى إلى إيجاد إجابات عن أسئلة تطرح فى المجتمع عن نسق الأسرة فى القرية أو نظام التعليم أو أدوار المرأة أو التنشئة الاجتماعية.

وقد يكون نطاق المجتمع محدوداً، ولكن لو درس علاقة نسق بآخر لا تسع نطاق البحث وتشعبت موضوعات الدراسة مثلما يدرس أثر التعليم على الحراك الاجتماعى، أو أثر تعليم المرأة فى أساليب التنشئة، أو تعلم الفتاة وتأخر سن الزواج، أو أثر الكساد الاقتصادى على انتشار الجريمة.

ومن الصعب أن يفرق الباحث الاجتماعى بين البحث الاجتماعى والبحوث فى علوم سلوكية أخرى، وربما كان المثال التالى مثالاً لتأكيد هذه الصعوبة ولنبدأ بمثال من الحياة اليومية، فعلم الاجتماع يعنى دراسة منظمة للسلوك الإنسانى تتبع خطوات المنهج العلمى، أو يعنى دراسة أنشطة الجماعات الإنسانية المختلفة أو التنظيمات الاجتماعية أو الثقافات الفرعية أو الجماعات الإنسانية الصغيرة. ومن ثم لا يوجد موضوع جامع لعلم الاجتماع، وعلى العكس فالموضوعات متعددة متباينة تشترك فى دراستها علوم أخرى؛ وتؤكد المارسة أن ثمة ميادين عديدة، ومداخل متباينة لدراسة السلوك الإنسانى؛ أو المجتمع، يهتم بها علم الاجتماع على خلاف العلوم الأخرى، الأكثر تحديداً فى موضوعاتها ،مثل علم الاقتصاد أو علم السياسة، كذلك لا توجد نظرية واحدة فى علم الاجتماع، بل توجد ثلاث نظريات كبرى- البنائية الوظيفية، والصراع، والسلوكية الاجتماعية-، تنقسم إلى منظورات متباينة ومدارس عديدة. فعلم الاجتماع يدرس المجتمع من كل جوانبه، كما يهتم بدراسة سلوك الإنسان من أكثر من مدخل؛ وتلك حقيقة تضاف إلى عظمة علم الاجتماع.

ويؤكد تعدد مجالات وموضوعات علم الاجتماع أن كل طالب من طلاب العلم مثله مثل كل باحث اجتماعى سوف يجد موضوعاً يجذب انتباهه يستحق أن يدرسه ابتداء من موضوعات يشاهدها فى شوارع المدينة مثل اطفال الشوارع أو المعاملات الاقتصادية فى سوق القرية، أو أثناء انتخابات العمودية أو فى المدرسة والتسرب منها؛ أو أروقة المحاكم أو داخل جدران المستشفى الحكومى أو يقرأها فى صحيفة يومية، أو شاهدها فى عرض مسرحى.

إن السؤال الذى يطرح على الطلاب فى حلقات البحث:ما تخصصك كباحث،؟وما الموضوع الذى تود دراسته؟ ويشغل اهتمامك؟ فمن المحتمل أن يجيب طالب علم الاجتماع على هذا السؤال بعرض قائمة من الموضوعات تصور بعض جوانب السلوك الإنسانى غير المألوفة فى المجتمع، مثل الرشوة؛ أو العنف، أو الزواج العرفى، أو زواج المسيار، أو بعض الظواهر غير المرغوبة مثل اللامبالاة السياسية أو تأخر سن الزواج، أو أثرها على السلوك، وتضخم المدن، والمناطق العشوائية، والأمراض المتوطنة، وكلها موضوعات ترتبط بالواقع الاجتماعى وتعكس الأحوال الاجتماعية بصدق–يقابل هؤلاء الذين يدرسون الواقع الاجتماعى ويشعرون بالانتماء الى مجتمعهم، فئة أخرى، تحاول التنظير، تؤمن بعالمية قضايا علم الاجتماع، ولذا تهتم بعرض وشرح وتفسير بعض المدارس الاجتماعية ومناقشة آراء بعض المنظرين (Johnson, pp. 3-6).

وكما نعلم، فلو أغمضنا أعيننا عن ابن خلدون كأعجوبة عربية لم تتكرر فى تاريخ التفكير الاجتماعى، فإننا نقول على استحياء أن القضايا المهيمنة على عقول الباحثين العرب عامة والمصريين خاصة، قضايا لم تستلهم من الواقع المعاش، وهى قضايا ظهرت نتيجة رد فعل مباشر لتغيرات اجتماعية وسياسية اقتصادية ترتبت كلها عن الثورة الفرنسية وتزامنها مع الثورة

الصناعية فى إنجلترا... ثم قضايا المجتمع الأمريكى وتأثير الهجرة وأزمة الثلاثينات والتكنولوجيا على البناء الإجتماعى الأمريكى.

والباحث الاجتماعى الملتزم بقضايا مجتمعة لا يكتب عن موضوع ما مرغماً، ولا ينطلق من فراغ، فهو لا يدرس موضوعاً يجهله كل الجهل، ولا يعايشه، ولا يتصدى لدراسة موضوع لا يؤثر عليه وعلى من حوله، بل يدرس هذا الباحث الاجتماعى موضوعات يعرفها، ويعايشها ويهتم بها وتؤثر عليه، وهو يدرس ظواهر تؤثر عليه سلبياً أو إيجابياً، ويكتب عن أوضاع اجتماعية وأوضاع أشخاص آخرين يأمل أن يقرأها آخرون مثله، ملتزمون، يهتمون بهذه القضايا الاجتماعية ولهم دراية مماثلة بالموضوع . (Becker, p.x)

وقبل أن يبدأ الباحث الكتابة، عليه أن يتعلم ويدرب نفسه كيف ينظم أفكاره قبل أن يسطرها على الورق. ولايعرضها بطريقة فوضوية مشوهة ومشوشة، إذ سيواجه انتقادات الآخرين، وعزوفهم عن الاستمرار فى القراءة، ولذا فالنصيحة ألا يكتب عبارات بلا معنى، فكل عبارة تكتب تعبر عن معنى مفيد وتصاغ صياغة سليمة دقيقة، ويتجنب كتابة عبارات غير دقيقة تفتقد الأفكار الناضجة. كما أن القضايا التى تعبر عن الواقع الاجتماعى بصدق تجد قبولاً أكثر واحتراماً أكبر من جمهور القراء والمتخصصين.

ويعتمد الباحثون الاجتماعيون فى كتاباتهم على فكرة مؤداها أن الناس يلاحظون المجتمع باستمرار أثناء تفاعلهم مع الآخرين، ومن خلال أدائهم للأدوار الاجتماعية، وعندما يتصدى دارس المجتمع لدراسة سلوك الناس وأفعالهم، فقد يراهم من خلال منظور معين يفسر من خلاله سلوكهم. فإذا كان الباحث ماركسياً فيتعين عليه أن يتبنى الاتجاه الماركسى، ويفسر ما يراه من خلال رؤية ماركسية. أما إذا كان يرفض الماركسية ويتبنى الرؤية البنائية الوظيفية، فسوف يصف ويحلل الظواهر تفسيراً بنائياً. أما إذا كان الباحث

ممن ينتمون الى السلوكية الإجتماعية ويعجبون بها فسوف يفسر سلوك الناس وتفاعلاتهم أثناء ممارسة أنشطة الحياة اليومية فى مواقف التفاعل المختلفة، أو يتحدث عن التركيب الاجتماعى للحقيقة.

وعندما يختلف الباحثون فى تفسير الظاهرة الاجتماعية والسلوك الاجتماعى، فالخلاف بين التفسيرات لا يرد إلى اختلاف أو تباين الكلمات، بل أن كل كلمة تكتب وكل مفهوم فى كل منظور يعبر عن فكر مخالف واهتمام مغاير ومعنى متميز (Becker, p. 38) ولذا فمن الضرورى استخدام كلمات محددة بدلاً من كلمات تقود إلى اللبس والغموض، وتدفع الى التفكير فى قضايا أخرى بعيدة عن محور اهتمام المدرسة الاجتماعية التى يتبنى الباحث قضاياها (Becker, p. 38) .

فاللغة التى يكتب بها الباحث بحثه توضح إنتمائه إلى نظرية محددة، وتكشف إرتباطه بفكر اجتماعى معين، بدلاً من إعترافه بأنه بنائى وظيفى أو ماركسى أو استخدام مفهومات التفاعلية الرمزية أو أفكار مدرسة ما بعد الحداثة.

المشكلات التى تواجه البحث الاجتماعى فى العالم العربى:

إن التحدى الأكبر الذى يواجه عملية إجراء البحوث فى العالم العربى عامة ومصر خاصة، ويمنع الإفادة منها بقصد تقديم الحلول التى تعالج القصور والانحرافات الاجتماعية يكمن ، فى المظاهر الآتية: (Plamer, p. 103)

١- عدم ثقة بعض النظم السياسية فى العالم العربى فى جدوى البحوث الاجتماعية.

٢- لا تسهل بعض المعايير الاجتماعية والثقافية المهيمنة عمل الباحثين الاجتماعيين ومشاركتهم فى المسائل الشخصية.

٣- شك المواطنين وخاصة القرويين والبدو فى جدوى البحوث الاجتماعية والمقصود منها وقد تفهم على أنها وسيلة لتقديم المساعدات الاجتماعية، فيبالغ الفقراء فى وصف حالتهم، أو وسيلة للحصول على معلومات تقدم الى الضرائب، فيخشى الناس تقديم المعلومات الصادقة عن أحوالهم.

٤- يتجنب المبحوثون عادة التحدث فى المسائل العائلية. ويضفون عليها طابع السرية والكتمان، كما يخشى المبحوثون عاة الخوض فى الأمور السياسية أو المسائل التى تتعلق بأمور الدين، وهذا الثالوث المقدس يهاب عادة الاقتراب منه، ولا تتوفر عادة بيانات عنه.

٥- انتشار الأمية والفهم الخاطئ لأهداف البحوث الاجتماعية.

٦- القصور فى فهم الجذور التاريخية للمفهومات التى تتضمنها النظريات الغربيـة، والوعى بالمعني الكامن والتاريخى لمثل هذه المفهومات، ولكنها تترجم لغويا أو حرفياً كما تترجم فى القواميس، وبذا تأخذ معان مختلفة عن معناها الأصلى إذا ما استخدمت فى عالمنا العربى، ولنا فى ابن خلدون قدوة حسنة نسيناها، كما ضَمَّن مقدمته مفهمومات أساسية أصيلة أفاد منها فى وضع قواعد علم العمران .

٧- تؤثر الهيئات الممولة للبحث على أهداف البحث والتساؤلات ومدى الإفادة من النتائج بل أحياناً ما تفرض موضوع البحث!!

والحقيقة نحن نفتقد وجود هيئات أو مؤسسات علمية وطنية صميمة عدا المركز القومى للبحوث الاجتماعية فى مصر والعراق، تختص بمهمة تتمويل البحوث الاجتماعية والجنائية وفق سياسة وطنية والأمر غير الطبيعى أن تمتنع الهيئات والمؤسسات الكبرى عن تمويل البحوث الإجتماعية.

٨- عجز الباحثين العرب عن إبداع وإنتاج نماذج لتفسير العالم العربى مقابل النظريات الغربية المهيمنة بدلا من إعادة إنتاج النظريات الغربية فى بيئة جديدة أو تشويه هذه النظريات.

٩- نفـور الجهاز الإدارى من البحوث الاجتماعية وعدم إيمانه بجدواها (Azzat Hegazy, pp. 379-388) .

١٠- منع المناخ الثقافى ومحاولات إجهاض حرية البحث العلمى إجراء دراسات نقدية لنظام العائلة، بل اجهضت أية محاولة لدراسة المجتمع العربى وتفسيره تفسيراً علمياً.

١١- سلبية بعض العاملين فى البحث الاجتماعى؛ وعدم التزامهم بقضايا مجتمعاتهم، وبدلاً من إفادتهم العلم وفهم قضايا المجتمع استفادوا هم شخصياً.

١٢- قلة عدد الهيئات التى تنظم البحث الاجتماعى تنظيماً علمياً، وبدلاً من تنظيم حلقات البحث والاجتماعات لمناقشة من يحقق ثراء العلم ويتساءل الاجتماعيون كيف نفيد مجتمعاتنا انفرط عقد الاجتماعيين وأصبحول كل يدور حول نفسه.

وإذا كانت ثمة مشكلات عملية تعوق انطلاق البحوث الاجتماعية. فثمة مشكلات علمية تتعلق أولاً بالقدرة على إبداع طرق البحث الملائمة لجمع بيانات ومعلومات صادقة وحقيقية، وثانياً بالقدرة على صياغة نظرية اجتماعية أصيلة تفسر أحوالنا وسلوكنا ونظمنا الاجتماعية بدلاً من استيراد قضايا من النظريات الرأسمالية أو الماركسية واختبارها. وهذه النظريات الغربية يصعب تطبيقها واستقراء نتائج صادقة منها فى بيئة ثقافية مغايرة. عن البيئة التى نشأت فيها. فالأبحاث الاجتماعية التى تنفذ فى الوطن العربى عقيمة،ولا تخدم قضايا المجتمع، ولا تهدف إسعاد المواطنين. والسؤال الذى يفرض نفسه لماذا لا تؤدى الأبحاث والدراسات الاجتماعية إلى نتائج تفيد

الوطن والمواطنين؟ الإجابة عن هذا السؤال تثير الألم وتنمى مشاعر الغربة عند الباحث المنتمى الملتزم بقضايا مجتمعه. فالباحثون الاجتماعيون العرب- رغم أنهم يعملون فى الحقل الاجتماعى منذ ما يزيد عن نصف قرن- لم يدرسوا وطنهم دراسة كافية ومتعمقة وجادة، وبعضهم توقفت دراساتهم الميدانية عند مرحلة الحصول على الدرجة العلمية، وليتهم نزلوا الميدان وقاموا بإجراء هذه الدراسات بأنفسهم!! وإذا كان ألف باء البحث العلمى التراكم فإننا نفتقد الدراسات المقارنة والتتبعية، وكل باحث يدور حول نفسه ولا يستكمل ما انتهى إليه الأخرون. وباستثناء حالات قليلة- لا تزيد على أصابع اليد الواحدة فإن البحوث الاجتماعية فى العالم العربى، تفتقد التراكم والتكامل هاتان الصفتان اللتان ساهمتا فى تأكيد أهمية البحوث الاجتماعية، فالباحثون الاجتماعيون العرب يعملون فى فراغ علمى نسبياً، ويفتقدون التواصل العلمى، وتحجب أمامهم الفرص التى تهدف إضافة جديد إلى المعرفة الاجتماعية العلمية الخاصة بمجتمعاتهم.

وبينما يواجه بعض الباحثين العرب مشكلات تمنعهم من إجراء البحوث فى الوطن العربى وربما أوذوا وطردوا!!، تسهل للباحثين غير العرب إجراء البحوث الاجتماعية - ويترتب على كل ذلك افتقاد المناخ العلمى الذى يساعد على إجراء البحوث الاجتماعية وفهم الواقع.

ومما يعوق البحوث الاجتماعية فى البلدان العربية ترجمة بعض استمارات البحث، أو محاولة تقليد الخطوات التى سار فيها باحثون غربيون متميزون والاسترشاد بالنظريات الغربية فى تصميم البحوث وعند صياغة المقاييس وعند تحليل النتائج، وإضفاء طابع القداسة على نظريات التنمية الغربية ونظرات التغير الرأسمالية وعدم محاولة فهم واقعنا، ووصفه وتفسيره فى ضوء الخصوصية الثقافية، ونقصد بالخصوصية الثقافية تميز

وتفرد أفراد بلدان العالم العربى بالثقافة المميزة لهم وأن لهم تجاربهم التاريخية ولغتهم ودينهم الذى ينظم معاملاتهم ويسهم فى تحقيق التماسك والتكامل بين أفراد المجتمع، ونظمهم الاقتصادية، والسياسية الخاصه بهم ومستوى التعليم ونوعه والعادات والتقاليد المميزة لهم وهذا كله يؤدى الى التباين بينهم وبين غيرهم ، وتعكس الفروق الملحوظة بين أجزاء العالم العربي والبلدان الصناعية الرأسمالية.

الفصل الثانى
أنـواع البحـوث

أنواع البحوث

ورغم أن هناك أسباباً كثيرة وأغراضاً عديدة وراء إجراء البحوث- فإنه يمكن حصر وإحصاء هذه الأسباب- ويساعدنا تحديد هذه الأغراض والأسباب على تحديد أنواع البحوث- رغم أن هدف البحوث الاجتماعية كلها مشترك. فالهدف الأول من إجراء البحوث الاجتماعية تحسين قدراتنا على فهم الواقع الاجتماعي وتغييره أو تفسيره، ويترجم هذا الفهم إلى أهداف عملية تسعى إلى إحداث تغيرات واقعية في المجتمع، بغية تخفيف معاناة الناس من بعض الضغوط الاجتماعية، وتحسين مستوى معيشتهم وإسعادهم، لكن ليس لدى كل الباحثين أغراض عملية أو توجههم سياسات اجتماعية معينة. فمقابل هذه الأهداف العملية؛ هناك أبحاث تسعى إلى اختبار قضايا نظريات علم الاجتماع أو توليد نظريات جديدة أو تسعى إلى تفسير أنماط السلوك أو العمليات الإجتماعية السائدة.

ولكل بحث أهداف وأغراض وهناك أكثر من تصنيف لأنواع البحوث، فهناك من يصنف البحوث إلى ثلاث فئات.

١- أبحاث موجهة سياسياً، وتهدف الأبحاث الموجهة سياسياً الإجابة عن أسئلة تتعلق بالسياسة العامة.

٢- أبحاث نظرية يقوم بإجرائها الأكاديميون، وتهدف اختبار قضية من قضايا نظريات علم الإجتماع. وهذا النوع هو الأكثر شيوعاً في مجتمعاتنا. ويمارس داخل جدران الجامعات في العالم الثالث- وأغلب هذه البحوث تختبر نظريات غربية في أوضاع ثقافية واقتصادية وسياسية مغايرة.

٣- أبحاث تهدف إحداث تغيير اجتماعي. وترتبط هذه الأبحاث بذات التوجهات السياسية وهي أقل الأبحاث شيوعاً في دول العالم الثالث. مقابل هذا التصنيف .هناك تصنيف آخر للبحوث الاجتماعية يصنف البحوث إلى ثلاث

فئات:

١- الدراسات الاستكشافية أى الدراسات التمهيدية أو الاستطلاعية.

٢- الدراسات الوصفية.

٣- الدراسات التفسيرية.

ورغم هذا التصنيف فثمة دراسات وأبحاث يمكن أن تحقق أكثر من هدف. ونرى أنه يمكن التوفيق بين الرأيين وتصنف البحوث الى أربعة أنواع:

أولاً : الدراسات الاستكشافية أو التمهيدية :

ثمة قدر كبير من الأبحاث تهدف إلى إلقاء الضوء على موضوع مثار ومألوف سواء عند المبحوثين أو الباحث ومساعديه، وقد يكون غرض البحث استكشاف الواقع، أو استطلاع أحوال المجتمع، أو قد يكون موضوع البحث نفسه جديداً. ودعنا نعطى مثالاً لذلك. فقد يكون موضوع البحث الخصائص المشتركة للمساهمين فى شركات استثمار الأموال، أو خصائص المناطق السكنية المتخلفة أو ظاهرة أطفال الشوارع، أو الخصائص الاجتماعية للائى يطلبن طلاق الخلع أو تزايد أنماط الاستهلاك فى القرية أو الهجرة من الريف إلى المدينة، ورغم أن الباحث يعرف الكثير عن حركة الهجرة، وكيف نشأت؟ وما درجة تأييد المجتمع للهجرة الفردية؟ وهل هذه الهجرة منظمة أو لا؟ ومن الذى يهاجر؟ يقوم الباحث بإجراء دراسته الاستطلاعية الاستكشافية للحصول على إجابات على بعض الأسئلة. ثم يختبر ويحلل الأرقام. وقد يجمع دراسات كثيرة حول هذا الموضوع، كما يعقد الاجتماعات مع القادة المحليين فى القرية.

فالدراسات الاستكشافية تهدف إلى التعرف على ظاهرة مجهولة، أو تكوين رؤية جديدة متعمقة عن موضوع البحث، من أجل صياغة جديدة أو تحديد المشكلة تحديداً دقيقاً قبل الإقدام على إجراءات البحث، أى تعميق وتوسيع معرفة الباحث بالظاهرة التى يرغب فى دراستها من أجل إجراء بحث آخر، أو توضيح المفهومات من أجل إجراء دراسات أخرى أو جمع معلومات للتأكيد على إمكانية استمرار البحث فى هذه البيئة ومعرفة مدى توفر الإحصاءات عن مشكلة مهمة هامة تلقى اهتمام الاجتماعيين.

ولا جدال فى أن الجدة النسبية فى مجال العلوم الاجتماعية وندرة البحوث الاجتماعية حتّما ضرورة إجراء مثل هذه البحوث الاستكشافية وجعلها بحوثاً رائدة.والأبحاث الاستطلاعية (الاستكشافية) ضرورية جداً عندما يتبين أن النظرية التى يتبناها الباحثون محدودة للغاية أو عامة جداً ويصعب الاقتداء بها فى البحث التجريبى. فالدراسات الاستكشافية خطوة مهمة يتلوها خطوة صياغة فروض منبثقة من الواقع الاجتماعى وتتلاءم مع البيئة. ولكن هذه الدراسات الاستكشافية لا تختبر فروضاً .

وينظر عادة الى البحوث الاستكشافية باعتبارها خطوة أولى نحو مزيد من الأبحاث. ولذا يتعين القيام بدراسات دقيقة صارمة لاختبار ما إذا كانت الفروض التى تستنبط من الدراسات الاستكشافية يمكن أن تختبر فى عالم الواقع أم لا.

وتعد الدراسات الاستكشافية دراسات مفيدة وملائمة إذا ما درسنا الظواهر التى يتكرر حدوثها باستمرار.وربما يعد الطالب الجامعى بحثاً عن مظاهر النشاط الاجتماعى فى المدينة الجامعية؛ والقيود التى تقف عقبة أمام انطلاق هذا النشاط. وقد يدرس الباحث تاريخ المدينة الجامعية. ويقابل الأخصائيين. ويعرف منهم شروط الالتحاق بالمدينة. والأسباب التى تمنع الالتحاق؛ وقد يتحدث الباحث مع عدد قليل من الطلاب لمعرفة أراء الطلاب معرفة حقيقية. وقد لا توصلنا هذه الخطوة الأخيرة إلى صورة دقيقة عن أداء الطلاب؛ وتقدم بعض التوجيهات لما يحتمل أن تكشف عنه الدراسات المتعمقة. وثمة ثلاثة أسباب وراء إجراء الدراسات الاستكشافية هى:

١- إشباع فضول الباحث ورغبته فى فهم الظواهر فهماً أفضل.

٢- اختبار مدى إمكانية تنفيذ وإجراء البحث.

٣- اكتشاف طرق البحث وأدوات جمع البيانات التى تستخدم فى الدراسة وتحقق أفضل النتائج.

وكمثال للسبب الأخير للدراسات الاستكشافية، درس بعض الباحثين مدى التغيرات التى طرأت على اتجاهات الطلاب فى حقبة الستينيات فى فرنسا

ومصادرها ونتائجها، وبدا واضحاً للملاحظ العادى اهتمام عدد كبير من الطلاب بالنشاط السياسى الثورى وفى الطرف الآخر اكتشف أن بعضهم يرتبط بالإتجاهات المحافظة، وبين هذين القطبين المتعارضين يقع فى الوسط مجموعة من الطلاب يقتدون باراء طفلية صبيانية.

وقبل إجراء مسوح شاملة على عدد من الطلاب؛ ظهرت صعوبة توجيه بعض الأسئلة لقياس الاتجاهات المختلفة للطلاب، وإزاء تلك الرؤية أجريت دراسة استطلاعية. اجريت خلالها بعض المقابلات المفتوحة شملت بعض طلاب الجامعة، ولقد وجهت إلى بعض الطلاب أسئلة عدة عن اتجاهاتهم نحو الجامعة والمجتمع، وتشجيعاً لهم على الإجابة طلب منهم الإجابة على الأسئلة بعباراتهم. ولقد أفادت نتائج هذه الدراسة الجامعة إفادة كبيرة.

وتحقق هذه الدراسات الاستطلاعية الاستكشافية قيمة كبيرة فى البحث الاجتماعى، وهذه الدراسات ضرورية عندما يقتحم الباحث موضوعات جديدة إذ تلقى هذه الدراسات رؤية جديدة ومتعمقة على موضوع البحث، والنتيجة الأساسية التى تعود من إجراء الدراسات الاستطلاعية ليست تقديم إجابات مقنعة على الأسئلة التى توجه إلى المبحوثين. ولكنها تلمح وتشير إلى إجابات وتقدم رؤية ملائمة لأدوات البحث اللازمة للحصول على البيانات، ويمكن أن توصف الدراسات التمهيدية بأنها ليست محددة. ويرجع ذلك إلى طبيعة المجتمع الذى ندرسه، وعمن يمثل، وإذا ما عرفنا طبيعة ذلك المجتمع حددنا أفضل طريقة لاختيار العينة والمجتمع الذى نحصل منه على إجابات الأسئلة المطروحة التى تسعى للحصول على إجابات عليها.

وهذه البحوث الاستطلاعية أحياناً ما تسبق التعداد أو الاستقصاء .

ثانياً : الدراسات الوصفية :-

وثمة غرض ثان مهم من وراء إجراء البحوث الاجتماعية، هو وصف الموقف والأحداث وأنماط السلوك. فالباحث يلاحظ الموقف ثم يصف ما يلاحظه ولما كانت الملاحظة العملية تتميز بالحرص والتأنى؛ فإن الوصف العلمى للموقف موضوع البحث يصبح أكثر دقة من الوصف العادى، وتعرف هذه الدراسات

عادة باسم الدراسات الاثنوجرافية وتعد الإحصاءات التى نحصل عليها من تعدادات السكان خير مثال لمشروعات الأبحاث الوصفية. وقد يمتد الوصف إلى السوق أو أنواع الجريمة أو أحوال المسكن. والهدف من إجراء تعداد السكان وصف الخصائص السكانية وصفاً دقيقاً وملائماً. مثل دراسة خصائص سكان القرية أو المدينة ومثال ثان للدراسات الوصفية التعدادات الخاصة بالسن والجنس وإحصاءات الجريمة والمواد الاستهلاكية وأحوال المسكن وعدد الناخبين ونوعهم ودراسة الاتجاهات الجديدة بين أعضاء مجلس الشعب.

مثال ثالث للدراسات الوصفية: وصف مضمون المقالات الافتتاحيات اليومية للصحف اليومية، وثمة نقطتان ترتبطان بالدراسة الوصفية: أولهما غلبة الطابع الكيفى لهذه الدراسات والنقطة الأخرى مدى إمكانية التعميم استناداً على هذه الدراسات.

والطريقة المتبعة فى الدراسات الوصفية هى الإجابة على أداة الاستفهام الذى يبدأ بما مثل: ما الذى حدث؟ وأداة الاستفهام هذه تخالف أدوات الاستفهام التى تستخدم فى البحوث التفسيرية والتى تبدأ بأداة الاستفهام لماذا حدث ما حدث؟ وللحقيقة نقول إن بلدان العالم الثالث كلها فى حاجة إلى الدراسات الوصفية أكثر من حاجتها إلى الدراسات التفسيرية.

وتبدأ الخطوة الأولى في الدراسات الوصفية من تحديد المشكلة ووصفها وتعريفها أى تحديد السؤال الذى يبحث عن إجابة عنه. ومالم يتحدد هدف البحث بطريقة كافية، فإننا سنعجز عن جمع البيانات والمعلومات المناسبة، فمثلاً إذا أردنا أن نعرف هل يساعد التعليم المجانى على الحراك الاجتماعى فمن الضرورى قبل جمع البيانات تحديد ١- المقصود بالحراك؟ ٢- ومن الذى يتعلم؟ ٣- ولماذا يتعلم؟ ٤- ولماذا يتحرك المتعلم مهنياً واقتصاديا ومكانياً؟ ثم بعد تحديد المشكلة تختار الطرق الملائمة لجمع البيانات.

ويعد وصف المواقف والأحداث والنظم أحد الأهداف الأساسية لكثير من دراسات العلوم الإجتماعية. فالباحث يلاحظ ثم يشاهد ثم يصف ، ولما كانت الملاحظة العلمية تعد ملاحظة دقيقة ومتأنية، فإن الوصف العلمى الدقيق يعد

أكثر دقة وأكثر تحديدا من الوصف العابر العشوائى غير المنظم.

والحقيقة إن الاهتمام بالوصف فى الدراسات الاجتماعية ليس جديداً فالاهتمام بالدراسات الوصفية ارتبط بالاهتمام بالمسوح الاجتماعية. والمسح الاجتماعى طريقة عمل أكثر تعمقاً وأكثر شمولاً لإظهار طبيعة حياة بعض الجماعات أو الطبقات ويتطلب المسح الاجتماعى.

أ- تحديد أدوات القياس.

ب- الوصف المتعمق للظاهرة أو الموقف عند تحليل العلاقات بين المتغيرات.

ويعتمد المسح الاجتماعى على الاحصاء لتقصى وجمع الحقائق عن أحوال المسكن والتعليم، والحالة الزواجية، والوضع المهنى، والحرفى، ومدى الانتظام فى العمل ،وأوقات الفراغ، ومصادر الدخل والإنفاق، وأشكال الملكية، ونوع الطعام، والطباع الأخلاقية، ومعدلات المواليد والوفيات، ومعدلات الزواج والطلاق ،ومدى مجاراة العرف والتقاليد، ومدى توفر الخدمات الصحية وأجهزة المطافئ والإسعاف والشرطة، ومدى توفر احتياجات ومطالب الجماهير، وطبيعة المؤسسات المالية الحديثة (البنوك) وأين تمارس نشاطها (الانتاجية والخدمية) وعدد المساكن ومعدلات الجريمة.

وتحاول المسوح معرفة مدى تطابق التقسيمات الإدارية مع الأحوال المعيشية والبيئية، وتقصى الأسباب الاجتماعية والاقتصادية للفقر، ومن ثم فالمسوح تعلن عن رؤية متعمقة إلى المجتمع لسبر أغواره- سواء أكان هذا المجتمع هو القرية أم المدينة أم الدولة- بقصد إجراء إصلاحات اجتماعية أو خطط تنموية.

وكانت دراسة لبلاى الشهيرة دراسة وصفية رائدة تهدف إلى دراسة ميزانية الأسرة فى فرنسا ابتداء من العائلة شبه البدوية فى جبال الأورال إلى عائلة المواطن الجامعى وبائع الأقمشة مروراً بعائلة عمال المناجم. ولقد ضمت هذه الدراسة ١٦ عنواناً أهمها الدين والعادات والتقاليد وتاريخ العائلة ومطامع الملكية والإعانات والمهن والحرف وطريقة المعيشة (الغذاء والمسكن والأثاث والملبس) ووسائل التسلية. وميزانية الأسرة وتنقسم إلى الإيرادات (الأجور والإعانات والأرباح وإيجارات المساكن) والمصروفات (وتشمل نفقات الغذاء وإيجار

المسكن وأجور العلاج والديون والضرائب والتأمينات). وكان هدف هذه الدراسة عدم الفصل بين العوامل الاقتصادية والعوامل الاجتماعية ولم تقتصر هذه الدراسة على بيان آثار ميزانية الأسرة على الحياة الأسرية بل امتدت لتبين أثر الميزانية على انحراف الأحداث.

وثمة شكل مهم آخر للدراسات الوصفية يرى أن الدراسات الوصفية تهتم فى المحل الأول بوصف الوقائع الاجتماعية الخاصة بالشعوب البدائية وتصنيفها على أساس خصائصها العنصرية والثقافية. وتحاول هذه الطريقة تفسير توزيع هذه الشعوب على سطح الأرض سواء فى الماضى أو الحاضر، وتقصى حركات هذه الشعوب، وتتبع انتشار ثقافتها ونظمها الاجتماعية، وتحاول هذه الطريقة وصف أنماط الفكر الإنسانى وتقسيم العمل الاجتماعى عند الشعوب البدائية، كما تعطى اهتماماً كبيراً بالأحداث الجزئية يعادل الاهتمام الذى تعطيه للأحداث الرئيسية.

وبعد أن عرضنا للبدايات الأولى التى ساهمت فى تدعيم الدراسات الوصفية نوضح أن الدراسات الوصفية كانت ولازالت تهتم بتصوير ووصف خصائص جماعة معينة أو موقف معين أو نظام معين. وتحاول هذه الدراسات تقصى تكرار حدوث شئ معين أو مدى تكرار ارتباط هذا الشئ بشئ آخر، كما يقصد بالوصف الاجتماعى وصف حالة شعب معين أو جماعة معينة أو بناء اجتماعى معين وتستخدم كل أدوات البحث الممكنة لتقديم وصف كامل عن شكل الحياة كلها داخل هذا البناء الاجتماعى أو تلك الجماعة.

وكانت كل الدراسات الوصفية فى البداية مقدمة لإجراء أعمال إصلاح اجتماعى ولدراسة الطبقات الفقيرة، ولمعرفة الآثار المترتبة على النمو الحضرى أو معرفة آثار الصناعة على العمال فى إنجلترا، بقصد إجراء إصلاحات اجتماعية ولتحسين مستوى هذه الجماعات والمجتمعات من أجل مكافحة الأفكار الهدامة وإعادة التوازن الاجتماعى.

والباحث المهتم بالوصف يعطى أكبر اهتمام لما تشاهده العين وتسمعه الأذن،

والظاهرة التى يصفها هى كل شئ والرقم لا يعد شيئاً إلا بمقدار ما يزيد الوصف دلالة وقيمة.

وتشترك البحوث الوصفية فى بعض الخصائص المهمة:

١- تستلزم دراسة بعض الظواهر ووصفها معرفة أولية مسبقة بالظاهرة التى ندرسها أو الموقف الذى نصفه.

٢-تحديد أدوات جمع البيانات، ولا ترتبط الدراسات الوصفية بطريقة خاصة لجمع البيانات فقد يستخدم الباحث فى الوصف أكثر من أداة ابتداء من الملاحظة والمقابلة واستمارة الاستبيان والسجلات الإحصائية.

٣- يتعين على الباحث لكى يصف موضوع البحث وصفاً دقيقاً أن يكون قادراً على تحديد (أ) ما الذى يريد وصفه تحديداً دقيقاً، (ب) وماذا يصف.

٤- تعريف المجتمع أو الظاهرة التى يدرسها تعريفاً إجرائياً. وهذا المطلب فى الدراسات الوصفية يحتاج إلى مزيد من الشرح، إذ يبدو فى الظاهر أن مهمة الوصف أيسر من التفسير، ولكننا سنندهش عندما ندرك أن الوصف الاجتماعى أكثر صعوبة من التفسير، إذ يتعين أن نعرف تعريفاً جامعاً مانعاً ونحدد تحديداً قاطعاً ما نصفه، ولذا فإن تحديد ما نُعرفه خطوة هامة فى البحث الاجتماعى. وهذا يتطلب منا عرض مثال لتوضيح أهمية التعريف فى الوصف الاجتماعى.

فإذا كانت مهمتنا وصف معدل البطالة فى المدينة فإن تعريفنا لمعنى البطالة يعد أمراً ضرورياً، ويعتمد هذا التعريف على تعريفنا لمصطلح آخر هو القوة العاملة، ومن الخطأ أن ننظر الى الطفل ابن الثالثة من العمر نظرة منافية للعقل ونصفه بأنه عاطل، إذ أن مثل هذا الطفل لا يعد من القوة العاملة، ومن ثم علينا أن نتتبع تعريف هيئات العمل ويستبعد من القوة العاملة كل الأشخاص الذين تقل أعمارهم عن السادسة عشرة.ولكن حتى لو استبعدنا الصبية دون السادسة عشر فإن هذا التعريف قد يضم طلاب الجامعة والمدارس الثانوية والزوجات المتفرغات وأصحاب المعاشات وربات البيوت والعجزة والمعوقين، ومن ثم يتعين

أن تقدم تعريفاً إجرائيا، وتعرف القوى العاملة بأنها تضم كل الأشخاص فوق السادسة عشرة الذين يعملون وينتجون أو يبحثون عن عمل أو ينتظرون العمل. ويعد العاطلون من أفراد القوة العاملة الذين لا يعملون كما أن من لا ينتظر عملاً لا يعد عاطلاً.وعلينا أن نتحقق من أن نتيجة الدراسة الوصفية عن معدل البطالة تعتمد مباشرة على تحديد المفهوم، وما يصدق على تعريف البطالة يصدق على تعريف الأسرة، وهل يقصد بها الأسرة الزواجية أو الأسرة المعيشية الممتدة.

وما دمنا نتحدث عن أهمية التعريف الإجرائى وتحديد المفهوم فى الدراسات الوصفية، فيتعين أن نفرق بين المقصود بالخاصية والمقصود بالمتغير ويقصد بخاصية الشئ صفة ما مثل الطول والوزن والسن. أما المتغير فيضم مجموعة خصائص أو عناصر متغيرة مثل متغير النوع الذى يضم خاصيتين هما الذكورة والأنوثة. ويعد اللون متغيراً ويشمل خصائص عديدة مثل الأحمر والأزرق والأبيض. وتوصف الطبقة بوصفها متغيراً وتضم خصائص الطبقة وهى الطبقة العليا والطبقة الوسطى والطبقة الدنيا. ونحن نصف أعضاء الفرقة الدراسية بالكلية فى إطار متغير الجنس، إذ قد تضم الفرقة الدراسية ٦٠٪ من الطلاب و ٤٠٪ من الطالبات. كذلك ينظر الى الحالة المهنية بوصفها متغيراً يضم خاصيتين هما العمل والبطالة. وكذلك يعد العمر متغيراً يضم خصائص مثل الشيخوخة والشباب والمراهقة والصبا والطفولة. ويتعين أن تكون مجموعة الخصائص التى تكون المتغير شاملة. والحقيقة أن العلاقة بين الخصائص والمتغيرات علاقة معقدة، من أهم الصعوبات التى تواجه الدراسة الوصفية.

ولما كان تحقيق الموضوعية الخالصة فى العلوم الاجتماعية أمراً صعباً للغاية. بل يكاد يكون أمراً متعذراً ، كان لزاماً أن نلجأ إلى التحليلات الوصفية للأرقام للكشف عن دلالتها الاجتماعية والنفسية، إذ يعطى التحليل الكيفى للأرقام الصماء معنى ودلالة تتفق مع طبيعة الظواهر الإنسانية. ولذا يفضل بجانب الاعتماد على التحليل الوصفى للبيانات الاعتماد على التحليل الكمى، إذ أن التحليل الكيفى، ولو أنه يعطينا عمقاً للبيانات التى نحصل عليها، فإن هذا التحليل الوصفى تنقصه الدقة، ويعطينا تحول البيانات إلى أرقام شيئاً من التجريد، وتبدو

الإجابات خالصة من الذاتية. ولذا فمن أجل نقاء الأرقام التى يعتمد عليها التحليل الكمى، يعتمد الاجتماعيون على الإحصاء كسند لهم عند تحليل الإجابات. للكشف عن دلالات الفروق بين النسب والأرقام. بيد أن الباحث الاجتماعى لا يقوم باختيار المنهج الإحصائى باختياره الحر بل يقوم باستخدامه حسب طبيعة البيانات التى استقصاها والتى يعبر عنها بالأرقام ليزيدها دقة وللتخلص من الاتجاهات العاطفية والشخصية التى تشوب البيانات وتعوق الوصول إلى الحقيقة.

وفى البحوث الوصفية ينزل الباحث إلى مجتمع البحث يجمع البيانات بنفسه أو بمساعدة فريق البحث،وقد تكون مصادر البيانات أولية أى جديدة يجمعها الباحث أو تكون ثانوية كأن يجمع الباحث بيانات متوفرة فى النشرات الإحصائية والوثائق والسجلات المكتبية (Blumer, Martin, p. 47) .

وتهدف أبحاث وصفية كثيرة إلى تحديد الخصائص المتغيرة للسكان مثل الهرم السكانى وتوزيع السكان جغرافياً ومكانياً، ونسبة العاملين فى المهن ومعدلات الزواج ونسب الطلاق إلى الزواج ونظام المسكن.واعداد السكان من الذكور والإناث، ومعدلات التعليم، ومعدلات المواليد والوفيات. وخصائص المناطق الحضرية والريفية والأنشطة الاقتصادية أو اتجاهات المواطنين نحو السياسة والاقتصاد على مستوى المجتمعات الصغيرة الحجم أو الكبيرة الحجم.

فالهدف من البحوث الوصفية تقديم صورة لما هو واقع، أو تقديم صورة لمجالات كانت مجهولة وغير معلومة تعد مصدراً غنياً للمعلومات.

وتدرس البحوث الوصفية الأفراد والجماعات فى بيئاتها الطبيعية، وتحاول أن تصف وتصور السلوك والأفعال أو النظم فى مواقف التفاعل الطبيعية غير المصطنعة- كما تبين لنا النشاط التلقائى للناس الذى يعكس أحوال البناء الاجتماعى ومجموعة المعتقدات. وهذه الموضوعات يصعب دراستها بواسطة استمارة الاستبيان.كذلك تهتم الدراسات الوصفية بوصف الباحث لعمليات التفاعل بين الطالب والأستاذ أو تفاعل جماعات العمل فى المصنع، أو التفاعل بين الباعة والمشتريين فى سوق القرية، وأنماط سلوك المسجونين فى السجن أو

جماعات النواصى. وأهم مساوئ الدراسات الوصفية أنها تستغرق وقتاً طويلاً، ولا يجدى هذا النوع من الدراسة إلا إذا تقبل المبحوثون الباحث الذى يلاحظ ويصف ما يشاهده خلال دورة من الزمان.

ويستخدم الباحث فى الدراسات الوصفية عادة الملاحظة بالمشاركة، حيث يلاحظ الباحث تصرفات الناس ويشارك إلى حد ما فى أنشطة الحياة اليومية- وتسجل الملاحظات فى شكل مذكرات تفصيلية، تسجل يوماً بيوم، وتسهب فى الوصف، (Alkinson, p, 52) وتكتب هذه المذكرات بعد العودة من الدراسة الحقلية مباشرة، وبالإضافة إلى الملاحظة وتدوين ما يلاحظه فى مذكرات يومية، بدأ فى السنوات الأخيرة استخدام أجهزة الفيديو والتسجيل، فلم تعد العين وحدها هى المبصرة لما يحدث، إذ يحاول الباحث أن يقدم صورة حية صادقة للتفاعل الاجتماعى، ويندمج فى الأنشطة المختلفة ويقوم بإجراء المقابلات ويجمع الوثائق، وبالإضافة إلى العين التى ترى أو أجهزة التصوير للصورة أو تسجيل الحوار، يعد الباحث استمارة البحث ليسمع إجابات الناس على تساؤلاته، ليدعم ملاحظاته التى شاهدها.

وتؤكد الدراسات الوصفية رغم اتهامها بأنها تعجز عن تقديم تبرير ملائم لما يوصف فى الموقف- على الأبعاد التالية: (Alkinson, p.52)

أ- مشكلة فهم الفعل الاجتماعى (الفهم والتفسير).

ب- التأكيد على العمليات الاجتماعية.

جـ- تقصى المواقف الطبيعية التى يتم خلالها التفاعل.

د- دراسة الظواهر الاجتماعية داخل البيئة الاجتماعية.

هـ- افتراض تعدد الرؤى عند إجراء الدراسات الوصفية.

وهذه الدراسات الوصفية أسيرة الواقع، وترتبط به ومدخل الباحث الاثنوجرافى إلى دراسة المجتمع، مدخل استقرائى، فالباحث المهتم بالوصف، يشاهد ويسمع ويطرح الأسئلة، ويتمثل اتجاهات وأفعال الفاعلين الذين يدرسهم، ويلاحظ سلوكهم وعلاقاتهم، ويركز البحث على جمع بيانات واقعية تلائمه

وتتناسب مع موضوع البحث، ثم يستقرأ ما شاهده وما لاحظه للوصول إلى نتائج عامة.

فالهدف النهائى من الدراسات الوصفية صياغة النتائج فى صورة قضايا تقبل الاختبار.

والحقيقة أن ثمة تداخلاً بين الأبحاث الوصفية والأبحاث الاستطلاعية. ورغم أن الدراسات الوصفية قد تستخدم أدوات متعددة لجمع البيانات فهذا لا يعنى أنها أكثر مرونة من الدراسات الاستكشافية، إذ يتعين أن نخطط بحرص لإجراء الدراسات الوصفية. كما لا يجب أن يغيب عن بالنا تكرار الجهد والعمل فى الدراسات الوصفية، وأن هذا الجهد يتطلب مزيدا من المال. كذلك فيجب على الباحث أن يتحصن ضد التحيز فى الدراسات الوصفية، إذ أن الهدف الأساسى من البحث الحصول على معلومات موضوعية مناسبة وملائمة وكاملة عن مجتمع البحث.

والآن نعود الى السؤال الصعب ومؤداه هل من الملائم لمجتمعنا المصرى والعربى عامة أن نستنبط فروضاً من نظريات تعبر عن واقع غربى وتعكس قضايا هذا الواقع ثم نختبر هذه الفروض فى واقعنا الشرقى الذى يختلف تاريخياً وجغرافياً ودينياً واقتصاديا عن الواقع الأوربى؟، أم نبدأ بإجراء مزيد من الدراسات الوصفية والاستكشافية ثم نعمل الذهن لاستنباط فروض تعكس واقعنا ثم تقوم بإجراء بحوث تعتمد وتنطلق من هذه الفروض؟ وبعبارة أخرى أوضح هل نحن بحاجة الى بحوث تفسيرية أم الى بحوث وصفية واستكشافية؟

إن الهدف الأساسى للبحث، وسبب وجوده إضافة أفكار جديدة إلى الأفكار التي يبدأ منها البحث أو اختبار الأفكار التى ينطلق منها البحث، وهذا يعنى أن ثمة نوعين من البحوث، أولهما البحوث الوصفية التى يقتصر على وصف الواقع وجمع بيانات وتضيف إلى معلوماتنا معلومات جديدة، وثانيهما البحوث التفسيرية التى تبدأ من فرض علمي ينشبق من نظرية واختبار هذا الفرض من أجل إثبات هذه النظرية أو تعديلها أو دحضها. وتبغى هذه الدراسات التفسيرية تقصى واكتشاف العلاقات بين الجوانب المختلفة للظاهرة فى ضوء النظرية المتاحة-

ونرى أننا فى المرحلة الحالية من تاريخنا الاجتماعى أحوج إلى الدراسات الوصفية من الدراسات التفسيرية.

ثالثاً : الدراسات التفسيرية :

الغرض الثالث من وراء البحوث هو التفسير، ونقصد بذلك تفسير وفهم العلاقات الاجتماعية أو دلالة السلوك الاجتماعى. وتنطلق الدراسات التفسيرية عادة من فروض توجه الدراسة، وتسعى الدراسة التحقق منها. وعادة ما تهدف الدراسات التفسيرية من إجراء البحوث الميدانية تحقيق هدفين. الأول التحقق من صحة نظرية علمية سائدة أو قضية من قضايا نظرية محددة، والهدف الآخر التوصل إلى صياغة نظرية علمية تستقرأ من الوقائع التجريبية والبيانات الميدانية.

وإذا كان تقرير أهداف الناخبين فى الانتخابات عملا وصفيا فإن تحليل أسباب إعطاء بعض الناخبين لأصواتهم الانتخابية للمرشح (أ) وإعطاء بعضهم الآخر للمرشح (ب) عمل تفسيرى. مثال آخر للأبحاث التفسيرية، الأبحاث التى تتقصى أسباب انتشار جريمة الاغتصاب أو الإدمان أو انتشار جريمة الرشوة فى المدن الكبرى، ومن ثم نقول أن الاقتصار على عرض معدلات الجريمة عمل وصفى ،أما إذا تجاوز الباحث الوصفى وتقصى الأسباب فالعمل يصنف بوصفه عملاً تفسيريا.

كأن يحاول أن يعرف لماذا تنتهى المواجهة عادة بين الباعة في السوق السوداء ورجال الشرطة بالعنف، ومثل هذه الدراسات تتناقض مع المتفق عليه فيما يتعلق بالوصف الاجتماعى للاحداث. ويهمنا أن نوضح أنه فى حالة تلك الدراسات يتضمن التفسير اختبار ودراسة مظاهر كثيرة متباينة عن الموقف والحدث ومحاولة إيجاد العلاقة الطردية أو العكسية بين المتغيرين.

وتتقصى الدراسات التفسيرية العلاقات بين سبب ونتيجة العلاقات السائدة أو الأفعال المنتشرة فى المجتمع أو الأفعال النادرة ومثلما يبحث عن العلاقات بين قيم معينة وآثارها الاجتماعية. أو سبب تغير الظاهرة والنتائج المرتبة على ذلك. ولا يدرس الباحث المهتم بالدراسات التفسيرية المجتمع كله أو قطاع منه، بل يدرس

عينة محددة ممثلة للمجتمع الأصلى تعكس الخصائص الأساسية للمجتمع الذى اختيرت منه العينة. ويتزايد استخدام الأساليب الإحصائية فى الدراسات التفسيرية، ويتطلب الأمر تحديد فترة البحث مثلما يسيطر الباحث على كل المتغيرات التى تؤثر علي السلوك موضوع الدراسة (Green Judith, p. 49) من أجل تفسير العلاقات العلية، وتحديد المتغير المستقل والمتغير التابع.

رابعاً : البحوث التى تبغى التغيير:

وترتبط بالسياسة العامة وتهدف هذه البحوث إلى خدمة واضع السياسة الاجتماعية وصانع القرار، ومساعدته بتقديم معلومات وبيانات واقعية بعد إجراء بحوث مسحية، تمكن صاحب القرار ومسؤلو السلطة التنفيذية من فهم الوقائع الاجتماعية. ويهتم بهذا النوع من البحوث عندما تتزايد الضغوط السياسية بقصد وضع سياسة اجتماعية تخفف من مشكلات الناس بدلا من تراكمها. فالهدف الأول من هذه البحوث إجراء تغيير اجتماعى لمواجهة الآثار الخاطئة التى تترتب على بعض الظواهر المرضية أو أنماط السلوك السلبية (Blumer, p. 14)، أو تقصى الطريقة التى يمكن من خلالها التدخل الفعال لمواجهة الآثار السيئة للحرمان الاجتماعى، وأحياناً توصف هذه الأبحاث بأنها بحوث تطبيقية، وهى بحوث تفتقد طابع العلم الاجتماعى ولغته، وقد تستمر لفترة طويلة من الزمان بقصد معرفة آثار مشروع ما؛ فهذا النوع من البحوث يدرس مشكلات منطقة سكنية أو جماعة ما بناءعلى تكليف من الجهة الإدارية. ولكن الأهم من إجراء البحث نشر الجهة الإدارية لنتائجه بدلاً من إخفائه، أو تقويم برامج اجتماعية واقتصادية، كأن تدرس منطقة أو جماعة ما قبل وبعد إنشاء مصنع أو إقامة مشروع للتنمية أو افتتاح وحدة لتنظيم الأسرة، أو دراسة جماعة، قبل وبعد التهجير الى مجتمع عمرانى جديد. ومثل هذه البحوث تهدف تقديم معلومات وفيرة وبيانات واقعية كثيرة تصف العمليات الاجتماعية خلال فترة من الزمان. واستمرار البحث فترة طويلة قد يأتى على حساب المال والوقت، وخاصة فى المدن الكبيرة التى تستغرق فيها البحث فترة طويلة من الزمان، ولكن يفضل الباحثون إجراء دراساتهم فى فترة محددة من الزمان

توفيراً للجهد والمال. وتساعدنا مثل هذه البحوث على معرفة النتائج المرتبطة بالتغيير المقصود أو التغير فى فترة زمانية محددة.

ومن أمثال الدراسات التى تبغى خدمة السياسات الاجتماعية والتعديل والتغيير، تلك الدراسات التى تهتم بدراسة العشوائيات فى سبيل تطوير تلك المناطق وإزالة ما هو غير صالح منها وتوفير حياة كريمة لهؤلاء المواطنين وتوصيل المرافق والخدمات لهم، وفق خطة علمية.

وفى النهاية نقول إن نوع البحث يتأثر بالدوافع الكامنة من إجراء البحث، وأولها الدافع من إجراء البحث هل وصف خصائص الناس أو المنطقة أو البحث عن طبيعة العلاقات بين العناصر الاجتماعية، وتفسيرها أو اختبار نظرية اجتماعية.والدافع من دراسة مجموعة محددة من الناس والدافع وراء اختيار منطقة بالذات دون غيرها هل الدافع استطلاع أحوالها ومشكلاتها، أو وصف الأوضاع الاجتماعية، أو اختبار قضية من قضايا نظرية اجتماعية فى بلد آخر غير البلد الذى تطورت فيه النظرية.

الباب الثانى
الترتيبات الاجرائية

الفصـــل الثالث
المخطط التمهيدى
للبحـــث



المخطط التمهيدى للبحث

المخطط التمهيدى أو التصور الأول للبحث :-

يضع الباحث بعدما تختمر الأفكار، وتتضح قضايا البحث، ويجمع المعلومات والبيانات الأولية عن البحث، خطة تمهيدية للبحث يحدد فيها أين يذهب؟ وماذا يكتب؟ وإلى أين يسير؟ ويساعده تسطير هذا المخطط على فهم وتحديد القضايا الرئيسية والموضوعات الثانوية التى يتصدى لدراستها. فالخطة التمهيدية تحدد له الطريق المستقيم ليصل إلى أفضل النتائج. وهذا المخطط التمهيدى يحدد له نقطة البداية قبل أن يكتشف الطريق.

وأثناء كتابة هذا المخطط التمهيدى، تتفجر مشكلات كثيرة؛ وأهمها مشكلة الموضوعات غير المرغوبة من المبحوثين. وتحدد الخطة التمهيدية الموضوع، وكل خطوات البحث وإذا ما طرح الباحث المبتدىء السؤال التالى، كيف أعرف شيئاً لم أبدأ كتابته بعد بل أجهله؟ فالإجابة:

ليس ذلك بالمعضلة، فليبدأ الباحث فى الكتابة، ويُعرِّف موضوع البحث، وما أن يخطو هذه الخطوة حتى يكتشف ماذا يريد؟ وماذا يكتب؟ وعليه أن يحدد مقدمة البحث، ويبين ما تتضمنه؟ فيصف وصفاً تفصيلياً القضايا التى يتضمنها البحث، و يتعين أن تكون الكتابة واضحة. فقضايا البحث الاجتماعى غير ألغاز القصص البوليسية. ووضع التصور التمهيدى للبحث أشبه برسم الخريطة التى يرسمها الرحالة لترشدهم فى السفر، فالتصور الأولى للبحث يعرض كل عناصر البحث وكل الخطوات التى تتبع ابتداء من المقدمة حتى النتائج. ويربط فيها كل جزء من أجزاء البحث بالأجزاء الأخرى، ويعرض البرهان الذى يقدمه لإثبات القضايا التى يعرضها.

وإذا كانت المقدمة غامضة فسوف تثير اللبس والحيرة وارتباك القارئ.

ويتضمن التصور التمهيدى عادةً النقاط الآتية:-

١- تحديد مشكلة البحث.

٢- تعريف المشكلة.

٣- تبرير اختيار المشكلة.

٤- وتحديد المنظور المناسب.

٥- أهداف البحث.

٦- التساؤلات أو الفروض.

٧- تحديد متغيرات البحث والعلاقات بينها (السن- الجنس- العمل- الموطن...الخ).

٨- تحديد المفهومات الأساسية :

٩- تصميم الدراسة الميدانية.

١٠- تحديد مجتمع الدراسة وكيفية اختيار العينة ونوعها.

١١- تحديد طريقة البحث وأداة جمع البيانات الحقلية. (الأداة المناسبة لجمع البيانات- والفترة الزمنية المناسبة لجمعها - نوع البيانات).

١٢- طريقة تحليل البيانات.

١٣- الأجزاء التى يتكون منها العمل.

١٤- كتابة التقرير.

والخطة التفصيلية للبحث أفضل من الخطة الموجزة - وأشبه بمشروع البحث قبل تنفيذه.

ويفضل دائماً عند إعداد الخطة التمهيدية إعداد جدول للعمل وتحديد الفترة الزمنية لكل خطوة. فعملية الكتابة تحتاج إلى تنظيم. فثمة ضرورة لإعداد تخطيط تمهيدى قبل كتابة البحث، فالبحث يتضمن كل المعلومات، التى قد يطرحها الباحث فى ترتيب عقيم، ويخلط بينها ويشوه الوقائع أو

يعرضها فى شكل مرتب منظم محكم.

وإذا كانت ثمة طرق عديدة لجمع البيانات، فلن تكون هناك طريقة أكثر فاعلية وأكثر فائدة من إعداد خطة أولية لجمع المعلومات وجمع الوقائع وكتابة البحث. إذ تؤدى العملية غير المنظمة لجمع البيانات إلى سوء الفهم، ولذا يتعين علي الباحث، قبل أن يكتب بل قبل أن يبدأ تصميم البحث وإعداد الدراسة، أن يخطط تخطيطاً أولياً تمهيدياً لخطوات البحث الأساسية، لإعداد البحث وإخراجه فى صورة جيدة مميزة تنال التقدير.

وثمة مهمتان أساسيتان لهذا التخطيط التمهيدى هما:-

المهمة الأولى: يساعد التخطيط الباحث على فهم الأفكار فهماً أوضح، وترتيبها ترتيباً منطقياً، وتنظيم العلاقات بينها. ويستند ترتيب الأفكار على تصنيف هذه الأفكار ووضع الأفكار المتماثلة جنباً إلى جنب، ثم تحديد الأهمية النسبية لمجموعات الأفكار، ومن ثم تحديد الأفكار الأكثر أهمية ثم يليها الأفكار المهمة، وتوضع القضايا الأقل أهمية فى المرتبة الثالثة، ثم القضايا الثانوية.

وإذا ما نجح الباحث فى ترتيب الأفكار والقضايا فى المرحلة التمهيدية للكتابة، وكان هذا الترتيب دقيقاً ومنطقياً، فسيزيد هذا الترتيب المنظم من فهم الكاتب لموضوع البحث، ويتعين أن تترابط الأفكار سوياً فى شكل منطقى.

المهمة الثانية: إذا كانت المهمة الأولى ترتبط بالكاتب، فالمهمة الثانية للمخطط التمهيدى تتعلق بالقارئ، إذ يعطى التصور الأولي للقارئ إطلالة سريعة عن العمل المقروء، ويقدم له فكرة موجزة عن نقاط البحث والعلاقات بينها، إذ توضح الخطة التمهيدية أهداف البحث وبرهان الكاتب علي أهمية هذه الأهداف. ويساعد وضوح المخطط التمهيدى وتكامله على استمرار الباحث فى عمله بلا عثرات.

وثمة عوامل أساسية لبناء هذا المخطط، بوصفه أداة مؤثرة فى نجاح

البحث أو تعثره، وعلى الباحث أن يراعى النقاط الآتية أثناء إعداد المخطط:-

١- ترتيب الأفكار ترتيباً منطقياً.

٢- تحديد الفكرة الأساسية الأولى فى البحث ثم الفكرة الثانية ثم الفكرة الثالثة.

٣- تحديد السبب الأول في كونها الفكرة الأساسية الأولى.

٤- تحديد السبب فى كونها الفكرة الثانية.

٥- الاقتناع بأن الفكرة الأولى ترتبط بالثانية وتمهد لها، وأن الفكرة الثانية تستند على الأولى وتمهد للفكرة الثالثة.

٦- تقسيم الموضوع إلى مستويات : أولاً ، ثم ثانياً، ثم ثالثاً، ثم رابعاً.

تقسيم كل مستوى إلى مستويات فرعية أى تقسيم أولاً على سبيل المثال إلي ١-٢-٣-٤ مثلما تقسم ثانياً إلى ١-٢-٣-٤ . وتقسيم المستويات الفرعية إلى فروع جزئية كأن يُقَسَّم (١) إلى أ-ب-جـ- د. أيضاً تقسيم المستوى الفرعى (٢) إلى أ-ب-جـ-د- هـ .

ويوضح التخطيط الأولى للبحث للباحث منذ البداية أن موضوع البحث ليس موضوعاً واحداً، بل ينقسم إلى موضوعات رئيسية مترابطة. وكل موضوع رئيسى ينقسم إلى موضوعات فرعية تضم موضوعات كثيرة، ولكنها كلها مترابطة متكاملة.

كما أن تجزئة العمل إلى موضوعات يساعد على إنجازه وإعداده، وعلى الباحث أن يضع نصب عينيه إنهاء كل موضوع على حدة، وألا يشبك عناصر الموضوع بعضها فى بعض ويخلط بينها. وألا يكتب إلا فى عنصر واحد ثم ينتقل إلى غيره. وهذا التقسيم الداخلى لموضوع البحث يحرر الباحث من الضغوط النفسية.

ويتطلب تقسيم الموضوع إلى موضوعات رئيسية وموضوعات فرعية،

الإجابة على التساؤلات الأساسية والتساؤلات الفرعية التى طرحها الباحث فى البداية، وكلها تتصل بأهداف البحث ولا تنفصل عنه. ويؤدى تحقيق هذه الأهداف إلى تحقيق الهدف الأساسى من إجراء البحث ويسهل للباحث التقدم.

ويساعد تقسيم الموضوع فى المخطط الأولى إلى موضوعات فرعية، على إنجاز كل خطوة من خطوات البحث، وكأن الباحث تحول إلى بَنّاء يشيد بناءً معمارياً يكتمل يوماً بعد يوم. وإنجاز كل خطوة من خطوات المخطط التمهيدى يولد لديه الشعور بالإنجاز والراحة، ويتزايد هذا الشعور كلما اقترب العمل من الانتهاء مما يزيد من ثقته بنفسه، ويعطيه شحنة داخلية تدفعه إلى مزيد من التقدم وبذل الجهد واتقان العمل، وتحقيق التكامل بين الأجز اء وبيان الصلة بينها، فهى ليست جزراً متناثرة، بل تكّون كلا منطقياً وعملاً مترابطاً- وتعكس ما خطط فى التصور الميدانى للبحث (Zerub avel, p.40) ولا تنحرف إلا قليلاً.

وهذه التقسيمات الداخلية للموضوع وترتيبها يعنى أن كل فكرة توضع فى مكانها المناسب حسب أهميتها، كما تدل على أن الباحث يفكر بدأب وحرص.ويؤكد هذا المخطط الأولى ضرورة التأكيد على القيمة النسبية للأفكار والقضايا ، وهذا التأكيد على نسبية الأفكار هو ما يجعل المخطط الأولى عملا واجبا وفعالا قبل الاقدام على اجراء البحث.

وهذا التصور الأولى للبحث ليس قيداً على قدرة الباحث على الإبداع، بل الهدف منه إعداد عمل مفيد أصيل مقبول. والكتابة المتأنية للبحث، حصاد جهد باحث هادئ غير منفعل، أكثر من ميزة، إذ يساعد هذا الهدوء وذلك التروى الباحث على معرفة التغيرات المطلوبة وإدراك الثغرات لتلافيها، ليزداد البحث تماسكاً وقوة.

ومن الأهمية أن يضع الكاتب أمام عينيه المخطط الأولى الذى ابتدعه من

أجل كتابة البحث كتابة متقنة، وإذا ما شعر بُرْهة أن التصور المبدئى يحتاج إلى تعديل، فلا يتردد فى التعديل. فالهدف واضح من الكتابة وإجراء البحث، وهو أن يفهم الموضوع أفضل فهم ليرقى إلى المستوى الذى ينال به رضا القارئ.

وعندما يكتب الباحث عليه أن يتذكر أن ما يكتبه موثوق فيه وجدير بالقبول من الوسط العلمى مادام هناك صوت نابع من داخله يولد لديه الثقة فيما يكتب، ويؤكد قدرته على توصيل الأفكار من خلال الكلمات إلى الآخرين، وقد يطرح الكاتب أثناء إعداد التصور المبدئي للبحث الأسئلة الآتية:-

١- ما الأسلوب المناسب للكتابة ؟

٢- هل استخدم اللغة العامية أم اللغة الفصيحة؟

٣- ما اللغة المناسبة للكتابة والتى توصل الأفكار للقارئ؟

٤- هل المطلوب الوضوح والبساطة أم الغموض؟

٥- هل استخدم لغة العلم الاجتماعى أم لغة الحياة اليومية ؟

إن نصح الباحثين الجدد وتوجيههم إلى تحسين الكتابة أمر ضرورى يعادل فى قيمته نصحهم بالاطلاع والمثابرة على التحصيل. وعلى الباحث المبتدئ أن يميز بين الكتابة المبهمة التي تنضح بالسرعة وعدم الصبر وتلك التى تكتب بتمهل، ويتبع كاتبها أصول الكتابة. فثمة فرق بين رسالة جامعية تكتب بسرعة ولا يوجه كاتبها إلى قواعد إعداد الرسائل، ورسالة نالت جهداً كبيراً من الطالب والمشرف. كما أن هناك مسافة بين قدرات كاتب مبتدئ يكتب بحثاً للمرة الأولى أو الثانية، وبين خبرات وقدرات باحث فى مرحلة ما بعد الدكتوراة أو خبير اجتماعى أو أستاذ جامعى. فالباحث المبتدئ ،وإن كان يكتب موضوعاً اجتماعياً، ويجمع البيانات بمفرده، ويستخدم مفهومات العلم، ويستعين بطرق البحث الملائمة، إلا أن الخوف يلقى ظلاله عليه فى كل

خطوة يخطوها، وقد يصعب عليه العثور على الكلمة المناسبة، وقد يفرط ويسهب فى التفاصيل، ويسبح بعيداً عن القضايا الأساسية ويعجز عن تقسيم الموضوع إلى عناصره، أما من قضى فى أعمال البحوث أكثر من نصف عمره فقد وصل إلى مرحلة النضج والرشد وامتلك الخبرة والدراية، وعرف كيف يكتب! فالباحث المتمرس تعلم من البحوث التى ساهم فيها وسلّح نفسه بالمثابرة على القراءة والاطلاع وكون نفسه كباحث اجتماعى بالاشتراك فى كل خطوات البحث الاجتماعى كجامع للبيانات وكمحلل لها. فالتجربة والرغبة والموهبة كلها عوامل تصقل الباحث، وتصنع منه باحثاً متميزاً. ونحن نسمع كثيراً عندما نكلف الطلاب فى مرحلة الماجستير بإعداد بحث السؤال التالى .. كيف أكتب؟ وماذا أكتب؟ وكيف أعد بحثاً؟ وهذه الأسئلة لا تثير الدهشة، وهؤلاء لم يتعلموا شيئاً إلا حفظ الكتاب المقرر الذى حول الجامعة إلى مدرسة، وغاب عنها الأستاذ الملتزم الذى يعلم طلابه ويصحح أخطاءهم.

وقبل أن يكتب الباحث البحث عليه أن يعى أن السماء لن تمطر عليه الكلمات والأفكار مدراراً ، بل عليه أن يقرأ ويثابر على القراءة ويتعلم أن يستفيد من كل روافد المعرفة، ويخزنها فى عقله أو يدونها فى بطاقات. ولذا عليه بعد أن يرسم التصور الأولى للموضوع، أن يجمع المعلومات القيمة التى تفيده كباحث، وتثرى وتعمق تحليله للبحث الذى يكتبه. وقد يسأل الباحث نفسه عندما يقرأ السؤال التالى: هل يقرأ للمتعة أم يقرأ ليستوعب ما يقرأ من معارف ومنظورات ويضاهى بينها؟ ولذا فعلى الباحث ألا يسرع فى قراءاته، وعليه أن يتمهل، ويستوعب الأفكار التى يقرؤها ويتمثلها، فمن الصعب أن يحصل القارئ أثناء القراءات المتسرعة على المعلومات الكافية ويخزنها فى عقله الباطن .

وكما لا ينصح القارئ بالتسرع فى القراءة، ينصح أن يتمهل عند الكتابة،

وليعرف أن الصياغة المحكمة للجملة الأولى فى بحثه تغرى القارئ بالاستمرار فى القراءة أو تنفره مما كان يود الاطلاع عليه.

فعلى الكاتب المبتدئ أن يبدأ كتابته بجملة محكمة أتقن صياغتها، تلخص فكرة وتجذب انتباه القارئ، ومهارة الكاتب ألا يبعث الملل لدى القارئ، ومن ثم يقاوم أية رغبة فى العزوف عن القراءة. ومن ثم يعود إلى البحث أو الكتاب ويقلب صفحاته، للحصول على معارف أكثر فائدة لأن موضوعات الكتاب مهمة وتتميز بالجدة ولا يكرر جهود الآخرين، وأن ما يقرأه يرتبط بالواقع الاجتماعى، وبهموم الناس. وإذا كان ثمة فرق بين سباح ماهر ومن يجلس على الشاطئ، فهناك فرق بين باحث جاد يعرف كيف يكتب ومن يكتب موضوعاً يعبر عن انطباعات شخصية. ولن تحقق الجودة والإتقان والدقة إلا إذا أحسن الباحث وضع مخطط تمهيدى أو تصور أولى ينطلق منه.

والقصد من وضع التصور المبدئى لعملية الكتابة، أن يحدد الكاتب موضوع البحث والعناصر التى يتكون منها وخطوات البحث، والوقت الذى يستغرق فى إنجاز كل خطوة.

وتتضمن عملية التخطيط لكتابة البحث كل الأنشطة التى تقود إلى الخطوط التمهيدية للبحث؛ وتختلف هذه الأنشطة من كاتب لآخر؛ وعلى سبيل المثال ، يفضل بعض الكُتّـاب وضع تخطيط أولى قبل البدء فى كتابة المسَوَّدة الأولى، وبعضهم الآخر يرسم على الورق كل خطوة ضرورية لإتمام البحث. (Johnson, p. 19) .

ينبغى على الباحث عند وضع مخطط أولى للكتابة، ترجمه هذا المخطط إلى خطوات واقعية حقيقية يستطيع أن يحققها وأن يربط بينها فى رباط منظم منطقى متتابع خطوة خطوة.

إن إنجاز البحث وإعداد الرسالة عمل شاق طويل، وإن لم يخطط له وفق طريقة منظمة، لن يستطيع الباحث إنجاز العمل فى فترة محددة، وتكوين شعور واضح عن مدى التقدم أو الإخفاق الذى يحققه. إذ يؤدى غياب هذا المخطط إلى تبديد جهود الباحث وتشتتها، إذ يدفعه افتقاد التصور الأولى عن البحث الى التفكير كلما أراد الكتابة فى نقطة البداية التى ينطلق منها، لا النقطة التى توقف عندها.

والحقيقة أن الاعتماد على العشوائية، وتسيير العمل فى البحث إرتجالياً، كمن يدور حول نفسه، ويصعب عليه أن ينجز عملاً متكاملاً، ولن ينتهى إلا إلى عمل ملفق غير منظم متباعد الأفكار ولا ننكر أنه ينهى العمل ولكنه سينجز عملاً متباين الموضوعات يفتقد التكامل.

فعلى الباحث أنه يبذل الجهد فى تقسيم الموضوع إلى أجزاء فرعية وأن يقسم كل جزء إلى عناصره، وعليه أن يجزىء الموضوع ويقسمه فقرات، ثم يضاعف هذا الجهد لتنظيم هذه العناصر. وعلى الباحث أن يتذكر أن عناصر الموضوع كلها من إبداعه، وصنعه، وأنها ثمرة تفكيره.

ويتطلب إتقان العمل وتجويده بذل مزيداً من الجهد، فمن لم يبذل الجهد لبلوغ درجة الاتقان فى أمر من الأمور الجوهرية؛ اتسمت حياته بتبلد الشعور... والقعود عن العمل، وأصبح طابعه التهاون والسطحية فى سائر الأمور (محمد العدنانى، ص٧)، ولن يتحقق الإتقان من المرة الأولي، بل يتعين إعادة الكتابة أكثر من مرة وفق خطة واضحة ترشده فى كل خطوة من خطوات البحث.

الفصل الرابع

الخطوات والاجراءات المنهجية للبحث

الخطوات والاجراءات المنهجية للبحث

١- تحديد موضوع البحث :

الخطوة الأولى فى إعداد أى بحث اجتماعى، هى اختيار الموضوع الاجتماعى الذى يستحق الدراسة ،أو القاء الضوء على قضية إجتماعية يثار حولها الجدل ورغم أن الأبحاث الاجتماعية على المستوى القومى قد تغطى مجموعة واسعة من الموضوعات، فإن ربط أو قصر البحث الاجتماعى على قضية محددة يتيح للباحث الحصول على نتائج تبين مدى تعقد الموضوع واتساعه أو خطورته أو جدوى دراسته على النطاق المحلى أو القومى، والصعوبات الكامنة فى الحصول على البيانات . إن تحديد موضوع البحث أمر أساسى فى نجاح البحث .

وموضوعات البحث عديدة، وتماثل فى كثرتها عناوين المقالات فى الصحف اليومية، وتوجه وترتبط البحوث والدراسات الاجتماعية بقضايا المجتمع والسياسات المحلية أو السياسات العليا للدولة أو النظام السياسى القومى أو العالمى.

وقد يتفجر موضوع الدراسة وهو الخطوة الأولى فى البحث من مطالعة الصحف اليومية، والحوارات المتبادلة حول قضية اجتماعية، أو آراء النقاد فى فيلم سينمائى أو متابعة برنامج إذاعى أو برنامج دائرة الحوار فى التليفزيون أو مشاهدة برنامج أخبار الناس، وكلها تناقش قضايا تتعلق بالمرأة والأسرة والسياسة والأطفال والتعليم والعمال والعلاج الطبى والهجرة والبطالة والإدمان وزراعة المخدرات، وازدواج الجنسية والانتماء والجريمة وتلوث البيئة والعنف والزواج العرفى والشباب والصندوق الاجتماعى والزيادة السكانية وقضايا الإسكان.

وتعتمد كل خطوة من خطوات البحث، على الخطوات التى سبقتها، وتمهد

للخطوة التى تليها، ومن الممكن أن يراجع الباحث القراءات والمعلومات التى جمعها فى مرحلة إعداد البحث، مع النتائج الأخرى التى توصل إليها؛ ويقارن بينها ويتساءل هل تتفق نتائجه مع المعلومات التى أطلع عليها؟ وعليه أن يعى أن أهداف البحث، قد لا تتحقق جميعها، وأن الأمر يتطلب إجراء مزيد من الأبحاث.

فالخطوة التالية فى البحث، بعد تحديد الموضوع هى الحصول علي معلومات وفيرة، وهذا يتطلب بذل وقت فى القراءة، تفيده فى الحصول على المعلومات، التى يرفرف بها ويحلق فى آفاق بحثه وتمكنه من إحكام سيطرته على موضوعه، وكلما ازدادت المعلومات تمكن من السيطرة على الموضوع... أما البحث الذى يبدأ أو ينطلق من المعلومات الفقيرة فأشبه بالثوب المليء بالثقوب.

والباحث يحتاج إلى معرفة ما نوع العمل الذى يقوم به فى مجال البحث، وهذه المعرفة ضرورية، والجهل بها يعنى التيه، ولذا يتعين أن يبدأ البحث باستشارة أهل الرأى ممن لهم معرفة وخبرة بالموضوع- والتساؤل ليس عيبا- يسأل عمن لديهم دراية بالموضوع، ثم يسأل هؤلاء عما صدر من مقالات وأبحاث وكتب ترتبط بالموضوع الذى يدرسه.

وتطرح مشكلة البحث عادة سؤالاً دقيقاً: ما الذى يريد الباحث أن يعرفه عن الموضوع الذى يدرسه؟

ولكي تكون الإجابة على هذا السؤال واضحة، نطرح هنا بعض الأمثلة التى تفيد فى إجراء بحث عن العلاقات الأسرية.

١- ما العوامل التى تساهم فى استقرار الأسرة؟
٢-ما العوامل الاجتماعية التى تساهم فى تفكك الأسرة؟
٣- ما الأوضاع الاجتماعية التى تزيد من العنف بين الزوجين؟
٤- ما القضايا الاجتماعية التى تهتم بها الأسرة المصرية وتساعد على

الترابط أو التفكك الأسرى؟

٥- ما العوامل التى تساعد على تباعد الأبناء عن الوالدين.

ولما كانت المشكلات التى تتصدى البحوث لها كثيرة، فإن المشكلات التى تبدأ منها بحوث الطلاب فى رسائلهم العلمية ينبغى أن تكون أكثر تحديداً، وترتبط بموضوعات محددة تحديداً دقيقاً مثل:

- العلاقة بين التعليم وطلاق الخلع.
- العلاقة بين المهنة وطلاق الخلع.
- العلاقة بين البطالة والجريمة.
- العلاقة بين التعليم والحراك الاجتماعى.
- العلاقة بين التعليم وضمور العلاقات القرابية.
- العلاقة بين النوع (ذكر أو أنثى) والالتحاق بالكليات العملية والنظرية.
- النوع والتفوق الدراسى فى الجامعات.
- التعليم الجامعى واتجاهات الطلاب.

ونعرض فيما يلى نماذج لعدة موضوعات عامة يمكن أن نذكر بها الطلاب الذين يعدون بحوثاً اجتماعية ويعملون على تحديد مجالاتها:-

أشكال الجريمة فى المجتمع المصرى؛ العولمة وأثارها على الخصوصية الثقافية؛ أثر نظام التعليم فى مصر على تكوين الشخصية؛ الجات واقتصاد الريف المصرى؛ حرية الحوار؛ تجارة السلاح؛ والموضوعات التى تتعلق بالأسرة كثيرة على سبيل المثال: المطالب الثقافية التى تدفع الأسرة إلى الانعزال عن الآخرين، وميزانية الأسرة؛ والزواج العرفى؛ وإساءة معاملة البنات؛ وتطبيق الشريعة الاسلامية وتوريث الأراضى الزراعية؛ والجامعيات وتفضيل العمل على تربية الأولاد، وصراع الأدوار عند الزوجات العاملات؛ والمعاملة الوالدية للأبناء الذكور والإناث؛ والبطالة؛ والعنف فى المناطق المتخلفة؛ أوالادمان والشباب؛ والجرائم غير التقليدية فى

المدينة؛ وجرائم النساء فى المدن والريف.

يواجه الباحث عندما يشرع فى إجراء بحثه واختياره عالماً واسعاً من الاختيارات قبل تحديد موضوع البحث، وتحدد اختيارات الباحث وتوجهاته وآرائه السياسية والإجتماعية والأكاديمية القرار الأخير فى اختيار موضوع البحث، (ورغم أن الفضول وحب الإستطلاع عاملان أساسيان يرشدان الباحث فى إختيار موضوع البحث).

وعلى سبيل المثال، إذا كان الباحث مهتماً بدراسة موضوع الرفاهية الاجتماعية، فعليه أن يحاول تقصى بعض القضايا التى تتعلق بتحقيق الرفاهية الإجتماعية مثل:

١- كيف يؤثر الحصول على شئ ما مقابل لا شئ على تقدير الفرد لذاته؟

٢- ما النتائج غير المباشرة لتحديد مقدار الوقت لاستفادة شخص ما من برنامج الرفاهية الاجتماعية؟

إن تحديد موضوع البحث ينبع من مجموعة من التساؤلات وسوف يتزايد الاهتمام بموضوع الدراسة، إذا ما بدأ الكاتب بطرح تساؤلات على الموضوع الذى يدرسه.

وهذا التحديد يرفع من مكانة الباحث، ويعبر تعبيراً حقيقياً وواقعياً عن الظاهرة التى تدرس، وفى الوقت نفسه لا يكرر ما كتبه الآخرون. والمشكلة التى تواجه الباحث ليست ضيق مجال البحث، أو أنه محدود للغاية أو تكرار دراسته، وأن الباحث لن يضيف جديداً، بل مدى ثراء موضوع البحث- يقصد الرفاهية الإجتماعية - وثمة طرق عديدة ونافعة لتوجيه موضوع البحث، واختيار النقاط التى تستحق الدراسة. فالموضوع الأصعب هو الموضوع الذى يستحق الدراسة.

وثمة قائمة بموضوعات يكلف بها طلاب الليسانس فى مقرر النظرية الاجتماعية لإجراء أبحاث عنها، ونرى أن المهمة الأولى هى تحديد اختيار الموضوع ثم كتابة بحث محدد يتكون من ٢٥٠٠ كلمة. (Johnson, p. 28) .

ويبين الجدول التالي كيفية تحديد موضوع البحث في موضوع من موضوعات النظرية الاجتماعية.

الموضوع فى شكله الواسع	الموضوع فى الشكل المحدد
رايت ميلز	دور الصفوة فى المجتمع الصناعى
الحرية	مقارنة بين مفهوم الحرية عند الإسلاميين وجان جاك روسو
العدالة	العدالة عند منظرى الرمزية
السلطة	أشكال السلطة عند فيبر
المجتمع المحلى	ضرورة المجتمع المحلى عند اتزيونى
ماكس فيبر	مفهوم البيروقراطية
ابن خلدون	العصبية أو الدولة

وثمة توصية مهمة نهمس بها للطلاب

أكتب تساؤلات البحث على الورق، ومثل ممارسة الأنشطة العقلية الأخرى، فإن عملية اكتشاف الكاتب طريقة البحث فى الموضوع الذى يشغل اهتمامه ،يتضح عندما يكتب وينظم أفكاره قبل أن تتطاير من أمامه، بدلاً من تركها مبعثرة، ولا يخطها على الأوراق، فالقلم هو أفضل العيون التى يرى بها الباحث أفكاره.

ورغم اهتمام الباحث بتحديد موضوع البحث، فإنه يجهل الكثير عن الموضوع، فقد ينبع الاهتمام من القلب، ونتيجة تعاطف الباحث مع الموضوع، وهذا التعاطف قد يكون عائقاً أمام الكتابة الموضوعية، رغم كونه مصدر إلهام الباحث بفكرة البحث- ولذا يفضل عادة أن يختار الباحث موضوعاً يشغل اهتمام الرأى العام ويتبادل المواطنون الحوار عنه ويثير فضول المتخصصين وجدلهم، سواء على صفحات الجرائد أو فى الندوات أو البرامج الإذاعية والتليفزيون.

وتقدم مهمة تحديد موضوع البحث فرصة كبيرة لوضع معيار السيطرة على مشروع البحث الذى يكتب عنه. ويرجع إلى الباحث وحده مهمة السيطرة وتحديد موضوع البحث فى الشكل المناسب، والحجم الملائم، ليتناسب مع اهتماماته الخاصة، ومتطلبات البحث؛ وهذا يؤدى فى النهاية إعداد عمل طيب ناجح. فالباحث يسير فى طريق طويل لتأكيد ذاته كباحث، والحصول على ثقة المتخصصين فيما يعده من أبحاث فى المستقبل. أما الارتجال والتخبط فى تصميم البحث وتنفيذه وكتابته فيعنى تبديد الطاقة؛ وضياع الوقت والمال؛ والنتيجة أن يجد الباحث نفسه تائهاً، ويصعُب عليه وصف المجتمع وفهمه.

وعلى العموم فإن موضوع البحث الذى يطرأ على الذهن للمرة الأولى قد يكون فضفاضاً غير محدد، ويصعب الكتابة عنه ومن ثم دراسته، وجمع البيانات المناسبة له والإطلاع على آراء المنظرين حول هذا الموضوع، وعلى سبيل المثال، فإن دراسة موضوعات مثل: آثار السياسة القومية على الخدمات الصحية، أو نتائج أنشطة الجمعيات الأهلية، أو آثار العلاج الطبى المجانى أو التسرب من المدرسة، أو حياد الانتخابات أو العنف أو الخصائص الاجتماعية لأعضاء المجالس المحلية والنيابية، أو البطالة بين الجامعيين، أو الصوت الانتخابى فى المجالين السياسى والرياضى قد أثار عدداً ضخماً من المقالات والتقارير نشرت حديثاً، وكتبها المتخصصون والخبراء فى

الموضوع، والصحفيون كما أدلى هواة الكتابة بدلوهم فى هذه الموضوعات. وبالرغم من كل الاهتمامات التى أعطيت لهذه الموضوعات ، واتساع مجالات الكتابة عنها فإنها غير محددة تحديداً علمياً.، فالباحث الجاد المتمكن والمتمرس لا يعد أبحاثاً جيدة إلا إذا كانت محددة؛ وأن تعددت روئ دراسته.

ويشكو طلاب البحث عادة من عدم القدرة على تنظيم المعلومات والبيانات التي جمعوها كما يشكو الطلاب من عدم قدرتهم على التمييز بين المعلومات ويتساءلون ما المعلومة المهمة؟وما المعلومات الأهم التى تحتل المرتبة الأولى وتلك التى تحتل مرتبة ثانوية؟ ويشكون من عدم درايتهم كيفية الاستفادة من القضايا التى يطالعونها، وهم يطرحون دائما السؤال التالى: ما الأفكار التى يبدأون منها؟ وما الموضوعات التى تستحق الدراسة؟

وإذا كانت الدراسة تحليلية فالأمر المهم تحديد المنظور الذى يعتمد عليه الكاتب، واستيعابه ، فإذا حاول الباحث أن يدرس علاقات المدرسين بالطلاب فمن المهم أن يعرف الطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها كل من المدرس، والطالب ، وعلاقة المدرس بالرؤساء فى العمل، ومن هم؟. وهل ينتمى المدرسون إلى الطبقة العليا أو الوسطى أو الدنيا؟ وهل ينتمى الطلاب إلى الطبقة العليا أو الوسطى أو الدنيا؟ وما القيم التى يتوحد بها الطلاب؟ وهل يعمل المدرس فى مدرسه حكومية أم مدرسة خاصة؟ فعلى الباحث أن يفسر المقصود بالطبقة؟ وهل يفسرها وفق التفسيرات الماركسية؟ أو تفسيرات المدرسة البنائية؟ أو السلوكية؟

أيضاً قد يدرس الباحث أثر الوضع الطبقى على طموحات الطالب وقدراته على التعلم، وهل يسلك سلوكاً مرضياً مقبولاً من المدرس؟ وما رغبة الوالدين فى مساعدة المدرس؟ وما آراء دوركيم وبارسونز والرواد فى علاقة المدرس بالتلميذ؟ وآراء منظرى علم الاجتماع التربوى، سواء الراديكاليين أو البنائيين ،فى علاقة الطالب بالمدرس. وإذا ما نقب الباحث،

وغاص فى القراءات، يجد نفسه أمام كومة من المعلومات والآراء والبيانات ما كان يتوقعها من قبل ولا يستطيع أن يتقدم إلى الأمام إلا إذا حدد الموضوع وشرح النظرية التى تبناها والتى تتعلق بموضوع الدراسة.

ولذا فمن الأهمية تحديد موضوع الدراسة إذ لن يستطيع الباحث أن يكتب في كل شئ. إن ما يجمع فى البداية من المعلومات يرجع الى أن الباحث نهم القراءة أما تنظيم المعلومات وتحديد الموضوع فيرجع الى الباحث الكاتب. وثمة فرق بين الباحث القارىء والباحث الكاتب، وهذا الأخير هو المطالب بتحديد موضوع البحث.

ويتفق الباحثون الاجتماعيون على أن عدد الموضوعات التي تخضع للبحث الإجتماعى كبير جداً مثل مجال السلوك الاجتماعى الكبير الاتساع، ورغم كثرة عدد الموضوعات الاجتماعية التى يمكن أن تدرس دراسة علمية فإن عدد الموضوعات التى درست فعلاً فى عالمنا العربى محدود للغاية، حتى فى مجال الموضوع الواحد مثل دراسة العلاقات بين الجماعات المختلفة فإن البحث يشمل عدداً كبيراً من المتغيرات: ابتداء من دراسة سلوك كل جماعة وعلاقة ذلك بسلوك الجماعات الأخرى، وشعور كل جماعة و تفكيرها نحو الجماعات الأخرى، و مظاهر الخلاف بينها فى التقاليد والمعتقدات والثقافات الفرعية وطريقة تربية الأولاد ومكانة المرأة وكيفية الاستجابة لمحاولات التغيير.

وقد توحى الممارسة العملية بفكرة البحث. كما يؤدي الانشغال والاهتمام بنظرية معينة إلى تفكير الباحث فى دراسة موضوع بحثه ومن ثم استنباط بعض الفروض واختبارها، كما تقدم الاهتمامات العملية العديدة موضوعات متباينة تخضع للبحث والدراسة، فمثلاً قد يريد الباحث معلومات ليقرر ما إذا كنا فى حاجة الى خدمات وتسهيلات جديدة أم لا،أما اذا طلب المحافظ أو رئيس مجلس المدينة بيانات عن عدد الذين تزيد أعمارهم عن ٦٥ عاماً أو

عدد العاطلين لمعرفة عما إذا كان سكان المحافظة فى الريف أو الحضر يريدون خدمات معينة أم لا، أو معرفة مدى إمكانية إقامة مشروعات معينة لاستيعاب العاطلين، ونوع الخدمات التى يريدونها أو نوع المشروعات التى يحتاجون إليها ونوع المساعدات التى تقدم؟ وأنواع الحرف والأعمال التى يحتاجون إليها فالأمر يتطلب إجراء بحوث اجتماعية، وتحديد موضوع كل بحث من هذه البحوث.

وإذا كان الباحث يريد تقييم برامج الإسكان، أو تأثير مشروعات الخدمة العامة علي المشاركين وجدواها، أو تأثير الأمية على عملية التصويت فى الانتخابات أو تأثير التعليم المجانى على الحراك الاجتماعى، أو تأثير التليفزيون على الأطفال، أو مدى تقبل العرب لنجاح حزب الليكود في الانتخاب، أو تحديات التنمية فى الريف، فالأمر يتطلب من الباحث تصميم بحث ليصل إلى الإجابات الصحيحة وتحديد الموضوعات التى يريد دراستها.

وتوحى الاهتمامات النظرية والعلمية بمدى واسع من الموضوعات التى تخضع للبحث العلمي. وربما كان الفرق الأكبر بين الموضوعات التى توحى بها الاهتمامات العملية وتلك التى توحى بها الاهتمامات العلمية، هو أن الموضوعات الأخيرة لاتتطلب دراسة مواقف خاصة محددة من أجل الحصول على معرفة عن هذا الموقف. فالاهتمامات العلمية تقود الى أسئلة عامة تخضع للبحث. فالباحث الذى تقوده الرغبة العلمية قد يكون مهتماً باكتشاف موضوع عام، يجهله الجميع، مثلما فعل بياجيه عالم النفس عندما درس تفكير الأطفال أو دوركيم عندما درس الانتحار وتقسيم العمل. وقد يهتم العالم بدراسة ظواهر سبق دراستها، ولكنها لم تصل إلى نتائج محددة قاطعة، من أجل تحديد الظروف التى تظهر فيها تحديداً أكثر دقة، وكيف تتأثر بعوامل أخرى، كأن يهتم بالظروف التي تؤدى إلى الهجرة من الريف إلى المدينة، أو الظروف التى تؤدى الى الفقر، أو العوامل التى تؤثر فى

تكوين أو تغير ظاهرة جديدة، كأن يدرس مثلاً مدى اهتمام العالم العربى بانتفاضة الشعب الفلسطينى فى الأرض المحتلة، أو أراء الناس إزاء ادخار الأموال فى البنوك، أو مدى تأثير الأصدقاء على اتخاذ القرار أو مدى تأثير أجهزة الأعلام فى تشكيل أحكام الناس وآرائهم السياسية، أو اتجاهات المواطنين ازاء قانون الأحوال الشخصية أو قانون الخلع أو سفر الزوجة دون علم زوجها.

أما إذا كان الباحث من المهتمين بالنظرية فحسب ولا يعدو إلا أن يكون من قراء النظريات الاجتماعية وبعيداًكل البعد عن الأمور التى تنفع الناس وتحل مشكلاتهم ، فقد يحاول إختبار بعض الآراء أو القضايا التى تتضمنها النظرية، كأن يختبر القضية القائلة بأن الحرمان في الطفولة يؤدى فى مرحلة الشباب إلى أداء سلوك ينم عن الشقاء.

ويتعين علينا ألا ننسى أثر القيم سواء قيم الباحث أو قيم المجتمع على اختيار موضوع البحث. فالعلماء الاجتماعيون يختارون موضوعات أبحاثهم مسترشدين ومتأثرين بالقيم التى توحدوا بها. وهكذا تختلف موضوعات البحث وفقاً لاختلاف قيم العلماء. كذلك فالباحث الذى يعرف أن تفضيلاته الشخصية قد تداخلت فى اختيار موضوع بحثه سيكون أكثر قدرة على حماية نفسه من التحيز الذى قد يتعرض له فى بحثه، من الباحث الذى يعمل تحت وهم مؤداه بأنه يتبع الخطوات العلمية فى الدراسة. ولما كانت القيم الشخصية تؤثر تأثيراً لا مفر منه فى اختيار موضوع البحث فإن الوسيلة الوحيدة للمحافظة علي تأكيد الإجراءات العلمية، هى وعى الباحث بموضوع البحث الذى يدرسه، وكيفية دراسته وأسباب اختياره هذا الموضوع للدراسة.

بيد أنه من الخطأ أن نفترض أن قيم الباحث وحدها هى التى تحدد اختيار موضوع البحث، إذ ليست الظروف الاجتماعية التي تحيط بالباحث وحدها

هى التى تشكل تفضيلات الباحثين بطريقة دقيقة، ولكن ثمة عدداً من الدوافع القومية هى التى تقود البحث فى موضوع معين بدلا من موضوع آخر، فالمجتمعات المختلفة تضفى أولويات على البحوث المختلفة، فالأهم فى مجتمعنا مثلاً أن ندرس الآثار الاجتماعية التى ترتبت على سياسة الانفتاح الاقتصادى الاستهلاكى، ومن المهم فى مجتمعنا أن ندرس الآثار الاجتماعية المترتبة على مرض البلهارسيا بدلاً من أن ندرس الآثار الاجتماعية لمرض السرطان أو نختبر قضايا سوركين أو بارسونز، ولكن الحال غير ذلك فى بلدان أخرى، كذلك فقد يعطى اهتمام أكثر بدراسة المعاملات فى السوق بدلاً من دراسة النظام القبلى فى بعض المجتمعات، أو يعطى اهتمام أكبر لدراسة القيم القبلية كمعوق أمام التنمية. كذلك تهتم مجتمعات أخرى بدراسة الأمراض النفسية التى تتزايد خطورتها يوماً بعد يوم، بينما تجد مجتمعات أخرى أن الأهم من الأمراض النفسية البحث عن كيفية زيادة الاستثمارات لمواجهة تكاليف رغيف العيش.

ولا يغيب عن بالنا أن عملية تصميم وإجراء البحوث تحتاج إلى المال، وكيفية الحصول على المال يؤثر تأثيراً لا مباشراً على اختيار موضوع البحث، ولكن قلة من الباحثين هى التى تستطيع أن تتجاهل تأثير كيفية تمويل البحث أو الدخل الشخصى العائد من البحث والمكانة العلمية للباحث. وهذا يعنى اختزال حرية الباحث وتقييد اختيار موضوع البحث.

والحقيقة أن المال سلاح ذو حدين فى مجال البحوث، إذ يؤدى المال إلى إزدهار العلم، وإجراء المزيد من البحوث سواء البحوث التفسيرية أو الوصفية، ولكن قد تفرض سلطة المال هيمنتها، وتفرض بحوثاً معينة، أو تخفى نتائج بحوث أخرى، خصوصاً البحوث الممولة من جهات أجنبية، وإذا كان المال يساعد على ازدهار البحوث ورواجها فى الدولة الغنية فإن المشكلة المستعصية فى بلدان العالم الثالث هى هل نعطى الأولوية للإنفاق على توفير

احتياجات المواطنين، أم تعطى الأولوية للبحوث ،وهل البحوث التى تهدف معرفة احتياجات المواطنين رفاهية أم ضرورة؟

مشكلة البحث

مشكلة البحث تعبر عن فكرة أو رؤية يراد تفسيرها وتحليلها، وبعبارة أخرى فمشكلة البحث موضوع يثير الحيرة والتساؤل وإعمال الفكر فيه من أجل حله.

وتختلف المشكلات فى درجة وضوحها وبنائها، ولذا فمن الأهمية قبل تحليل العناصر المكونة للمشكلة وترتيبها، تحديد المقصود بمشكلة البحث، وما يفهم منها وهذا يتطلب طرح سؤال يبدأ بأداة الاستفهام لماذا؟ أو أداة ما؟ مثل ما أبعاد مشكلة تعليم البنات فى محافظة البحيرة؟ أو لماذا تتسرب الفتيات القرويات من المدرسة إبتداء من الصف الرابع الابتدائى؟

وبعد أن يختار الباحث موضوع البحث لا يبدأ على الفور فى تحديد طرق البيانات وكيفية تحليل هذه البيانات، ثم جمع البيانات ويجدولها وتحليلها، اذ يتعين عليه قبل أن يبدأ هذه الخطوات، أن يخطو خطوة مهمة هى صياغة مشكلة البحث صياغة لغوية محددة، ولكن للأسف الشديد فأحيانا ما يقفز الباحث مباشرة من خطوة اختيار الموضوع إلى جمع المعلومات والبيانات، وهذا يعنى أنه سوف يواجه مسؤولية صياغة المشكلة بعد جمع البيانات، وهذا يعنى فى أسوأ الأحوال عدم إتباع الباحث لخطوات البحث العلمى.

وكما نعرف فالبحث العلمى عملية تهدف حل مشكلات معينة. والخطوة الأولى، بعد تحديد الموضوع، هى تحديد المشكة أى جعل المشكلة واضحة وملموسة. ورغم أن اختيار موضوع المشكلة قد تحدده اعتبارات غير علمية فإن تحديد موضوع البحث هو الخطوة الأولى فى البحث العلمى. وينبغى أن يتأثر تحديد موضوع البحث بمتطلبات الإجراء العلمى، بيد أنه لا توجد قاعدة

مضمونة توجه الباحث توجيهاً محدداً لكيفية صياغة المشكلة التى ترتبط بموضوع البحث الذى يدرسه، وهل تصاغ المشكلة فى صيغة قضية أم صيغة سؤال؟

فتحديد مشكلة البحث هو المدخل الاستراتيجى للدراسة الميدانية، ومن ثم يساعدنا فى تحديد الموضوعات المهمة التى تستحق الدراسة. ويلزم فى تحديد المشكلة وجديتها الحصول على بيانات موثقة وآراء المتخصصين والإخباريين للتأكد عما إذا كان بالإمكان دراسة المشكلة وتحديد مجتمع الدراسة وفترة الدراسة.

فالبحث الاجتماعى المتميز يستلزم وجود مشكلة لها دلالة ولها أهمية وتحتاج إلى وصف وتفسير. فالباحث الاجتماعى الذي يتصدى لدراسة مشكلة ما، ليس إنسانا عادياً، بل إنسان مدرب لديه القدرة على التصدى لدراسة هذه المشكلة وتفسيرها ووصفها، ومن الأهمية بمكان أن نميز بين مشكلة البحث والمشكلات التى يهتم الاجتماعيون بدراستها. فالمشكلات التى يدرسها الاجتماعيون كثيرة، قد تكون أسرية أو اقتصادية أو اجتماعية أو تربوية أو تعليمية أو سياسية أو مشكلة مرضية غير طبيعية، أما مشكلة البحث فمشكلة محددة تؤرق الباحث الذى يتصدى لوصفها وتفسيرها، وهذه المشكلة لا تفرض على الباحث، ولا يقهر على دراستها، فهو إنسان حر قد يقبل دراستها وقد يرفض، وذلك كله حسب اهتماماته وتخصصه ومدى إلحاح المشكلة على تفكيره.

وهنا تظهر الأهمية الكبرى لتدريب الباحث وصقل موهبته على تحديد وصياغة المشكلة. ومن الممكن فى هذا السياق أن نحدد عدداً من العوامل التي أوضحت التجربة أنها تقود إلى صياغة وتحديد المشكلات المهمة. ومن هذه العوامل الإهتمام الزائد بالمشكلة على المستوى القومى والشخصى، ونقصد بذلك مدى اهتمام الباحث واستغراقه فى المشكلة، ودراسة ما كتب حول تلك

المشكلة وإلمامه بكل ما كتب حولها، ومناقشته لأهميتها وخطورتها مع باحثين آخرين لهم تجربة عملية بموضوع البحث. وبقدر أهمية تلك النقاط فى صياغة المشكلة فإنها تتضمن بعض المخاطر. الخطوة الأولى هى تحديد المشكلة، أى اكتشاف مشكلة تحتاج إلى حل، ودون هذه الخطوة فإن البحث لن يتقدم. فالباحث يبدأ البحث بصياغة سؤال محدد، أى تحديد مشكلة معينة والبحث عن حل لهذا السؤال. ثم يطرح بعد ذلك سؤالاً مؤداه ماذا يستطيع البحث الاجتماعى أن يقول لنا عن هذه المشكلة؟ وبعد تحديد المشكلة، يتلو ذلك خطوات أخرى، مثل تحديد المفهومات، وصياغة الفرض.

والسؤال الذى يطرحه الباحث هو تستحق المشكلة الدراسة ؟

فى البداية تعرف مشكلة البحث بأنها فكرة طرأت على ذهن الباحث، وقد تتولد هذه الفكرة نتيجة قراءات جادة أو الملاحظة المتأنية لما يحدث فى المجتمع، ويريد الباحث عادة القاء الضوء على هذه المشكلة وتحديدها وتكتب مشكلة البحث عادة بطريقة واضحة وتحدد مشكلة البحث قدر المعلومات المطلوب جمعها.

وهذه المعلومات تساعد الباحث الاجابة عن الاسئلة التى طرحها.

ويساهم وضوح المشكلة وتحديدها فى تحديد مايلى: ١- اسئلة البحث، ٢- وفروض البحث، ٣- طريقة جمع البيانات.

وعلى الباحث أن يوضح الغرض من المشكلة، وما يفهم منها، والغرض الذى يرمى إليه من دراستها ولماذا اختار تلك المشكلة؟ وما قيمة دراستها ؟

ويرى فيشر ان المشكلة تحتاج إلى دراسة اذا ما توافرت ثلاثة شروط: ١- التناقض بين ماهو واقع ومايجب أن يكون؛ و٢- التساؤل عن سبب وجود هذا التناقض، ٣- وجود اجابات لهذه التساؤلات فى عالم الواقع. وفى حالة عدم وجود اجابات على هذه الاسئلة، لاتعد المشكلة جديرة البحث (فيشر

ص٨).ويتـعين تحديد مـدى انتشار المشكلة، ومدى تكرارها ومجالها الجغرافى. وخصائص الذين يعانون منها، واسبابها، والنتائج المترتبة عليها.

فالطريقة المثلى لتحديد المشكلة تتطلب الخطوات الآتية:

١- صياغة المشكلة صياغة لغوية بسيطة سهلة، ويوضح فى الصياغة التناقض بين ما هو كائن وما يجب أن يكون، ثم يتقصى إجابات للأسئلة الآتية:

٢- بيان متى تحدث المشكلة وأين؟، وما مدى انتشار المشكلة؟، وما المجموعات السكانية التى تتأثر بالمشكلة؟، ما الدراسات السابقة حول هذه المشكلة؟

وعلى الباحث أن يبرر أسباب اختياره للمشكلة، ويتطلب تبرير أهمية المشكلة ولماذا اختارها للبحث طرح الأسئلة الآتية والاجابة عليها:

١- هل المشكلة التى يرغب فى بحثها مشكلة حالية وملحة؟. هل المشكلة موجودة فعلا ويعانى منها بعض الناس أم لا وجود لها إلا فى عقل الباحث؟

٢- ما مدى انتشار المشكلة؟ هل تنتشر فى المدينة فقط؟ أو فى الريف فقط؟ أو في الريف والمدينة؟ وهل تؤثر على عدد كبير أم قليل من الناس؟

٣- هل يتأثر بالمشكلة كل الناس؟ أم فئة محددة أم عدد قليل من الفئات، هل تخص الشباب أو الشيوخ أو الأطفال أو الرجال أم النساء؟

٤- هل تتعلق المشكلة بقضايا صحية أم تعليمية أم أسرية أم اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية؟

ويترتب على تحديد المشكلة صياغة الفروض المثمرة، والأهداف الرئيسية للبحث. فالبحث ليس لعبة يتسلى بها الباحث. فالبحث يتطلب جهداً ووقتاً

ومالاً. كما يهدف الباحث المساهمة بشكل أو بأخر فى وصف الظاهرة المراد دراستها والحد من تأثيراتها السلبية، وتقديم المعلومات المفيدة التى تساعد على فهم الواقع الاجتماعى وتحسينه.

وهذا كله يؤكد لنا أهمية وخطورة تحديد مشكلة البحث تحديداً دقيقاً بوصفها تؤثر تأثيراً قوياً سلباً أو إيجابا على جميع الخطوات التى تليها- فتحديد المشكلة أساس البحث ونقطة انطلاق كل الخطوات الأخرى. فتحديد المشكلة يحدد لنا الظواهر التى ندرسها والجوانب التى تستحق الدراسة فى كل ظاهرة و البيانات المناسبة التى نجمعها والمتغيرات التى ترتبط بالمشكلة وحجم المجتمع وهل تحتاج الدراسة إلى المقارنة أم لا؟.

وعلى سبيل المثال فالباحث المهتم بالتوافق الأسرى، أو تزايد حالات فسخ الخطوبة قبل الزفاف، يحاول قبل إجراء البحث أن يفهم، كيف يصوغ المشكلة صياغة محكمة وبحرص وإذا ما سأل الباحث ما الأسباب التى تحقق التوافق الأسرى؟ وسأل باحث أخر ما الأسباب التى تؤدى إلى فسخ الخطوبة؟ فإنه سوف يجد كثيرين يجيبون على الأسئلة التى توجه إلى المبحوثين. ولكن قبل توجيه هذه الأسئلة يلزم تحديد مشكلة البحث تحديداً دقيقاً وألا يخلط بين التوافق الأسرى، والتوافق بين الزوجين والتوافق بين الخطيبين.

فمشكلة البحث تحدد تحديداً دقيقاً ما الذى يريد الباحث معرفته وثمة مشكلات تفرض نفسها على الباحثين فى الأونة الأخيرة:

- العوامل الاجتماعية والنفسية التى تحقق الإستقرار الأسرى.
- الظروف الاجتماعية التى تؤدى الى العنف.
- القضايا التى تشغل اهتمامات الشباب.
- أثار الهجرة من الريف الى المدينة.

أمثلة تحتاج معنى

- أثار نقص الخدمات فى المناطق المتخلفة.
- افتقار المشاركة السياسية للمرأة.

وعلى الباحث أن يسأل نفسه: هل تستحق مشكلة البحث الدراسة؟ وهل ثمة أدوات وطرق مناسبة لجمع البيانات؟ فهناك علاقة وثيقة بين أهداف البحث والبيانات المطلوب جمعها. فالمشكلة المطلوب دراستها هى التى تفرض أداة جمع البيانات ومن ثم تحدد نوع البيانات المطلوبة. والبحث المفيد المتميز يستلزم وجود مشكلة محددة لها دلالة تحتاج الى الوصف والتفسير، كما تتطلب وجود المشكلة باحثاً لديه القدرة على التصدى لدراسة هذه المشكلة، ومسلح برؤى عن العالم يستطيع أن يستفيد منها فى تفسير الواقع ويطرح الأسئلة التي تتعلق بمحاولة فهم العالم الاجتماعى.

الدراسات السابقة

ويتعين على الباحث ،قبل الإقدام على تصميم البحث، الرجوع إلى الكتابات المتاحة سواء المنشورة أو غير المنشورة التى تتعلق بالموضوع محور الدراسة، ليزيد من فهمه للموضوع، واضعاً نصب عينيه الأهداف الخمسة التالية: (Blumer, p.53)

١- البحث عن البيانات والمعلومات المتاحة والمتوفرة التى تلقى الضوء على مشكلة البحث.

٢- كيف توضح هذه الكتابات أبعاد البحث، وكيف تساعد الباحث فى تحديد مفهومات الدراسة؟

٣- تساعد إطلاع الباحث على الدراسات السابقة التى أجريت فى الإفادة منها، وألا يكررها بلا وعى، وأيضاً يفيد من أخطاء الباحثين ويتجنبها.

٤- تحديد مجتمع الدراسة وخصائصه.

٥- يلم الباحث إلماماً واسعاً بأدوات البحث المختلفة، وكيفية تطبيقها، كما يتعلم أفضل الأساليب لقياس أكثر المتغيرات أهمية فى عالم الواقع.

والدراسات السابقة يجدها الباحث بين دفتى الكتب أو صفحات المجلات العلمية أو تقارير البحوث التى تصدرها مراكز البحوث أو الهيئات الحكومية أو الرسائل الجامعية. ولا جدال فى أن الاطلاع على الدراسات السابقة مرحلة مهمة لاكتساب المهارات الفنية فى إجراء البحوث، بالإضافة إلى إثراء معلومات الباحث وأفكاره؛ وتدريب الطالب على كيفية كتابة الحواشى والهوامش والمراجع ،ومعرفة القواميس المتخصصة، والاطلاع على قوائم المراجع المثبتة فى نهاية كل بحث، بالإضافة إلى البيانات الخام التى يجمعها الباحث بنفسه عن المشكلة التى يدرسها.

ونؤكد أنه يتعين على الباحث فى بداية الدراسة أن يبين: هل الدراسة التى يقوم بإجرائها هى المحاولة الأولى فى مجال دراسته ومن ثم تعد دراسة وصفية أو تمهيدية أو دراسة رائدة لم يسبقه أحد فى مجال دراستها؟، أم سبق لغيره القيام بها؟ فإذا كان الجواب بالإيجاب على الشق الثاني من السؤال، فإنه يتعين عليه أن يعرض للدراسات السابقة التى درست الموضوع محور الدراسة.

عرض الدراسات السابقة:

هل ثمة طريقة واحدة لعرض الدراسات السابقة؟ وما أهمية عرض هذه الدراسات؟

١- الأمر الطبيعى أن يقدم الباحث شيئاً جديداً؛ عندما يربط بين ما يقوله وما قاله الآخرون، بطريقة تمكن القراء من إدراك الهدف من الدراسة، وأن ما يقوله الباحث جديداً يكشف أصالته وقدرته على

الإبداع. فالباحث عندما يعرض دراسات السابقين لا يستبدل فكراً بفكر آخر، بل يتحاور معه ليبدع لنا فكراً جديداً.

٢- فالهدف من عرض آراء وأفكار الآخرين، تحقيق وتأكيد أصالة الباحث وقدرته على الإبداع. وتدفع هذه القدرة على الإبداع عدداً من الباحثين المهتمين بالموضوع إلى الحوار مع الموضوع ومناقشته، وهذا الاهتمام بالموضوع يرجع إلى أهميته، فكم من أبحاث منحت درجات علمية ووضعت فوق أرفف المكتبات ونسيها الباحثون، وكم من دراسات مضى عليها عقود من الزمان ولازالت تثير الجدل والاهتمام والاحترام، ولازال الباحثون يرجعون إليها مثل الفلاح البولندى لتوماس وزنانيكى؛ والانتحار لدوركايم؛ وايكولوجيا مدينة شيكاغو؛ والحراك الاجتماعى لسوروكين؛ وميدلتاون إعداد روبرت وهيلين ليند؛ ودراسات يانكى سيتى لويدوارنر؛ ومجتمع النواصى لوليام هوايت؛ ومجتمع المصنع إعداد مايو؛ والتفاعل الاجتماعى تأليف ميلز (كابلو ص ص ٢١٧-٢٨٥). والبيروقراطية والمجتمع فى مصر الحديثة تأليف مورو بيرجر وترجمة توفيق رمزى.

وقد تكون الدراسات السابقة التى يرجع اليها الباحث دراسات على المستوى القومى أو العربى أو المستوى العالمى مثل دراسه محددات هروب الأموال الساخنة من الاقتصاد الكويتى. (نايف المطيرى ومحمد ابراهيم السقا، الكويت، مجلة العلوم الاجتماعية. المجلد ٢٧ العدد ٢ سنة ١٩٩٩ ص ص ٣١-٦٠).

مثال آخر عن ضرورة عرض الدراسات السابقة، تلك الدراسة التى أجريت عن أفلام الخيال العلمى والطفل المصرى. (اعتماد خلف، المجلد ٣٢، المجلة الاجتماعية القومية سنة ١٩٩٥ ص ص ١-٣٤).

وقد بينت الباحثة فى هذه الدراسة تعدد مناهج دراسة أفلام الخيال العلمى

فى التراث الغربى. وأوضحت أن هناك باحثين اهتموا بالمنهج التاريخى، ومنهم من اهتم بأهم موضوعات سينما الخيال العلمى، وبعضهم الآخر تتبع ظاهرة سينما الخيال العلمى كجزء من السينما الخيالية فى العالم إلا أن الجديد الذى تقدمه الباحثة أن أفلام الخيال العلمى لم يتم دراستها من قبل أو ربطها بجمهور الأطفال.

ومن الأفضل تتبع أهداف العلم المألوفة لنا، ومن أهداف العلم أن تقوم بأداء عمل نافع مفيد، يستطيع الباحثون الآخرون إنجازه، مما يساعد على المعرفة والفهم بدلاً من التحليق فى الهواء أو نصعد الى النجوم فى السماء، وهو ما يعجز عنه الباحث الإجتماعى فى خارج مجاله.

والباحث الاجتماعى عندما يسعى لإنجاز عمل مفيد. ليخدم مواطنيه، ويسطر قضايا هذا البحث فوق صفحات الورق، لا يسعى إلى المستحيل، وهو يبدأ البحث بطرح التساؤلات الآتية:

١ – كيف يستخدم ويفيد من كتابات الرواد والمعاصرين استخداما مفيداً؟

٢ – هل تمنعنا كتابات الرواد من إنجاز أعمال أفضل؟

٣ – كيف نفيد مما كتبه الباحثون الآخرون؟

٤ – كيف أستخدم ما كتبه الآخرون ؟

وليتخيل الباحث أنه مثل النجار الذى يصنع المائدة، فالنجار لا يصنع كل المواد وكل الأجزاء بمفرده، وهناك أجزاء يصنعها الآخرون، وهناك مواد يستخدمها صنعها غيره.

كذلك قد يجد الباحث أن هناك من سبقه وأدلى بدلوه فى موضوع الدراسة، سواء مباشرة أو لا مباشرة، ومن المهم أن يختار ما يفيد البحث، ويقارن بين ما أخذه عن الآخرين ويوثقه، وما توصل إليه من نتائج، وإذا كانت الأخشاب التى تصنع منها الموائد متاحة أمام الجميع؛ فالنجارون تتفاوت قدراتهم فى

إتقان صنع الموائد، ومن ثم تظهر الفروق بين مائدة وأخرى، كذلك فالباحث يعتمد على معلومات ووقائع جمعها آخرون وبيانات جديدة جمعها بنفسه وحاول التركيب والتوفيق بين هذه البيانات مما يعطى الدليل على اصالة الباحث ومحاولته أن يعرض عملاً جديداً، فهو لا يخترع شيئاً من لا شئ، ولا يصنع كل شيء. فهناك آخرون سبقوه، وعملوا وساهموا بآرائهم فى موضوع البحث، أو ساهموا فى صنع بعض عناصره.

والباحث الملتزم الجاد يلائم بين المعلومات كلها ويسأل ماذا أكتب؟ وماذا أجمع؟ وما أفيد منه من أجل إثراء البحث وما الجديد الذى أساهم به؟

والباحث المبتدئ لا يبدع مفهومات سبق أن أبدعها آخرون، وبدلاً من أن يبدع، عليه أن يقتبس أو يستعير مفهوماً صاغه عالم كبير، والباحث الجاد لا ينقل ما كتبه الآخرون نقلاً حرفياً، ولا يكرر فقرات أو عبارات أو صفحات نشرها الآخرون ولا يبدأ من حيث بدأ الآخرون، فالعلم تراكم، والعالم المبدع يشيد جديداً، ويستعين بإنجازات الآخرين فى عملية التشييد، والاستفادة من أعمال الآخرين لا تلغى الأصالة، ولا تطمس الإبداع، بل يهدف إلى إثراء العلم.

وكل قراءات الباحث فى كتابات المنظرين تسعى إلى الحصول على معلومات عما كتبه ابن خلدون أو ماركس أو فيبر أو دوركيم أو بارسونز أو هابرماس أو زنانيكى أو بلومر أو وبلاو أو جارفينكل أو منظروا ما بعد البنائية أو منظروا ما بعد الحداثة، ومن كتب عن السلطة أو البيروقراطية أو الهجرة أو التعاون أو الصراع أو الهجرة أو المجتمع الصناعى أو القرية، وبعدما يقرأ لهؤلاء لا يعيد إنتاج أعمالهم، بل يتمثلها ويعيد التركيب بين ما قرأ والبيانات الميدانية التى جمعها ليخرج لنا عملاً أصيلاً.

والاطلاع على دراسات الرواد والمحدثين له فوائد عديدة، بعضها إيجابى وبعضها سلبى. فالقراءة توضح الأفكار وتثريها؛ والمسألة ليست ماذا نقرأ؟

فقط بل كيف نفيد مما نقرأ؟ وماذا نقتبس؟ وما الذى نستشهد به؟ وهل ما نقتبسه يتفق مع ما نجمعه من بيانات؟ وهل البيانات تدعم المنظور أو ترفضه؟

ولقراءة أعمال المحدثين والمعاصرين أثار عكسية، إذا ما حبس الكاتب نفسه فى إطار هذه الأفكار؛ وأضفى عليها طابع القداسة فهذا قد يشوه النتائج التى يسعى إلى الوصول إليها، أو يفسر نتائجه فى ضوء مفهومات وقضايا منظر آخر ينتمى إلى بيئة اجتماعية واقتصادية مغايرة.

إذ قد ينتمى الباحث إلى مجتمع مغاير، ويتوحد بقيم مختلفة ويؤمن بعقيدة مغايرة، ونشأ فى ظروف سياسية وتعليمية تختلف عن ظروف المنظرين الذين عاشوا فى أوروبا أو أمريكا، ولذا فمن المهم ألا يحبس الباحث ابن بلدان العالم الثالث نفسه فى مصيدة التراث الغربى؛ وعليه أن يتسامى بتفكيره ويعرف الفلسفة والأفكار التى انبثق عنها هذا التراث وهل الفلسفة السائدة فى مجتمعنا تختلف عن أفكار صاحب النظرية؟، وهل يسعى إلى البحث عن موقف علمى محايد؟ وإذا كان من الضرورى أن يطلع على ما كتبه الآخرون، فالأهم ألا يدع هذا التراث يستنفده أو يقتل قدراته على الإبداع.

وعندما يعرض الكاتب الدراسات السابقة، يتعين عليه أن يوضح الهدف من عرض هذه الدراسات، لتأكيد أن الباحث ألم بقضايا موضوع البحث، وطريقة البحث التى أتبعت وأنه على دراية كاملة بما كتب من أبحاث تناولت موضوع البحث.

والسؤال هل ثمة طريقة واحدة لعرض الدراسات السابقة؟ هل تعرضها جميعها بشكل واحد؟ الأمر الشائع أن يعرض الباحث كل دراسة مبيناً مشكلة البحث وأهم المفهومات التى وظفت فى الدراسة وأهمية الموضوع ومشكلة البحث وأهداف الدراسة، ومجتمع البحث والافتراضات والأساليب الإحصائية وأهم النتائج.

ولكن هناك من يخرج عن المألوف ويتبع طريقة جديدة ونقدية، ويعرض الدراسات السابقة فى شكل مجموعة من القضايا أو العناصر، ثم يحلل كل قضية على حدة، مبيناً أوجه الاتفاق والخلاف بين الباحثين حولها، وهل ثمة أسئلة لم تجب عليها الدراسات السابقة؟ وهل يفجر البحث قضايا وتساؤلات تحتاج إلى مزيد من البحوث الاجتماعية؟ وهل تتفق هذه النتائج مع دراسات أخرى أم تختلف معها؟ وصلة هذه النتائج مع منظورات علم الاجتماع؟ وهل تؤيدها أو تعدلها أو تفندها؟ وهل حققت هذه النتائج فروض البحث أو فندتها؟ والأهم من ذلك ما معنى هذه النتائج ودلالاتها؟

وفى النهاية يقيم كل دراسة، وهل استوفت الدراسة كل جوانب الموضوع أم لا، وما مستوى التحليل، وهل هناك قصور فى طريقة البحث أو فى التحليل أو البيانات الميدانية أو عقم المنظور؟ وهل الكتابة واضحة ودقيقة أم غير مقنعة؟

ثمة ملاحظة جديرة بالأهتمام وهى ضرورة إشارة الكاتب إلى إسم صاحب الدراسة، وإسم البحث، وجهة الإصدار، وإسم الناشر وسنة النشر. وهل البحث جهد فردى أم نتاج فريق بحث.

ويكشف الاطلاع على الدراسات السابقة والاستفادة منها حالة التكامل العلمى، وتؤكد تراكم العلم وتواصل البحوث. والأمر اللافت للنظر فى مستويات التكامل العلمى عدم اهتمام بعض الباحثين الشبان بالرجوع إلى الأبحاث الرائدة والسابقة التى تصدت لدراسة الموضوع محور اهتمامهم. فهؤلاء لا يدرون أغلب ما كتب فى تراث علم الاجتماع من أبحاث، ولا يبدأون من حيث انتهى الرواد، مما يقلل من قوة إبداعاتهم ويقلل من فرص التقييم والتأصيل وتحسين وإثراء المساهمات فى البحث الاجتماعى. ولذا ينصح الباحثون الجدد بضرورة الإلمام بجهود الآخرين. فالإطلاع عليها والإفادة منها يحقق غرضين :الأول مهنى إذ تزيد من خبرات ومهارات الباحث وتصقلها ، والآخر أكاديمى إذ تزيد من معلومات الباحث وتثريها.

أهداف البحث :

بعد تحديد الموضوع والمشكلة تأتى مرحلة تحديد أهداف البحث. وعادة ما يضع الباحث نصب عينه مجموعة من الأسئلة يسعى للحصول على إجابة عليها، وتحدد هذه الأسئلة هدف البحث. فالباحث يقرر الأهداف التى من أجلها يجمع البيانات ويحللها، وقد يكون هدف البحث عاماً أو محدداً. ويقود تحديد الهدف إلى صياغة الفروض وإلى طريقة اختبارها، أو قد يتحدد هدف البحث فى تقصى الاضطرابات القائمة في مظاهر التفاعل الاجتماعى أو اكتشاف عمليات التفكك فى الجماعات الصغيرة، أو يدرس العوامل المؤثرة فى أداء السلوك الإنسانى، أو ملاحظة التغيرات التى تطرأ على نسق القيم، وتقرر كل دراسة هدفاً واحداً أو أكثر، أو تقرر مجموعة من الأهداف الصغيرة التى تحتل أهمية عند الباحث. وعادة ما تشكل هذه الأهداف المحددة تحديداً دقيقاً جزءاً واحداً من إطار أكبر تضمن الآراء والافتراضات والقضايا المتضمنة فى النموذج النظرى.

وتحديد هدف البحث مظهر واحد فقط من مجموعة أكبر من الأفكار المفهومة ضمناً، والافتراضات والتعريفات اللازمة فى النموذج النظرى، وهكذا فالهدف من البحث يمكن أن ينظر إليه من خلال مجموعة أفكار قليلة تختار من النموذج الذى يحدد هدف البحث.

ويطبق الباحث المناهج التجريبية التى اختارها لكى يحصل على نتائج البحث مسترشداً بالنموذج التصورى والهدف الذى وضعه نصب عينيه من إجراء البحث. وتكون النتائج التى حصل عليها عن ظواهر السلوك أو عن النظم الاجتماعية هى مجمل تفسير البيانات والحقائق. فمثلاً النتائج التى توصل إليها بعض علماء الاجتماع من أن البروتستانت يرتكبون جريمة الانتحار أكثر من الكاثوليك، أو تدرج المراكز ظاهرة واضحة فى العصابات؛ أو تباين مظاهر التحضر التي تصاحب التصنيع، أو انخفاض

نسبة العود بين عينة الجانحين التى تم علاجها عن العينة الضابطة التى لم تعالج، أو العلاقة بين التصنيع والتعليم كل هذه النتائج حصل عليها الباحثون بعد إجراء البحوث التى استخدموا فيها المناهج التجريبية وكلها تقريرات تصف الواقع المعاش.

وثمة عدة أسباب وأهداف كثيرة مختلفة وراء إجراء البحث الاجتماعى، ورغم تعدد أسباب مشروعات البحث الاجتماعى، فثمة أهداف أساسية وراء كل بحث.

يتعين على الباحث قبل تحديد الفروض أو صياغة التساؤلات توضيح الهدف من الدراسة، أى ماذا تستهدف الدراسة؟ وهل هذه دراسة علمية تحاول إثراء نظرية ما أو تفنيدها؟ أم أن الدراسة دراسة وصفية أو استكشافية؟ وفى الدراسة التي أجراها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية عن تخصيص الوقت فى حضر مصر، أوضحت كاتبتا التقرير أن البحث يستهدف(السيد ياسين مشرفا).

أ- التعرف على مفردات تخصيص الوقت (توزيع الوقت على أنشطة الحياة اليومية).

ب- التعرف على مدى رضاء الأفراد عن هذا التخصيص ومدى وعيهم بقيمة الوقت وهل يوزع الوقت على الأنشطة الأساسية أم الفرعية؟

جـ- التعرف على السياق الاجتماعى المصاحب لكل نشاط من أنشطة الحياة اليومية (مع من يقضى الفرد وقته؟ وكيف؟ وأين؟ ومتى؟ ولماذا؟).

٢- الكشف عن الفروق فى تخصيص الوقت بين الفئات الاجتماعية المختلفة (ذكور عاملين، إناث عاملات، ربات بيوت).

٣- الكشف عن الصورة المأمولة لكيفية تخصيص الوقت لدى أفراد العينة.

مثال ثان يبين أهمية أهداف الدراسة، تلك الدراسة عن تقنين استخبار الصحة العامة فى دولة الكويت.(هدى جعفر - مجلة العلوم الاجتماعية المجلد ٢٧ العدد ٢ ص ص ١١٣-١٣٤).

توضح الباحثة أن أهداف الدراسة تسعى إلى توفير أداة يمكن أن يستخدمها الاخصائيون فى التعرف على الحالات التى يحتمل أن تتعرض للاضطرابات النفسية، ومن ثم فإن الاستخبار يمكن أن يستخدم بوصفه أداة للفرز فى المرحلة الأولى للتعرف على حالات الإضطرابات النفسية التى تحتاج إلى تشخيص عدد المرضى.

مثال ثالث لاهداف الدراسة تلك التى قام بها فهد الثاقب عن الخطوبة والتفاعل الزواجى والطلاق فى المجتمع الكويتى. يقول الباحث أن الدراسة تهدف إلى معرفة علاقة الطلاق بمجموعة من المتغيرات، ابتداء من التعارف والتفاعل بين الزوجين، والعمر عند الزواج والعقيدة والعمل خارج المنزل، وتوافق ساعات العمل والعلاقة بالمطلق وموقف المطلق والمطلقة من الزواج، وتحقيقاً لهذا الهدف تحاول الدراسة الإجابة على مجموعة من التساؤلات:

١- هل هناك فترة تعارف غير رسمية قبل الخطوبة؟ ٢- ما المكان الذى تم فيه التعارف؟ ٣-وما مدته؟ ٤- وهل أدى ذلك إلى التعرف على شخصية المطلق؟ ٥- هل كانت هناك فترة تعارف بعد الخطوبة الرسمية، وإذا كان ذلك متعذراً فهل كانت فكرة التعارف بعد عقد القران؟؟.. (فهد الثاقب، مجلة العلوم الاجتماعية المجلد ٢٦ العدد ١).

يهمنا هنا أن نؤكد أن مرحلة تحديد الأهداف تسبق مرحلة صياغة التساؤلات أو الفروض. فتحديد الأهداف أشبه بالإمساك بالبوصلة أثناء

السير فى الصحراء.

مثال رابع نستقيه من دراسة نجوى الفوال عن البرامج الدينية فى التليفزيون المصرى. تقول الباحثة ان الدراسة تهدف تحقيق هدفين اساسيين الاول يتصل بمحاولة الإضافة الإمبريقية لبحوث القائم بالإتصال في مصر والتى اعتمدت فى البداية على المدرسة التاريخية ثم نحت إلى الحديث النظرى عن القائمين بالاتصال فى أحد مجالات الإعلام وأشارت إلى أن البحوث المصرية التى حاولت الاقتراب الميدانى من هذا الموضوع اتسمت بالتوزيع بين أهداف بحثية لا تجعله محوراً أساسياً للدراسة. والهدف الآخر من الدراسة يبغى إلقاء الضوء على القائمين على الاتصال فى مجال الإعلام الدينى المباشر من خلال التليفزيون بدراسة وتحليل كيفية أدائهم لوظيفتهم، وتحديد العوامل المؤثرة فيه والتى تسهم فى النهاية فى مدى فاعليته. ومن ثم فهذا البحث يستكمل دراسة الجوانب المختلفة المتعلقة بالإعلام الدينى. ويتضمن هذا البحث هدفين أولهما نظرى والآخر علمى.(نجوى الفوال، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد ٣٣- العدد٣).

المثال الخامس بحث «البغاء فى القاهرة» والغرض من البحث التعرف على ظاهرة البغاء. بوصفها ظاهرة اجتماعية ذات تركيب وخصائص. وهذا البحث يزودنا ببيانات توضح لنا أعمار البغايا وجنسياتهم ودياناتهم ومدى انتشار أسماء الشهرة بينهن... كما يهدف البحث إلى معرفة مدى الارتباط بين ممارسة البغاء وهجرة الإناث إلى المدينة الكبيرة.(البغاء فى القاهرة، مسح اجتماعى. المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية).

وفى الحقيقة فإن الهدف الرئيسى من البحث العلمى، بل وسبب وجوده إضافة أفكار جديدة إلى الأفكار التى بدأ منها الباحث، أو اختبار هذه الأفكار، ليثرى البحث، ويراجع ويحدد ويلائم النموذج النظرى أو يطرح جانباً

النموذج التصورى. فالبحث الاجتماعى الميدانى والدراسات الحقلية ليست مجرد جمع الوقائع. بل محاولة لإضافة جديد يخفف من مشكلات الإنسان وليزيد من فهمه للعالم.

وقد يكون هدف البحث تقديم خدمات للجهة السياسية أو إحداث تغيير اجتماعى أو فهم التغيرات التى حدثت فى المجتمع أو اختبار قضية من قضايا النظرية الاجتماعية بهدف تفنيدها أو تدعيمها، أو صياغة نظرية جديدة.

والهدف من البحوث الاجتماعية معرفة أسباب الأحداث أو الظواهر الاجتماعية أو العلاقات الاجتماعية والأفعال والآراء أو تفسير ظهور القيم الاجتماعية وتغيرها أو كمونها، ومن ثم تساعدنا الأبحاث الاجتماعية على قياس التغيرات الاجتماعية، وتصف لنا الأبحاث الاجتماعية طبيعة الحياة الاجتماعية فى المجتمع، وخصائص الثقافة السائدة، وبإيجاز تخبرنا الأبحاث الاجتماعية من نحن؟ وثمة شك ضئيل فى جدوى الأبحاث الاجتماعية، وقدرتها على زيادة معارفنا بأنفسنا، وتخفيف معاناة الإنسان فى بلدان العالم الثالث.

وباعتبار أن الطالب درس مقررات العلوم الاجتماعية فى المرحلة الجامعية الأولى وتزود بمقررات أساسية فى مرحلة الماجستير، وسلح نفسه بالقراءة الجادة فى مرحلة الدكتوراه لكتابات اساتذة أفاضل ملمين بالعلم الاجتماعى، فسيجد أن كتابة بحث يرتبط بموضوع اجتماعى يحقق غرضين:

الغـــرض الأول :- يتعلم الطالب كيف يفكر فى الموضوع الذى يدرسه ويحدد مشكلة البحث، وكيف يصوغ الفروض، وكيف ينفذ كل خطوات هذا البحث من جمع البيانات وتحليلها وتفريغها، ويكتسب الباحث أثناء تنفيذه هذه الخطوات خبرات عديدة تفيده فى حياته المهنية، كما تثري معلوماته عن المجتمع، ويزداد معرفة بأن اجراء البحوث يهدف تحسين المجتمع وخدمة

المواطنين، وتحول الباحث الى مواطن ملتزم.

الغرض الثاني :- يتعلم الباحث ويدرب كيف يعد ويصمم وينفذ بحثاً، هذا من جهة، كما يتعلم كيف يقيم ما ينشر من أبحاث، أو يناقش فى حلقات البحث ما ينشر من أبحاث. وبهذا يستطيع أن يعرف مواطن القوة والضعف فى الأبحاث المنشورة أو التى يساهم فيها، وتلك المعرفة ضرورية وأساسية لتقدير صدق أو زيف تلك البحوث.

*** المفهومات**

قبل صياغة الفروض، يتعين تحديد وتعريف المفهومات التى ينطلق منها البحث، ولكل علم مفهوماته. والباحث الاجتماعى عندما يكتب يستخدم مفهومات علم الاجتماع. وكل مفهوم من مفهومات العلم الاجتماعى له معنى حقيقى ويرمز إلى أشياء ملموسة توجد فى العالم الاجتماعى المحيط بالباحث، ويدل على علاقات حقيقية متواجدة بين الظواهر أو الأشخاص داخل المجتمع، ويرشد إلى تفاعلات تتحقق فى مواقف إجتماعية يدرسها الباحث ويستطيع أن يشاهدها ويسأل عن أسبابها ونتائجها. وهذه التفاعلات متعددة ومتباينة وقد تدل على ظواهر سوية أو مرضية، أو تشير المفهومات إلى أنماط سلوك طبيعية أو تومئ إلى شكل من أشكال الانحراف الاجتماعى.

والمفهوم مصطلح اتفق على معناه وأُقِرَّ به، ويعبر عنه فى لغة اصطلاحية. وتدل المفهومات على المتغيرات محور الدراسة، وتقتصر وظيفة المفهوم على توضيح قابلية الفعل للفهم، ويدل على مسماه ويميزه عن بقية الأنواع الأخرى من الأفعال أو أنماط السلوك أو النظم أو الظواهر.

ومفهومات علم الاجتماع تختلف عن مفهومات علم النفس وعلم الاقتصاد وعلوم الفقه وعلم السياسة والفلسفة، ومفهومات علم الاجتماع هى التى تجعل النشاط محور الدراسة نشاطاً اجتماعيا وليس سياسياً أو اقتصاديا وليس نفسياً.

وقبل أن ندرس مفهومات علم الاجتماع، علينا أن نعرف ما المقصود بالمفهوم وإن نبين لماذا تعد المفهومات ذات أهمية؟ وببساطة فالمفهوم لفظ أو اصطلاح عام يشير إلى مجموعة خاصة من الموضوعات أو الأحداث أو العلاقات او الأشخاص أو العمليات.

ولكن قبل أن ننطلق إلى الأمام نبين أن الباحث يسأل نفسه فى بداية البحث، ما المفهومات التى استخدمها؟ وكيف أحددها؟ وما المفهومات الملائمة للدراسة؟ وكيف أختارها من بين مفهومات كثيرة لكى لا أضل ولا أنسى، لكى أوجه البحث التوجيه السليم.

ويرى تسلر أن الخطوة الأولى فى البحث (Tessler, p.103). هى اختيار المفهومات الملائمة، ثم تحديد هذه المفهومات، وتعريفها وبحث مدى إمكانية وضع هذه المفهومات فى إطار التجريب والقياس، وإن تعذر قياسها تستبعد، وهذه المفهومات التى تخضع للقياس تدل على متغيرات.

ولغة العلم الاجتماعى غير لغة العلوم الرياضية والكيمياء والفيزياء. فالعالم الاجتماعى لا يستخدم الرموز بل لغة الحياة اليومية. ومن مفهومات علم الاجتماع الشائعة والتى يتحدث بها ويتداولها غير المتخصصين: المشاركة السياسية والاغتراب والقومية والتنشئة الاجتماعية، والمجتمع المحلى والقرية والمدينة والطبقة الاجتماعية والمساواة، وتحديد النسل، والتدين والتحديث والعولمة ومقاومة الاحتلال والدافع إلى الإنجاز والعنف والإرهاب. وهذا المفهوم الأخير تزايد استخدامه بعد يوم الثلاثاء الحزين ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ولكن الفرق بين استخدام الرجل العادى أو الصحفى والباحث الاجتماعى لهذه المفهومات أن الباحث مطالب بتبرير إستخدامه للمفهوم (فرانسوا هيران ص١٦) وتحديده وتعريفه.

وإذا كانت المفهومات غير واضحة، وغير محكمة، مثل مفهوم الإرهاب الذى شاع استخدامه، كان الفرض مبهما وغامضاً، وأصبح الباحث كمن يحاول استخراج الماء من الحجر. ولذا فمن الأهمية صياغة المفهوم صياغة واضحة محكمة، والتعبير عنه بكلمات واضحة، أما إذا كان المفهوم غامضاً، فسيجد

الباحث صعوبة فى قياسه وفى استقراء قضايا محكمة بل فى صياغة أسئلة استمارة الاستبيان أو المقابلة أو ملاحظة علاقات الناس وسلوكهم، إذ سيتشابه عليه ما يلاحظه ما دامت المفهومات متشابهات. ولنا أن نتصور حيرة الباحث وتعثره لو كان يدرس مفهومات غير محددة مثل القوة أو الثقافة أو الأرهاب أو البلادة أو الاغتراب أو البروليتاريا. وإذا لم ننجح في تحديد المفهومات، ونتفق على تعريفها، صعب علينا الوصول الى نتائج موثوق فيها (Palmer, p. 106)، مما يصيب الباحثين بالإحباط واليأس.

والباحث فى بداية بحثه يتعين عليه أن يجيب على السؤالين التاليين:

١- هل يتضمن تصميم البحث كل المفهومات المناسبة المستخدمة فى البحث الاجتماعى.

٢- هل تقبل هذه المفهومات القياس.

ولكن إذا ما فتحنا قواميس علم النفس نجدها تشرح مفهومات مغايرة ،مثل الانعكاس والدوافع والشخصية والتجربة الانفعالية والقدرات والتفكير الحدسى وتناقض المشاعر والتعصب والذكاء والعصاب والهستيريا والفعل القهرى. أما قواميس علم الاقتصاد فتسهب فى توضيح مفهومات مثل الجات والأجور الحقيقية والائتمان والدخل وسوق النقود وسيادة المستهلك والجمعيات التعاونية والسيولة وقيمة الإنتاج وأجور إسمية والريع. والمراجعة الدقيقة لمفهومات علم الاجتماع تبين أنها تختلف عن مفهومات علم النفس وعلم الاقتصاد.

والحقيقة أن أكثر المفهومات التى نختبرها فى أبحاثنا مستوحاة ومستعارة من المنظورات الاجتماعية الرأسمالية، ونحن عاجزون عن إبداع مفهومات عربية أصيلة تنبع من واقعنا، وتعكس تجاربنا وظروفنا. مثلما نجح ابن خلدون وأبدع مفهومات مثل علم العمران والعصبية وتأثير البداوة والحضارة فى أخلاق أصحابها، وقد خصص إبن خلدون ما يقرب من ثلثى المقدمة فى موضوع الدولة وكيفية نشوء الدولة وتوسعها وعمرها وانقسامها وانقراضها وقوام الدولة. والبداوة مقابل الحضارة والعمران الحضاري ووجود المعاش والرئاسة فى المجتمع البدوى والملك فى المجتمع الحضرى والرزق والكسب والترف والسخرة

والصنائع الإنسانية (خليل شرف ص ص ١٥٠-١٥٥). والنتيجة المترتبة على عدم توفيقنا فى صياغة مفهومات إجتماعية واقعية تنبع وتعكس ظروفنا التاريخية والاقتصادية والسياسية، أننا لم نوفق فى فهم مجتمعاتنا.

وثمة مسألة تحتاج إلى وقفة ومراجعة مع الذات، تلك المسألة أننا نكرر ونعيد إنتاج المفهومات الغربية فى المجتمعات العربية، بل فى بلدان كثيرة فى العالم الثالث، وهى بلدان تختلف عن بلدان المنشأ فى عقائدها الدينية وتاريخها وعاداتها وتقاليدها ونظمها الاقتصادية والسياسية والتعليمية، ونحاول اختبارها فى مجتمعاتنا، ومؤشراتها وجذورها الواقعية كامنة فى المجتمعات الغربية التى تختلف عنا فى ثقافتها. والبحث عن مؤشرات واقعية حقيقية لهافى مجتمعاتنا أمر يتطلب الحذر. ومن المفهومات التى نحاول أن نختبرها فى مجتمعاتنا مفهوم الصراع الطبقي، وهذا المفهوم بمعناه الغربى مضلل. ايضا مفهومات مثل الدافع إلى الإنجاز والرأسمالية الصناعية، والاغتراب ، والتباين الطبقى، والشعور الدينى عند الطبقة العاملة، والضغوط التى تواجه البيروقراطية، والعمومية مقابل الخصوصية عند بارسونز والحراك الاجتماعى عند سوروكين فى مصر الوسطى والمادية التاريخية.

وعندما نعرف مفهومات البحث التى نستعين بها عند إجراء وتنفيذ البحث، فإننا نعرف طبيعة وحدود منظور علم الاجتماع الذى نستعين به فى التحليل والتفسير وهل هوالبنائية أو الصراع أو التفاعلية أو التبادلية، مثلما نوضح الجوانب الخاصة للحقيقة الاجتماعية التى سنتصدى لدراستها.

إن المسألة المهمة أمام الباحث الاجتماعى هى تحديد المفهومات التي تتداول فى علم الاجتماع وتعريفها.ولما كانت المعرفة فى علم الاجتماع مثل المعرفة فى كل العلوم الأخرى ،أى أنها معرفة تراكمية وتجريبية فكل المفهومات والقضايا التى يقوم عليها العلم، ليست ثابتة وجامدة بل متغيرة لها دلالتها فى الواقع الذى تعبر عنه. فالمفهومات لا تنبثق من فراغ، بل جزء من تمثلات وتصورات عقلية حقيقية ، نشأت فى الواقع الاجتماعى وتعبر عنه.

والحقيقة أن الخطوة الأولى التى تدل على نضوج علم الاجتماع هى تمكنه من

تحديد المفهومات الأساسية، إذ تقدم لنا هذه المفهومات الأدوات العقلية التى يستخدمها الباحث الاجتماعى وتستخدم هذه المفهومات لتحديد الظواهر التى يدرسها الباحث الاجتماعى، فكل علم يحدد مفهوماته الأساسية التى يصوغ بها مشكلاته وطرق دراستها .

وإذا لم نعطى اهتمامنا لتحديد المفاهيم الأساسية فى أى علم حديث التكوين كعلم الاجتماع فإننا نواجه بهجوم على اللغة الصعبة وغير المفهومة المستخدمة بين الاجتماعيين وغيرهم. وقد نتهم باستخدام مصطلحات شائعة أو باستخدام مفهومات غير مألوفة، أو باستعمال كلمات غامضة لوصف ظواهر مختلفة شائعة، وقد يتعذر التفاهم بين العلماء ويصعب فهم قضايا العلم بسبب كلمة يستعملها أحدهم ولا يستعملها الآخر أو كلمة أعطاها أحدهم معنى أنكره الآخر عليه، أو أعطاها معنى مغايرا. (أحمد تيمور ص ص ٥-٦).

وكما نعرف فإن علم الاجتماع يهتم بصور كثيرة مألوفة عن الحياة الاجتماعية مما يجعل الرجل العادى يفكر فى أننا لسنا فى حاجة إلى مفاهيم جديدة خاصة بعلم الاجتماع. أو أننا لسنا محتاجين إلى تحديد المفهومات التى استخدمها العلم، فكل عضو فى المجتمع يعرف شيئاً ما عن الظواهر الاجتماعية وكيفية أداء النظم الاجتماعية لوظائفها لكى يؤدى هو وظائفه، وكل شخص قادر على أن يقدم لنا تفسيرا ممكنا ومقبولاً لبعض أفعال الناس الذين يرتبط بهم. ولا ريب أن سلوك الناس وأسباب هذا السلوك يمكن أن يوصفا باللغة المتداولة بين الناس.ولكن إذا ما استخدم دارس السلوك الإنسانى مفهومات خاصة به وحده لوصف الأفعال العامة، أو يستبدل بتفسيرات العامة أحكاماً تتضمن فى أحوال كثيرة كلمات غير مألوفة، فإن هذا يزعج الشخص غير المتخصص، حتى أن بعض الباحثين قد ينكر إمكانية إجراء أى تفسير اجتماعى لهذا السلوك سواء أكان علمياً أم غير علمى. وحتى يثبت العالم الاجتماعى أنه قادر على المساهمة بنجاح فى رفاهية مجتمعه، فعليه أن يتحدث بلغته الخاصة إلى المهتمين فى مجال تخصصه، ولما كانت المعرفة قوة فأحياناً ما يشك الناس فى أمر هؤلاء الذين يعرفون كثيراً ويتحدثون بلغة لا تفهم بسهولة. وفى الحقيقة فإن أحد القضايا الأخلاقية التى تواجه علماء الاجتماع أنفسهم هى بالتحديد اللغة الاجتماعية غير

المفهومة.

وبدون تحديد المفهومات، لن نقيم علم اجتماعى خاص بمنطقتنا وما العلم إلا مفهومات مترابطة تستند إلى منهج تصورى. بل ولن نستطيع إجراء بحوث موثوق فى نتائجها.

وتتميز المفهومات العلمية عن الكلمات العادية بأنها كلمات أدق تحديداً فى تجريدها وعموميتها، كما أنها كلمات تستخدم استخداما منطقياً منظماً. ونحن فى محادثاتنا اليومية نسلم بمعانى الكلمات التى نستخدمها، مفترضين أن الآخرين يعرفون ما نقول. وهذا الافتراض سليم لأسباب عديدة رغم أن بعض الكلمات لها أكثر من معنى.

فكلمة وظيفة لها أكثر من معنى وكذلك كلمة أسرة التى قد تشير الى الأسرة المعيشية وإلى الوالدين والأخوة والأخوات وإلي الأقارب. ولكن سرعان ما يتحدد معنى الكلمة خلال السياق الذى تستخدم فيه، كذلك هناك كلمات كثيرة لكل منها أكثر من معنى تدل عليه، كما لا تفهم من خلال السياق الذى تستخدم فيه، فإذا ما أردنا أن نحدد معانى كلمات مثل الحرية أو الدمار أو المحافظة التقليدية أو حتى الشيوعية أو الوحدة أو مفهومات لا تمت إلى السياسة بصلة مثل الطموح والنجاح والصداقة والعولمة، فإننا نرى بسرعة أنه لا توجد معانٍ سهلة بسيطة لهذه الكلمات يتفق عليها الناس.

والمشكلة أن علم الاجتماع لا يشبه العلوم الأخرى إذ أنه يستخدم كلمات ومفهومات سائدة فى الحياة اليومية، فبعض هذه المفهومات مثل الثقافة، والجماعة، والدور، والمركز، والقوة، والسلطة، والوظيفة، والجنس والبيروقراطية، أصبحت مفهومات اجتماعية مهمة، ويتطلب تعريف هذه المفاهيم تحليل الأشياء التى يشير إليها كل مفهوم، وإذا ما عرفنا المفهومات علينا أن نستخدمها بحرص، مستبعدين من علمنا أى خلط أو لَبْس.

والمفهومات المستخدمة فى علم الاجتماع مفهومات محددة ومجردة من كل حكم أخلاقى أو معنى عاطفى. فهى مفهومات لها دلالة علمية أى أنها مفهومات

تشير إلى أنماط أو مجموعات من الأحداث أو الأشخاص والعلاقات إشارة مجردة خالية من أى حكم زمنى أو مكانى مثل الثورة والتعاون والديكتاتورية والصفوة أو الصراع.

وهنا يجب أن نشير الى قضية مهمة مؤداها عدم اتفاق علماء الاجتماع على تحديد كل المفهومات وتعريفها، وقد يستخدمونها بحذر بوصفها مفهومات اجرائية، ويرجع هذا الخلاف إلى حداثة تاريخ العلم الاجتماعى تطوره السريع.

ومن ثم يتعين على الباحث الاجتماعى، أن يقتنى قاموساً يشرح مفهومات العلم الاجتماعى، وليعرف من خلال القاموس شرح معانى الكلمات واستخداماتها المختلفة. فكثير من المفهومات التى تتداول في الحياة اليومية تتضمن معان كثيرة ودلالات متعددة، ولذا يختار الباحث المعنى المعين المحدد للمفهوم قبل الكتابة.

فمن الضرورى أن يعرف المقصود بكلمة معيار Norms ، والمقصود بكلمة أسرة، والفرق بين الأسرة والعائلة، وأن ثمة فرقاً بين الاستخدام العلمى لكلمة بيروقراطية والاستخدام الشائع لها.

والقواميس العربية التى تدلنا على المعنى المقصود المحدد للفظ إذا كان اللفظ مبهماً محدودة العدد وأكثرها مترجم ونعرض أسماء بعضها لنساعد الطلاب الوصول إليها.

١- إبراهيم بيومى مدكور: قاموس العلوم الاجتماعية تأليف وليم كولب وجوليوس جولد، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٥.

٢- محمد محمود الجوهرى، موسوعة علم الاجتماع، تأليف جوردن مارشال، ترجمة محمد الجوهرى وآخرين، القاهرة المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٠.

٣- وزارة الثقافة: المعجم الديموجرافى. المجلد العربى. ترجمة عبد المنعم الشافعى وعبد الكريم اليافى، القاهرة، دار الكتاب العربى ١٩٦٧.

٤- عادل الهوارى: موسوعة علم الاجتماع، تأليف ميشيل مان، وترجمة

عادل الهوارى وسعد عبد العزيز مصلوح. بيروت، مكتبة الفلاح، ١٩٩٤.

٥- ميتشيل: معجم علم الاجتماع- ترجمه احسان محمد الحسن- بيروت- دار الطليعة ١٩٨١.

٦- محمد عاطف غيث (محرراً) قاموس علم الاجتماع. القاهرة. الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٩.

والأمر اللافت للانتباه أن المفهومات التى يستخدمها الباحثون الاجتماعيون هى نفسها المفهومات المتداولة فى الحياة اليومية، ولذا فمن الضرورى أن يعرف المفهومات التى يستخدمها تعريفا محددا، أى يحدد المعنى الاجتماعى للكلمات التى يستخدمها ودلالتها الاجتماعية.

هذا وقد تضمن كتاب البحث الاجتماعى تاليف تيودور كابلو وترجمة محمد الجوهرى ترجمة للمفهومات العشرين الاساسية فى علم الاجتماع (كابلو ص ص ٣٧- ٦٣).

صياغة الفرض:

بعد اختيار موضوع البحث وتحديده وتحديد المفهومات، يطرح الباحث على نفسه السؤال التالى: ما الذى يريد أن يتقصى عنه فى الموضوع الذى يود دراسته؛ وإذا كان موضوع الدراسة العلاقات الأسرية، فقد يهتم أحد الطلاب بدراسة العوامل التى تؤدى إلى دعم أو فتور العلاقات بين الزوجين، وقد يهتم آخر بأثر تعليم الزوجة على علاقاتها بأولادها. الشئ المهم الأول الذى يحتاج الباحث أن يفهمه عندما يصمم بحثاً، هو ضرورة صياغة أسئلة البحث بحرص أو صياغة القضايا التى يتقصى عن إجابات لها صياغة محكمة.

إذا ما سأل سائل ما الذى يجعل الزواج ناجحاً، فمن المحتمل أن يحصل على إجابات واضحة من أغلبية المجيبين والمجيبات، ولكنها إجابات لا تتعلق بالعلاقات الزوجية بسبب التقاليد السائدة فى مجتمعنا أو الحياء أو تميز تلك العلاقات بالخصوصية.

إذا ما سألت فى عقد الستينيات ما أسباب اختيارك لعبد الناصر رئيساً

للجمهورية قد يجيب المجيبون إجابات واضحة لكنها غير صادقة؛ فشبهة التملق أو الخوف السياسى أو الجهل قائمة.

وسواء أكان البحث عن الانتخابات أم العلاقات الزواجية فى بعض بلدان العالم الثالث، فالأمر اليقينى أنه يتطلب صياغة أسئلة محددة واضحة ولا تثير شك المجيب أو استنكاره بوصفه سؤالاً يرتبط بمسائل خاصة.

وثمة بعض النصائح التى يتعين أن نهمس بها فى أذن الطلاب والباحثين قبل صياغة أسئلة البحث أو الفروض.

وكما خطط الباحث للبحث، فعليه أن ينتقى فكرة مؤقتة تصلح لأن تكون محور الدراسة، أى صياغة فروض تخضع للاختبار، أو طرح أسئلة تحتاج إلى إجابات من الواقع المعاش، لإثباتها أو تفنيدها، فالخطوة الأولى فى الدراسة ليست حقيقة مؤكدة راسخة يمكن أن تثبتها وتؤكدها المعلومات الموثقة إثباتاً مباشراً ولكن الخطوة الأولى في الدراسة تنطلق من فرض أو تساؤلات «تستحق الاختبار» وتخضع للقياس والبرهان والقبول أو الرفض، أو الإثبات والتفنيد، ولهذا الفرض أكثر من نهاية ممكنة.

وتكشف طبيعة الدراسة للقارئ طريق الباحث فى إثبات أو رفض الفروض التى بدأ منها، وكيف يتحقق من النتائج التى وصل إليها، وهل تتفق هذه النتائج مع الفروض أو تفندها، وليس عيباً أن يفند الباحث الفروض، ولكن العيب الأكبر أن يكيف الباحث البيانات التى جمعها للتدليل على صدق الفرض وفق رغبته.

وتحديد الفرض هو الخطوة الأولى فى البحوث التجريبية والبحوث التفسيرية مثلما هو الخطوة الأخيرة فى البحوث الوصفية، أذ قد ينبثق أثناء الدراسة الحقلية قبل المرحلة الأخيرة.

وتثبت الفروض أن الأفكار والقضايا العلمية تتميز بالمرونة وأن القوانين العلمية نسبية متغيرة، مادامت الظروف والأوضاع متغيرة. وأن ثمة تداخلاً بين النظريات والفروض والملاحظة والقياس.فالفرض لا ينشأ من الفراغ أو من العدم. بل من الواقع المعاش. فالباحث قد يواجه موضوعات كثيرة تثير الحيرة

والتعجب والدهشة، وتحتاج فى الوقت نفسه إلى التفسير والفهم والتوضيح.

فالباحث قد يقرأ نظرية اجتماعية، وتثير بعض قضاياها لديه تساؤلات عن مدى ملاءمتها مع الواقع، كما يحصل الباحث على معلومات تحيره تثير لديه تساؤلات كثيرة وتملى عليه فروضاً يتعين عليه اختبارها لإزالة هذه الحيرة وليجيب على تساؤلاته.

والفروض ليست عبارات فضفاضة، بل قضايا محددة تصاغ صياغة دقيقة محكمة تخضع للاختبار والقياس، على سبيل المثال:

إذا حدث أ حدث ب.

إذا غاب س اختفى ص .

إذا ظهر ك ظهر ل .

فالباحث يهدف من صياغة الفرض البحث عن علاقات بين متغيرات، وتختلف الفروض العلمية عن التساؤلات التى يطرحها الرجل العادى فى كون الفروض تصاغ عادة فى عبارات دقيقة الصياغة أو قضايا خبرية أو تساؤلات تسعى للحصول على إجابات محددة. وتعبر عن ارتباط متغيرين أو أكثر سوياً وبطريقة محددة، وقد يكون الارتباط بين المتغيرات واضحاً أو ضمنيا. وقد يصيغ الباحث الفرض التالى: ثمة علاقة بين مهن الأباء والتطلعات المهنية للأبناء. أو يضع الفرض التالى: تشجيع المدرس لطلابه عامل مؤثر فى الأداء التعليمى للطالب.

وتكشف لنا صياغة هذين الفرضين أن الباحث ترجم بعض القضايا والمشكلات إلى قضايا تخضع للاختبار، ولم يعد الفرض شاردة أو خاطر يخطر علي بال الشخص ويصعب قياسه واختباره.

وبعد أن عرضنا المقصود بالفرض نتساءل. من أين يستقى ويستلهم الباحث فروضه؟

فى البداية، هناك مجموعة من المعلومات والأفكار تكونت لدى الباحث أثناء دراسته المتعمقة فى دراسة النظرية، يسعى الباحث الى اختبارها ليتأكد من مدى

صحتها. فالفروض قد تنبثق من قراءة النظريات الاجتماعية أو الوقوف موقف الشك من نتائج أبحاث أخرى، ومن ثم إعادة اختبارها بغية تفنيدها أو إثبات صحتها. أو قد تعكس الفروض مجموعة من التساؤلات التى تحيط ببعض المشكلات الموجودة فى عالم الواقع الاجتماعى المحيط بالباحث، أى قد تعبر الفروض عن قضايا اجتماعية تؤرق الباحث، أو أفراد مجتمعه سواء، أكانت هذه القضايا محور اهتمام المنظرين الاجتماعيين أم تتصل بقضايا واقعية تعكس التنافر والتعارض الموجود فى عالم الواقع، ويحاول الباحث البحث عن إجابة لها.

وتنبثق الفروض نتيجة ملاحظة التباين بين الواقع المعاش والماضى أو تقصى مدى صحة كتابات المنظرين عن الواقع الاجتماعى ومحاولة إيجاد علاقات سلبية أو ايجابية بين البيانات الاحصائية التى ينشرها الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء ، لمعرفة خصوصية المنطقة الثقافية التى يدرسها الباحث أو التعارض بين ما كتب فى أبحاث سابقة وما ينشر من بيانات معاصرة ومدى ملاءمة ماكتبه الرواد الاجتماعيون مع الواقع الاجتماعى المعاصر فى بلدان أخرى.أو ينبثق الفرض العلمى من القراءات النظرية أو الرغبة فى اختبار نتائج أبحاث سابقة. والحكم الواضح على الفرض النظرى ذى الدلالة المرتبط بأبحاث سابقة أمر حاسم فى تصميم أبحاث مهمة.

وتعمل الفروض على توجيه البحث الوجهة السليمة حيث تشير الى المتغيرات موضع الاهتمام. ومن ثم يفرض صياغة الفرض نوع البيانات المطلوبة وكيفية تحليلها. ولكن ليست الفروض كلها على مستوى واحد من الصياغة، فهناك فروض واضحة الصياغة. محددة تحكمها قوانين المنطق، وهناك فروض غامضة ومتناقضة الصياغة.

فالهدف من الدراسات الميدانية كلها اختبار الافتراضات أو الإجابة على التساؤلات التى صاغها الباحث. فالعلوم الاجتماعية ، فى سبيل الحد الأقصى من الموضوعية، لا تدرس إلا الظواهر التى تخضع للقياس والتجريب لكى تصير مبادئ وقضايا هذه العلوم أكثر يقيناً. وإزاء ذلك يضع الباحث بعض

التساؤلات الأساسية لتسهيل مهمته فى استخلاص النتائج. فالعلم يقام على قضايا فرضية فى البداية ترتبط بالحقيقة التى يمكن أن يستدل عليها. وتساعد هذه الفروض على تعيين اتجاه الباحث لبحث الظاهرة موضوع البحث. والفروض لها أهمية خاصة فى الأبحاث الاجتماعية إذ تلقى بعض الضوء على المشكلة التى يدور حولها البحث. وترجع أهمية الفروض إلى أنها تساعد على تحديد الوقائع وتمحيص المعلومات التى نحصل عليها بواسطة أدوات البحث والفرض العلمى فى الأبحاث الاجتماعية ليس غاية فى ذاته بل وسيلة تساعد على اختبار الوقائع التى يدرسها الباحث دراسة منهجية.

ولكن ما المقصود بالفرض؟

يقصد بالفرض، موجهات الدراسة، التى يسعى الباحث إلى التحقق من صدقها أو كذبها. فالفرض قضية مؤقتة ينطلق منها الباحث العلمى، ويبدأ منها بحثه، بقصد تقصى علاقة ما بين ظواهر معينة، ومن ثم يتعين اختبار هذه القضية فى عالم الواقع لإثبات أو رفض هذه القضية المؤقتة، أو إثبات صدقها أو كذبها.

فالفرض رأى مؤقت أو قضية مؤقتة تخضع للقياس والتجريب (Wilson, p. 106) . ويرى بعض الباحثين أن الفرض قضية وليدة التخمين تدل على مهارة الباحث وسعة اطلاعه وفطنته، أى أن الفرض أمر مؤقت وليد الحدس والتخمين والظن، فهو شعور حدسى قوى، يسعى الباحث من ورائه إثراء المعرفة وتزويدنا بمعارف واقعية ملموسة.وهناك مؤشرات ودلائل ملموسة فى عالم الواقع، تثبت أو تفند الفرض.

ويمكن أن يطرح الباحث الفروض التالية على سبيل المثال

- تناقص معدلات الزواج المتبادل بين أعضاء المجتمعات المحلية.
- تزايد استقلال أعضاءالأسرة الريفية فى المسكن.
- تزايد التسرب من المدرسة فى الريف.
- يساعد التفكك الأسرى على تزايد عمالة الصبية.
- **تزايد معدلات الانتحار كلما ضعف التماسك الاجتماعى.**

- يتضاءل الطلب على السلع كلما تزايدت أسعارها.
- سلبية إتجاهات أهل المدن نحو العمال المهاجرين.

فالسؤال هل هناك مؤشرات يستطيع الباحث بواسطتها قياس واختبار هذه الفروض؟

واختبار الفرض، لا يعنى حسم الأمر، ولا يعنى رفضه أو صدقه المطلق وخلوده، فالفرض رأى وليد التأمل والتخمين ومن المهم قبل صياغته التأكد من وضوح المفهومات.

ولقد انبثق الفرضان الأخيران من قراءات النظريات. فالفرض الأول يرتبط بنموذج حرية التنافس الكامل فى السوق، والفرض الآخر استلهم من دراسة دوركيم الشهيرة عن الانتحار.

وأياً كان مصدر الفرض ومهما تباينت التعريفات فالأهم هو تحديد المفهومات التى يصاغ منها الفرض وتعريفها إجرائيا، وبيان إمكانية ملاحظة وقياس هذه المفهومات.

للفرض العلمى شروط عديدة أهمها :

١- القابلية للاختبار الدقيق وإمكانية إثبات صحة الفرض أو تكذيبه بمعنى ان يصاغ صياغه تيسر الاستقراء منه، ويمكن التحقق منه فى عالم الواقع. ولكن رغم أن إختبار الفرض إجراء أساسى لتحقيق الدقة العلمية وبناء نظرية محكمة فإن وضوح الفرض يرتبط بوضوح المفهومات التى يصاغ منها الفرض (Tesseler, p. 105)، إذ يشترط لصياغة الفرض صياغة محكمة فى عبارات أو قضايا محكمة واضحة، ووضوح المفهومات وتحديد المقصود منها.

٢- اكتساب المعرفة الواسعة فى موضوع البحث.

٣- الاستعداد الشخصى للباحث، أى مستوى الذكاء المرتفع للباحث والقدرة على الحكم. فالمعرفة الواسعة والإحاطة الشاملة بالموضوعات الاجتماعية شرط أساسى لتفسير الوقائع الاجتماعية أو الظواهر

الاجتماعية التى يفسرها الباحث، والتى تبدو لنا جديدة أو غريبة علينا. وقد يستطيع الباحث الاجتماعى أن يفسر تلك الوقائع الاجتماعية، ويكتشف علاقات جديدة بين وقائع ماثلة أمامنا بفضل ما لديه من معارف سابقة عن تلك الوقائع أو وقائع مشابهة. ومن ثم فقدرة الباحث على التخيل عامل مهم فى صياغة الفرض، وينبع هذا الخيال من العالم الواقعى الحقيقي.

وقد حدد ستانلى جيفونز أحد المناطقة الكبار الشروط التى يتعين مراعاتها عند صياغة الفروض كى يكون الفرض مقبولاً ومثمراً ويمكن إثبات صدقه أو تفنيده، وهذه الشروط هى:(محمود زيدان، ص ص ٥١-٥٢)

١- يجب أن يسمح الفرض بإستخدام نتائج يمكن التحقق منها حسياً.

٢- يجب ألا يكون الفرض معارضاً للقوانين الاجتماعية التى سلمنا بصدقها فى الماضى كما يجب ألا يكون معارضاً فى صياغته لقوانين الفكر. وهذه القاعدة مقبولة إذا كان القصد منها حثنا على الحرص والعناية فى صياغة الفرض وهى مرفوضة إذا كان القصد منها إنكار أى فرض يتعارض مع المعارف السابقة، والحقيقة أنه لا مانع من أن يكون الفرض معارضاً لبعض القوانين الاجتماعية التى سلمنا بها، وذلك مادمنا نسلم بخصوصية الظواهر الاجتماعية وتغيرها من مكان لمكان ومن زمان لزمان، فالظواهر الاجتماعية وأنماط السلوك الإنسانى ليست من نوع واحد والمهم عند صياغة الفرض أن تكون الصياغة اللغوية محكمة دقيقة وألا تتعارض مع قوانين الفكر الثلاثة. فالصياغة التالية للفرض صياغة خاطئة.

أ- هناك فروق بن الريف والحضر، مثلما هناك اتفاق بينهما فيما يتعلق بمكونات الثقافة.

ب- يؤثر المجتمع المتغير ولا يؤثر فى تحريك عناصر الثقافة الفرعية.

ج- أحدث الوضع الراهن غموضاً وحيرة ووضوحاً فى مفهوم دورى الأم والزوجة.

د- هناك معايير سلوكية واضحة وأخرى غامضة يمكن جعلها مؤشرات ثابتة لأداء دورى الأمومة والزوجة.

٣- يجب أن تكون النتائج المستنبطة من الفروض متفقة مع الوقائع الاجتماعية، ولها دلالات حسية.

وهنا يتعين التنبيه بأن الفرض المثمر هو ما تؤيده الوقائع التى نلاحظها سواء فى الماضى أو الحاضر أو المستقبل، ولكن إذا ما كذبت الوقائع الفروض فهذا ليس عيباً ولا طعناً فى الفرض، إذ يمكن تعديله. فالفروض ينبغى أن تكون معرضة للخطأ والانتقادات مثلما هى قابلة للاختبار. إن ما يميز العلم عن غيره من أنساق المعرفة هو الاهتمام بتفنيد القضايا الأساسية.

أنواع الفروض :

والفروض أنواع. هناك فريق من الباحثين يصنف الفروض إلى نوعين: النوع الأول الفروض التفسيرية. كأن يدرس العلاقة بين التدين والتعليم ويصاغ الفرض على النحو التالى:

« إرتفاع مستوى التعليم يقوى مشاعر التدين». والنوع الآخر الفروض الوصفية. (Tesseler, pp. 103-104) مثل الناس فى مصر متدينون. ويصف الباحث مشاعر المجتمع وكل المؤشرات التى تعبر عن تدين المصريين في الريف والحضر والرجال والنساء، وخلال أشهر العام. والاحتفال بالمناسبات الدينية، وأثر التدين على سلوكهم واتجاهاتهم. وفى حالة الفروض التفسيرية يتقصى الباحث العلاقة بين متغيرين، المتغير الأول متغير معتمد وهو التدين والمتغير الآخر متغير مستقل وهو التعليم.

ولكن الخطوة الأولى الأهم هى تحديد المقصود بالتدين ومظاهره ومستوياته، والمقصود بالتعليم ومستوياته، ثم تحديد كيفية قياس التدين لإثبات الفرض أو رفضه. وفى مثال لفرض يتقصى علاقة التعلم بالتدين، يتقصى الباحث مظاهر التدين، وكيف يؤثر التعليم فى التدين، وهل إرتفاع المستوى التعليمى يؤثر على التدين، وهل الأميون أكثر تديناً، قبل قبول الفرض القائل أن التعليم يرتبط

ارتباطا ايجابيا بالتدين. والصياغة الدقيقة لمثل هذا الفرض وغيره تساعد علي صياغة نظرية، والمقارنة بين السلوك الإنسانى فى بيئات ثقافية متباينة. (Tes-seler, p. 104)

ولكن هناك تصنيف آخر للفروض فهناك من يصنف الفروض الى الفرض البديل والفرض الصفرى والفرض الإحصائى والفرض العلىّ. وسنحاول شرح كل فرض بايجاز.

١- الفرض البديل :

١- يتعين قبول الفرض البديل إذا ما رفض الفرض الصفرى. إن ما يميز الفرض البديل عن الصفرى، كون أن الفرض البديل حكم إيجابى يبين العلاقة بين المتغيرات التى تدرس.

٢- الفرض العلىّ :

يقرر هذا الفرض أن حدثا ما أو وضعاً معيناً ساعد على وجود خصائص حدث آخر. أو يعبر عن علاقة بين متغيرين، فإثبات هذا الفرض يؤكد وجود علاقة عليه أو ارتباط سببى بين متغيرين مثل العلاقة بين الطبقه والتعليم، أو بين العمر والانجاب أو التعليم، وتأخر سن الزواج. أى السبب والنتيجة.

٣- الفرض الصفرى :

فرض لا أهمية له، ولا يكشف عن علاقة بين متغيرين. والفرض الصفرى يقرر عدم وجود فروق بين مجموعتين من الخصائص أو جماعتين أو عدم وجود علاقه بين المتغيرات موضوع الدراسة. ويستخدم الفرض الصفرى فى الدراسات التجريبية. وقد يرفض عند مستوى دلاله إحصائية معينة. وعندما يرفض الفرض الصفرى يتحول الباحث إلى فرض بديل.

ويصوغ بعض الاجتماعيين الفرض الصفرى وفى اعتقادهم أن البيانات ستؤدى إلى رفضها. ويدعى أنصار الفرض الصغرى أن استخدامه قليل ونادر رغم أنه يقرر وجود علاقات ممكنة بين البيانات ويساهم فى تحقيق الموضوعية عند بدء التجربة، واضعا افتراضاً مؤقتا مؤداه أن الدراسة التجريبية لن تؤدى

إلى فروق حقيقية بين الجماعة التجريبية والجماعة الضابطة (محمد الجوهرى، ص١٠٦٢).

٤- الفرض الإحصائى :

فرض محدد يختص بتوزيع قطاع من السكان؛ ويقرر وجود مؤشرات ومقاييس سكانية لقياس خصائص السكان. ويدل على رأى مؤقت يحاول تفسير بعض العلاقات أو الظواهر من أجل الوصول إلى معرفه واقعيه ملموسة.

ومثل كل الفروض الأخرى، يقبل الفرض الإحصائى الاختبار التجريبى، وتعقد المقارنات بين البيانات لبيان مدى دلالتها ومغزاها. وعلى خلاف الفرض العلمى يشير الفرض الإحصائى إلى قطاع من الناس، ولا يؤكد أو يوحى بسبب وجود خصائصهم.

ومن مزايا الفروض :

١- انبثاقها من الواقع، فالفروض عادة وليدة التجربة والمعايشة والاطلاع ولا تنبع من فراغ، وإمكانية التحقق من صدقه أو كذبه فى عالم الواقع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

٢- تساعد الفروض الباحثين على صياغة أفكارهم التى تعترك فى عقولهم صياغة محكمة واضحة محددة وتضفى عليها طابع الواقعية.

٣- تخضع الفروض للاختبار الدقيق، ويترتب على الاختبار إما إثبات صدق الفروض وصحتها أو تفنيدها وتكذيبها، ولا يعد تكذيب الفرض عيباً فى الصياغة إذ قد يكون التكذيب مؤقتاً وإلى حين.

٤- توجه الفروض البحث وتحدد البيانات المطلوبة، والطريقة الأفضل لجمع البيانات، ونوع التحليل.

٥- الاستفادة من المصادر الرئيسية والثانوية لصياغة فرض محكم.

٦- السعى إلى الحصول على بيانات وإجابات كافية دقيقة على الأسئلة التى طرحها الباحث. (Blumer, p. 3)

٧- تفسير الواقع تفسيراً علميا من خلال بيانات واقعية ملموسة لا من خلال معلومات وبيانات غير ملموسة لا توجد فى عالم الواقع.

٨- تستخدم الفروض فى تحديد مجالات الدراسة، والروابط الاجتماعية وأنماط السلوك التى تخضع للملاحظة والقياس، واكتشاف العلاقات بين المتغيرات، كما توجه الباحث، وتحدد له ما يسأل عنه أو ما يلاحظه ومن يسأل؟ ومن يلاحظ؟ وبناء استمارة الاستبيان أو المقابلة، ونوع البيانات المطلوبة.

٩- تساعد الفروض على تفسير أنماط الحياة الاجتماعية.

١٠- تساعد على اختبار النظريات ومن ثم تدعيمها أو تكذيبها.

فالفروض أدوات عمل مفيدة فى البحث الإجتماعى، تنبثق وتولد من مشكلات البحث، وتساعد على وصف وتفسير الظواهر المتكررة بانتظام فى عالم الواقع، وتفيد الباحثين على صياغة أفكارهم صياغة واضحة دقيقة عما لاحظوه أو سألوا عنه.

يتطلب البحث المفيد الجيد السليم منهجياً وجود مشكلة تحتاج إلى حل، سواء كانت هذه المشكلة قائمة في عالم الواقع المعاش الاجتماعى، أم مشكلة نظرية تحير قارئ نظرية ما، وتثير لديه تساؤلات تحتاج إلى إجابات فيتصدى الباحث للعثور عليها وتؤدى بطريقة منظمة، مما يدعم النظرية، أو تفنيدها، أو تعديلها.

وتبحث الفروض عادة عن علاقات بين عالم الواقع وقضايا النظرية الاجتماعية ،أو يتقصى الباحث عن علاقات بين البيانات والإحصاءات التى يصدرها الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء أو الهيئات العلمية، أو تصدرها مراكز البحوث. فالفروض عادة تعبر عن معاناة الباحث الملتزم الجاد لمشكلة تتعلق بقضايا النظرية الاجتماعية أو مشكلة ترتبط بالواقع الاجتماعى المعاش، وتثير المعاناة بالمشكلة تساؤلات لدى الباحث، ولا يترك الباحث هذه التساؤلات بلا حل، بل يبحث عن إجابات لها. مما يؤدى فى النهاية إلى تدعيم النظرية أو تفنيدها ويترتب على ذلك رفض الفهم الشائع والخاطئ أن العلم مجموعة من

الوقائع الثابتة الراسخة (Blumer Martin, p. 3)، وقد يطرح الباحث تساؤلات عن مدى صحة قضايا نظرية ما، أو قضايا طرحها عالم اجتماع من جيل الرواد أو جيل المعاصرين أو مدى ارتباط هذه القضية بالواقع المعاصر، ويسأل هل نظرية علم الاجتماع نظرية عامة أم لها خصوصية ثقافية واجتماعية وبالإضافة الى المعاناة التى يعانى منها الباحث، والتى تولد فروضاً علمية تختبر فى عالم الواقع؛ فقد تنبثق الفروض من ملاحظات الباحثين للتناقض الموجود حولهم بين عالم الواقع وقضايا النظرية الإجتماعية أو التعارض بين أحوال العالم الحاضر المعاصر وأحوال الماضى، ويسأل الباحث نفسه، ماذا حدث للمصريين؟ وقد يدرك الباحث التناقض والتعارض الموجود بين نتائج أبحاث سابقة وبيانات معاصرة نشرت فى السنوات الاخيرة، مما يدفعه إلى البحث عن تفسير لهذا التعارض والتناقض. وصياغة فروض تفسر هذا التناقض.

العينــات

اختيار عينة الدراسة

ويواجه الباحثون عادة- وخاصة الباحثون المبتدءون- مشكلة الأعداد الكبيرة لأفراد المجتمع، ومن هنا تظهر صعوبة دراسة المجتمع كله، لما يترتب على ذلك من تكاليف مالية باهظة، ووقت طويل وجهد بشرى. ويجد الباحث بل تجد الهيئات العلمية ومراكز البحوث صعوبات جمة أمام دراسة المجتمع كله أو الحصول على بيانات من كل أفراد المجتمع. والحقيقة التى تغيب عن كل الباحثين، أن دراسة المجتمع كله «ليس هدف كل بحث اجتماعى». (Johnson: p. 208)

ويتجه الباحث عادة إلى دراسة عدد صغير من الناس، قد يمثلون المجتمع الكبير أفضل تمثيل أو لا يمثلون هذا المجتمع، وتوجه إلى هذا العدد بضعة أسئلة أو يلاحظ الباحث سلوكهم أو التفاعلات المتبادلة بينهم فى موقف محدد. وهذا الجزء الصغير يعرف بالعينة أو مجتمع البحث.

ونقصد بمجتمع البحث دراسة قطاع معين من الناس أو مجموعات من الناس أو بضع أنظمة اجتماعية أو بضع مؤسسات فى فترة محددة. وليس دراسة كل

الناس وكل الانظمة؛ ويترتب على اختيار هؤلاء الناس لدراستهم تمثيلهم لخصائص مجتمع الدراسة، وعدم طمس هذه الخصائص. واختيار جزء من الكل يتطلب تحديد فترة زمانية لإجراء الدراسة قد تكون طويلة أو قصيرة، كما يتطلب تحديد مجتمع البحث وبعبارة أدق تحديد من ندرس؟ وهل الدراسة على المستوي القومى أو على مستوى مدينة ما؟ أو على مستوى محافظة معينة أم على مستوى الحى؟ أم مستوى المصنع أو الجامعة أو المدرسة؟. وهل الدراسة بقصد التحليل أم التمثيل؟

ومشكلة البحث هى التى تحدد فترة البحث، ومستوى الدراسة، ومجتمع البحث. فالباحث الذي يدرس اتجاهات المواطنين من الإرهاب أو اتجاهات الطلاب الجامعيين العرب من الانتفاضة الفلسطينية فى الأراضى المحتلة أو أنماط استهلاك الأسرة الحضرية ،أو سلوك التلاميذ فى المرحلة الابتدائية، أو تأخر سن زواج الجامعيات، أو تسرب البنات القرويات من المدرسة للزواج، أو افتتاحيات الصحف اليومية يتعين عليه أن يدرس كل موضوع فى فترة زمانية محددة وعلى مستوى قطاع معين من السكان تلافياً لصعوبات كثيرة.

ولكن قد تختار العينة بطريقة عمدية غرضية لاختبار فروض الدراسة والإجابة على تساؤلات التي يطرحها الباحث لصعوبة الحصول علي عينة ممثلة عشوائية، ويطلق على الوحدات أو الأفراد الذين يدرسهم الباحث «عناصر الدراسة (Johnson, p. 208) فالعينة قد تكون أفراداً مثل عينة من التلاميذ المتفوقين أو عينة من العمال غير المواظبين على العمل أو الطالبات المقيمات فى المدينة الجامعية أو ربات البيوت اللاتى يعانين من عدم الاستقرار الأسرى، وقد تكون العينة بضع مدارس أو بضع حوانيت أو بضع ورش يعمل بها الحرفيون أو بضع منازل لدراسة الأسر المعيشية أو بضعة تنظيمات اجتماعية أو بضعة أندية أو نادياً واحداً اختير عشوائياً.

ومجموع السكان ،أو مجموع التنظيمات أو المنازل، هو العدد الكلى للعناصر التى تستهدفها مشكلة البحث وتحاول دراستها. وينصح طلاب المرحلة الجامعية الأولى خشية الغرق فى البحر الواسع للبحوث، اختيار العينة من داخل الجامعة

أو المنطقة السكنية القريبة من الجامعة، كأن يدرس الطالب أثر الجامعة على تغير اتجاهات الطلبة أو الطالبات أو ما الخصائص المفضلة للشباب المقدم على الزواج، أو اتجاهات الطالبات من تحديد النسل، أو سلوك الطلبة والطلبات فى الكليات العملية والنظرية، ومدى الاستفادة من الأنشطة الطلابية أو المشاركة فى انتخابات الاتحادات الطلابية أو اتجاهات أعضاء هيئة التدريس من نظام الفصلين الدراسيين- أو أثر الجامعة فى المنطقة المحيطة بها، ولما كان من الصعوبة بمكان على الطالب المبتدئ أن يدرس كل طلاب الجامعة أو يدرس جميع المنازل أو المصانع فى المنطقة التى تحيط بالجامعة، لذا كان لزاماً عليه أن يختار جزءاً من الطلاب أو بضعة منازل من منازل المنطقة المحيطة بالجامعة.

ولكن ما المقصود بالعينة؟ وما أنواع العينات؟

تعنى العينة دراسة مجموعة مختارة من الناس من بين كل أفراد المجتمع دون تغيير خصائص المجتمع، أى اختيار جزء من الكل، يعبر عن الكل ويعكس خصائصه لاستحالة دراسة المجتمع كله، وقد يمثل أفراد العينة سكان المجتمع موضوع الدراسة وفى مقابل البحث بالعينه هناك المسح الشامل.

ويعرف المعجم الديموجرافى العينة بأنها دراسة جزء من المجتمع بقصد الحصول على المعلومات الخاصة بهذا المجتمع وذلك بدلاً من دراسة جميع مفرداته، ويسمى هذا الجزء المدروس العينة، أما المجتمع فهو مجموعة من المفردات موضع البحث أو الدراسة. قد تكون المفردات هى الأفراد أو الأسر أو الأسر المعيشية أو مجموعة منازل أو مدن أو مساحات (عبد المنعم الشافعى ص٣٢).

ويتعين أن نفرق بين التعداد العام والعينة. فالتعداد يهدف حصر كل السكان والحصول على بيانات عن حال السكان فى وقت معين، وغالباً ما تعد وتحصر كل سكان المجتمع كل عقد من الزمان وفى وقت محدد. ويسمى حينئذ التعداد العام، أما العينة فتعنى اختيار جزءً من السكان لهم خصائص المجتمع لدراستهم (Calder Judith, p.9) أو يحصى قطاع من السكان المنحدرين من الريف أو من أصحاب الورش أو الطلاب أو العاملين فى مهنة معينة. والتعداد غير البحث

بالعينة. وتختار العينة لعدة أسباب أهمها: أ- التكلفة. ب- اختصار الوقت؛ جـ- وسرعة جمع البيانات؛ د- وسرعة تحليل البيانات واستخلاص النتائج. وثمة مبدأن مهمان يُفرضان على الباحث أثناء تصميم العينة يجب مراعاتهما. المبدأ الأول: الاختيار، ويقصد به تحديد القواعد والإجراءات المختلفة التى على أساسها يتم اختيار الوحدات (والوحدات قد تكون الأفراد أو النظم أو الموضوعات الاجتماعية).

المبدأ الآخر- التقدير وهى العملية التى تحصل من خلالها العينة على تقدير أعداد السكان وحجمهم.

كيفية اختيار العينة :

ويجب أن يقرر الباحث كيفية اختيار العينة أو المجال الكلى للدراسة، متبعاً فى ذلك الإجراءات الممكنة والمتباينة. فيجب أن يقرر الباحث كيف يختار حالات ممثلة للمجتمع، وقد يتجه إلى دراسة الحالات دراسة مركزة متعمقة، أى يدرس عدداً قليلاً من الحالات مثلما فعل أوسكار لويس فى المكسيك، واتبع طريقة دراسة الحالة لدراسة ثقافة الفقر، أو إجراء دراسة تفصيلية للبناء الاجتماعى كأن يدرس العلاقات بين عدد قليل من الزيجات. وقد تقتصر الدراسة على أسرة زواجية واحدة أو عدد قليل من الأسر أو حالات كثيرة يقوم بدراستها،تمثل تلك الخصائص المألوفة والشائعة فى المجتمع الكلى ويستند تحديد حجم العينة على أهداف البحث، وكيفية تصميمه وعلى درجة الدقة المطلوبة، فالعينة تعنى إختيار عدد محدد من بين كل الحالات وفق قواعد محددة، ومن ثم العينة جزء يمثل الكل، وأهم شرْوط العينة الشرطان الآتيان:

١- أن تكون العينة ممثلة للمجتمع الأصلى، فإذا كان المجتمع الأصلى مثلاً مكوناً من صندوق من البلى الأصفر والأحمر والأخضر والأبيض وأردنا أن نأخذ عينة من هذا الصندوق فكلما اشتملت العينة على جميع الألوان المكونة لهذا الصندوق كانت صالحة لتمثيل المجتمع.

٢- أن تكون لكل وحدات المجتمع الأصلى فرصاً متساوية فى الاختيار.

ويرى سعود الضحيان أن حجم العينة يعد من الأمور التى تثير جدلاً بين الباحثين. إذ يرى بعض الباحثين أن حجم العينة يتراوح ما بين ١٪ أو ٥٪ أو ١٠٪ من حجم المجتمع الكلى. ولا يستند تحديد هذه النسبة تماماً إلى منطق علمى، وهو يرى أن تفضيل العينة الكبيرة الحجم يرجع إلى الأسباب الآتية:

١- وجود عدد من المتغيرات التى تتفاعل سوياً ويصعب السيطرة عليها.

٢- انقسام العينة الرئيسية إلى عدة عينات جزئية.

٣- تداخل عدد كبير من المتغيرات والخصائص المتعددة والمتنوعة فى تكوين مجتمع الدراسة.

٤- يعتمد حجم العينة على طبيعة السؤال الذى يوجه إلى مجتمع البحث والذى يريد الباحث الحصول على إجابة عليه، وهل يوجه الى مجموعة كبيرة متباينة، أم مجموعة صغيره (سعود الضحيان ص ص ٢٧-٢٩).

٥- عدم تجانس المجتمع. فالعينة التى تختار من مجتمع متجانس أصغر من العينة التى تختار عن مجتمع غير متجانس. فاختيار عينة من سكان مدينة غير متجانسة مثل مدينة الإسكندرية يختلف عن اختيار عينة من قرية مصرية، أو عينة من مدينة كبيرة مثل واشنطون وبوسطون وباريس والقاهرة وهى مدن ضخمة، فاختيار عينة من المدن الكبيرة أمر صعب (Parten: p,105) ويكفى إختيار عينة بنسبة ١:١٠٠٠ من عدد الأسر فى المدن الكبرى، أما مدينة مثل الاسكندرية فيمكن اختيار عينة بنسبة٢ : ١٠٠٠ بوصفها مدينة أصغر حجماً من القاهرة ولندن وباريس.

أنواع العينات :

يقف الباحث فى بداية البحث موقف السائل، ويسأل ما نوع العينة التى أختارها؟ وهل العينة ممثلة أم غير ممثلة؟ وهل العينة ممثلة للمجتمع أم عمدية وغرضية؟ وإلى أى حد يتطلب الصدق فى العينة؟ وهل تعمم النتائج على مستوى المجتمع فى فترة محددة من الزمان أم لا يشترط أن تكون النتائج صادقة، ولا يتطلب الأمر تعميم النتائج؟

وثمة قرارات مهمة يتخذها الباحث بعد الإجابة على الاسئلة التالية إذا ما تطلب الأمر أن تكون العينة ممثلة: (Swift Bety, pp. 88-89)

القرار الأول : ما مجتمع الدراسة؟

القرار الثانى : ما نوع العينة التى تمثل هذا المجتمع أفضل تمثيل؟

القرار الثالث : ما مدى ملاءمة مجتمع الدراسة مع المشكلة التى تدرس؟

القرار الرابع : ما مدى الحاجة إلى تحديد درجة التباين المطلوبة؟

القرار الخامس : هل تختار العينة لتمثيل المجتمع أم لأغراض البحث والتفسير؟

والعينة الممثلة تعكس خصائص المجتمع الذى تمثله، وتؤثر العينة الممثله على صدق النتائج وبالتالى تعميمها، أما العينة غير الممثلة فمن الصعب تعميم نتائجها.

ويتعين أن تكون العينة ممثلة للمجتمع الأصلى، أى يتعين أن تكون العينة صورة مصغرة تقريبية للمجتمع الكبير؛ ويختلف مقدار الأهمية الذى يعطيه الباحث لأهمية تمثيل العينة من بحث لآخر. فالبيانات التى تجمعها أجهزة تعداد السكان لمعرفة حركة السوق أو تستهدف التعرف على القطاعات الاجتماعية العريضة، تصمم عينات مثل هذه البحوث بطريقة تمثل الكل أفضل تمثيل. ولكن هناك أنواعا أخرى من العينات يمكن أن تضحى بالتمثيل إذ يصعب أن تمثل العينة مجتمع البحث، ويركز الباحث على متطلبات التحليل أكثر من التركيز على متطلبات التمثيل.

بالإضافة إلى سعى الباحث إلى اختيار عينة ممثلة للمجتمع، فالباحث عند تصميم عينته يفكر فى متطلبات التحليل. وترى ماتيلدا كما يحدث فى معظم الرسائل الجامعية (Mtilda, Riley, pp. 978- 1026) أنه رغم هذه القاعدة. فلا زال عنصر التحليل غير واضح عند تصميم العينة، ومع ذلك فإن طابع وشكل العينة يتأثر بوضوح بخطط تحليل العمليات الاجتماعية والتداخل بين المتغيرات. والاتجاه السائد فى أكثر الدراسات غلب هدف التحليل على هدف

التمثيل عند اختيار العينة. فقد يختار الباحث عدداً قليلاً من الحالات كعينة له؛ لأنه يريد أن يدرس ويختبر هذه الحالات دراسة مركزة متعمقة، أو يختار عينة تضم عدداً كبيراً من الحالات لأنه يريد إقامة جداول ارتباطات كثيرة. ويمكن أن يختار حالات يستطيع أن يلاحظها تحت ظروف خاصة، أو يختار حالات يخضعها للدراسة التجريبية أو يمكن أن يصمم عينة لكى يسيطر على متغيرات حاسمة معينة.

والنموذج المثالى فى البحث، يؤكد أنه يتعين على الباحث أن يستخدم قاعدة التمثيل ويبدأ التحليل بعد تصميم العينة؛ أى يراعى عنصر التحليل وعنصر التمثيل، فعند دراسة تسرب تلاميذ المدرسة الإعدادية، يمكن أن تسمح العينة بتحليل الأسباب التى تكمن وراء تسرب التلاميذ من المدرسة وفي الوقت نفسه تؤكد هذه العينة أن النتائج التى حصل عليها الباحث صورة معبرة عن مجتمع التلاميذ، بيد أنه أحياناً ما ترجح قاعدة على الأخرى عند تصميم العينة، بمعنى أنه قد ترجح التحليل على التمثيل أو العكس. وهكذا فالباحث قد يركز على مدى تمثيل العينة للمجتمع أو يركز علي مبدأ التحليل.

ويرتبط التصميم المثالى لأى بحث بقاعدتين أساسيتين:(Matilda, Ibid,)

القاعدة الأولى : أن تصمم عينات كثيرة لأغراض التحليل وأن تمثل كل عينة عدداً معيناً من السكان داخل العينة الممثلة.

القاعدة الثانية : التوفيق فى تدعيم التحليل والتفسير للعينات الاجتماعية والعلاقات المتداخلة بين المتغيرات.

ولكن كيف يختار حجم العينة التى يريد اختبارها؟ يتعين أن يضع الباحث فى اعتباره بعض الاعتبارات: (Calder Judith pp, 22-24) ١- مدى تمثيل العينة للمجتمع الأصلى. ٢- كلما كبر حجم العينة قل معيار الخطأ، وارتفع مستوى الدقة المطلوبة في البحث. ٣- يحدد حجم العينة كفاءة وملاءمة ودقة النتائج. ٤- ارتباط حجم العينة بمستوى التحليل. ٥- تحدد أهداف البحث مستوى الدقة المطلوبة.

أنواع العينات :

العينات الممثلة مقابل العينات غير الممثلة.

١- العينة الممثلة :

وقد تكون العينة ممثلة. ويسعى أغلب الباحثين إلى تصميم عينات ممثلة للمجتمع الأصلي، أي اختيار عينات تحمل كل خصائص المجتمع الكبير وتعطى صورة صادقة نسبياً عن المجتمع، بقصد أن تظهر خصائص هذا المجتمع في عينة الدراسة. وإذا كان المجتمع الكبير متجانساً، فإن أي عينة احتمالية عشوائية تسحب منه، تكون ممثلة له دون أي اعتبار لنوع العينة. وتمكن العينة الممثلة الباحث من تعميم النتائج.

ويستند إجراء اختيار أي عينة ممثلة على تعريف واضح للمجتمع الأصلي، أو المجتمع الكلي كما يتصوره الباحث، ويقوم هذا الإجراء على ثلاث مراحل. وفي كل مرحلة من هذه المراحل يحاول الباحث الحصول علي عينة ممثلة مماثلة ومعبرة عن المجتمع الكبير أو العالم المحدد في نموذج البحث .

ويحاول الباحث في المرحلة الأولى أن يبحث عن عالم واقعي يمارس فيه الناس سلوكهم، أي يتقصى الأماكن الحقيقية لوجود الأشخاص الذين يدرسهم، لاستخدام هذا العالم كإطار للعينة. وفي المرحلة الثانية يحصل الباحث على قائمة كاملة بأسماء الحالات الواقعية موضع الاهتمام، يختار منها في المرحلة الثالثة عينة تمثل الحالات الحقيقية التي سيدرسها.

ومن الناحية العملية يعاني الباحث من صعوبة تحديد هذا الإطار المناسب. فالباحث يعجز دائماً عن الحصول على القائمة المناسبة الكاملة لأسماء الحالات، إذ من المحتمل ألا توجد قائمة مدون بها أسماء بعض الأفراد. وثمة مشكلات عملية كثيرة يصادفها الباحث في بلدان العالم الثالث في محاولته استخدام العينة المحكمة الممثلة للمجتمع، ويتعين على الباحث في هذه الحالة أن يتخذ بعض الإجراءات الجديدة للتغلب على هذه الصعوبات.

وعندما تكون المقابلة الشخصية هي وسيلة الباحث في جمع البيانات، فإنه

يتعين عليه معاودة الاستفسار عن المبحوثين الذين يصعب تواجدهم فى بيوتهم بسهولة، كما يتعين عليه أن يرسل إلى المبحوثين رسائل يشرح لهم فيها الغرض من البحث، ليتجنب اعتذار البعض عن إجراء البحث معهم، ومن ثم استبعادهم من العينة، كما يسمح للباحث الذي يقوم بإجراء المقابلة باختيار بديل عن المعتذر. وهناك إجراء يترتب على عدم التواجد فى المنزل للتغلب على احتمال عدم إجابة بعضهم، ويتطلب ذلك أن تتضمن العينة فقط المجيبين المتواجدين فى المنزل وقت إجراء البحث، أما الغائبون فيتعين أن نعرف مواعيد سفرهم ووصولهم لكى نتجنب الخطأ المترتب على عدم تواجدهم أثناء إجراء البحث.

أما فى الدراسات والأبحاث التى تعتمد على استمارة الاستبيان التى يجيب عليها المجيبون بأنفسهم، سواء أرسلت بالبريد أم سلمت باليد، فإنه يتعين متابعتهم، وضرورة وضع الباحث فى إعتباره إحتمال عدم إجابة بعضهم على استمارة البحث، ولذا فمن الأفضل أن يضيف الباحث عدداً من الاستمارات تحل محل الاستمارات التى لم يشارك أصحابها فى الإجابة.

٢- العينة غير الممثلة :

لا تضم العينة غير الممثلة كل الأعداد ولا كل العناصر التى يتكون منها المجتمع الأصلى. ولا تعطى مثل هذه العينات صورة صادقة عن أفراد وظواهر المجتمع ولا تعمم نتائجها.

العينات الاحتمالية مقابل العينات غير الاحتمالية:

أ- العينة الاحتمالية:

وهى العينة التى تسحب مفرداتها بطريق الصدفة للحصول على عينة ممثلة، أى عينة تعطى صورة صادقة نسبياً عن الظواهر التى تدرس فى المجتمع الكبير. وتؤكد العينة الاحتمالية على إتاحة فرص متكافئة ومتساوية فى الاختيار لجميع مفردات المجتمع الأصلى .ولكى يتحقق شرط الاختيار يجب تحقيق القواعد التالية:

١– تحديد المجتمع جغرافياً؛

٢- إعداد قوائم محددة صحيحة بأسماء مفردات المجتمع؛

٣- إمكان الوصول إلى أى مفردة يتم اختيارها سواء عن طريق المقابلة أو بالبريد.

٤- تجانس خصائص المجتمع الأصلى.

وتصنف العينة الاحتمالية إلى الأنواع التالية :

العينة العشوائية البسيطة :

تسحب عشوائياً بلا تعمد من الكشوف والقوائم بنسب محددة، فالعينة العشوائية لا تتقيد بنظام خاص أو ترتيب مقصود فى الاختيار، وبذلك نضمن لجميع مفردات المجتمع الأصلى فرصاً متساوية فى الاختيار، والعينة العشوائية غير متحيزة- كأن تختار العينة عن طريق القرعة أو الجداول. وتقل فى العينة العشوائية فرص الخطأ، فلكل عنصر فرص متكافئة ومتساوية فى الاختيار. والعينة العشوائية البسيطة نوع من أنواع العينات الاحتمالية وأسهلها فى التطبيق حيث إنها لا تشترط ألا أن تكون جميع وحدات الدراسة مرقمة.(سعود الضحيان ص٣٠) وتتميز العينة العشوائية بقله فرص الخطأ، إذ أن لكل وحدة من وحدات المجتمع فرصه متساوية فى الاختيار.

العينة المنتظمة :

تؤخذ من قوائم تتميز بأن مفرداتها مرقمة ترقيماً مسلسلاً، وتسحب العينة على مسافات متساوية.

وقد عرض مسعود الضحيان طريقة مبسطة وسهلة لسحب العينة المنتظمة وفق جدول يحدد فيه حجم العينة بناء على حجم مجتمع الدراسة، ثم يختار طول الفئة حسب القاعدة التالية: (سعود الضحيان، ص٣٤)

$$\text{طول الفئة} = \frac{\text{مجتمع الدراسة}}{\text{حجم العينة}}$$

فإذا كان حجم المجتمع الكبير ١٢٠٠ مفردة، يصبح حجم العينة ٢٩١ مفردة

عند مستوي احتمالية٠٫٠٥٪ وبترجمة القاعدة سالفة الذكر: (سعود الضحيان،ص٦٣)

$$\frac{\text{مجتمع الدراسة}}{\text{حجم العينة}} = \text{طول الفئة} = \frac{١٢٠٠}{٢٩١} = ٤$$

وبعد ذلك يختار أول الأرقام عشوائياً من الأرقام الأربعة الأولى ١،أو ٢ أو٣ أو ٤ ثم يضيف الرقم ٤ إلى الفئة الثانية ثم يضيف الرقم ٤ الى الفئة الثالثة وهكذا.

فإذا كانت الفئة الأولي ٢ تصبح الفئة الثانية ٦ ثم الثالثة ١٠ ثم ١٤ ثم ١٨ وهكذا، ويتم سحب الفئة الأولى عشوائيا ولا يتجاوز الباحث فى اختياره الفئات الأولى طول الوحدة.

العينة الطبقية:

قبل تعريف العينة الطبقية يطرح السؤال التالى: هل يستطيع الباحث أن يصمم بحثاً يضم كل الفئات وكل المتغيرات التى تمثل المجتمع، مثل الجنس والتعليم، والأعمار والمهن والدخول. لو كان الجواب بالإيجاب. يقسم الباحث المجتمع فى العينة الطبقية إلى عدد من الطبقات، بحيث تكون الظاهرة محور الباحث أكثر تجانساً وأكثر وضوحاً داخل كل هذه الطبقات منها فى المجتمع الكبير قبل التقسيم الى طبقات. ثم تسحب عينة عشوائية بسيطة من كل طبقة (عبد المنعم الشافعى ص٣٢) إذ يتم إختيار العينة الطبقية على مرحلتين:

١- مرحلة تحليل المجتمع الأصلى.

٢- مرحلة الاختيار العشوائى فى حدودصفات المجتمع الأصلى. فالباحث يبدأ بحثه بدراسة المجتمع الكبير ويعرف خصائصه والجماعات الفرعية أو الطبقات التي يتكون منها ونسبة كل طبقة داخل المجتمع الكبير. وبعد هذه الدراسة يتبع نظاماً عشوائياً متقيداً بنتائج تحليله فى الخطوة الأولى.

ويطبق هذا النوع من البحوث تحت أسماء وصور مختلفة أكثر شيوعاً العينة المساحية (السيد خيرى ص ٣٣٣). وفى هذا النوع من البحوث تحدد المساحات أو الأقسام الإدارية التى يقسم إليها المجتمع الكبير أو المحافظة أو المدينة أو القرية إلى مساحات أو مناطق ثم تختار المناطق التى تمثل فى العينة إما عشوائياً وإما

وفق شروط خاصة.

وتعد العينة الطبقية نوعاً آخر من العينة العشوائية، إلا أنها تتعامل مع مجتمع غير متجانس «ولما كانت القاعدة الأولى فى العينات العشوائية هى أن يكون مجتمع الدراسة متجانساً- فإن الخطوة الأولى هى تحقيق تجانس مجتمع الدراسة ثم يختار بعد ذلك العينة المنتظمة أو العشوائية، وهما يتطلبان من الباحث تقسيم مجتمع الدراسة غير المتجانس أى المجتمع الذى يتكون من مستويات مختلفة أو جماعات متباينة أو طبقات متباعدة إلى جماعات واضحة المعالم حسب المتغير الذى يحاول الباحث دراسته. ثم يقوم بسحب عينة عشوائية من كل جماعة فرعية، ويكون مجموع هذه الجماعات الفرعية أو المستويات الجزئية المجتمع الكلى.(سعود الضحيان ص ص ٣٥-٣٦).

العينة العنقودية:

تشبه العينة العنقودية عنقود العنب فى تركيبه. فالعنقود يتكون من حبيبات كثيرة لها نفس اللون والمذاق والطعم، كذلك يتفرع من العنقود الكبير عناقيد صغيرة، ويحمل كل عنقود حبات متفاوتة الحجم. وتضم العينة العنقودية وحدات متعددة، وتقسيمات متباينة. فالعينة العنقودية عبارة عن مجموعة من العينات العشوائية البسيطة أو المنتظمة تستخدم لسحب مفردات مجتمع البحث- والعينة العنقودية تضم أكثر من عينة فقد تضم ثلاث عينات أو أربع عينات «لا تسحب وحدات المجتمع فرادى بل يتم سحبها فى مجموعات».(عبد المنعم الشافعى، ص٣٢).

والعينة العنقودية عينة كبيرة الحجم تضم عينات جزئية. تستخدم فى بحث جانبى لدراسة عوامل وظواهر إضافية.

وثمة فائدة تعود من تصميم عينة كبيرة تضم عينات جزئية، ويصمم هذا النوع من العينات من أجل إتاحة المجال لإثراء التحليل العلمى وتعميقه، واستبعاد أى عوامل يمكن أن تشوه أو تعدل أو تفسد التحليل، وهو يصمم من عينات متعددة تؤكد على الثوابت .وعلى هذا الأساس يستطيع الباحث دراسة العلاقة بين التربية الدينية وسلوك الناخبين داخل عينات جزئية متجانسة يثبت

فيها متغيرات مثل الجنس والحالة الزواجية ومدى الوعى.

وينبغى أن تضم العينة فئات كثيرة، تضم كل فئة المتغيرات المستقلة، ويجب أن توجد حالات كافية فى كل عينة جزئية تسمح بإجراء المقارنة الإحصائية بواسطة المتغير التابع.

ويجب أن نؤكد أن كبر العينة يسمح بإجراء المقارنة بين بعض العوامل أو المتغيرات. ولتجنب الزيارات الباهظة التكاليف، وعدم الإفراط فى الحجم الكلى للعينة تكون الجماعات الصغيرة عينة كبيرة. وهذه العينة الكبيرة من الجماعات الصغيرة تسمح بإجراء التحليل داخل الجماعات الصغيرة. وهذا يقلل من فرص الخطأ الذى يرجع إلى تباين الصدفة.

وقد يجد الباحث صعوبة فى تعميم النتائج فى إطار النموذج التصورى الذى انطلق منه، إذ أن تصميم العينة الرئيسية يتم وفق إجراءات محتملة، وإذا ما إستبعدت حالة معينة ملائمة فى البحث، انعدم ما يمكن أن نسميه الصدق الداخلى للبحث.

ولقد فرض لنا نادر فرجانى فى دراسته سعياً وراء الرزق نموذجاً للبحث الذى يعتمد على العينة العنقودية أى ذلك البحث الذى يعتمد على عينة أساسية تعد أساساً لتحديد العينات الفرعية. وكان موضوع البحث «هجرة المصريين للعمل فى الأقطار العربية سعياً وراء الرزق». (نادر الفرجانى سعيا وراء الرزق) والعينة الأساسية فى هذا البحث هى عينة من الأسر المعيشية، إذ استبعد الباحث السكان المقيمين فى المؤسسات، وقد اختبرت العينة بأسلوب احتمالى طبقى فى ثلاث مراحل.

٢ ـ العينة غير الإحتمالية:

مثل العينة التى تختار بالصدفة لقياس اتجاهات الطلاب الجامعيين إزاء أفعال شارون فى الأراضى المحتلة، أو استطلاع آراء ربات البيوت أو كبار السن أو الأطفال إزاء البرامج التى تبث فى شهر رمضان، أو استطلاع اتجاهات الناس فى الاسم المرشح لرئاسة الوزارة أو استطلاع آراء الشباب فى الفريق المرشح

للحصول على كأس العالم فى كرة القدم.

العينة المقيدة :

تتقيد هذه العينة بقيود خاصة لا يشترطها الباحث الذى يختار العينة العشوائية أو المساحية أو المنتظمة. فالباحث فى العينات العشوائية يختار عينة تحل محل المجتمع الأصلى، إلا أن بعض البحوث تتطلب عينات مقيدة بأوصاف خاصة، أى تشترط خصائص وصفات خاصة فى أفراد العينة– كأن يشرط الباحث فى أفراد العينة القدرة على استخدام الإنترنت، أو ملكية سيارة مارسيدس أو السكن فى منطقة سكنية معينة أو السكن فى المدن الجديدة، أو الحصول على تقدير امتياز فى امتحانات النقل. وكلما كثرت الشروط صعب الحصول عليها ، وقل عدد الأفراد الذين تنطبق عليهم الصفات. وبعد تحديد الأفراد الذين تنطبق عليهم المواصفات نختار منهم عينة عشوائية.

٢- العينة بالحصة أو بالحصص :

يتم فيها اختيار العينة عمداً لتعطى صورة عن بعض خصائص المجتمع، وذلك بإعطاء كل باحث حصة من مختلف الوحدات التى يجب أن تشملها العينة. وللباحث حرية اختيار هذه الوحدات داخل حدود هذه الحصة.

ويرى السيد خيرى أن العينة بالحصة نوع من العينة الطبقية (السيد خيرى ص ٣٣٢) ويصف بعض الباحثين عينة الحصة بأنها بديل رخيص للعينة العشوائية تستخدم عادة فى إستطلاعات الرأى السياسية (جوردون مارشال ص١٠٤٩)، وتقاس آراء هذه العينة بشكل متكرر، كلما دعت الحاجة الى استطلاع الرأى فى موضوع معين. ويمكن استبدال أفراد العينة– وينبه على الباحثين إجراء المقابلات مع عدد محدود من الأفراد يتسمون بسمات محددة، وتختار العينة بالحصة وفق متغيرات ثلاثة هى الجنس والسن والطبقة الاجتماعية. ولكن هذا النوع من العينات لا يعد عينة ممثلة، إذ يعطى الباحث حرية اختيار المبحوثين.

٣- العينة المساحية :

وحين نفتقد القوائم والكشوف، نلجأ إلى العينة المساحية. ويتم ذلك بتقسيم خريطة المدينة أو المحافظة إلى مساحات قد تكون إدارية لاختيار العينة منها، ويتطلب اختيار العينة المساحية تحديد المساحات أو الأقسام التى تقسم إليها المنطقة– وهذا يتطلب وجود خريطة للمنطقة محل الدراسة. ثم تقسيم الخريطة إلى مناطق تمثل العينة عشوائياً أو وفق شروط يضعها الباحث. وتتطلب هذه الطريقة من الباحث الحرص ومراعاة الدقة، ويصعب أن تمثل العينة المساحية المجتمع الأصلى.

وعند إعدادى لرسالة الماچستير – وكان عنوانها الآثار الاجتماعية المترتبة على التغير الاقتصادى على الأسرة فى مدينة الإسكندرية، وجدت صعوبة فى الحصول على قوائم باسماء الأسر المقيمة فى المدينة عام ١٩٦٠، فرأيت الرجوع إلى تعداد السكان لعام ١٩٥٧، ولم أجد قوائم تصنيف مهن أرباب الأسر، ولكن وجدت قوائم بأسماء الاسر حسب محل الإقامة فى الأقسام الإدارية واقتداء برأى بارتن أنه يمكن اختيار العينة على أساس جغرافى أو حسب الأقسام الإدارية للمصريين اخترت عينة البحث.

إن تحديد أفضل أنواع العينات ملاءمة للبحث وهل هى العينة الطبقية أو العشوائية أو المنتظمة أو العنقودية أو العمدية يتوقف على أهداف البحث وتساؤلاته.

والسؤال الآن ما حجم العينة المناسب لتمثيل المجتمع الأصلى؟

ثمة صعوبات فى الإجابة على هذا السؤال، إذ لا توجد إجابة واحدة، بل هناك أكثر من إجابة، فهناك من يرى أن العينة الكبيرة أكثر تمثيلاً للمجتمع من العينة الصغيرة،والقصد من استخدام العينة الممثلة ضمان تمثيل كل الفئات والشرائح المتواجدة فى المجتمع الأصلى.

ونقف برهة أمام المثال التالى: سيدة تريد شراء ثوب من القماش الأبيض وآخر من قماش مشجر متعدد الألوان والأشكال، ولكنها مترددة فتسأل البائع عينة من الثوب الأبيض وعينة من الثوب المشجر، وفى حالة الثوب الأبيض يعطيها عينة من القماش صغيرة الحجم أما فى حالة الثوب متعد الألوان فيعطيها

عينة كبيرة الحجم تظهر فيها كل الألوان والأشكال. وهكذا فإذا كان المجتمع متجانساً، كانت العينة الصغيرة الأفضل. أما المجتمع الكبير غير المتجانس فالعينة كبيرة الحجم هى الأمثل. وقبل اختيار العينة يسأل الباحث نفسه الأسئلة التالية: مَن من الأفراد سأدرس؟ وما الوحدات التى سأدرسها؟ وما الموضوعات التى سأختار منها العينة. ويعى الباحث منذ البداية أن المجتمع الكلى يختلف عن مجتمع البحث، فالمجتمع الكلى مجتمع كبير وأرحب وأوسع أما مجتمع البحث فمجتمع صغير محدود .بعد ذلك يسأل هل فى الإمكان العثور على مجتمع الدراسة والوصول اليه لاختيار عينة البحث؟ تتطلب الإجابة تعريف المجتمع تعريفاً واضحاًثم تحديد حجم العينة أى تحديد مجتمع البحث.

فمن المهم تحديد وتعريف المجتمع الكبير والتأكد من توفر المعلومات والبيانات عن ذلك المجتمع ثم تحديد العينة التى ستدرس، أى بعد تحديد المجتمع الكبير يختار الباحث بضعة أفراد من ذلك المجتمع لدراستهم وفق طريقة البحث.

وقد يسأل الباحث نفسه كيف يحدد مجتمع البحث: هل حسب الموطن الأصلى لأعضاء المجتمع أى محل الميلاد؟ثم يسأل نفسه ما البديل لو لم تتوفر البيانات الدقيقة عن الموطن الأصلى؟ هل نختار العينة حسب مهنة رب الأسرة؟ إذا يتعين تحديد المقصود بالمهنة تحديداً دقيقا، وهل المجتمع متجانس أم غير متجانس؟ وهل يتكون من جماعات فرعية كثيرة يحتاج كل منها إلى تحليل مستقل بمعزل عن الجماعات الأخرى؟ ثم ما الحجم الأمثل للعينة؟ وهل حجم العينة الملائم لتمثيل مجتمع كبير يماثل ويساوى فى الحجم عينة تمثل مجتمعاً صغيراً؟ وإذا كان المجتمع الذى نرغب فى دراسته صغيراً، وتتوزع إقامة أفراده داخل المجتمع الكبير ويتباين مستوى تعليمهم ومستوى دخولهم وأعمارهم، فكيف أختار مجتمع البحث؟ وما نوع العينة الأكثر فاعلية والأكثر فائدة عند الدراسة والتى أستطيع أن أحصل من خلالها على نتائج ذات دلالة؟ فالباحث عند اختيار العينة لا يختارها اعتباطا أو تعسفاً، بل يختارها وفق قيود وشروط أهمها أن تمثل المجتمع الأصلى، وأن تكون لوحدات المجتمع فرصاً متكافئة فى الإختيار.

ويرجع أهمية العينة الى أن كل نتيجة مستدل عليها فى البحث، تتوقف على

دقة اختيار العينة. والآن كيف أختار العينة؟

والسؤال الذى يفرض نفسه عند اختيار العينة هل توجد قوائم دقيقة أو كشوف صحيحة ومعلومات كافية وبيانات صادقة، وقوائم حصر سليمة لا عيب فيها لأسماء الأفراد أو الأسر أو المؤسسات؟ أن وجود هذه القوائم هو التحدى الأكبر الذى يواجه الباحثين عند تصميم العينة.

وقد طرح سعود الضحيان دليل عمل لاختيار عينة البحث ونوعها(سعود الضحيان، ص ص ٤٣-٥٠) ولا يتطلب الأمر من الباحث إلا طرح بضعة أسئلة والإجابة على كل سؤال ليستطيع أن يصمم العينة الملائمة للبحث:

السؤال الأول : هل يمكن تحديد مجتمع البحث؟

فى حالة نعم، يتعين على الباحث أن يتجه إلى العينة العشوائية.

فى حالة لا، يتعين على الباحث أن يتجه إلى العينة غير العشوائية.

السؤال الثانى : هل يمكن معرفة جميع مفردات مجتمع الدراسة؟

فى حالة الإجابة بالإيجاب يتعين على الباحث أن يتجه إلى العينات العشوائية.

فى حالة الإجابة بالسلب يتجه إلى العينات غير العشوائية.

السؤال الثالث : هل تُرَقّم جميع مفردات الدراسة ؟

فى حالة نعم، يتجه الباحث إلى العينة العشوائية.

فى حالة لا، يجيب الباحث على السؤال الرابع.

السؤال الرابع : هل يمكن تضمين جميع مفردات مجتمع الدراسة فى قوائم للتمييز بين كل مفردة؟

فى حالة نعم، يتجه الباحث إلى العينة العشوائية.

فى حالة لا، يتجه الباحث إلى العينات غير العشوائية.

السؤال الخامس : هل يمكن الوصول إلى جميع مفردات مجتمع الدراسة التى يتم اختيارها.

فى حالة الإجابة بالإيجاب، يتجه الباحث إلى العينات العشوائية.

فى حالة الإجابة بالسلب، يتجه الباحث إلى العينات غير العشوائية.

وفى حالة الإجابة على كل الأسئلة بالإيجاب عليه اختيار عينة عشوائية لتطبيق بحثه، أما فى حالة الإجابة بالسلب على سؤال من هذه الأسئلة فالعينات غير العشوائية هى الطريق الوحيد. ثم يسأل الباحث نفسه:

السؤال السادس : هل مجتمع الدراسة متجانس ؟

فى حالة الإجابة بالإيجاب، يختار الباحث عينة عشوائية بسيطة أو منتظمة.

أما فى حالة الإجابة بالسلب فيختار العينة الطبقية.

السؤال السابع : هل المتغيرات المستقلة والمستخدمة فى الدراسة رقمية؟ أى يمكن تحويلها إلى أرقام.

فى حالة الإجابة بالإيجاب يختار الباحث إما عينة عشوائية بسيطة أو منتظمة، أما فى حالة الإجابة بالسلب فيختار الباحث عينة عشوائية طبقية.

السؤال الثامن : هل مجتمع الدراسة متجانس ومتباين مكانياً أى هل يطبق البحث فى أماكن كثيرة ويقيم أفراد البحث فى مناطق عديدة؟

فى حالة الإجابة بنعم، يختار الباحث عينة عشوائية عنقودية ثم يختار عينة عشوائية بسيطة أو منتظمة.

أما فى حالة الإجابة بلا، فيتجه الى السؤال التاسع.

السؤال التاسع: هل مجتمع الدراسة مختلف ويطبق البحث فى أكثر من مكان؟

فى حالة الإجابة بنعم، يتجه إلى العينة العشوائية العنقودية ثم يتجه الى العينة الطبقية ثم العينة البسيطة أو المنتظمة.

وفى حالة الإجابة بلا، يتجه إلى العينة العشوائية الطبقية.

بعد ذلك يتجه إلى سحب المفردات. ولكن فى حالة عدم تحقق شرط العينة

الاحتمالية، فإنه يتجه إلى العينات غير الاحتمالية، ويختار عينة غرضية عمدية إذا صعب تحديد مجتمع البحث أو اختيار العينة. أن العينة الاحتمالية ليست أفضل أنواع العينات لتحقيق أهداف البحث- عندما يدرس مدمنى الهيروين أو البغايا.

وعند إجراء وتصميم البحث يؤدى الباحث أعمالاً كثيرة مرة واحدة أهمها:

١- تحديد مقدار ونوع البيانات المطلوبة التى يجب على الباحث أن يجمعها ويخضعها لسيطرته.

٢- تحديد مجتمع الدراسة.

٣- يتعين أن يفهم الباحث أنه يعمل لتحقيق أهداف البحث أى السبب الذى من أجله يكتب البحث.

٤- أن يضع الكاتب نصب عينيه من يقرأ البحث هل الأستاذ المشرف؛ أم مجموعة من الخبراء أم زملاء التخصص أم القارئ العادى؟ وما المدخل الأحسن للحصول على تقديرهم واهتماماتهم وانصرافهم إلى القراءة حتى نهاية البحث؟

وبإيجاز فالباحث يستطيع أن يسيطر على مضمون البحث الذى يكتبه ويوجهه ولهذا فإنها نقطة صائبة أن يحدد فكرة محددة لاختبارها، أو رأى مبتكر منذ البداية يحاول أن يثبته أو يفنده، ومن المحتمل أن يتغير هذا الرأى المؤقت كلما تعمق الباحث فى التفكير وإزدادت معلوماته، وتعددت قراءاته.. ولكن هذا كله سيسمح لإرساء ووضع معيار للإختبار فى مرحلة التخصص.

مراحل البحث الإجتماعى:

ما الخطوات التى يتبعها الباحث الاجتماعى عند اجراء البحث؟

وماذا يفعل الباحث عندما يشرع فى تصميم البحث الاجتماعى؟

وما الخطوات المنظمة لإجراء البحث لفهم الموضوع المراد دراسته دراسة علمية؟

إذا ما سلمنا بأن ثمة فرقاً بين التفكير العلمى والتفكير غير العلمى عند اتخاذ القرارات على المستوى القومى أو المستوى الشخصى؛ وآمنا ضرورة استخدام

العلم فى حياتنا اليومية، يصبح استخدام المنهج العلمى فى البحث الاجتماعى أكثر ضرورة، وخطوة أساسية من أجل فهم الواقع الاجتماعى أفضل فهم.

وسواء درس الباحثون موضوعاً يرتبط بعلم الاجتماع أو علم السياسة أو علم النفس أو علم الجريمة أو أى مجال آخر يعتمد على المنهج العلمى، فإنهم يتبعون الخطوات الآتية:-

١- تحديد جدول زمنى لخطة الدراسة.

٢- تحديد مشكلة البحث.

٣- تحديد أهداف البحث وأهميته والمفهومات.

٤- صياغة الفروض.

٥- الاطلاع على ما كتبه الآخرون المتخصصون فى الموضوع (الدراسات السابقة).

٦- تحديد المتغيرات التى تؤثر على البيانات.

٧- تحديد المجتمع الكبير ثم مجتمع البحث (أى تحديد العينة).

٨- تحديد أداة جمع البيانات.

٩- جمع البيانات.

١٠- تفريغ البيانات.

١١- تحليل وتفسير البيانات.

١٢- كتابة التقرير.

ولما كان الباحثون الاجتماعيون يبحثون عن مجموعة متباينة من الموضوعات، تتباين وتتشتت بياناتها، فإن الأبحاث ستأخذ أشكالاً عديدة أهمها:-

١- البحوث التى تعتمد على الاستبيان أو المقابلة.

٢- المسوح الاجتماعية.

٣- البحوث التى تعتمد على الملاحظة.

٤- الدراسات القبلية والبعدية.

٥- البحوث التى تشبه التجارب.

٦- تحليل المضمون.

٧- طريقة دراسة الحالة.

والأبحاث الثلاثة الأولى هى البحوث الأكثر شيوعاً فى مجتمعنا العربي. وتحتل دراسات تحليل المضمون ودراسات الحالة مكانة متوسطة، ودراسات تحليل المضمون أكثر شيوعاً فى دراسات الإعلام، أما طريقة دراسة الحالة فأكثر استخداما فى مجال الخدمة الاجتماعية، إما الدراسات القبلية والبعدية التي تعتمد على متابعة تطور الظاهرة والدراسات التى تتم فيما تسمى التجربة الزائفة فنادراً ما يستخدم الباحثون فى مجتمعنا هاتين الطريقتين:

مثال :- كيفية إجراء بحث عن أطفال الشوارع فى مصر:

١- تحديد موضوع البحث والجدول الزمنى لكل خطوة.

٢- تحديد الهدف من البحث.

٣- تحديد مشكلة البحث.

٤- تحديد الموضوع وأهميته.

٥- الاطلاع على الدراسات السابقة.

٦- تحديد المفهومات.

٧- تحديد مجتمع الدراسة.

٨- صياغة الفروض.

٩- استشارة أهل الخبرة الذين لهم دراية بموضوع الدراسة.

١٠- تحديد أداة البحث.

١١- جمع البيانات.

١٢- كتابة المسودة الأولى. يسطر فيها تحليل وتفسير البيانات وخطوات

البحث.

١٣- قراءة المشرف للمسودة الأولى وتدوين ملاحظاته.

١٤- تنفيذ ملاحظات المشرف وكتابة المسودة الثانية.

١٥- إعادة المسودة الثانية للمشرف.

١٦- تصحيح المسودة الثانية بعد تعديلات المشرف.

١٧- تنظيم ثبت المراجع أبجدياً.

١٨- إرسال الرسالة للطباعة بعد موافقة المشرف.

١٩- مراجعة الكتابة مرتين.

٢٠- تسليم العمل إلى الجهاز المسئول أو المشرف على الرسالة.

الفصل الخامس
تنظيم الوقت

تنظيم الوقت

وإذا ما آمنا بأن الكتابة ليست عملية آلية، وليست عملية فطرية مثل الأكل والنوم، بل نشاط يتطلب صفاء الذهن، لذا قد يجد الكاتب صعوبة فى أن يكتب فقرة واحدة -ولا أقول صفحة- وهناك من يقتحم عليه خلوته، ويحاوره ويضغط عليه طالباً حاجة أو ضيفاً يجلس بجواره، ويطلب استشارته في أمور الدنيا، أو يستجيب لرنين جرس الهاتف عدو الخصوصية؛ ولذا يتعين على الكاتب لكى يبدع، إغلاق الباب أمام المتطفلين وضرورة احترام الآخرين الخصوصية الشخصية للباحث.

لذا يتعين عند بدء الكتابة والاستغراق فيها الانسحاب من البيئة الاجتماعية مؤقتاً (ZEVUBAVEL, p. 30) وعدم الانزعاج بالأحداث، والانكباب على الكتابة لفترة معينة تختلف من كاتب لكاتب.

تنظيم أوقات العمل فى البحث:

قبل أن يكتب الكاتب مسودة البحث عليه أن يعيش فترة نسميها فترة إعداد البحث، وأثناء تلك الفترة يواظب على القراءة وجمع البيانات، وهو يدون فى بطاقات ما يقرأه، ويعيد ترتيب البطاقات حسب عناصر الموضوع، وبعد مرحلتى القراءة وجمع البيانات واكتمالها، واختمار الموضوع ونضجه، تأتى مرحلة الكتابة، ليصنع من هذه البيانات عملاً متناسقاً متكاملاً، يتعين الانتهاء منه فى فترة محددة. ولذا فالأمر يتطلب تنظيم أوقات العمل فى البحث، فالعجلة لا تدور إلى الأبد، بل لابد أن تتوقف.

عامل الوقت:

يلعب عامل الوقت دوراً مهماً في تصميم البحث وإتقانه وإنجازه إنجازاً حسناً مرضياً أو رفضه، وتتطلب عملية تصميم البحث وتنفيذه وكتابته تحديد الجوانب التي ندرسها، وكم من الوقت تستغرقه كل خطوة من خطوات

البحث من البداية إلى النهاية– أى تحديد فترة جمع البيانات. وكم من الوقت يبذل فى كتابة كل عنصر من عناصر البحث. وهذا كله يرتبط ببعد الزمان أى كم من الوقت يستغرق إعداد البحث مكتبياً وميدانيا.

أهمية تنظيم وقت العمل فى البحث

فالكتابة عمل مضن يتطلب التزام الباحث بإنجاز البحث فى وقت محدد، وتبدو مهارة الكاتب في استقطاع وقت مناسب وكاف يتفرغ فيه لإنجاز البحث من جميع جوانبه، ويعرف كيف يفرق بين وقت كاف للكتابة والعمل فى البحث ووقت ثان للاسترخاء والراحة، ووقت ثالث لتحقيق ادواره الاجتماعية المتعددة.

ويتباين الوقت المحدد للكتابة حسب خصوصية العمل، وطبيعة وقدرات الباحث وخبراته. فما يكتبه باحث فى ساعة يكتبه باحث ثان فى نصف الساعة ويكتبه باحث ثالث فى ساعتين، والتفرغ للكتابة أمر مستحيل، وظاهرة لم يعد لها وجود فى عالمنا المعاصر، فلم نعد نجد فى زماننا راهب الفكر، أو الأمير الذى يرعى الباحثين ويغدق عليهم الدنانير. فالباحث يسعى للتوفيق دوماً بين متطلبات البحث العلمى ومطالب العمل الذى يقتات منه، ويستره أمام غوائل الأيام، ومطالب الأسرة ومطالب الأهل والأصدقاء والمجاملات الاجتماعية، وممارسة الأنشطة اليومية، ومعاودة الطبيب، وحضور مناقشات الرسائل والاجتماعات العلمية ومتابعة أخبار الانتفاضة، وأخبار الإرهاب ،وحق الجسد فى الراحة، ولكن رغم تنوع الالتزامات والمطالب، فإنها تتباين فى الأهمية.

ولذا فمن الأهمية أن ينظم الباحث حياته، وينظم أوقاته، وإلا تحولت حرية الباحث إلى فوضى، وانعدم المرجو منه.

تخصيص وقت الكتابة

متى يكتب؟ وكيف ؟ الأوقات المخصصة للكتابة

والمسألة الأساسية التى تواجه الكاتب متى يبدأ الكتابة؟ وكيف؟ والمسألة الأعصى،الدراية بأفضل الطرق لتنظيم عملية الكتابة. والحقيقة أن الإجابة عن هذين السؤالين لم تكتشف بعد، كما أن الكُتَّاب لم يتفقوا على إجابة لها. فأغلب الكتاب حتى الكُتاب المحترفون يعانون من الإجابة عن السؤالين التاليين. متى أبدأ الكتابة؟ وكيف تكون البداية؟

والكتابة ليست فعلا يتسم بالرتابة يقوم به الكاتب متى أراد وشاء، فالكاتب لن يكتب شيئاً إلا عندما يدرك أن الأفكار قد نضجت وآن قطفها، وقد يمسك بالقلم ولا يكتب، وقد يكتب الفقرة ويشطبها ،أو يكتب بضع صفحات ثم يمزقها، وقد يحاول كتابة الفقرة أكثر من مرة.. ويجد أن ما كتبه فى كل محاولة للكتابة غير مقنع، فيعيد تركيب العبارات بطريقة جديدة، ويتحسس أكثر من مرة طريقة حتى يجد الطريقة المناسبة، فتنساب الكلمات وتتدفق الأفكار، وتختفى المعاناة ويتحول الإحباط إلى أمل فى ميلاد بحث متكامل. إن ساعة الحصول على الجملة الأولى التى ينساب بعدها القلم، أشبه بساعة ميلاد الطفل، وخروجه من رحم الأم.

وتتطلب عملية الكتابة اليقظة والانتباه والتركيز والانتظام والنظام لكى تنساب الأفكار، وتتدفق بلا عائق، ولا يعكرها مؤقتاً ضغوط الحياة اليومية.

ومن المهم عند الجلوس للكتابة، أن يحرر الباحث عقله من مشاغل الحياة اليومية وكل ما يمنعه عن الكتابة. إن ما يزعج الباحث الأكاديمى التعارض بين المسؤوليات، وصراع الأدوار، مما يعوق عملية الإبداع، ويجهد الذهن، ويمنع الاستمرار فى الكتابة. وعلى الباحث أن يستمر فى الكتابة مادام قادراً على العطاء، ويتجنب التوقف، مادام المعين لم ينضب ولم يجف.

وتبدأ محاولة الكتابة عند شعور الكاتب أن المعلومات قد نضجت واكتملت وأنه وفق فى ملء الثغرات بين الأفكار والبيانات وعليه أن يمسك القلم ويكتب حتى لو لم يرض عما يكتبه، إذ من الأفضل أن يمزقه، بدلا من التوقف عن الكتابة، والبحر المتلاطم أفضل من البحيرة (ZeruBAVEL, p.13) التى جف ماؤها أو يتحرك بها ماء آسن. ولكى يستمر الكاتب فى العطاء يتعين عليه الباحث مهما كانت درجته العلمية أن يحدد:

- متى يقرأ ويكتب؟ أى يحدد فترات الكتابة والقراءة.
- متى يعد محاضراته؟
- يحدد متى يعد أبحاثه فى فترات أخرى؟ ومتى يقرأ الصحف؟ ومتى يجامل؟ ومتى يؤدى أدواره الأسرية ويحقق مطالبها؟ ومتى يقابل الأصدقاء؟

وعليه ألا يخلط الأوراق، وألا يطغى دور على دور خشية أن تتصارع الأدوار، ويشعر بالوهن والتوتر، فالمطلوب من الباحث أن ينظم أوقاته بدقة. وإلا فلن يقرأ جديداً ليضيف إلى معلوماته ما يثريها بالمعرفة، ولن يعد محاضراته إعداداً جيداً، ولن يكتب شيئاً يحظى بالقبول فى الوسط الأكاديمى، ولذا فمن الضرورى تنظيم أوقات العمل، مثلما من الضرورى ترتيب وتنظيم الأفكار.

فعلى الباحث أن يحدد جدول عمل أسبوعى يحدد فيه أيام العمل وساعات العمل اليومية وما يكتبه خلال أسبوع وأسبوعين وشهر وعام. والمواظبة على العمل والمثابرة اليومية أهم من الإسراع فى العمل فى الوقت المتبقى، وعلى الباحث أن يتذكر قصة السلحفاة والأرنب ومَنْ فاز فى النهاية.

واستمرارية الكتابة، تعنى استمرارية تدفق الأفكار، حتى لو توقف الباحث عن الكتابة لأسباب قاهرة فوق إرادته. فعليه أن يبدأ من حيث توقفت

الأفكار، وعلى الكاتب أن يتعلم أن يبدأ الكتابة من حيث انتهى بالأمس، لا من حيث بدأ فى اليوم الفائت. ولتجنب تلك المصيدة عليه ألا يترك الكتابة لفترة طويلةإذ لو طالت فترة التوقف عن الكتابة. فقد تضيع وتتبخر الأفكار أو تُنسى، ولكن الكاتب إذا حدد أهدافه من الكتابة، لن يتوقف قلمه عن الكتابة أمام عثرات الزمان.

ولذا فعلى الباحث أن يعوِّد نفسه الجلوس لفترات طويلة من الوقت يخلو فيها مع النفس، ليكتب؛ والجلسات الأطول فى الكتابة، تعنى أن تدفع ثمناً أفدح لا مفر منه خشية النسيان أو تبدد الأفكار.

ويتطلب تنظيم الكتابة وضع جدول زمنى يحدد أفضل الأوقات للتفرغ للكتابة، أيضاً تحديد الفترة الكافية لإنهاء البَحث كله وتخصيص الوقت الكافى لإعداد كل مرحلة من مراحل البحث والوقت اللازم لكتابة كل عنصر من عناصر البحث.

ولكن قبل تحديد وقت الكتابة ومدة كتابة كل عنصر؛ على الكاتب أن يسأل نفسه ما الفترة الزمنية الملائمة التى أستطيع أن أكتب فيها وأبدع، هل وقت الفجر؟ هل فى الصباح؟ هل فى فترة العصر؟ أم فى المساء؟ أم فى الليل؟ هل أكتب كل أيام الأسبوع أم فى نهاية الأسبوع؟ أو أيام الأجازات على حساب راحة الجسد، أو أكتب أثناء الإجازة الصيفية لازدحام الوقت بأعباء العمل؟

إن القدرة على الكتابة تتباين من باحث لباحث وتتفاوت من كاتب لكاتب فى عدد ساعات اليوم الواحد، مثلما تختلف حسب أيام العمر. وكل باحث أعلم وأدرى بأوقات الكتابة المناسبة له، وأخصب الفترات التى يمسك فيها بالقلم ليبدع ،وفترات الكتابة العقيمة التى يصعب عليه بدنياً ونفسياً الكتابة خلالها.

فالكاتب لن يكتب كل ساعات اليوم، أو كل أيام الأسبوع، أو كل شهور العام، وإن ما يكتب خلال أيام الأسبوع غير متوازن ويتباين من يوم ليوم، فقد

تتوقف الكتابة قبل يوم المحاضرة، وأثناء أيام المحاضرات، وتتزايد ساعات الكتابة عندما يتوقف عن التدريس والعمل فى الامتحانات ، كذلك ما ينجزه من كتابة يتباين من شهر لشهر. ولكى يعد الكاتب بحثا مناسبا عليه أن يجرب ويوفق بين مطالب الكتابة ومطالب العمل ومطالب الأسرة، ويفرق بين هموم البحث والكتابة وبين مطالب الحياة اليومية والطموحات الشخصية .فمن الأهمية لكل باحث أن ينظم الوقت البيولوجى- متى ينام؟ ومتى يأكل؟ ومتى يستريح؟ والوقت الاجتماعى -مطالب الأسرة ، الأصدقاء، ووقت التفرغ للبحث والكتابة.

ولن يحقق البرنامج الزمنى للعمل الغرض منه إلا إذا نظم الباحث النشاط اليومى المتوقع منه، وهذا التنظيم عامل أساسى فى إنجاز العمل ونجاح الخطة الزمانية للبحث. وهذا التنظيم اليومى للعمل أى وضع برنامج يومى هو أكثر الوسائل أهمية لتحقيق الغاية المرجوة من الباحث وإعداد البحث فى فترة محددة تقريبية ويدرك الباحث من خلال تنظيم العمل أن التلقائية ضد التنظيم، وأن العشوائية ضد الترتيب، وأن الفوضوية ضد النظام . (ZeruBAvel, pp. 3-5)

ولايتعارض التنظيم والترتيب والنظام مع الإبداع والأصالة والجدة- فالكتابة الجيدة نتاج التنظيم لا البوهيمية وليست وليدة العبثية ولا تعنى حرية الكتابة متى شئت والإمساك بالقلم متى أردت. فالمواظبة والتنظيم يساعدان على إنتاج عمل أكاديمى ينال احترام الوسط الأكاديمى.

لذا يتعين على الباحث أن يضع جدولاً زمنياً يحدد فيه الفترات الزمانية التى يستغرقها إنجاز كل مرحلة من مراحل البحث، ويتعين أن يتميز هذا الجدول الزمنى بالواقعية، يحدد خلاله مواعيد ابتداء كل مرحلة من مراحل العمل يوميا والوقت الكافى لإنهاء كل مرحلة من مراحل العمل. والفترة اللازمة لإنهاء العمل كله، ويبين فيه عدد الساعات اليومية التى يستطيع أن

يتفرغ للعمل والكتابة كل يوم.

ويساعد على نجاح استمرارية هذا الجدول: ١- تنظيم العمل، ٢- المواظبة على العمل، ٣- المثابرة، ٤- التوفيق فى إعداد عمل يرضى عنه الباحث والمجتمع الأكاديمى، ٥- إعداد عمل أكاديمى متميز.

ويساعد هذا البرنامج على تحقيق أهداف البحث، وإرضاء الباحث والانتهاء من كل ذلك فى فترات زمانية محددة.

ويتطلب إنجاز البحث، أو كتابة كتاب، وإعداد رسالة علمية وقتاً طويلاً ؛ وهذا يتطلب تنظيم العمل وترتيب الوقت. فالإبداع في العمل الأكاديمى لا يعنى عدم الاتساق وعدم الترتيب وليس وليد شطحات بعيدة عن الواقع فما يكتب يعبر عن الواقع، ويفسره ونتاج لظروف معينة.

وللكتابة وفق برنامج زمنى مزايا أهمها :

١- تحول الكتابة إلى عملية سهلة مقبولة إذ يحدد البرنامج أو (الجدول) متى نبدأ الكتابة ومتى تنتهى يومياً. فالكتابة ولو لمدة ساعة يومياً أفضل من التوقف عن الكتابة مثلما أن الكتابة لمدة زمنية طويلة تتخللها أوقات للراحة أفضل من الاسترخاء بلا عمل.

٢- وتحديد متى يبدأ كتابة الفصل؟ ومتى ينتهى؟ ومتى يبدأ العمل؟ والفترة المتوقعة للانتهاء منه. وإذا لم يجد الباحث الوقت عليه أن يسعى لإيجاد هذا الوقت.

فالباحث الجاد لا يترك الكتابة للفرصة التى قد لا تسنح، ولذا يصبح من الضرورى الالتزام بقاعدة أساسية تفرض نفسها:

وضع برنامج زمنى محدد للكتابة، مثل وضع برنامج زمنى لخطوات البحث كلها. أى تخصيص وقت محدد للكتابة وقد تكون ساعة أو سويعات يومياً، فالساعة التى يتفرغ الباحث فيها أفضل من ترك الأمور على أعنتها، والانشغال بالبحث أجدى من البيات خالى البال، وتخصيص وقت محدد

لأداء الالتزامات والمطالب الأخرى بحيث لا يطغى التزام على الإلتزامات الأخرى. إذ على الباحث أن يحقق التوازن بين كل الأدوار وتحديد أى الأفعال أكثر أهمية وتحديد وترتيب الأدوار الاجتماعية للباحث بدلاً من الرضوخ للالتزامات الطارئة «لا تجعل الهوى آله وللباحث مايهوى».

ويضع الكاتب فى اعتباره عند وضع هذا الجدول، واقعيته وامكانية تنفيذه، وإن الالتزام به يبين مدى القدرة على تحقيق التقدم فى العمل والقدرة على صعود الدرج، فمن المهم عند وضع هذا الجدول ترجمته وتحويله إلى فترات عمل حقيقية. وعلى الباحث أن يتجنب تخصيص فترات للعمل، يصعب الكتابة فيها لازدحامها بالمحاضرات أو العمل، إذ تتطلب الكتابة التركيز والتفرغ وألا يشغل باله بأعمال تافهة تستنزف وقته وتبعده عن التفرغ المنتظم فى البحث.

ويختلف هذا الجدول من باحث لباحث، وقد تحكمه ضغوط خارجية، فالجدول المناسب لباحث متزوج، لا يناسب الباحث غير المتزوج الذى يستطيع أن يستقطع ساعات أكثر للبحث والكتابة، والجدول الذى يلائم الاثنين لا يلائم الخاطب المقبل على الزواج، والجدول المناسب للمعيد أو الباحث فى أول السلم الأكاديمى غير الجدول المناسب للأستاذ!!

وهذان يختلف ساعات تفرغهما للبحث عن عدد ساعات الساعى إلى المال أو السلطة! ، والجدول الذى يناسب المعيدة التى لم تنجب غير الجدول المناسب للمعيدة أو عضو هيئة التدريس التي تتصارع أدوارها كزوجة وأم وباحث. والجدول الذى يناسب فترة الصيف غير جدول أيام الامتحانات التى يُستنزف فيها الوقت من إشراف وتصحيح أوراق الإجابات، ولا يستطيع الباحث أن يتحكم فى كل ساعات اليوم الواحد ويستقطعها للبحث العلمى، وعليه أن يحدد أولياته فى الحياة، وتلك مسألة شخصية تتفاوت من باحث لباحث. والقدرة على تنظيم وقت للبحث العلمى والتفرغ للكتابة يتطلب التضحية بأشياء على

المدى القصير فى سبيل البحث العلمى. وأهم التضحيات قد يكون المال أو الطموح السياسى وهو نقيض الطموح الأكاديمى المطلوب.

تلك هي الخطوة الأولى والفائدة الكبرى من وضع برنامج زمنى لإنجاز البحث وكتابته، ومن ثم تسقط الشكوى وتبطل الحجة من عدم وجود وقت كاف للكتابة بعد أن حدد الباحث الكاتب أولوياته فى الحياة، وليدرك كل باحث أن كل إنسان لديه فسحة كافية من الوقت، أكبر مما يود الاعتراف بها، فالمشكلة ليست وجود الوقت بوفرة أم قلة الوقت بل كيف تنظم هذا الوقت؟ وكيف تحدد الأولويات؟ وكيف ترتبها؟ وكيف توفق بين المطالب؟

وإذا أجاب الباحث عن هذه الأسئلة إجابة صادقة، فلا يلوم إلا نفسه إن لم يجد الوقت الكافى للكتابة. وبعدما يحدد الباحث الوقت المناسب للكتابة، والذى يتفرغ فيه للكتابة بانتظام، عليه أن يعود نفسه الجلوس ليكتب، وهذه الأوقات تتباين حسب برنامج خطة البحث وإعداد البحث أو الرسالة فساعات الكتابة فى بداية البحث تختلف عن أوقات الكتابة فى منتصف الفترة مثلما تتباين عندما يقترب العمل من نهايته، إذ تتزايد سرعة الكتابة.

وثمة عاملان يتداخلان فى تحديد فترة العمل: (ZeruBAVEL,p,18)

العامل الأول : مقدار الوقت التقريبى الذى يستقطع ويتفرغ فيه الباحث الكاتب لإنجاز العمل. ومن الأفضل ألا يحدد الكاتب فترة طويلة أو فترة قصيرة للكتابة بل يحدد فترة ملائمة ينتج ويكتب فيها، ولا يجعل الوقت يضغط عليه، فيشعر بالوهن.

العامل الثانى : تحديد أنسب وقت يمكن أن يكتب فيه الباحث ويبدع.

وأهم فوائد وضع الجداول :

١- تحقيق التكامل بين الكتابة ومطالب الحياة اليومية، مما يعنى أن الباحث الكاتب يسير وفق قاعدة منظمة.

٢- يحدد الجدول أن للكتابة هدفاً، وهذا يجعل الكتابة عملية مريحة ويعطى الكاتب شعوراً باللذة والراحة عندما يمسك بالقلم، وعدم الاسترخاء للذات والأهواء والمجاملات.

٣- يمنع الجدول الباحث من التراخى فى العمل، فلا يسرقه الوقت فيقعد ملوماً محسوراً مخذولاً.

٤- بطرح الكاتب دوماً التساؤلات الآتية :

كم أنجزت؟ وكم تبقى من الوقت؟ وما الأجزاء التي أنجزت؟ وما الأجزاء التى لم تنجز؟ وكم من الأجزاء لم تكتب؟ مما يعطى شعوراً بالأمان وإمكانية إنهاء العمل.

٥- أن يحيا الباحث حياة اجتماعية طبيعية، إذ لن تقعده الكتابة عن حياته الاجتماعية، ولن تلهه وتستغرقه مطالب الحياة عن البحث والكتابة.

٦- يعنى الالتزام بالجدول أن الباحث الكاتب يحيا حياة منظمة. ولا يطغى نشاط على نشاط ولا دور على دور، فهو يعرف كيف يحقق المواءمة بين أوقات الكتابة وأوقات الأنشطة الأخرى، كما لا يطغى وقت علي وقت ومن ثم حسم وحل الثنائيات التى تداهمه فى بداية عمله فى مجال البحث ويعترك معها مثل:

مجاملة الأصدقاء أم البحث والكتابة؛ مشاهدة التلفاز أم البحث والكتابة؛ أحاديث السمر أم البحث والكتابة؛ الجلوس على المقهى أم الجلوس فى غرفة المكتب، تشتت الجهد وراء المال أم الانقطاع للبحث؛ واذا ما حل الباحث هذه الثنائيات شعر بالراحة، وأن العمل طيع يمكن السيطرة عليه وأن من السهولة تنفيذه والإنتهاء منه.

٧- تنظيم أوقات للكتابة وأداء الأدوار الأخرى يبين أن الكاتب لم يكرس كل وقته للكتابة، فالباحث إنسان له حياته وكرامته ولن يتوقف ليتسول

ليدبر المطالب الاستهلاكية والترفيهية لأسرته، فظاهرة جمال حمدان- الذى أغلق الأبواب على نفسه وانكب على الكتابة- لن تتكرر.

٨- التوفيق بين مطالب دوره الأكاديمى كباحث وأدواره كأب وزوج وصديق وقريب، وألا يطغى دور على الأدوار الأخرى إذ لو حدث ذلك انعكست النتيجة سلباً على علاقاته وإلتزاماته الأسرية ودخل دوامة من الأزمات أو العكس.

٩- تحديد خطوات العمل من البداية إلى النهاية، ليعرف كيف يتحرك وكيف يخطو. وكم من الوقت تستغرق كل خطوة من خطوات البحث، ويعرف كيف يصعد السلم درجة درجة وكم من الوقت يستغرقه هذا الصعود.

فالإصرار على وضع برنامج للعمل، وجدول زمنى لإنجاز البحث يعنى تحديد خطوات العمل، وتحديد الوقت اللازم لإنجاز العمل ويعنى الالتزام والمثابرة فى العمل ويعني الخضوع لنظام محدد. وإذا ما تعود الباحث الكتابة وفق جدول وعمل وفق برنامج أصبحت الكتابة عادة مكتسبة، لا تصاحبها المعاناة.

١٠- معرفة عدد الصفحات التقريبية لكل فصل فلا يسهب ولا يطنب ولا يختزل، إذ أن المبالغة فى تقدير عدد الصفحات يزيد من قلق الباحث، مثلما يزيد شح وفقر المعلومات من هذا القلق.

١١- يقلل من فرص الإخفاق فى تحديد أهداف البحث.

١٢- يساعد الجدول الزمنى على امتصاص الصدمات والإحباطات التى قد تحدث فى نهاية البحث مثل المرض وأزمات العمل.

١٣- يفرق الكتاب بين فترة كتابة المسّودة الأولى والمسّودة الأخيرة

ومن الطبيعى أن تتزايد سرعة الكتابة في بعض الأجزاء وأن يتباطأ

الكاتب عند كتابة أجزاء أخرى. إذ يتزايد السرعة عند النقل والاقتباس والترجمة وقد تقل السرعة عند كتابة التحليل والتفسير واستخلاص النتائج.

ويعني وضع جدول يبين خطوات البحث، وبرنامج زمنى لإنجاز كل خطوة فى أيام معدودات ومواعيد ثابتة للكتابة لا يحيد عنها الباحث أبداً، أن الكتابة بالنسبة له عمل له احترامه وأن أوقات العمل فى البحث عامة والكتابة خاصة من المحرمات التي لا تستباح. ولكن قد يتطلب الأمر شيئاً من المرونة لكيلا ينهار العمل ويحبط الباحث إذا ما حدث عارض، ولكن وضع هذا الجدول والالتزام بهذا البرنامج لا يعني جمود الباحث، إذ قد يعدل فيه الباحث، ولكن الحذر من التعديل الدائم واجب ومطلوب، فالمطلوب من الباحث التعود على النظام وترتيب عناصر العمل وتنظيم الوقت وأن يحدد مكانة البحث العلمى فى حياته خشية أن يدمر حياته.

وعلى الباحث ألا يفرط في تحديد الوقت السابق على الدراسة الميدانية وأوقات جمع البيانات ويقلل من وقت تحليل البيانات. أيضاً ألا يسرف فى أوقات الكتابة ويقتر فى أوقات المراجعة، سواء مراجعة المخطوطة، ويسرع أكثر فى المراجعة بعد الكتابة على الحاسب الآلى ليبدو العمل كأنه أشبه برداء مملوء بالثقوب.

فعلى الباحث أن يحدد الوقت الذى لا يمكن تجاوزه لإنهاء العمل، وتنظيم الوقت لإنجاز كل مرحلة، وألا يستنفد قواه في صعود الدرج، وينتهى الوقت قبل صعوده أو يشعر بالعجز عن الاستمرار.

إذا يفترض عادة أن يصمم الباحث جدولا تقريبيا يبين فيه وقت بداية البحث والانتهاء منه أو الرسالة، ويبين فيه عدد الصفحات المتوقعة لكتابة كل جزء والوقت المفترض لكتابة كل جزء وعدد الصفحات التى تكتب على مدار الأسبوع والفترة القصوى للانتهاء من كتابة الجزء. وفائدة هذا الجدول أنه يبين معدل التقدم الذى يحققه الباحث أثناء كتابة المسودة قبل إجراء

التعديلات.

ويبين الجدول الآخر الأيام التى يخصصها للبحث ويستطيع الكتابة فيها وعدد الساعات التى ينفرد فيها بنفسه ليكتب، ويتحرر من كل الالتزامات، أيضاً يبين الجدول الأوقات التى يتحرر فيها الباحث من أسر البحث ويؤدى فيها الإلتزامات الأسرية ومقابلة الأصدقاء والمجاملات وأداء العمل.

والأهم من تصميم هذا الجدول تنظيم الوقت والالتزام بهذا التنظيم، وقد يواجه الباحث معوقات من الداخل والخارج، ولكنه عليه أن يتغلب عليها، ويحقق هدفاً بعيداً هو الانتهاء من البحث، وهذا الهدف لن يتحقق إلا بعد وقت طويل، وهذا يتطلب السيطرة على الوقت وتنظيمه، والباحث أثناء إعداد البحث كمن يمشى فى طريق طويل، ويعتمل فى عقله أثناء السير أفكار كثيرة، وتساؤلات تبحث عن إجابات، وهذه التساؤلات والأفكار تتحداه كلها، ولكن بالمثابرة والجهد والإتقان وتحدى رغبات الذات يمكنه أن يجيب عليها ويبلغ الهدف النهائى (ZeruBAVEL, p. 37)– وهذا الهدف يبدو سهل المنال لو خطط للبحث منذ البداية تخطيطاً سليماً.

الباب الثالث

جمع البيانات وتحليلها



الفصل السادس

طـرق جمـع البيانـات

طرق جمع البيانات

من المهم أن يعرف الباحث ماذا يريد أن يدرس ويبحث. هل يدرس مقالات فى جريدة؟ هل يحلل أخبار الصفحة الأولى فى الجرائد المصرية والأمريكية، وهل يحلل المجلات العربية والفرنسيه والباكستانية؟ هل يدرس اتجاهات النسوة المتعلمات نحو قانون الخلع؟ والآثار الاجتماعية لهذا القانون على تزايد تفكك الأسرة؟ هل يدرس تاريخ الحرف اليدويه. أو تاريخ الازياء أو تاريخ الصناعة؟ وهل يدرس أثر المحكمة الإدارية على تحقيق الانضباط الإدارى؟ هل يدرس سلوك المطلقات فى ردهات المحاكم بعد صدور الحكم بطلاقهن؟ هل يدرس قيم الأطفال فى مرحلة الدراسة الابتدائية أو الخصائص الاجتماعية والسكانية للمهاجرين الى دول النفط.

وهل يدرس أسباب الزواج العرفى ونتائجه؟ أم يقوم بدراسة حالات بعض اللاتى تزوجن عرفياً، أو يقوم باجراء مسح اجتماعى لمنطقة باب الشعرية أو أسباب تأخر سن زواج الجامعيات أو سلوك الباعه فى الأسواق القديمه بالمدينة أو اسواق القريه، أو دراسة حالات بعض المدمنين. واذا كانت موضوعات البحوث كثيرة، فادوات جمع البيانات لاجراء كل موضوع متباينة.

وثمة فرق بين أداة جمع بيانات لتحليل الإخبار وأداة تهدف سؤال الناس وأداة ملاحظة سلوك القروين وسلوك الأطفال،وأداة معرفة اتجاهات الناس نحو قضايا معينة أو اراء المواطنين فى قوانين الضرائب والمرور أو اتجاهات المشاهدين من برامج التلفزيون.

والحقيقة أن طرق وأدوات جمع البيانات التى يستخدمها الباحث الإجتماعى مثل التلسكوب لعالم الطبيعة وانبوبه الاختبار لعالم الكيمياء والسنارة بالنسبة للصيادين.

ويعتمد اختيار الأداة المناسبة لجمع البيانات الميدانية على عدة أسس منها:

١- موضوع البحث وأهدافه.

٢- فترة البحث.

٣- توافر المال وعدد الباحثين.

٤- نوع الدراسة: وصفية أم تفسيرية.

ومهما كان نوع البيانات المطلوبة، فينبغى أن يستخدم الباحث أكثر من اداة للحصول على إجابات مهمة وصادقة عن كافة الأسئلة التى يطرحها الباحث. ولكل فوائدها ومزاياها (Atkinson, p. 73)

ومصادر البيانات ومنابعها عديدة ومتنوعة، قد يكون المصدر الكتاب والنشرات والتقارير الرسمية والإحصاءات، وتلك البيانات نجدها فى المكتبة أو نحصل عليها من شبكة الإنترنت. ويوصف هذا النوع من البيانات بأنها بيانات ثانوية أو استخدام أدوات البحث الاجتماعى للحصول على بيانات ميدانية معاصرة عن المجتمع أيا كان حجمه، توصف هذه البيانات الميدانية بأنها بيانات رئيسية.

وأدوات جمع البيانات في البحث الاجتماعى كثيرة ومتنوعة مقابل أنماط ثلاثه للبحث وهى (الدراسات التفسيرية، والوصفية، والاستطلاعيه). وهذه الأدوات وسائل لاختبار النظريات الاجتماعية فى عالم الواقع أو إثبات أو دحض الفروض أو الإجابة على التساؤلات سلباً أو بالإيجاب أو لاجراء دراسات استطلاعية أو تمهيدية.

والرجل العادى يعرف أن مهمة الباحث الاجتماعى ملاحظة سلوك الناس أو قياس إتجاهاتهم وتصرفاتهم بغية فهم العالم الاجتماعى فى حدود الأعداد والأرقام أو مجموعة من البيانات الكيفية تجمع من خلال الملاحظة، وجمع هذه البيانات الرقمية أو الكيفية خطوة أساسية قبل التحليل والتعميم واختبار الفروض وتفنيدها.

ونوع البيانات هو الذى يفرق بين باحث وآخر، ويميز بين بحث وبحث، فثمة مبادئ تحكم جمع البيانات، وثمة اجراءات يتبناها الباحث لتحقيق أغراض البحث، كذلك تختلف مهارات الباحثين فى جمع البيانات وتحليلها، فكل الأطباء درسوا علم التشريح ولكن ليس كل طبيب جراحاً ماهراً، وأيضاً ليس كل من تخرج من كلية الهندسة مهندساً ناجحاً، وليس كل من درس علم الاجتماع باحثاً

اجتماعيا متمرساً قادراً على جمع البيانات وتحليلها. ولكل أداة من أدوات جمع البيانات مظاهر قوتها ومزاياها ومظاهر ضعفها ومساوئها، ولا ندعى أن هناك أداة واحدة كاملة تبلغ درجة الكمال، فهناك مشكلات ترتبط بالقياس أو السيطرة على مجتمع البحث وتمثيل النتائج على المجتمع الكلى، ومن ثم تعميم نتائج البحث، والباحث يختار الأداة أو الطريقة بعد مقارنة مزايا كل أداة. ويعتمد تفضيل أداة على أداة أو طريقة على طريقة على مجموعة من العوامل، أهمها موضوع البحث وأهداف الدراسة وطبيعة مجتمع الدراسة ونوع البيانات المطلوبة وهل البيانات كمية أم كيفية وهل الدراسة وصفية أم تفسيرية.

والخطوة التى تتبع تحديد المفهومات وتعريفها وتحديد مجتمع الدراسة ، هى تحديد الباحث طريقة أو أداة البحث المناسبة لإجراء الدراسة الميدانية.

طرق جمع البيانات :

إن القدرة على الحصول على معلومات موثوق بها وكافية وصادقة، أمر أكثر أهمية عندما نقدم على إجراء البحوث الإجتماعية وفى البداية نوضح أن المعلومات والبيانات نوعان، النوع الأول، البيانات الثانوية، والتى يحصل عليها الباحث من الكتب والمجلات والتقارير، والتى توفر على إعدادها ونسجها غيرة من الباحثين. والنوع الآخر، البيانات الرئيسية، وهى من صنع الباحث الاجتماعى وابداعه ويجمعها بمهارته وجهده باستخدام وسائل جمع البيانات المقننة والتى تتلاءم مع موضوع البحث.

والكتاب مصدر مهم وأساسى قديم من مصادر المعرفة، بل أقدم مصادر المعرفة للحصول على البيانات والمعلومات التى تفيد الباحث فى بحثه.

وأثناء إعداد البحث، يتعين على الباحث التردد على المكتبة، وهذا التردد يحقق فائدتين كبيرتين:

١- يتعرف الباحث على مجموعة المؤلفات والكتابات التى عالجت موضوع البحث التى تعد ضرورية فى تحديد مشكلة البحث، وتعديله.

٢- تعطى الباحث شعوراً بأن موضوع البحث محل اهتمام مجتمع الباحثين،

ويستحق الاهتمام والمثابرة، وأن عليه واجباً محدداً، مؤداه ألا يكرر كتابات من سبقه، وعليه أن يجود ويبدع. كما يطرح عدة أسئلة أهمها، هل موضوع البحث محور اهتمامه الذى يفكر فيها يرقى إلى مستوى الأهمية التى يتوقعها؟ وهل هو أول من كتب فى هذا الموضوع أم سبقه آخرون كتبوا فى الموضوع نفسه؟ وما الجديد الذى يضيفه؟ وهل الموضوع مناسب للدراسة أم لا؟ ويساعد الاطلاع على فهارس المكتبة الإجابة عن تلك الأسئلة، وعندما يسعى الباحث إلى تحديد موضوع البحث، عليه أن يتذكر أن أحد أهداف الكتابة فى علم الاجتماع تأكيد وتعزيز فهم الباحث للعمليات الاجتماعية والنفسية للطريقة التى تعمل بها المجتمعات- والاجابه على هذه الاسئله ترتبط بمدى استيعابه لموضوع علم الاجتماع ومجالاته .

وثمة مصادر كثيرة أساسية يمكن الرجوع إليها للحصول على المعلومات لإعداد البحث أو الدراسة. فإذا أردنا إجراء دراسة عن الأسرة المصرية المتغيرة، فعلى الباحث أن يعرف المقصود بالأسرة والفرق بين الأسرة والعائلة والمقصود بالأسرة التقليدية والأسرة المتغيرة والأسرة الحديثة، والنظريات التى فسرت التغيرات التى طرأت على الاسرة وأسباب هذه التغيرات . وتلك الخطوة تطلب من الباحث أن يتردد على المكتبة ويطالع ما كتب فى الكتب وما نشر فى المجلات المتخصصة عن الأسرة، ومراجعة الإحصاءات الصادرة عن تغير حجم الأسرة، أما إذا أراد أن يتقصى مظاهر تغير الأسرة وخصائص الأسرة المتغيرة أو التغيرات التى طرأت على حجم وبناء الأسرة ووظائفها، فالأمر يتطلب إجراء دراسة ميدانية بأن يتقصى ويستبين أعمار الزوجين ومتوسط أعمارهما- وأعداد الأبناء ، وأعمارهم، وتعليمهم والحراك المهنى والتعليمى والمكانى لاعضاء الأسرة ومهن الاباء والاجداد والابناء والزوجين.

مصادر جمع البيانات الثانوية

أولا: الكتاب

كيف يحصل الباحث وخاصة المبتدئ على المعلومات والبيانات؟ وهل لازال

الكتاب هو المصدر الخالد والأوحد للمعلومات؟ وهل المعلومات مقصورة على المعلومات النظرية المتوفرة بين دفتى الكتب والتقارير.

لكى نتقدم إلى الإمام ونعرف مصادر البيانات من الواقع المعايش المعاصر، علينا أن نتراجع إلى الوراء إلى أقدم المصادر للحصول على المعلومات أى المكتبة.

والباحث الدارس لأحوال المجتمع عليه أن يتردد على المكتبة القومية (دار الكتب)، ومكتبات الجامعات ومكتبات أقسام الاجتماع ومكتبة المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ليعرف هل درس هذا الموضوع من قبل؟ ومن درسه؟ ومن ساهم مساهمة هامشية فى دراسته؟ أو درسه كموضوع رئيسى،؟ ويطالع فيها قوائم الكتب التى تنشرها دور النشرليعرف أخر ما نشرته . وعليه أن يطالع المجلات المتخصصة والأعداد التى صدرت عن الكتاب السنوى لعلم الاجتماع والمجلة الاجتماعية والجنائية التى تصدر عن المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ومجلة مطالعات اجتماعية التى تصدر عن ا ليونسكو ومجلة العلوم الاجتماعية التى تصدر عن مجلس النشر العلمى من جامعة الكويت ،ويرجع إلى قواميس علم الاجتماع ودوائر معارف العلوم الاجتماعية لتحديد المفهومات.

وعليه أن يعرف أن الإحباطات التى تواجهه للحصول على الكتاب، تصقله كباحث. ومن الهم أن يمسك بالكتاب ويطلع على فهارسه، ويقرأ ما بين دفتى كل كتاب ويتمثله ويخرجه فى شكل جديدً وألا ينقل كل ما تقع عليه عيناه فى بحثه، عليه أن يتمثل ما يقرأ، ويعرف أن ما يقتبسه أو يدونه يجب أن يوثق، وأنه سوف يرجع الى هذه المعلومة يوماً ما.

فالرجوع إلى كتابات الآخرين يعطى الباحث الضوء الأخضر للموضوع أو العناصر التى أغفلها الباحثون الآخرون، وتحتاج الى مزيد من البحث. وفى بداية البحث قد لا يعرف الباحث أى المراجع أكثر فائدة وما الكتاب الذى يفيده أكثر، ولكن كلما تقدم خطوات فى البحث تبين له الغث من الثمين، وعرف الفرق بين باحث ينقل كل شئ حتى الأخطاء المطبعية، وباحث أصيل يجود،

وباحث يُزَّور، أيضاً عرف الحاجة الى مراجعة أبحاث أو كتابات أهملها وقلل من شأنها فى البداية، وعدم جدوى مرجع ارتكن عليه، واقتبس منه بعض الفقرات.

إن الحصول على المعلومات والبيانات ليس بالأمر اليسير كما يتهيأ للباحث المتبدئ، فالمراجع القيمة لا تعرف إلا بجهد، والكتابات الأصيلة الموثوق بها وفيها لا يدركها إلا العارفون.

والمراجع التى يقتبس منها أو يلخصها أو يترجمها ترتب ترتيباً رقميا فى نهايه كل صفحة من صفحات البحث، ولا غرابه ان نجد بعض المراجع مرتبه فى نهاية الكتاب أو البحث ترتيباً رقميا حسبما وري فى المتن أو مرتبة هجائية باسم المؤلف .

فأهم مصادر المعلومات هى المكتبة. ففى المكتبة نجد الكتب والمجلات والموسوعات العلمية ودوائر المعارف وأهمها للباحث الاجتماعى دائرة معارف العلوم الاجتماعية، Ency of Social Sciences . أما البيانات الإحصائية الأساسية فيمكن البحث عنها فى إصدارات الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء. وعلى الطالب أن يعرف الطريق للمكتبة، ويبحث فى الفهارس الثلاثة، فهرس المؤلف ليعرف ماذا كتب، ويضم هذا الفهرس أسماء من ذاعت شهرتهم فى العلوم الاجتماعية أو كل من كتب كتابا فى العلم الاجتماعى، أو فهرس الموضوع ليعرف أسماء المجلات والكتب التى نشرت عن موضوع البحث، وفهرس اسماء الكتاب ليعرف عما إذا كان الكتاب أو المقال الذى يبحث عنه متواجداً أم لا؟ وإن كان الجواب بالسلب، فعليه أن يعرف الطريق لمكتبة أخرى.

وليس المهم العثور على المطبوعات، فهى متوافرة، مهما كانت الإحباطات التى تواجه الباحث، وتعثر حصوله على الكتاب أو المجلة. والباحث الجاد يمكنه أن يحصل عليها من أى مكان حتى ولو من خارج حدود الوطن. ولكن الأمر الأكثر أهمية يبدو عندما يقرأ القارىء ما بين دفتى الكتاب. فالصعوبة هى أن يعرف كيف يقرأ؟ وكيف يستفيد مما يقرأ؟ ويفهم ما يقرأ؟ ويقيمه؟ ويعرف مدى حاجته إليه؟

ويتعين على الباحث أن ينقل أو يصور ما يعتقد أنه مفيد للبحث أثناء اعداد البحث. وسواء نقل الباحث صفحات أو عدة سطور أو صور عدداً من الصفحات أو صفحة واحدة،فمن المهم تصوير صفحة الغلاف، وتحديد رقم الصفحة التى نقل عنها تحديداً دقيقاً للاستفادة من ذلك فى التوثيق. وكما أوضحنا فالرجوع إلى ما كتبه الآخرون يضىء أمام الباحث الضوء الأخضر ويشجعه على الاستمرار فى البحث أو يضىء له الضوء الأحمر. إذ أن الاطلاع على جهود الآخرين يحدد النقاط التى اهتم بها الباحثون الآخرون والنقاط التى أغفلوها، وتحتاج لمزيد من الدراسة، وليعرف أين انتهوا؟ ومن أين يبدأ؟

وفى البداية قد لايعرف الباحث أى المراجع أكثر فائدة وأسماء المراجع التى تفيده أكثر من غيرها، ولكن كلما تقدم فى البحث، يتبين له مدى حاجته لمرجع أساسى أغفله (Becker, Howard, p.106)،وأن المراجع التى اطلع عليها فى المرحلة الأؤلى كانت ثانوية.

وأحيانا ما يكتشف الباحث أن موضوع البحث الذى يحاول دراسته جديد ولم يسبقه أحد إلى دراسته، ومثل هذا الباحث عليه أن يتقدم للأمام ويقتحم الموضوع باعتباره مكتشفا لموضوع بحث جديد يرجع إليه الفضل فى اكتشافه ويعتمد الباحث فى مثل هذا النوع من البحوث على الدراسات الوصفية أو الاستكشافية لتأصيل دراسته، ويمهد الطريق لمن بعده.

والسؤال الأخير بعد الاطلاع على المصادر، كيف أتجنب النسيان واحتفظ بالمعلومة؟

ذلك أمر يسير، فعلى الطالب أن يدون ما يراه ملائما سواء، نقلة حرفيا أو اختصره على بطاقة أو صحيفة، ويدون فى ذيل البطاقة اسم المؤلف واسم المرجع والناشر وكل ما تتطلبه عملية التوثيق، ثم يصنف هذه البطاقات حسب عناصر الموضوع ويحتفظ بها عسى أن ينفعه بعضها فى بحث ثان أو ثالث يوما ما.

ويفترض أن يخصص الباحث كراساً يدون فيه أبجديا أسماء المؤلفين وكتبهم

وكل البيانات الخاصة بالتوثيق لعل الحاجة تدفعه للرجوع إليها يوماً ما. وكما ينصح الباحث التعود على القراءة اليومية وتخصيص وقت للتردد على المكتبات للقراءة كما ينصح باقتناء الكتب القيمة والأساسية حسب مقدرته. ويمكن للطالب أن يقتنى الكتب التى تنشر ضمن سلسلة مكتبة الأسرة، أو مجموعة عالم المعرفة التى تصدر من الكويت، وتلك الكتب تباع بأسعار زهيدة.

ويفيد الاطلاع على منشورات علم الاجتماع فى إثراء الإطار النظرى للبحث، وتزويد الكاتب بالقضايا المتباينة للمنظورات المختلفة فى علم الاجتماع، وهى تساعده على تفسير الواقع الاجتماعى الذى يدرسه، كما تيسر له فهم معنى الحياة الاجتماعية وكيف تستمر وكيف تتغير، والعلاقات التى تتكون أو تهدم أو تتغير، ودون هذا الفهم يفتقد الباحث الرؤية الواضحة للبيانات والوقائع الاجتماعية، ويعجز عن تفسير البيانات الكمية، ومن ثم يقل الدافع إلى الكتابة الجيدة، إذ علينا أن نجعل الكتابة هدف التحليل.

ثانيا: شبكة الانترنت

ومنذ الستينيات من القرن الماضى، لم يعد الكتاب المنشور وحده، ولا المجلات العلمية المنفذين الوحيدين لنشر المعلومات. إذ منذ عام ألف وتسعمائة وواحد وتسعين– فرضت شبكة الإنترنيت نفسها كنظام جديد ينافس الكتاب. بوصفها نتاج هيمنة وسيطرة التكنولوچيا المعاصرة– وكان هناك حوالى سبعمائة ألف باحث يستعملون هذه الشبكة وارتفع العدد فى عام ألف وتسعمائة وستة وتسعين إلى أربعة آلاف مليون!! مواطن، أى بمعدل مائة وستين ألف مستعمل جديد. (Johnson, p. 146-156) . وقد زاد استعمال هذه الشبكة بين المشتغلين بالعلم فى العالم العربى.

تُعَرَّب شبكة الانترنيت إلى شبكة المعلومات الدولية، وهى شبكة تضم خطوط أجهزة الكمبيوتر، وتستخدم لغة الكمبيوتر المشتركة ليمكن الاتصال فيما بينهما، وهذه الشبكة الدولية من المعلومات التى انتشرت فى بلادنا فى الخمس سنوات الأخيرة من القرن الماضى، لها تاريخ وبداية. نشأت فكرتها فى عقد الستينيات، إذ كانت بداية شبكة الإنترنت فى عام ألف وتسعمائة وستين عندما بدأت هذه

الشبكة تقدم للباحث من المعلومات خدمات عديدة، إذ تمكنه من الحصول على البيانات والمعلومات من أى موقع على الجهاز، ومن أى بلد من بلدان العالم، كما تسهل لنا البحث عن شرح الموضوعات ومعانى الأفكار والعبارات التى حفظت بالشبكة وثمة لغات ومواقع كثيرة على هذا الجهاز.

ومن أراد أن يبحث عن قضايا علم الاجتماع فى جهاز الإنترنت عليه أن يفتح أحد مواقع البحث الكثيرة مثل Yahoo research engine- وسيجد الباحث فى هذا الموقع أسماء هيئات علم الاجتماع وأقسام علم الإجتماع وقائمة باسماء الكتب أو مصادر وموضوعات علم الاجتماع وإذا كان يبحث عن الرفاهية مثلاً، فسنجد على مواقع الإنترنت قضايا كثيرة ترتبط بالرفاهية، وعلى سبيل المثال فسيجد ابحاث الرفاهية والعدالة، والرفاهية والنظم التى تحقق الرفاهية، وما كتب فى الصحف والمقالات عن الرفاهيه. والأبحاث التى نشرت عن الرفاهية فى العلوم السلوكية المختلفة وعلاقة علم النفس الاجتماعى بالرفاهية. والدراسات الحضرية المهتمة بالرفاهية.

ولكن قبل أن تبحث عن مصادر علم الاجتماع على شبكة الإنترنت، على الباحث أن يتعلم كيف يتعامل مع الجهاز.

الإنترنت وعلم الاجتماع

وللدخول على شبكة الإنترنت لابد أن يكون لدى الباحث الأشياء الاتية:

١- حاسب آلى.

٢- مودم Modem وهو كارت يُركب داخل جهاز الكمبيوتر ومجهز للاتصال بشبكة التليفون العادية، ومنها يمكن الوصول إلى شبكة الإنترنت.

٣- ISP والتى تعنى Internet Service Provider أى الشركة التى تقدم الإنترنت مقابل مبلغ من المال. فالاتصال بالإنترنت يُعتبر مكالمة تليفونية محلية.

٤- Browser أى برنامج متصفح يعرض صفحات الإنترنت، ويتيح إمكانية

طباعة المادة الموجودة بها، وبصفة عامة يوجد برنامجان فقط، وهما الأشهر: البرنامج الاول Microsoft Internet explorer، والبرنامج الآخر Netscape ولحسن الحظ كلاهما مجانى، الأول يأتى مجانا مع نظام التشغيل Windows، وكلاهما يمكن الحصول عليه مجاناً من الأقراص المدمجة Compact Disk التى تأتى هدية مع مجلات الكمبيوتر، أو يمكن الحصول عليهما من الإنترنت فيما يسمى Download. (Johnson, p.124)

وبعد الحصول على كل ما سبق، يمكن للباحث الولوج داخل عالم الإنترنت بحرية، فبعد الإتصال بالشبكة، وبعد تشغيل برنامجه المتصفح (سواء كان Internet explorer أو Netscape) تطالع الصفحة الأساسية أو التمهيدية Home page. لهذا الموقع، والتى تقدم لك أدوات البحث على الإنترنت. ومن أهم هذه المواقع :

http:// www. yahoo. com

http:// altavista. digital. com

http:// www. excite. com

http:// lycos.com

ولكل صفحة أو موقع على الإنترنت عنوان يطلق عليه URL وهى اختصار لـــ Universal Resource Locator، وهى تتكون من جزأين، أحدهما ثابت مشترك فى كل المواقع وهو :

Http: // www.

HTTP : Hyper Text Transfer Protocol.

WWW : World Wide Web.

أما الجزء المتغير فيختلف من موقع لآخر، وعادة المواقع الأكاديمية تأخذ، اسمها الخاص، ثم حرفى AC أى Academic أو edu أى education، مثل :

http:// www. ox.ac. uk وهذا هو الموقع الخاص بجامعة Oxford فى المملكة المتحدة.

أما الشركات فتأخذ حروف Com، مثل :httpwww. so. com أى موقع شركة سونى العالمية. والمؤسسات تأخذ حروف Org، مثل: http:// www. un.org

والغرض من هذا العرض المبسط أن نثير فضول الباحثين الشبان ونرشدهم إلى أهمية التعامل مع شبكة الإنترنت، والذى يساعد الباحث على وضع يديه على اكتشاف آلاف المعلومات، ومئات من مناجم البيانات، ابتداء من قوائم أسماء وعناوين الباحثين إلى البريد الإلكترونى إلى قوائم الكتب والمجلات إلى فهارس الموضوعات وأسماء الناشرين، ومن ثم يمكن الحصول عليهم ومراسلتهم ، كما يوصلك إلى مكتبات جامعات أخرى سواء فى القارة الأمريكية أو الأوروبية أو الأسترالية أو الأسيوية أو الإفريقية.وتستطيع بالتالى أن تعرف ما كتب فى الموضوعات التالية: تطور الفكر الاجتماعى، والنظرية الاجتماعية، وميادين علم الاجتماع، والقانون والمجتمع؛ والأسرة والمجتمع، والسياسة والمجتمع، والرفاهية الاجتماعية، والهجرة والعلاقات العرقية، والقرابة، والبداوة؛ والهجرة الريفية والجريمة والسلوك الانحرافى، والثقافة الإستهلاكية، ومجتمع الوفرة؛ ووقت الفراغ والجنس والدين والعنصرية، ثم التطرق الى موضوعات علم الاجتماع والتكنولوجيا، وعلم اجتماع ما بعد الحداثة، وعلم السكان، والاقتصاد. فالموقع يعرض كل القضايا التى تهتم بالإنسان، ومناقشة هذه القضايا مناقشة حرة، فلن يقتصر الأمر على الحصول على مصادر متنوعة للمعلومات، بل قد يعثر الباحث على تعليقات على ما نشر من أبحاث ؛ ولا يقتصر الأمر على أسماء الكتب أو المجلات أو عناوين الموضوعات، بل سيجد العديد من المعلومات والمقالات والموضوعات مرقمة بأرقام الصفحات.

ولو فتحنا جهاز الإنترنت على موقع the yahoo sociology search page سنجد قائمة تضم الموضوعات التالية: (Johnson, p. 150) على سبيل المثال لا الحصر.

١- قائمة متغيرة عن الأعمال المدرسية التى تتعلق بالأدوار التنظيمية.

٢- الثقافة الاستهلاكية: وتدور حول الثقافة الاستهلاكية وموقف النظريب

النقدية منها.

٣- مراكز الدراسات الثقافية وتحليل الثقافات الفرعية.

٤- موقع بيانات عن المدارس الإيطالية فى علم الاجتماع.

٥- موقع بيانات عن المدارس النرويجية فى علم الاجتماع.

٦- موقع عن القضايا التى ترتبط بعلم الاجتماع.

٧- إتجاه علم الاجتماع الألمانى من المتعة والبهجة.

٨- موقع عن المدرسه التفاعليه.

٩- موقع علم الاجتماع والتكنولوجيا.

وكانت بداية شبكة عام ١٩٦٠، عندما بدأت هيئة يو. إس في تطور أنظمة اتصالات عسكرية، قادرة على التعايش مع الحرب النووية- وأنشأوا شبكة الحاسبات.

إن تفهم الباحث المبتدىء والمتمرس والشاب وكبير السن لأهمية شبكة الإنترنت، ومعرفة كيف يستعملها ليس بالأمر الصعب، فالأمر كله ينحصر فى معرفة أساسيات وقواعد التعامل مع هذه الشبكة، وبعد ان عرضنا كيف نحصل على المعلومات النظرية. والمعلومات الثانوية، ننتقل خطوة ونعرض كيف نجمع البيانات الميدانية اى البيانات الاساسية باستخدام أدوات مختلفة.

الفصل السابع

السؤال

الســـؤال

وقد يوجه الباحث السؤال إلى المبحوث مباشرة ليجيب عنه بنفسه، ويكتب الباحث الاجابه وتعرف هذه الأداة باسم المقابلة، وقد ترسل الأسئلة بالبريد ليجيب عنها المبحوث، أو يترك له الاستمارة ليدون الاجابات بنفسه وتشتهر هذه الأداة باسم صحيفة الاستبيان.

والباحث يحرص دائماً أن يستخدم أكثر من أداة، فهو يود أن يجمع البيانات من مصادر بيانات متعددة، مثلما يجمع بيانات عن متغيرات عديدة من مصدر واحد.

وإذا كان الباحث يدرس السلوك فالملاحظة هي الأداة الأكثر فائدة ،أما إذا كان يقيس الاتجاهات فاستمارة البحث أو السؤال هما الأداتان الأكثر نفعاً. فالسلوك والاتجاهات وحدتان متمايزتان، فالاتجاهات ترتبط بالجنس والدين والتعليم والمهنة والعمر، وقد تكون الاتجاهات المرغوب دراستها سياسية أم دينية. وقد يخفي المبحوث اتجاهاته ويرفض الافصاح عنها وهذه الاتجاهات غير الأفعال وأنماط السلوك التي يمكن ملاحظتها ومشاهدتها.

وقد تمنع القيود الاجتماعية النسوة من مقابلة الباحثين الذكور، كما تمنعهن من التعبير عن القيم التي يفضلونها عند اداء سلوك واضح صريح، ولذا فمن الأفضل قياس هذه الاتجاهات، إذا كنا نرغب في قياس إتجاهات ورغبات النسوة (Tesseler, p. 125)، لكن يفضل أن نستعين بباحثة مدربة بدلاً من الباحث. وقد يمتنع المجيبون عن الإجابة عن الأسئلة وإبداء رأيهم خاصة في بلدان العالم الثالث، لذا فالسؤال صعب ولا يجدي ويتعين استخدام أداة أخرى غير السؤال.

وخطوات تصميم استمارة البحث واحدة، والهدف هو الحصول على بيانات صحيحة موثوق بها تفيد الباحث والمبحوث، إذ تؤدي البيانات غير الدقيقة الزائفة إلى نتائج خاطئة ومضللة. وثمة قواعد تتبع عند تصميم الإستمارة هي:

١- تحديد وتعريف المفهومات والمتغيرات.

٢- خطورة استخدام وترجمة مفهومات غربية غريبة لا يفهمها المبحوثون العرب.

٣- صعوبة إدراك ومعرفة كل المفهومات الملائمة لتحليل سلوك الناس فى العالم العربى.

٤- الحساسية المفرطة الزائدة هى نبض الناس فى المجتمعات التقليدية إزاء بعض الموضوعات التى تتعلق بالسياسة والعلاقات الزواجية والدين والدخل.

٥- الخطأ فى استخدام أو تعريب استمارة حققت نجاحاً فى بلدها الأصلى.

٦- مراعاة قياس صدق أسئلة استمارة الاستبيان قبل تطبيقها.

٧- التمييز بين قياس اتجاهات الناس مقابل قياس سلوك الناس.

٨- تحديد صيغ الاستجابات تحديداً واضحاً.

٩- تحديد حجم استمارة البحث وعدد الاسئلة.

١٠- تحديد لغة الاستمارة هل تكتب باللغة الفصحى أم اللغة العامية.

١١- ضرورة إجراء دراسات استطلاعية لاختبار عناصر الاستمارة. (Palmer, p. 103)

وليس من الممكن أن نتوقع من توجيه السؤال أن يتحقق الصدق الكلى من استمارة الأسئلة، كما يجب أن يدرك الباحث أن الاجابات التى جمعها من توجيه الأسئلة ليست كلها صادقة ولاتعكس الآراء الصادقة لمن سألهم.

وبالمثل فإذا كان الباحث يقوم بإعداد بحث يعتمد على بيانات الآخرين كأن يحلل الأخبار المنشورة فى الصحف، أى يقوم بإجراء بحث ثانوى، فعلى الباحث أن يتذكر أن الجريدة التى يقرأها تعبر عن توجه سياسى معين، فجريدة الشعب الصينية غير جريدة الشعب القاهرية وأن آراء جريدة الأهالى غير آراء جريدة الشعب غير جريدة الأهرام، والجرائد الثلاث تصدر كلها فى القاهرة كما تختلف آراء صحف المعارضة عن آراء الصحف القومية، ولا جدال أن نتائج تحليل مضمون جريدة القبس الكويتية تتباين عن نتائج جريدة الجمهورية التى تصدر فى بغداد، ورغم تماثل اسم جريدة الجمهورية العراقية مع اسم جريدة الجمهورية القاهرية فكلتاهما تعبر عن فكر مخالف. فالأولى تعبر عن أفكار

حزب البعث والثانية تعبر عن رأى الحكومة المصرية، مثلما يختلف موقف جريدة الأهرام القاهرية عن موقف جريدة بديعوت أحرونوت الإسرائيلية من الانتفاضة فالمحررون فى الصحف يفسرون البيانات والأخبار السياسية وأخبار الصحف وفق أغراضهم الحزبية وانتماءاتهم القومية، وكلما بعد القارئ عن مصادر البيانات الأساسية ازدادت نسبة تحريف وتشويه البيانات، وإزداد احتمال الشك فى النتائج، ولذا يتعين أن يكون الباحث دقيقاً فى عمله، بقدر الإمكان، وينبغى أن يلتزم بالمنهج العلمى ليصل الى أدق النتائج.

وإذا كان بالإمكان استخدام أدوات الاستفهام التالية: متى؟ ومن؟ وأين؟ ولماذا؟ وكيف؟ وما؟ لطرح مجموعة من الأسئلة علي مجتمع الدراسة فى أى موضوع يبحث فيه، فهذه الطريقة فى الدراسة تجبر الباحث على الاقتراب من الموضوع بطريقة الصحفى. لكن وضع الموضوع فى إطار الدراسات الاجتماعية العلمية يتجاوز مرحلة الوصف، ويتطلب إجراء المقارنة والتفسير لاكتشاف الرؤى المختلفة بين ثنايا البيانات التى جمعها.

وإذا كان ثمة مرونة أمام الطالب فى اختيار موضوع البحث، فثمة ضرورة لتحديد الموضوع. فتحديد الموضوع يؤثر على صياغة أسئلة الاستمارة، إذ أن الأسئلة التى توجه إلى أعضاء السلطة التشريعية تختلف عن الأسئلة التى تصاغ لسؤال أعضاء السلطة التنفيذية أو رجال الأعمال،، ونوع الأسئلة التى توجه إلى الامهات المتفرغات الاميات غير الاسئلة التى توجه إلى الامهات الجامعيات العاملات، كما أن الأسئلة التى تصاغ لسؤال القرويين غير الأسئلة التى تصاغ لسؤال أهل المدينة، وبالمثل فالأسئلة التى تتقصى اتجاهات الأميين غير الأسئلة التى تتقصى اتجاهات الجامعيين.

وتأخذ عملية جمع البيانات من خلال الاستمارة أشكالاً متعددة:

أ- إرسال الاستمارات بالبريد إلى عدد من المبحوثين، بحيث يجيب كل مجيب عن الاستمارة بمفرده وبحرية وتلقائية بعيداً عن تأثير الباحث.

ب- إعداد مقابلة بين الباحث والمبحوث، وتتم المقابلة فى منزل المبحوث وهى الأكثر شيوعاً أو فى مكتب الباحث، وتعد ظاهرة نادرة فى مجتمعنا ولا تتم

إلا فى المؤسسات الاجتماعية وإدارات وزارة الشئون. وتبدأ المقابلة بشرح الغرض من المقابلة، ويملى الباحث السؤال ثم يدون إجابات المبحوث.

حـ- إعطاء الباحث الاستمارة للمبحوث ليملأها بمفرده.

د- قد تأخذ عملية المقابلة صورة جماعية، كأن يتقابل الباحث مع مجموعة من المبحوثين- ويملى ويشرح السؤال، ويدون المبحوثون إجاباتهم بأنفسهم.

ولكن لماذا السؤال؟ إن أفضل الأساليب لبلوغ الهدف حتى الآن فى الدراسات الاجتماعية أن نسأل الشخص رغم كل الصعوبات التى تحيط بإجابات المجيبين، وعلينا أن نراعى عند صياغة أسئلة استمارة البحث أن لغتنا يسر لا عسر فيها. وهى لغة الكتابة. ولذا يتعين صياغة الأسئلة فى لغة عربية سهلة يفهمها الجميع، ولا نلجأ إلى العامية لتعدد اللهجات والألفاظ العامية ولا نعتمد عليها إلا كلغة حوار تجئ على ألسنة بعض الأفراد تعبيراً عن الحلول الممكنة فى بعض المواقف.

وتعد عملية صياغة الأسئلة خطوة أساسية في البحث، وثمة حاجة إلى أسابيع يقضيها الباحث فى تخطيط البحث والدراسات التمهيدية لصياغة الأسئلة قبل أن تأخذ الأسئلة صورتها النهائية. وتنبع هذه الصياغة النهائية للأسئلة بعد التعريفات الإجرائية وتحديد مفهومات القضايا التى يبحثها الباحث.

وتعطى لنا الإجابات التى نحصل عليها من خلال الاستمارة مدى واسعاً من البيانات أكثر من البيانات التى نحصل عليها من الملاحظة. ورغم أن هذه الإجابات لا تسجل التفاعل فى الموقف كما يمكن أن يدركه الملاحظ، فإنها ذات قيمة خاصة لكونها تعكس مباشرة الحالات الذاتية للفاعلين، وتقويمهم لمشاعرهم وأدوارهم واتجاهاتهم، وإذا ما استعملت الأسئلة بمهارة فإن السؤال يكشف عن الجوانب الكامنة داخل النسق الاجتماعى، تلك الجوانب التى لا يلاحظها الملاحظ والحقيقة أن المشكلة الأساسية فى الاستمارة هي طريقة صياغة السؤال. فصياغة السؤال هى العمود الفقرى فى كل بحث اجتماعى. لذا يتعين فهم أن السؤال كثيراً ما يؤدى إلى إجابات لا معنى لها، مثل السؤال الآتى:

س: ما الفرق بين الملابس التى ترتديها فى العمل وملابس البيت؟

جـ- لا فرق- هى نفسها تقريباً- مقبولة- إلي حد ما أفضل.

ومثل هذه الإجابات لا تعطينا دلالة عن الفرق بين تكاليف وجوده ونوع كل من ملابس العمل والملابس التى ترتدى فى البيت، وخصائص كل منهما.

وإذا ما أراد الباحث أن يعرف عما إذا كان بعض الناس يتجنبون أكل المواد السكرية لأنها تضر أسنانهم. فليس من المفضل أن نسألهم.

س: هل تعتقد أن المواد السكرية الكثيرة تضر بالأسنان؟ أو هل تكره أكل المواد السكرية بكثرة ولا شك أنك تعرف أنها تؤذى الأسنان؟

فهذان السؤالان يعدان من الأسئلة الموجهة، ولذا فمن الأفضل أن نجعل المجيب يقول تلقائياً أنه يتجنب أكل المواد السكرية بكثرة لأنها تسوس الأسنان بدلاً من أن توحى له بذلك، وقبل أن يعى أن الأسئلة تتضمن ذلك.واستنادا على ذلك، فيمكن أن تبدأ استمارة البحث بأسئلة مثل:

- ما رأيك فى أكل الحلوى بكثرة؟

- ما رأيك فى الناس الذين يأكلون المواد السكرية بكثرة؟

ويقدم كل سؤال للمجيب الفرصة للإشارة إلى قضية تسوس الأسنان تلقائياً. ويتبع هذا السؤال مجموعة من الأسئلة المحددة مثل:

- هل تتناول المواد السكرية بكثرة؟ نعم- لا.

- هل أكلت المواد السكرية بكثرة وأنت طفل؟ نعم- لا.

- هل تسمح لأطفالك بتناول المواد السكرية؟ نعم- لا ؟

ثم يعقب هذه الأسئلة المباشرة أسئلة لا مباشرة مثل:

- يقول بعض الناس أن أكل المواد السكرية بكثرة يضر بالأسنان؟ ما رأيك؟

- يقول بعض الناس أنه لا فرق بين أكل المواد السكرية وعدم أكلها. ما رأيك؟

- هل تعتقد أن أكل المواد السكرية تضر بالأسنان؟ نعم- لا

- هل تعتقد أن أسنان معظم الناس لا يؤذيها أكل المواد السكرية؟ نعم-لا.

وقبل أن يأخذ السؤال شكله النهائى يتطلب الأمر اختبار الصياغة على عينة تمهيدية. ويطبع السؤال أثناء الدراسة الاستطلاعية فى بطاقة خاصة مستقلة، ويلاحظ أثناء سؤال المبحوثين واختبارهم مدى وضوح السؤال ما إذا كان السؤال مفهوماً أو غير مفهوم، أو ما إذا كانت إجابات السؤال تتضمن مجموعة من الأخطاء الشائعة، وما إذا كانت الإجابة تدل على المقصود من السؤال. وتساعد هذه الإجابات الاستطلاعية على جمع الأسئلة وعلى تنظيم الإستمارة قبل طبعها. فالقصد ليس فهم السؤال. بل ماذا فهم المبحوث من السؤال.

واستمارة الاستبيان هى الطريقة الأكثر انتشارا فى العالم العربى، ويفضل باحثون كثيرون استمارة الاستبيان بوصفها الأداة المفضلة لمعرفة اهتمامات الناس. وثمة مشكلة تتعلق بصياغة هذه الأسئلة:

عدم فهم المفهومات، يؤدى إلى صياغة عدد كبير من الأسئلة العقيمة، مما يؤدى إلى حشو البحث بعدد كثير من المتغيرات التى لا علاقة لها البحث.

عملية صياغة السؤال:

توجه الصياغة المحكمة لمشكلة البحث الباحث لصياغة أسئلة البحث صياغة دقيقة، وعندما يبدأ الباحث فى صياغة الأسئلة يسأل نفسه، ما الذى أريد أن أعرفه عن الموضوع الذى أدرسه؟ ولنفرض أن مشكلة البحث هى: آراء الشباب فى تنظيم الصندوق الاجتماعى.

وإذا ما طرح الباحث السؤال المباشر التالى: «هل أنت من مؤيدى الصندوق الاجتماعى؟ فمن المحتمل أن تزيد نسبة الذين أجابوا «بلا» عن ٧٠٪ أما إذا وجهت إلى الشباب أسئلة أخرى مباشرة مثل:

- هل لجأت إلى الصندوق؟ نعم- لا.

- هل الصندوق يفيد الشباب؟ نعم- لا

- هل يحارب الصندوق البطالة؟ نعم- لا.

وبعد ما تفرغ الإجابات بنعم نجد أنها تزيد على ٧٠٪ من إجابات المجيبين، وإذا ما طرحنا أسئلة إضافية، فسوف نجد أن إجابات المؤيدين تتقارب مع إجابات المعارضين.

ومثل هذه الأسئلة المباشرة لا تعطى إجابات كافية للحصول على صورة صادقة عن آراء الناس. ولذا فمن الأفضل صياغة الأسئلة غير المباشرة، يلى ذلك تحديد عدد الأسئلة بحرص وتحديد الوقت الذى يستغرقه فى الإجابة، لكى لا يشعر المجيب بالملل والضيق ويستطيع الباحث جمع بيانات صادقة.

قواعد صياغة الأسئلة:

القاعدة الأولى : توجيه عدد كاف من الأسئلة للحصول على ما يريده الباحث من بيانات.

القاعدة الثانية : (وتبدو في ظاهرها متعارضة مع القاعدة الأولى)، ضرورة أن يضع الباحث فى اعتباره أن الناس لا ترغب عادة في الإفصاح عن اتجاهاتها. فاحتمال الاعتذار أو الكتمان وارد ومن ثم لا يستجيبون للباحث، ولذا فمن الأفضل توجيه عدد مناسب من الأسئلة، وتصميم أبحاث تستغرق وقتاً قصيراً. فإحتمال إجابة المبحوثين على عدد قليل من الأسئلة إجابات صادقة أقوى من الإجابة على أسئلة كثيرة العدد. ولذا فمن الأفضل أن تتراوح عدد الأسئلة ما بين خمسة وعشرين إلى أربعين سؤالاً.

وثمة نقطة تستحق التأكيد فى هذا المجال: وهى ضرورة أن تكون العبارات والمفهومات واضحة غير غامضة، كما أن تكرار الأسئلة يؤدى إلى الإبهام؛ وعادة ما يكون الباحث متعمقاً فى موضوع البحث، متفهماً لكل جوانبه حتى تبدو كل نقطة من نقاط البحث واضحة بالنسبة له؛ ولكن فى الوقت نفسه تبدو الأسئلة غامضة لدى المجيبين، مما يعنى أن كثيرين منهم يجيبون عن الأسئلة إجابات غير دقيقة لعدم فهم موضوع البحث.

ومن جهة أخرى فقد يفهم الباحث موضوع البحث فهماً سطحياً ويعجز عن

تحديد غرض السؤال تحديداً كافياً ومقنعاً. وقد يوجه الباحث الأسئلة الآتية إلى رجل أمى لا يقرأ ولا يسمع الإذاعة:

Ex

– ما الذى تعرفه عن سباق التسلح؟

– ما الذى تعرفه عن الحرب الأفغانية الأمريكية؟

– ما الذى تعرفه عن حرب الكواكب؟

– ماذا تعرف عن الحرب الجرثومية؟

– ماذا تعرف عن الجمرة الخبيثة؟

– ماذا تعرف عن مؤتمر التجارة العالمية؟

– ماذا تعرف عن العولمة؟

– هل توافق على اتحاد كونفدرالى بين الأردن وفلسطين وإسرائيل؟

– هل توافق على الاتحاد الكونفدرالى بين الأردن والدولة الفلسطينية؟

– هل توافق على استخدام أمريكا الأسلحة المحرمة دولياً فى أفغانستان؟

– مثل هذه الأسئلة قد تفجر عند المبحوث أسئلة عكسية أهمها:

– ماذا تعنى العولمة؟ وماذا يعنى التسلح؟ وماذا تعنى حرب الكواكب؟ وماذا يعنى الاتحاد الكونفدرالى؟ وماذا تعنى الجمرة الخبيثة؟

لذا ينبغى أن تكون الأسئلة واضحة ومفهومة ويعرف بالضبط ما المقصود من السؤال؟ وما الذى يريده الباحث؟ حتى يجيب المبحوث إجابة دقيقة كما يجب تجنب الأسئلة المتكررة. فالطريقة التى يكتب بها السؤال لها معان عدة، أهمها أنها تحدد نوع الإجابات التى يحصل عليها.

وعادة ما يوجه الباحثون إلى المجيبين مجموعة من الأسئلة للحصول على إجابة واحدة لا تتغير، وعادة ما يحدث ذلك عندما يتوحد الباحث شخصياً مع موقف معقد، فعلي سبيل المثال عندما يسأل الباحث المبحوثين عن موافقتهم أو عدم موافقتهم على السؤال الآتى :

«ينبغى أن تقلل الدولة النامية ميزانية التسليح وتنفق ميزانيتها على مشروعات الأمن الغذائى والتنمية» (موافق- غير موافق).

ورغم أن بعض الناس قد يوافقون صراحة على هذا الحكم، ورغم أن بعضهم قد يعترض عليه اعتراضا صريحاً وواضحاً، فثمة عدد ثالث عاجز عن تحديد موقفه، فقد يرغب البعض منهم فى تحويل ميزانية السلاح إلى التنمية والغذاء أو العكس.وقد نسأل الناس أسئلة مركبة مثل :تخفيض الضرائب وزيادة التسلح، واستمرار التسلح ورفع الضرائب . وهناك فئة رابعة لا تعرف ماذا تقول، فهذه الفئة ليست فى موقف الرفض ولا فى موقف القبول؛ ولا تستطيع أن تضلل الباحث وتقدم له إجابات غير صادقة.

وكقاعدة عامة ، فعندما يظهر حرف (و) فى السؤال أو الحكم المطلوب الإجابة عليه بالقبول أو الرفض؛ فإنه يتعين على الباحث أن يحدد ما إذا كان يوجه سؤالاً واحداً أو سؤالين. وينبغى أن تكون للمجيبين القدرة على الإجابة على السؤال وفهمه.

وعندما نسأل المبحوثين تقديم معلومات معينة عن حدث معين، أو نطلب منهم إبداء الرأى فى قضية معينة، فإنه يتعين على الباحث الاستمرار فى توجيه السؤال التالى إلى نفسه: هل هم قادرون على الإجابة عن السؤال؟ وهل يركن إلى إجابتهم؟ فعند دراسة تربية الأولاد قد يسأل الباحث المجيبين أن يقرروا العمر الذى يتحدث عنه الصغار مع والديهم أول مرة؛ وبعيداً عن مشكلة تعريف وتحديد المقصود بالتحدث مع الوالدين، فمن المشكوك فيه أن يتذكر أغلب المبحوثين تاريخ ذلك الحدث؛ وهم فى ذلك صادقون كل الصدق.

مثال آخر قد يسأل بعض المواطنين عن ملاءمة الرسوم الدراسية التى يدفعها الطلاب مع دخولهم. وقد يُسْأل المجيبون عن المنح المتاحة والأنشطة الدراسية وجدوى مجانية التعليم وكفاية الرسوم الدراسية.

إن المعرفة الصحيحة بطبيعة هذه الأسئلة، وأن نظام مجانية التعليم حق كفله الدستور يضع المجيبين فى حرج لعجزهم عن إدراك مغزى السؤال، ومن ثم

عجزهم عن إعطاء إجابة صحيحة.

وينبغى أن تكون الأسئلة مناسبة للفئة العمرية كما ينبغى أن تكون ملائمة للمستوى التعليمى لأكثر المجيبين. وعندما توجه إلى بعض المجيبين أسئلة تتعلق بالاتجاهات الدينية أو تتعلق بمعاهدة السلام مع اسرائيل أو الحرب الافغانية الامريكية،فمن المحتمل ألا تكون النتائج مفيدة. فبطبيعة الحال فالمجيبون قد يعبرون عن الاتجاهات رغم أنهم لم يدلوا بآرائهم صراحه حول تلك القضية، ويتحمل الباحث وحده مسئولية غموض الأسئلة. ويمكن أن يوضح ذلك عندما يسأل الباحث المبحوثين أسئلة ترتبط بأشخاص أو قضايا معنوية، أو عندما يسأل أسئلة تتعلق بأهم الشخصيات السياسية الهامة فى المجتمع، وقد يسأل الباحث المبحوثين سؤالاً عن أهم الشخصيات الأساسية فى المجتمع. وقد يجيب ٢٠٪ بأنهم يعرفون الشخصية الأولى فى المجتمع.. ويجيب نصف هؤلاء بأنهم يرونه أمام شاشة التليفزيون ويقرأون عنه فى الصحف. وقد يمتنع الآخرون.

العناصر القليلة هى الأفضل :

ولصالح الوضوح والدقة، وتأكيد مدى ملاءمة القضية موضوع البحث، يتعين ألا ينقاد الباحث وراء عناصر معقدة وطويلة، وعلى الباحث تلافى ذلك كله بعرض العنصر الواضح. إذ يتعين على المبحوث أن يقرأ الفقرة بسرعة ويفهم غرضها، ويختار الإجابة دون صعوبة، وعلى العموم قد يفترض أن المجيبين قد يقرأون الفقرات قراءة سريعة ويقدمون بالتالى إجابات متسرعة، ومن ثم قد يقدم فقرة واضحة وقصيرة لأشياء فهمها أو يقدم إجابات قصيرة لأشياء لم يفهمها.

تجنب العناصر السلبية :

ويعنى وجود علامة النفى ضمن مفردات السؤال إفساح الطريق الى إساءة التعبير والتفسير.

إن السؤال الذى يبغى تقصى الموافقة أو عدم الموافقة على دفع الضرائب مثل السؤال الذى يسعى إلى معرفة الموافقة أو عدم الموافقة على الانتفاضة الفلسطينية يعنى أن عدداً كبيراً من المجيبين سوف يقرأ كلمة «عدم الموافقة»

وستحدد إجاباتهم على هذا الأساس. وهكذا قد يوافق البعض علي الحكم إذا كانوا متعاطفين مع القضية.

صيغ الاجابة على السؤال :

وثمة عدد من الطرق لعرض مجموعات من الإجابات على المجيبين، لاختيار الإجابة الملائمة فقد يضع الباحث الأشكال الآتية لوضع العلامة (√) علـــى الإجابة الملائمة فى احد الاشكال التالية :

☐ أو ( ) أو [ ] ◯

وعلى سبيل المثال قد يضع الباحث الاسئلة ويطلب من المجيب أن يضع علامة √ فى الاشكال التالية من الخانات.

هل تشاهد البرامج الثقافية فى التلفاز؟ نعم. لا [ ]

هل تسمع البرنامج الثانية من إذاعة القاهرة ؟ نعم. لا ( )

هل تشترى جريدة الأهرام؟ نعم. لا ☐

وكقاعدة يفترض أن تترك مسافة مزدوجة بين الإجابات لوضع العلامة، خشية أن تنزلق العلامة أى الإجابة الى السطر الذى تحتها أو ترتفع الى ما فوقها.

وهناك من يرفض العلامة √ أو العلامة x ويطلب من المبحوث أن يدور بالقلم حول الإجابة الملائمة لكى لا تختلط العلامات. مثل السؤال التالى:

هل يستفيد الطالب الجامعى من دعم الكتاب: (نعم) -لا- لا أعرف.

الأسئلة العارضة :

تتضمن استمارة البحث عادة بعض أسئلة قد تناسب بعض المجيبين، ولا تلائم بعضهم الآخر. وإذا ما قام الباحث بإجراء دراسة حول تنظيم الأسرة، فمن المحتمل ألا توجه الأسئلة إلى النسوة اللاتى لايتناولن حبوب منع الحمل. ويتفجر هذا الموقف عادة إذا ما حاولنا توجيه مجموعة من الأسئلة حول موضوع خاص يرتبط بجماعة معينة، أى ينال اهتمام بعض الناس دون غيرهم. فقد ترغب فى

السؤال عما إذا كان المجيبون ينتمون إلى تنظيم سياسى معين أم لا، وهل هم الذين ينظمون اجتماعات هذا التنظيم، أم يقتصر دورهم على حضور الاجتماعات؟

وقد يطرح سؤال عما إذا كان المجيبون قد سمعوا عن مذاهب سياسية معينة ثم درسوا وقرأوا إتجاهات هؤلاء الذين سمعوا عنهم.

ويطلق على الأسئلة المتعمقة اللاحقة فى هذا الموضع مصطلح الأسئلة العارضة. Ex

وقد يُسَهِّل الاستخدام العادى للأسئلة العارضة مهمة المجيب فى استكمال البحث.بحيث لا يواجه المجيب مشكلة الإجابة علي أسئلة لا تناسبه. وثمة عدد من الأشكال لصياغة الأسئلة العارضة أولها وهو أوضحها وأكثرها فاعلية الشكل التالى :

هل تعاطيت المخدرات ؟ نعم: لا فى حالة الإجابة بالإيجاب، كم مرة تعاطيت؟ (مرة)-(٢-٥)-(٦-١٠) -(١١-٢٠) ٢٠ فأكثر. وعلى مصمم الاستمارة مراعاة قاعدتين أساسيتين: X E

القاعدة الأولى: تعزل الأسئلة العارضة. وتفصل عن الأسئلة الأخرى، وتوضع فى منتصف الورقة أو توضع داخل مربع. E x

القاعدة الأخرى : ثمة سهم ينطلق من نعم يربط السؤال العارض بالإجابات العارضة.

وينبغى أن يلاحظ أن السؤالين المبينين فى الشكل السابق يدوران حول سؤال واحد، وقد يقرأ السؤال على النحو الآتى؟

كم عدد المرات التى تعاطيت فيها المخدرات؟ E x

(لم أتعاط)-(مرة)-(٢-٥)-(٦-١٠) -(١١-٢٠) أكثر من ٢٠.

ويوجه هذا السؤال إلى كل المجيبين، ويجد كل مجيب الإجابة المناسبة له، ويبدو أن هذا السؤال يضع الضغوط على المبحوثين ليقرروا تعاطى المخدرات، مادام السؤال الأساسى يتساءل عن عدد مرات تعاطى المخدرات رغم أنه يسمح

ببعض حالات إستثنائية لهؤلاء الذين لم يتعاطو المخدرات.

وقد يختزل السؤال الغامض والمبين فى الشكل السابق ليقرروا أنهم يتعاطون المخدرات.

ويشير كل الحوار السابق الى كيفية صياغة السؤال بطريقة تحقق الثبات والصدق.

فالأسئلة العارضة تتضمن أكثر من سؤال يتفرع عن السؤال الأصلي. وقد يتفرع عن السؤال الأصلى سؤال واحد أو مجموعة من الأسئلة العارضة. ولنفترض أننا ندرس المدن الجديدة:

فالسؤال الأساسى: هل سمعت عن برامج إنشاء وتعمير المدن الجديدة؟ نعم- لا. فى حالة نعم، هل توافق على هذه البرامج؟ أوافق - لا أوافق- لا أدرى.

هل حضرت مؤتمراً عن الإقامة فى المدن الجديدة؟ نعم- لا.
فى حالة نعم، متى كان موعد آخر اجتماع؟

هل اشتريت أرضاً للبناء في المدن الجديدة- نعم- لا.
فى حالة نعم/ هل بنيت مسكنا؟ (نعم-لا).

وثمة جدل يدور حول ما إذا كان من الضرورى وضع كل الأسئلة العارضة داخل مربع أو لا. ويرى المعارضون أنه لا معنى لإفراد شكل خاص يميز الأسئلة العارضة عن غيرها؛ مما يزيد من عدد الصفحات، وهناك من ينظم الأسئلة العارضة على النحو الآتى:

فى حالة الإجابة بنعم استمر فى الإجابة من السؤال رقم ..... إلى السؤال رقم ......

فى حالة الإجابة بلا تنتقل مباشرة إلى السؤال رقم ....

ولنفترض أننا ندرس الأنشطة الطلابية. وأننا نرغب فى سؤال عدد كبير من الطلاب الذين ساهموا فى الأنشطة السياسية ومن ثم طرح السؤال التالى:

هل أعطيت صوتك فى الانتخابات المحلية؟ (نعم - لا)

فى حالة الإجابة بنعم، أجب عن الأسئلة من رقم .... إلى رقم ....

وفى حالة الإجابة بلا أجب مباشرة عن السؤال رقم ....

أسئلة المنظومة :

من العادة أن توجه أسئلة عديدة مباشرة إلى المبحوث تتضمن مجموعة من الإجابات، مثال ذلك استجابات ليكرت الخمس بجانب كل قضية :

١- أوافق بشدة. ٢- أوافق. ٣-لا أوافق. ٤-لا أوافق بشدة. ٥- لا رأى لى.

ونعرض فيما يلى مثالاً لأمثلة المنظومة:

القضية	أوافق بشدة	أوافق	لا أوافق	لا أوافق بشدة	لا رأى لى
١- ما يحتاجه هذا المجتمع هو زيادة حكم القوانين.					
٢- ما يفتقده هذا المجتمع هو القانون والنظام.					
٣- يتعين أن تكون البرامج التليفزيونة موجهة.					
٤- الفيديو سلاح يهدد السينما.					
٥- سبب فشل سينما القطاع العام عدم وجود سياسة ثقافية محددة.					
٦- يتعين ضرب تجار السوق السوداء بأيد من حديد.					
٧- يتعين أن يكون لكل مواطن بطاقة ضريبية					

Ex

ولهذا الشكل من الأسئلة بعض المزايا :

١- لا تشغل الأسئلة حيزاً مكانياً كبيراً.

٢- تساعد هذه الطريقة المجيبين على الإجابة السريعة، وتزيد من فرصة المقارنة بين الاستجابات التى تطرح أمام كل سؤال سواء فيما يتعلق بالمجيب أو الباحث، ويمكن للمجيب أن يراجع إجابته مراجعة سريعة.

ولكن ثمة أخطاراً كامنة فى استخدام هذه الصيغ. فمن مزاياها أنها تشجع على احتواء المنظومة على مفردات سبق عرضها فى صيغ أخرى، وقد تدعم المنظومة استجابات بعض المجيبين. فقد يستجيبون بإبداء الموافقة على كل الأسئلة أو عدم الموافقة على كل الأسئلة، وقد يجيبون بسرعة ولا يتعقلون ويفكرون فى الأسئلة. وقد يساء فهم سؤال ومن ثم يساء فهم كل الأسئلة أو بعض الأسئلة، ومن ثم تعطى إجابات خاطئة. وهذا يتطلب أن يكون كل سؤال واضحاً وقصيراً.

الشكل النهائى لاستمارة البحث :

ينبغى أن يعطى لشكل استمارة البحث الأهمية نفسها التى تعطى لعملية صياغة الأسئلة الموجهة الى المبحوثين. وقد يقود صياغة السؤال وشكل الاستمارة بصورة خاطئة إلى عدم فهم المجيبين الأسئلة التى تمت صياغتها بصورة مشوهة حسب طبيعة البيانات المرغوبة.

وقد يؤدى شكل الاستمارة إلى عدم مبالاة المبحوث ورفضه الإجابة عن كل الأسئلة أو بعضها، كما قد توحى طريقة صياغة بعض الأسئلة العامة والخاصة بإجابات معينة.

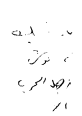
وكقاعدة عامة، ينبغى أن تكون استمارة البحث منظمة ومحددة ومرقمة، فالباحث غير المدرب قد يثير الخوف عند المبحوثين عندما يطيل من عدد الأسئلة، وما يترتب على ذلك من ازدحام الاستمارة بأسئلة كثيرة، أو بأسئلة مكررة. وقد يختصر الباحث بعض الأسئلة وقد يضغط المسافات بين السطور ليملأ الصفحة بعدد كبير من الأسئلة توفيراً لعدد الصفحات.

وتؤدى كل تلك الجهود إلى نتائج سلبية تدل على عدم الخبرة وعدم تقبل النصيحة، ويتعين على الباحث ترتيب الأسئلة وفق تسلسل منطقى وأن يضع كل سؤال بمفرده فى سطر مستقل، أما إذا وضع الباحث أكثر من سؤال فى سطر واحد فقد يؤدى إلى إغفال السؤال الآخر.

كما أن اختصار الأسئلة يؤدى إلى سوء فهم. كما يجب تحديد الوقت المناسب للإجابة عن استمارة البحث، إذ يجب ألا يشعر المجيب أنه أنفق وقتاً طويلاً فى التفكير على أسئلة الصفحة الأولى: ومن ثم يتساءل كم من الوقت يلزم للإجابة على بقية الأسئلة مما يثبط عزيمته، ويتمنى إنهاء البحث لأنه يستغرق وقتاً. ،وقد لا يقرأ كل الأسئلة ويفكر فيها بل يقفز من سؤال إلى سؤال بلا مبالاة.

كما لا يجب أن يجبر الباحث عند الإجابة على الأسئلة المفتوحة أن يكتب إجابة مطولة فى حيز قصير وصغير. كما أن الرغبة فى صياغة أسئة منظمة وقليلة لا ينبغى أن تجعلنا نضغط من عدد الأسئلة أو نختصرها مما يفقد البحث أهميته.

تجنب المفردات والمصطلحات المتحيزة :



ولنتذكر أن ثمة كلمات متداولة فى اللغة يستخدمها الباحثون ولكن بطريقة يفقدها معناها المحدد الحقيقى المميز. والتحيز فى اختيار اللفظة يفقدها معناها الصائب. ولكن وصف شخص ما بأنه متحيز يعتمد على تعريفنا للتحيز، أيضا وصف جماعة ما بأنها إرهابية يعتمد على تعريفنا للإرهاب! ويطبق هذا المبدأ على الإجابات التى نحصل عليها من الأشخاص الذين يجيبون عن استمارة البحث. ويعتمد استجابة شخص ما للسؤال المتضمن فى استمارة البحث على السؤال الحقيقى الذى نسأله، ويصدق هذا على كل سؤال وعلى كل إجابة. وفى الوقت نفسه قد يبدو أن بعض الأسئلة تشجع أكثر من غيرها على ظهور استجابة خاصة والإجابة بطريقة معينة مما يشجع المجيب ويوحى له أن يجيب بطريقة معينة. وتوصف هذه الإجابات بأنها إجابات متحيزة.

ويعرف معظم الباحثين الإجابة المحتملة للسؤال الذى يبدأ بالعبارة الآتية

«ألست معارضاً لرئيس الولايات المتحدة فى إعلانه الحرب على أفغانستان» وهو الذى يهاجم استخدام العنف والإرهاب؟ بعدما قال الرئيس ان تكونوا معنا أو ضدنا.

ونحن لا نعرف باحثاً ذائع الصيت استعمل مثل هذه الفقرة، ولسوء الحظ فإن النتيجة المتحيزة للمفردات والمفهومات أكثر غموضاً مما يوحى به المثال. وإذا ما تضمنت الاستمارة تعريفاً ما أو رأيا ما منسوباً إلى شخص ذى أهمية وذى سمعة فإن هذا الأمر يجعل الاستجابات متحيزة. كأن نسأل مثلاً أعضاء المجلس الوطنى الفلسطينى «صدر عن رئيس المجلس قوله...» ما رأيك؟ أو نسأل الأشخاص المتدينين فى مصر قال الشيخ الشعراوى.. ما رأيك؟ أو نسأل أعضاء الحكومة الأمريكية قال الرئيس الأمريكى...... ما رأيك؟

وتعتمد صياغة استمارة البحث على السؤال الآتى: من هم أفراد البحث؟ وما الغرض الذى من أجله يستخدم المفهوم؟ إن الإجابة عن هذين السؤالين تشير إشارة محتملة الى أفضل عناصر استمارة البحث الملائمة لدراسة موضوع معين؛ بيد أن هناك عدداً من الخطوط العامة الموجهة التى تطبق عند صياغة استمارة البحث.

ترتيب الأسئلة فى استمارة البحث :

يؤثر ترتيب صياغة الأسئلة التى توجه الى المجيبين على نوعية الإجابات التى يقدمها المجيبون.

فمظهر السؤال الأول يؤثر على الإجابات المتوقعة من الأسئلة اللاحقة. فمثلاً: إذا ما وجهت بعض الأسئلة التى تتعلق بأخطار التهرب الضريبى فى المجتمع المصرى. ثم وجهت إلى المبحوثين أنفسهم أسئلة مفتوحة تتعلق بآرائهم فى الأخطار التى تهدد المجتمع المصرى، فإن الأسئلة التى تتعلق بالتهرب الضريبى تنال قبولاً أكثر من غيرها.

وإذا ما وجهت إلى المجيبين أسئلة تهدف تقصى ظاهرة التدين عندهم مثل:

ما أهمية الدين فى معاملاتك اليومية؟ أو ما مقدار اتباعك لقواعد الدين فى حياتك اليومية؟

فإن استجابات المبحوثين للأسئلة اللاحقة سوف تتأثر بالمظاهر الخاصة بالتدين كما عبر عنها فى الأسئلة السابقة. واذا ما وجه السؤال التالى الى العرب:

هل توافق على سياسة رئيس الولايات المتحدة على إمداد إسرائيل بالأسلحة؟ (نعم: لا)

إن مثل هذا السؤال قد يوحى بالإجابة مثل لو سألنا عمداء الكليات هل توافق على قرار وزير التعليم على عقد امتحان فى نهاية الفصل الدراسى الأول؟

وهنا يتعين أن توضح أن الباحث لا يوحى بهذه الكلمات لكى يحقق الإجماع أو يحصل على رأى الأغلبية الذى يدعم أو يعارض صاحب الهيمنة على إصدار القرار. ولكن هذا التأييد قد يتحقق إن لم يكتب هذا الحكم منسوباً إلى صاحبه أى صاحب الهيبة، وقد يضم السؤال الواحد القبول والرفض؛ أو السلب أو الإيجاب، مثل هل توافق أو لا توافق على سياسية إسرائيل على إقامة مستوطنات بالأراضى المحتلة. فمثل هذا السؤال خطأ فى صياغته.

وقد يكون من الحرج كل الحرج توجيه أسئلة تتعلق بالعلاقة بين العرب وإسرائيل. أو توجيه سؤال إلى العراقيين عن العلاقة بين بلدهم وروسيا. وتوجيه سؤال إلى الشعب الروسى عما يحدث فى الشيشان، إذ أن مثل هذا السؤال يثير الخوف من السلطة.

وبطبيعة الحال ينبغى ألا يغيب عن بالنا غرض البحث عند صياغة أسئلة البحث. فالإشارة الى الصين الشعبية أو روسيا قد يثير مشاعر الكادحين مثلما يثير مشاعر المناهضين للماركسية. أيضاً قد تثير كلمة الصهيونية الغضب عند العرب، كما قد يرفض بعض العرب كلمة إسرائيل. ويفضلون بدلاً منها الأراضى المحتلة، وهنا يتعين على الباحث أن يفحص الغرض من البحث، ويحدد العناصر الأكثر فائدة فى بحثه، وينبغى ألا يضلله التفكير فى الطرق الصائبة والمضللة عند صياغة الأسئلة.

ولذا يحاول بعض الباحثين التغلب على هذا التأثير بترتيب نظام الأسئلة حسبما اتفق، ويعد هذا جهداً عديم الجدوى؛ إذ أن بدأ البحث بمجموعة من الأسئلة المرتبة وفق الصدفة ولا توجد بينها وحدة ولا رابطة أمر قد يثير

المبحوث ويولد لديه الشعور بالفوضى وعدم أهمية البحث. وعلاوة على ذلك فقد يجد المبحوث أنه من الصعوبة عليه الإجابة على كل الأسئلة، إذ يصعب عليه تركيز الانتباه فى موضوع معين، فهو يشتت فكرة بين أكثر من موضوع. وأخيراً فإذا كانت الأسئلة غير مرتبة وغير منظمة وغير منسقة، فيترتب على ذلك صعوبة تركيز المبحوث، وإعادة تجميع الأسئلة فى مرحلة التحليل. والحل الأمثل هو مراعاة الدقة فى تسلسل الأسئلة والتدرج فى الانتقال من الأسئلة التى لاتثير الحرج إلى الأسئلة التى تمس المسائل الشخصية والعقائد. ولذا فعلى الباحث أن يقيم الآثار المهمة المترتبة على عدم تسلسل الأسئلة وهل هو قادر على تفسير النتائج بطريقة ذات دلالة والأسئلة مرتبة ترتيباً عشوائياً، ومن ثم يتعين على الباحث إعادة ترتيب الأسئلة فى أكثر من شكل قبل إخراج استمارة البحث فى صورتها النهائية، حتى يصل الى أفضل النتائج.

ويختلف ترتيب الأسئلة إلى حد ما بين استمارة الاستبيان التى تتطلب من المجيب الإجابة عن الأسئلة بنفسه، وبين استمارة المقابلة التى تتطلب من الباحث كتابة إجابات المبحوث. ففى حالة الاستبيان فمن الأفضل أن نبدأ استمارة الاستبيان بمجموعة الأسئلة الأكثر تشويقاً وترغيباً للمبحوث لكى يستمر فى القراءة. فالمجيب يلمح بنظرة عارضة المجموعة الأولى من الأسئلة التى يطلب منه الإجابة عليها، فقد يراد منه تقصى اتجاهاته التى يؤلمه التعبير عنها أو الإفصاح عنها. فالأسئلة التى يطرحها الباحث لمعرفة اجابات المبحوث عليها ينبغى أن ترتب بحيث توضع الأسئلة الأكثر ترغيباً فى البداية، ثم توضع الأسئلة المتعلقة بالأحوال السكانية فى آخر الأسئلة. وقد ينعكس ترتيب هذه الأسئلة عند إجراء المقابلة. حيث تبدأ الأسئلة الأقل حرجاً والتى لا تفسد المناخ المرجو بين الباحث والمبحوث، ولا تعكر العلاقة بين السائل والمجيب.

بيد أنه لا ينبغى أن تخدش الأسئلة الأساسية معتقدات واتجاهات المبحوث. وإنها لفكرة خاطئة أن تبدأ الأسئلة بسؤال عن السلوك الجنسى أو تعاطى المخدرات أو المشاجرات العائلية. فالسؤال عن البيانات السكانية أمر مطلوب. ولكن هذه البيانات ينبغى أن توضع فى نهاية استمارة البحث، ويرفض أن

توضع فى أول الاستمارة. ويرى بابى Babbie أن وضعها في بداية الاستمارة يعطيها شكلاً روتينياً، وقد لا يجد المجيب الدافع لتكملة استمارة البحث. والعكس هو الصحيح عند إجراء المقابلة فعندما يطرق الباحث باب المبحوث، ويفتح له المجيب الباب، فعلى الباحث كسب الوقت والحصول على البيانات المفيدة له. (Babbie,pp.33-44) ومن ثم يتعين عليه أن يبدأ بعرض الهدف من الدراسة،ثم يبدأ فى إجراء المقابلة بإحصاء عدد أفراد البيت... والحصول على البيانات السكانية عن كل عضو من أعضاء البيت، تلك البيانات التى يمكن أن يحصل عليها بسهولة والتى لا تعكر صفو المقابلة. وإذا ما توطدت العلاقة بينهما يبدأ الباحث فى سؤال المبحوث عن اتجاهاته، وتقصى الأمور الحرجة والأكثر حساسية.

والمقابلة التى تبدأ بالسؤال الآتى: هل تؤمن بوجود الله؟ لماذا أنت مؤمن؟ لماذا لا تؤمن بالله؟ قد تنهى المقابلة نهاية سريعة ومؤلمة مخيبة لآمال كل من الباحث والمبحوث.

والحقيقة أن ثمة تحيزاً من بعض الباحثين إزاء ترتيب الأسئلة، ولكن هذا التحيز قد يأتى بنتائج غير متوقعة، وعلينا أن نتفق أن الأسئلة التى تدور حول المسائل الشخصية ،مثلها مثل الأسئلة التى تدور حول العلاقات الخاصة والعقائد ينبغى أن توضع فى نهاية إستمارة المقابلة.

وينبغى أن يرفق باستمارة البحث بعض الإرشادات والتعليمات التى تتعلق بما يجب على الباحث أن يتبعه، أو تتعلق بكيفية ملء المبحوث للاستمارة بنفسه، ويتعين على المجيب الذى يملأ الإستمارة بنفسه أن يعرف كيفية وضع العلامة (√) لتعنى القبول والعلامة (x) الرفض. كما يتعين أن نبين المطلوب منه.

الأسئلة المغلقة فى مواجهة الأسئلة ذات النهاية المفتوحة :

يواجه الباحث عند صياغة الأسئلة حق الخيار بين موقفين:

إما الاسئلة المفتوحة وإما الاسئلة ذات النهايه المغلقة ويفضل ألا يجمع بين هذين النوعين من الاسئلة.

إما الأسئلة المفتوحة، فلا تقيد الباحث فى إطار عدد محدد من الإجابات وتسمح له بالإجابة باللغة التى يفضلها والكلمات التى ينتقيها. وهذا النوع من الأسئلة المفتوحة تعطى المبحوث حرية الإجابة بلا قيود، وتتيح له فرصة أكبر للتفكير والتعبير عن آراء غير متوقعة من الباحث، وغير مألوفة ويفضل عادة أن يرفق مع استمارة البحث بضع تعليمات ترشد المجيب وتبين له طريقة الإجابة. ولكن الوقت والجهد اللذين يبذلان فى تفريغ هذا النوع من الأسئلة، وتحليلها كميا يقللان من استخدامها بل يعدان من مساوئ هذا النوع من الأسئلة.

وتستخدم الأسئلة المفتوحة عندما يريد الباحث الحصول علي مدى واسع من الإجابات المحتملة أو يعرف مدى تباين اتجاهات عدد كبير من الناس إزاء موضوع معين.

قد يسأل الباحث المجيبين أسئلة ذات نهاية مفتوحة؛ وعلى المجيب أن يجيب عن كل سؤال، ويعرض إجابته الخاصة المتعلقة بكل سؤال.

وقد يسأل الباحث المبحوث السؤال الآتي:



ما القضية المهمة التي تواجه الشعب العربى هذه الأيام؟ أو ما القضية المصيرية التى تواجه الشعب المصرى؟

ولا تعطى الأسئلة المفتوحة للمبحوث أى نوع من الاختيار أو الايحاء باجابات معينة. فالباحث يسجل كل إجابة المبحوث على السؤال كما يرويها وتتداعى أفكاره: ويتطلب هذا ترك مسافة بين كل سؤال وسؤال لتدوين الإجابة كاملة. وأحياناً ما تسجل إجابة المبحوث على السؤال على أجهزة التسجيل ثم تصنف وتحلل الإجابات. وهذا النوع من الأسئلة قد يكون سهل الصياغة ولكنه صعب شاق فى التحليل. ويتعين على المرمز أن يقفل كل سؤال قبل تفريغه.

فالاسئة المفتوحة التى تتطلب إجابات مفتوحة، ينبغى أن تقنن اجاباتها أولاً قبل عملية التفريغ، وثمة خطر متوقع، وهو أن يعطى المجيبون إجابات لا تتلاءم بالضرورة مع هدف الباحث.

أما فى حالة الأسئلة ذات النهاية المغلقة، فإن الباحث قد يسأل المبحوث ويطالبه

باختيار إجابته من بين مجموعة من الإجابات التي يعرضها عليه الباحث والأسئلة المغلقة أسئلة شائعة فى البحث العلمى لأنها تتيح اضطراداً وانتظاماً فى الاستجابات ، كما يمكن لنا بسهولة أن نحصر هذه الإستجابات، وأن ننسق بينها وإن نتقبها عند تفريغ البيانات.

وتكمن النتيجة الأساسية للأسئلة ذات النهاية المغلقة فى بناء الاستجابات التى يقدمها الباحث للمبحوث، وإذا ما كانت الإجابات المناسبة عن سؤال معين، واضحة نسبياً، فالأمر لا يمثل بالنسبة لنا مشكلة. بيد أنه فى حالات أخرى، فان بناء الاستجابات الذى يعده ويصيغه الباحث عن بعض الإجابات المهمه قد يكون ناقصا أم غامضا. فعندما يسأل الباحث المبحوث على سبيل المثال:

ما أهم القضايا التى تواجه العالم العربى اليوم؟ فإن الباحث قد يقدم قائمة من القضايا، ولكنه قد يترك أو يغفل أو يهمل تقديم وعرض قضية معينة يرى المجيبون أنها ذات أهمية معينة.

ويواجه الباحث عند صياغة الأسئلة ذات النهاية المغلقة مشكلتين بنائيتين أساسيتين هما:

١- ينبغى أن تكون فئات الإجابات جامعة، ويتعين أن تضم كل الإجابات الممكنة التى قد يتوقعها المبحوث (وعادة ما يتأكد الباحث من ذلك بإضافة عبارة إجابات أخرى أو يتوصل إلى هذه الاجابات من خلال الدراسة التمهيدية).

٢- يتعين أن تكون الإجابات والمتغيرات مانعة،إذ ينبغى ألا يشعر المجيب أنه مضطر إلى اختيار أكثر من متغير، وفى بعض الأحيان يشعر المجيب أنه مضطر إلى المطالبة بأكثر من إجابة، أى يشعر أنه يرغب فى اختيار إجابات متعددة، مما يؤدى إلى صعوبات فى عمليات التفريغ والترميز.

والأسئلة المغلقة تعطى للمبحوث فرصة الاختيار بين إجابات متعددة وبدائل كثيرة ، وقد يسأل الباحث المبحوث أن يختار ويحدد عدداً من الإجابات من بين إجابات كثيرة سردت فى الاستمارة، وترشد هذه الإجابات المجيب إلى تحديد

إجاباته عندما يقرأ كل البدائل.

والهدف من الأسئلة ذات النهاية المغلقة- وهي صعبة فى صياغتها- سهولة تفريغ البيانات فى جداول إحصائية، وإمكانية قراءة الأسئلة والأجوبة على المبحوث . ونرى أن الأسئلة المفتوحة أصعب فى التفريغ وأن الأسئلة المغلقة أصعب فى الصياغة.

وإذا كان ثمة مزايا للأسئلة المغلقة، أهمها إمكانية توجيه أسئلة كثيرة فى وقت قصير، وأنها تتضمن إجابات محددة يسهل الإجابة عليها، فثمة مساوئ لها أهمها افتقاد التلقائية فى الإجابة وشعور المجيب بأن ثمة فجوة ومسافة بين الاجابات المدونة وبين ما يجول فى ذهنه من أفكار.

وتقاوم الأسئلة المغلقة حب المجيب للاسترسال فى الحديث، وتقيده فى عدد محدود من الإجابات ، وتتيح له أن يختار اجابه واحدة من بين مجموعة متعددة من الإجابات.

وسواء اخترنا السؤال المفتوح أو السؤال المقفول، فإن قرارنا يعتمد على نوع الإجابات المطلوبة وتساعدنا الدراسات التمهيدية على ذلك وتوفر علينا تكاليف كثيرة.

ويمكن أن يصيغ الأسئلة المغلقة الآتية

- كيف يتم القضاء على الإرهاب؟

بالوسائل العسكرية - رفع الظلم عن الشعوب المقهورة- تحديد العدالة فى النظام الدولى- تقصى الأسباب الحقيقية للأرهاب- إقامة الدولة الفلسطينية- القبض على ابن لادن حياً أو ميتاً.

- لماذا الغزو الأمريكى للأراضى الأفغانية؟

القضاء على الإرهاب- القبض على ابن لادن- السيطرة على البترول فى وسط أسيا- فرض الهيمنة الأمريكية على العالم.

وإذا ما حاولنا إستخدام الأسئلة المفتوحة عند دراسة عمال التراحيل، فيمكن أن نطرح الأسئلة التالية، ونلاحظ أن كل هذه الأسئلة باللغة العامية، إذ من

المستحيل أن توجه الى عمال التراحيل أسئلة باللغة العربية الفصحى.

١- أنت ليه بتشتغل هنا؟

٢- أنت أصلك منين؟

٣- مين دلك على الشغل هنا؟

٤- حد قريبك معاك؟

٥- حد بلدياتك معاك؟

٦- حد جه بعد منك؟

وثمة ثلاث مزايا للسؤال بوصفه إجراء مهماً فى الدراسة العلمية.

الميزة الأولى:

تعد عملية صياغة السؤال إجراءً متأنياً لصياغة المفهومات صياغة سليمة، إذ تفحص وتختبر عناصر السؤال وتراجع مرات عديدة، ويعاد اختبارها، وربما تقدم عناصر الأسئلة التى تكتب وتفحص وتنتقد حافزاً لعمل مثمر.

الميزة الثانية:

توضح الأسئلة الإجراءات التى يتفق عليها، وقد يختلف الباحثون على طبيعة السؤال، ولكنهم لا يختلفون عما هو السؤال والمقصود منه.

الميزة الثالثة:

يؤكد السؤال أن نفس السؤال يستخدم فى دراسة كل الموضوعات التى هى محور الدراسة.

ويجب أن يضع مصمم الاستمارة منذ البداية فى اعتباره النقاط التالية:

١- ترتيب الأسئلة ترتيباً منطقيا. ويتعين أن تبدأ الاستمارة بالأسئلة الواقعية. وتبدأ بأسئلة عن الاسم والسن والمهنة وعدد أفراد الأسرة، ثم يتبع ذلك بالأسئلة التي تدور حول الإتجاهات.

٢- تحديد اللغة التى تكتب بها استمارة الأسئلة- وهل تكتب كل الاستمارة

باللغة العامية أو اللغة الفصحى. فكما تصاغ الأسئلة باللغة العامية يمكن أن تصاغ باللغة العربية الفصحى. ولكن لمن تصاغ الاستمارة باللغة العربية الفصحى، لا جدال أن هذه الصياغة تتأثر بالمستوى التعليمي والوضع الطبقي للمبحوثين.

٣- صياغة الأسئلة صياغة واضحة منطقية.

٤- ملاءمة الاسئلة لتقاليد وأعراف ومستوى تعليم وأعمار المبحوثين.

٥- ضرورة أن تبدأ الاستمارة بأسئلة تسهل مهمة الباحث ومهمة المبحوث.

٦- تقدير الوقت الذى يتستغرقه الإجابة عن الأسئلة.

٧- تقدير المجهود الذى يبذل للحصول على الإجابة.

٨- ترتيب الأسئلة بحيث تهتم كل مجموعة من الأسئلة المتتابعة بتقصى متغير واحد.

٩- يجب إعطاء الاستمارة طابع الوحدة أو جمال المظهر وألا يتغير مضمون بعض الأسئلة لكي لا يكرر المجيب إجاباته أو يكوّن فكرة مسبقة عن الإجابة المطلوبة.

١٠- يفضل ألا تتضمن الاستمارة كلا من الأسئلة المفتوحة والأسئلة المغلقة- فإما ان تصاغ الأسئلة المفتوحة أو الأسئلة المغلقة.

١١- نوع الورق الذى تطبع عليه الاستمارة وطريقة الكتابة.

ويعنى هذا أنه يجب أن تؤكد فئات المقولات إجابات جامعة مانعة. كما ينبغى أن يكون الباحث حريصاً علي دراسة كل المتغيرات التى تتعلق بمشكلة البحث. ونسأل عما إذا كان الشخص يختار اختيارا عقلانياً أكثر من إجابة، وعلاوة على ذلك فمن المفيد أن تضيف معلومة إلى كل سؤال مؤداها أن نسأل المجيب اختيار إجابات أخرى يراها أفضل من الإجابات المتاحة أمامه ولكن هذا الأسلوب ليس بديلاً مرضياً على الإجابات التى صاغها الباحث بحرص. وعلى الباحث أن يقرر إما أن يرسل استمارة الأسئلة إلى المبحوث ليجيب عليها، وتعرف هذه

الطريقة باسم استمارة الاستبيان، أو يقابل المبحوث ويسأله ويدون الإجابات بنفسه وتعرف هذه الطريقة باسم المقابلة.

أولا: صحيفة الاستبيان:

وتضم صحيفة الاستبيان مجموعة من الأسئلة ويجيب عليها المبحوث بينه وبين نفسه، وصحيفة الاستبيان أداة مهمة من أدوات جمع البيانات خاصة أن هذه الأداة تسمح للمبحوث أن يجيب إجابة تلقائية على الأسئلة دون اصطناع مواقف تفاعل أو فرض إيحاءات من السائل.

وقد تأخذ عملية جمع البيانات عن طريق صحيفة الاستبيان أشكالاً متعددة، ففى بعض الأحيان يوجد الموجه الذى يرشد المجيبين إذا ما أجريت هذه العملية فى شكل جماعي، (داخل الفصل الدراسى أو الوحدة العسكرية) وأحياناً ما يختار قطاع المجيبين الذين يتطوعون بأنفسهم للإجابة على الأسئلة المتضمنة فى صحيفة الاستبيان، أو ترسل استمارة الأسئلة بالبريد، أو يسلمها الباحث إلى المبحوث ليجيب عليها، أو يكتب الاجابة أحد أفراد اسرته،والشكلان الأخيران هما الشائعان فى مصر والعالم العربى.

والأسئلة التى تضمها استمارة الإستبان مرتبة وتهدف الحصول على معلومات تتعلق بالإتجاهات والقيم والإراء أو السمات. وللأسئلة التى تتضمنها الاستمارة غرض هو القياس. وتحدد طريقة صياغة الأسئلة المتغيرات الأساسية التى يجب أن تقاس. والمعلومات التى تحصل عليها من استمارة الاستبيان تؤلف مادة علمية تخضع للإختبار.

وقد تهدف استمارة الاستبيان عادة من جمع البيانات اختبار فرض أو مجموعة فروض أو إجراء دراسات مقارنة على المستوى القومى.

ويرفق باستمارة الاستبيان تعليمات بكيفية الإجابة، وكيفية إعادة الاستمارة إلى الباحث، وتتضمن مظروفاً طبع عليه عنوان فريق البحث، ويلصق الباحث أو هيئة البحث عليه طابع البريد، أو يخطر المبحوث بعودة الباحث إليه مرة أخري لاستلام الاستمارة.

يرجع الفشل فى استخدام طريقة الاستبيان أو المقابلة إلى عدم بذل وقت كاف في اعداد الاستماره، وتصميمها فى أوقات قصيرة وبلا تمهل، وعدم بذل الجهد فى إجراء إختبارات إستطلاعية لاستمارتى المقابلة والاستبيان. وعدم فهم المبحوثين لبعض الأسئلة أو المفهومات.

وثمة مزايا لاستمارة الاستبيان التي يجيب عليها المبحوث بنفسه: Ex

١- تضيف لنا دائما معلومات جديدة، ومادة علمية خصبة تختلف عن المعلومات التى نحصل عليها من الملاحظة والمقابلة.

٢- إمكانية إرسال الاستمارة بالبريد، ومن ثم الحصول على إجابات من عدد كبير من المبحوثين.

٣- ليست مكلفة ولا يحتاج إلى عدد كبير من المدربين والباحثين مثلما تحتاج المقابلة.

٤- تمنح هذه الاستمارة المبحوث إحساساً بالسرية والخصوصية، وتقديم إجابات صريحة لعدم وجود الباحث.

٥- حرية المجيب فى التعبير.

٦- سهولة عملية التفريغ والترميز والتحليل.

٧- الحصول على إجابات بلغة المبحوث،إن كانت الأسئلة ذات نهاية مفتوحة.

٨- قلة الوقت الذى تستغرقه الإجابة.

٩- أنها أداة موضوعية ومقننة وتحقق دائماً نتائج ثابتة وتتيح ألفرصة دائماً للمراجعة الموضوعية، وتقلل من فرص التفسير الذاتى.

لا تتطلب الاستمارة من الباحث اتخاذ تدابير معينة لتخفيف التوتر وخلق الألفة، كما تتغلب على مسألة التعب الذى قد يعانى منه الباحث أو المبحوث ويؤثر بالتالى على طبيعة الإجابات، كما ينبغى أن تلحق بصحيفة الاستبيان بطاقة بها التعليمات المحددة للإجابة لكى يفهم كل المجيبون فهماً متماثلاً كل

الأسئلة، كما يتعين تحديد مكان مناسب محدد وواضح لوضع الإجابة.

ويقابل مزايا استمارة الاستبيان التى يجيب عليها المجيب نفسه فى غياب الباحث بعض الصعوبات التى تحد من انتشارها فى بعض المجتمعات أهمها:

١- صعوبة استخدام هذه الاستمارة فى البلدان التى تسود فيها الأمية، إذ أن تطبيق هذه الاستمارة يتطلب أشخاصاً على مستوى من التعليم والفهم.

٢- صعوبة استخدام هذه الاستمارة فى البلدان التى يفتقد فيها الوعى بأهمية وجدوى البحث الاجتماعى. مما يؤدى إلى إهمال المبحوث لها.

٣- لا يجيب إلا المتحمسون لموضوع البحث، وهذا يخلق موقفا متحيزاً.

٤- قد يجد بعض المبحوثين صعوبة فى فهم الأسئلة التى يجيبون عنها دون موجه يشرح الغامض ولذا تأتى الإجابات غير دقيقة.

٥- لا توفر صحيفة الإستبيان فرصة التعمق التى توفرها المقابلة. إلا أن المجيبين قد يسجلون إجابات مستفيضة يمكن أن تكشف عن بعض الاتجاهات الكامنة.

٦- إذا لم تستخدم هذه الأداة فى تجمعات محددة يسيطر عليها الباحث أو المشرف الميدانى، فسوف يتكاسل المبحوثون فى الإجابة عن الاستمارة؛ وهذه بالفعل مشكلة قائمة- ولقد لوحظ أن نسبة الذين يردون صحيفة الاستبيان المرسلة بالبرُيد. تقل عن ١٠٪ تقريباً من مجموع أفراد العينة.

٧- تقيم حاجزاً بين الباحث والمبحوث، فالاتصال المباشر بينهما مفقود.

ثانيا: المقابلة:

المقابلة أجدى وأنفع فى البلدان التى تنتشر فيها الأمية أو عدم الوعى بجدوى البحث الاجتماعى، وهذه أداة لجمع البيانات والمعلومات عن أفراد مجتمع البحث، وتعتمد هذه الأداة على العلاقة الشخصية بين الباحث والمبحوثين، وتعنى المقابلة اللقاء وجهاً لوجه بين الباحث والمبحوث وتبادل الحوار بينهما، وتعبير المبحوث عن اتجاهاته تعبيراً لغوياً.

والحقيقة أن المقابلة تكمل الملاحظة، إذ توضح المقابلة ما يشاهده الباحث ويسمعه أثناء الملاحظة. فالباحث لا يكتب فقط ما يخبره به المبحوث بل يلاحظ سلوكه كذلك؛ وما يصدر عنه من إيماءات، وكيف يتحدث وأسباب حيرته، ومصدر اعتراضاته. ولكن أهم أسباب نجاح المقابلة واستمرارها حرص الباحث على كسب ثقة المبحوثين، وعلى إقامة جسور مودة وتعارف حتى لا يهابونه، والمبحوث عندما يجالس الباحث ويحاوره ويفصح له بما لديه من معلومات، ولا شك أن البداية قد تكون غير مشجعة ومحبطة إذ سيحاول المبحوثون إخفاء بعض المعلومات، وسيهربون من الإجابة على المشكلات الخاصة التى تتعلق بالعلاقات الزواجية والوالدية والاتجاهات السياسية، وهذه الطريقة شائعة فى المجتمعات المحلية ومجتمعات الأطفال، وأنها تسهل استخدام التحليل الكمى بجانب التحليل الكيفى.

والمقابلة نوعان: النوع الأول المقابلة الحرة التلقائية العشوائية والنوع الآخر المقابلة الموجهة المنظمة، وثمة عوامل تدخل فى تسهيل وتحديد المقابلة بين الباحث والمبحوث أهمها:

- قدرة المبخوث على فهم الكلمات وقدرته علي التعبير عن أفكاره فى سهولة ويسر.
- تسجيل المقابلة مع المبحوث تسجيلاً أميناً ودقيقاً بما لا يدع مجالاً للشك وتشويش عملية التسجيل.
- المحافظة على سرية البيانات التى حصل عليها الباحث أثناء المقابلة.

والمشكلة هى كيف تسجل أحداث المقابلة مع المبحوث: هل أثناء المقابلة أم بعدها وهل تسجل أحداث المقابلة حرفياً أم ينتقى منها ما يعتقد الباحث أنه مفيد، وتؤكد لنا المادة المتاحة أن الاعتماد على الذاكرة بعد المقابلة فى سرد ما جرى أمر محفوف بالخطر. ولذا فمن الأهمية تسجيل ما يتم أثناء المقابلة أى فى وقته، وضرورة أن يعى المبحوث أن الباحث لا يسيطر عليه ولا يوجهه، بل أنه شخص عادى يهتم به، ويتقبل اتجاهاته وأفكاره.

ومن عيوب المقابلة :

١- اعتمادها على وجود علاقة شخصية بين الباحث والمبحوث. ومع ذلك هناك من يرى أن هذه العلاقة مصدر قوتها ودقة ما تصل إليه من معلومات وافية.

٢- قصور المبحوث عن التعبير اللغوى وعدم فهم الباحث للغة التى يتحدث بها المبحوث.

ومن مزايا المقابلة :

١- أسلوب مهم فى البحث لكشف ما قد يحاول المبحوث أن يخفيه عن العالم الذى حوله، ويأتي هذا الكشف من خلال الحوار.

٢- وسيلة مهمة للكشف عن الإحباطات التى يعانى المواطنون منها فى حياتهم اليومية.

٣- استيضاح بعض الغموض الذي يحيط بالموقف أو التعبيرات اللغوية للمبحوث، أى إيضاح معنى ما قد يكون غامضاً من أسئلة.

٤- إعطاء الباحث بما له من مهارة وخبرة الفرصة للمبحوث ليعبر عن اتجاهاته وارائه، وأن يعبر عن إتجاهاته السلبية وأن يكشف دخائل نفسه ومشاعره .

٥- إن الناس يتكلمون بحرية وتلقائية أمام الغرباء أكثر من الحرية المتاحة في الحديث أمام المعارف أو الأصدقاء. فالمبحوث أمام الباحث ليس لديه ما يخشى أن يخفيه .

وتتم المقابلة فى موقف طبيعى مختلف عن التجربة المعملية، وتسأل الأسئلة وفق قواعد محددة. فالمقابلة تعتمد على الحوار كمصدر للمعلومات، كما أن العينة التى تتم معها المقابلة تعد مصدراً للبيانات فى البحث.

وتحدد المقابلة والمواجهة بين الباحث والمبحوث مهارة الباحث فى توجيه الأسئلة، وقدرته على التفاعل. ولا وسيط بين الباحث والمبحوث. وقد تؤثر خصائص الباحث (الجنس- السن- اللهجة- الزى -والطباعه) على نتائج

البحث ومن اخفاء المبحوثين آرائهم الحقيقية واتجاهاتهم الصادقة، ومن ثم الاجابة عن الأسئلة إجابات يرون أنها مفضلة ومرغوبة اجتماعيا، أو للحصول على اعجاب الباحث.

والجمع بين الملاحظة والمقابلة أمر مطلوب كما فعل بوث وراونترى عندما درسا الفقر والفقراء، واهتم بملاحظة أوضاع الفقر وظروفه ووصفها وصفاً كيفياً. واهتم فى الوقت نفسه بقياس هذه الأوضاع من خلال تحليل استجاباتهم لأسئلة مقننة- ولقد سار بوث وروانترى في طرقات المناطق التى تدرس ليقيما البيئة المحلية التى يعيش فيها الفقراء بل عاش بعضهم فى البيئة وأقام بها. (Bun-ner, pp. 16-20)

وتعد المقابلة أداة مهمة من أدوات البحث الاجتماعى المنظم فى بلدان كثيرة وخاصة فى العالم الغربى. وتهتم المقابلة بدراسة اتجاهات الناس، كما تستخدم استخداما واسعاً للحصول على معلومات عن التجمعات الاجتماعية من عمال وفلاحين وشباب وموظفين وارباب الأسر. وتستخدم فى العالم الثالث، ولكن بحذر وعلى استحياء، إذ ثمة معوقات كثيرة تعوق الاستفادة منها إستفادة كاملة ونافعة. (Tesseler, p.1)

والمقابلة وجهاً لوجه هى أكثر طرق البحث شيوعاً فى الوطن العربى، والعالم الثالث، ومن النادر سؤال المبحوث باستخدام التليفون، أو إرسال استمارة البحث بالبريد ليجيب عليها المبحوث. فالعادة جرت أن يقابل الباحث المبحوث ويوجه إليه الأسئلة ويملؤها الباحث بنفسه، دون تسجيل الإجابة على آلة تسجيل، وهذه الأداة أكثر شيوعاً من الملاحظة.

وقبل إجراء المقابلة يتعين على الباحث أن يضع في الاعتبار: ١- طبيعة مجتمع البحث، ٢- طبيعة السكان- هل المجتمع صغير أم كبير، وهل يضم صغاراً أم كباراً ذكوراً أم إناثاً؟ وهل يعرفون القراءة والكتابة أم لا؟ وهل يفهمون ما يقوله لهم؟

٣- طبيعة البيانات المطلوبة، وهل لها حساسية سياسية أو عائلية أو حيادية، هل تشغل اهتمامات الناس أو ترتبط بموضوعات يرفض الناس الخوض فيها،

٤-القدرة على فهم المعلومات والأسئلة، ٥- توافر أعداد الباحثين المدربين على إجراء المقابلات.

٦- المفاضلة بين الإستبيان والمقابلة ، ومعرفة أيهما أكثر كلفة. وأيهما يستغرق وقتاً طويلاً. وأيهما أجدى فى جمع البيانات المطلوبة.

وتفضيل أحدهما يحدده مدى الوعى لدى أفراد مجتمع البحث، ومدى قدرتهم على القراءة والكتابة وفهم الاستمارة.إذ تغطى استمارة الاستبيان عينة كبيرة فى وقت قليل، أما عند إجراء المقابلة فالباحث يسعى إلى الناس فى بيوتهم فى أوقات محددة. ولايدرس الا عدداً محدوداً يجرى معهم المقابلة.

وبعد وضع استمارة البحث فى صورتها النهائية يتعين على الباحث أن يعطى لكل سؤال رقماً مسلسلاً كما يفضل أن يرقم الاستمارات، كما يتعين على الباحث أن يعطي إهتماماً أكبر لطريقة الترميز، وهى ضرورية لتسهيل عملية تثقيب وتفريغ البيانات، وتلك عملية ضرورية.

وبعد صياغة استمارة البحث التى ستجمع بها البيانات التى تلائم غرض البحث، من الضرورى طباعة عدد من النسخ يكفى عدد المبحوثين بل يزيد عليهم.

ولا ريب أن طريقة طبع استمارة البحث مهمة جداً لتحقيق الهدف من الدراسة وكأداة لجمع الإجابات من المجيبين ومن ثم الحصول على بيانات أوفر.

وثمة طرق عديدة لطبع استمارات البحث:

١- الكتابة على الكمبيوتر ثم التصوير.

٢- طباعة الأوفست.

٣- الطباعة اليدوية.

ومن الضرورى مراعاة شكل الورق ونوعه. ويعتمد قرار طبع نسخ الاستمارة على الميزانية المتاحة والوقت اللازم لعملية الطبع والتسهيلات المقدمة.

والسؤال الذى يفرض نفسه على الباحثين فى بلدان العالم الثالث، سواء عند

تطبيق استمارة الاستبيان أو استخدام استمارة المقابلة: كيف أختار أسئلة الاستمارة؟ هل أترجم استمارة بحث ذاع صيتها فى موطنها الأصلي أم صياغة أسئلة مستوحاة من المجتمع، واستخدام المفهومات والتعبيرات الوطنية، هل أعرب الاستمارة التى حققت نتائج لا تعد ولاتحصى فى بلدها الأصلى وأثْـرَتْ النظرية الإجتماعة.

نحن لا نؤمن بترجمة استمارة البحث أو تعريبها أو اقتباس عبارات منها، وعلى الباحث الوطنى الملتزم أن يصمم استمارة البحث من وحى الظروف الاجتماعية والسياسية المحيطة به، وأن يستخدم المفهومات والكلمات والعبارات الوطنية الشائعة لكى يفهمها المبحوثون ويجيبون عنها (Tesseler, p,114) فالمفهوم الواضح يساعد على صياغة أسئلة تتيح لنا مقاييس صادقة موثوق فيها.

ويتعين قبل إصدار قرار بصلاحية الاستمارة إجراء دراسة تمهيدية استطلاعية لقياس عناصر الاستمارة وتقييمها لمعرفة مدى ثبات النتائج فمن الضرورى أن نبذل جهداً ونحدد نظام ترتيب الأسئلة ومدى فهم وتقبل المبحوثين لها وينبغى أن نعى أن كل مفهوم محدد تتضمنه الاستمارة يعد مؤشراً أو مقياساً يضم مجموعة أسئلة. فالسؤال الواحد لا يقيس شيئاً ولا يعد مؤشراً لقياس متغير ما. لذا فمن الضرورى استخدام أكثر من سؤال لقياس المتغير وهذا يزيد من صدق الاستمارة.

وإذا كان السؤال الواحد على الدخل مجدياً، والسؤال الواحد عن المهنة مفيداً، فإن السؤال الواحد عن أساليب التنشئة الاجتماعية أو الوضع الطبقى أو معوقات التنمية جهد لا عائد من ورائه، إن لم يكن من أمور العبث. والحقيقة أن عملية صياغة استمارة البحث، ليست عملية سهلة، تتطلب خطف سؤال من هنا وسؤال من هناك. بل عملية معقدة، تتطلب مهارة من الباحث وخبرة، ودقة صياغة الأسئلة للحصول على نتائج موثوق فيها وإدراك أن السؤال يوصلنا إلى نتائج. ويتعين أن تكتب بلغة سهلة يفهمها المجيب، إذ كلما بعدت لغة الإستمارة عن لغة المجيب، قل فهم المجيب لعناصر الاستمارة وازداد غموض الأسئلة.

اختبارات المواقف :

اختبارات المواقف هى اختبارات لفظية إسقاطية تظهر شخصية المستجيب من خلال الأحكام التقويمية التى يصدرها المبحوث لوصف موقف ما فى عبارة لفظية تعبر عن تفضيله لأحد الحلول التى يستلزمها الموقف وتعتبر هذه الأحكام فى الموقف عن الأساليب التلقائية فى اختيار مواقف الحياة. ويدرس علماء النفس والاجتماع سلوك الأفراد والجماعة فى الموقف. وتخضع اختبارات المواقف للتحليل الإحصائى مما يبعدها عن الذاتية، ويحقق لها الموضوعية. وتتضمن دائما المواقف مشكلة من مشكلات الحياة، والحلول الممكنة لها، وتعرض نمطاً من المواقف اليومية شائعاً فى المجتمع. ويعرض الموقف على المبحوث وعليه أن يختار من هذه الحلول الحل المناسب له. ويساعد تكرار السؤال عن الفكرة ذاتها فى مواقف مختلفة تتطلب حلولاً مختلفة على الحصول على نتائج أكثر دقة وصدقاً عن سلوك المرء. وقد يفرض الموقف دون حلول، وعلى المبحوث أن يقدم الحل المناسب. ويرى لندبرج أن السلوك المناسب الذى يعبر عنه بعبارات لفظية فى مواقف معينة يمثل حقيقة واتجاهات المرء وقيمة فى الموقف الفردى ويرتبط بسلوكه الفعلى فى مواقف متماثلة، وتتضمن توافقاً كاملاً معها. فالسلوك اللفظى دليل مقبول على نوع السلوك الفعلى فى المواقف الحقيقية.

ويرى لينول ليتمان أن إختبارات المواقف أحد الأدوات المهمة لدراسة الدور وتتطلب أن يقوم الشخص بأداء الدور فى مواقف مختلفة حقيقية داخل المدرسة أو الأسرة أو مجال العمل.

وثمة خطوط عامة ينبغى إتباعها عند صياغة مواقف :

١- صياغة قضايا المواقف والاحكام فى عبارات يفهمها كل من الطفل والبالغ وتتناسب مع مستواه العقلى وتدور هذه المواقف حول مشكلات يرغب المرء فى مناقشتها وتعكس ما يدور فى المجتمع من أسئلة.

٢- أن تترك للشخص حرية الاختيار والتعبير.

٣- عدم إبداء الاعتراض على عدم إصدار الأحكام على البالغين الآخرين.

٤- عدم توجيه الحديث مع المبحوث.

٥- عدم مناقشة المبحوث فى أسباب إختياره للحل المفضل عنده.

٦- إعطاؤه الفرصة لتبرير الإختيار.

٧- صياغة أسئلة بطريقة لا تعطى أدنى فرصة للتأويل والوقوع فى الخطأ.

٨- تحديد زمن مناسب للاختبارات اللفظية لا يتجاوز ٤٥ دقيقة.

ومثل هذه الاختبارات نادره فى المجتمع العربى.



الفصل الثامن

الملاحظــة

أ.د محمد سعيد فرج
استاذ علم الاجتماع

وتتحدد طبيعـة ومجال مشاركة الباحث بقصد فـهم السلوك الإنسانى وتفسيره فى إطار المدى الذى تسمح به الثقافة السائدة بتواجد الملاحظ ومشاركته الناس فى أفعـالهم وتصـرفـاتهم. والملاحـظة بالمشـاركـة أداة رئيسـيـة لجمع البـيـانات فى الدراسـات الوصـفـيـة. وتؤثر على طبـيـعـة البـيـانات التى تجـمع وعلى طريقـة تسجيلها.

وتعد الملاحظة بالمشاركة فى أنشطة العالم الاجتماعى، من وجهـة الدراسات الأثنوجـرافية أداة جـيدة لجمع البيانات. ويتطـلب تواجد البـاحث فى المجـتمع ومـعرفته الثـقافـة السائدة، وليست الملاحظة عملية سـهلة ،بل تتطلب أن يتـعلم الباحث كيف يشارك؟ ومتي يشارك مشاركـة فعالة؟ ومتى يتفاعل؟ ومتى يتجنب المشاركة؟ (Hmmersley Mertyn, pp. 34- 35) وتعتمد الملاحظة بالمشاركة على فهم سلوك الآخرين وتفسير هذا السلوك.

وتهتم الملاحظة بدراسـة التـفـاعل داخل الجمـاعـة أو بين جـمـاعـة وأخـرى، ودراسة أنماط السلوك وبناء الأدوار. وتعتمد على السمع والمشاهدة.

وتهدف الملاحظة الحـصـول على المعلومـات والبـيـانات من مـشـاهدة سلوك الناس وأفعـالهم وتصرفاتهم في بيئتهم الطبـيعـيـة ومواقف التفـاعل، إذ قد تعطى ملاحظة سلوك الناس فى المواقف الطبـيعية نتائج حـقيقية وصادقـة وموثوق بها، كما تكشف لنا عن أنماط السلوك الظاهرة والمنتـشرة وغـير المنتـشرة. وعـادة ما يكشف السلوك والأفـعـال التى خـضعت للمـلاحظة عن مـؤشـرات صادقـة عن الاتجاهات الواضـحة والخفية والقيم السـائدة التى توجه سلوك الناس، وقـد يؤكد معناها اسـتخدام مقـاييس أخرى أو تراكم معلومـات أكثر غزارة، وإذا مـا سيطر البـاحث سيطرة كـاملة على الموقف الذى يلاحظ فـيـه السلوك وحللت وفـسـرت البيانات والمعطيات والمعلومات تحليلاً كيفياً وكمياً تصبح الملاحظة ذات جدوى.

وفى الحـقـيـقـة فـالملاحظة أبسط وأسـهل أداة لجمع الـبيـانات والمعلومـات عن

السلوك الظاهر والمرئى للطفل والراشد، فهى تعتمد على ما يشاهد ويصدر عن الناس، وما يسمع منهم من تعليقات، والباحث يلاحظ ويصف السلوك والأفعال فى المواقف المختلفة والتفاعل والجماعات الكبيرة والصغيرة والمجتمعات المحلية، ثم يسجل ويصف ويفسر ما يشاهده، وقد يدرس سلوك الناس عندما يكونون بمفردهم أو أثناء تفاعلهم داخل الجماعة، وذلك كله وفق قواعد متفق عليها. والباحث الملاحظ لا يطلب من الفاعلين استرجاع أفعال تمت فى الماضى من أجل وصفها، ولكنه قد يرجع إلى المخبرين الذين يحكون له ما يعرفونه من أنماط السلوك المتوارثة.

وتختلف طبيعة البيانات وعمقها حسب حجم الجماعة ونوع التنظيم الذى يلاحظ أو الموقف، وثمة فرق بين بيانات تجمع من تنظيم رسمى وبيانات تجمع من تنظيم غير رسمى، مثلما تختلف البيانات التى تجمع عن جماعة تتكون من شخصين أو ثلاثة أو أربعة أو من عشرات الأشخاص أو مائة أو أكثر. والباحث عندما يلاحظ ... يلاحظ السلوك المعهود المميز للناس.

ولكن خطوة جمع البيانات تأتى بعد خطوة تحديد ما يتعين على الباحث أن يلاحظه، ولا يجمع الباحث ولا يلاحظ الغث والثمين، ومثلما يلاحظ أشياء محددة، يتعين عليه أن يتأكد أن ما يلاحظه أمر طبيعى ومألوف، وليس مفتعلاً، وعليه أن يوثق البيانات التى يجمعها ويتأكد من صدقها بتكرار الملاحظة. فالملاحظة العابرة، مثل المقابلة العابرة لا تفيد الباحث، وعليه أن يحدد ماذا يلاحظ وهل يلاحظ عملية اجتماعية أو موقف تفاعل؛ أم سلوكا اجتماعيا أم علاقات اجتماعية فى بيئة اجتماعية. (Atkinson, p.45)

وقد تستمر الملاحظة فترة من الزمان، ليست قصيرة، بل قد تطول، اذ تستمر لفترة تصل إلى أربع سنوات ليتمكن الملاحظ من فهم الثقافة والأفعال خلال فصول العام وليصف الأحداث التى لا تتكرر يومياً، بل لا تحدث إلا فى أوقات أو مناسبات معينة، كطقوس شهر رمضان أو مواسم الحصاد؛ أو الإجازة الصيفية لطلاب المدارس، أو مرة فى العام كما يحدث فى الموالد، وليكتب كمشاهد خارجى ما خضع للملاحظة.

فالملاحظة لا تقتصر على ملاحظة سلوك الكبار، بل هى أجدى وأنفع عند دراسة سلوك الصغار. وقد استخدمت الملاحظة كأداة مهمة لجمع البيانات عن عالم الأطفال أثناء مشاهدة سلوك الطفل فى المواقف المختلفة وأثناء تفاعله مع رفاق سنه. وأخوته ووالديه أو تنافسه وتعاونه مع الآخرين، أو تصرفاته فى المواقف التى تتطلب الاعتماد على الغير أو المواقف التى يبدى فيها الرغبة فى الاستقلال أو الانقياد أو التسلط.

والملاحظة كأداة لجمع البيانات يزداد الاستفادة منها عند دراسة المجتمعات البدوية أو الريفية أو المجتمعات المحلية فى المدينة أو الجماعات الصغيرة، وهذا يتطلب من الباحث ملاحظة الطقوس اليومية سواء الدينية أو غير الدينية وطرق الحياة اليومية التى تجرى على وتيرة واحدة أو عمليات إجتماعية مثل التعاون أو التقاتل أو المشاحنات أو الشعائر والطقوس والمعتقدات وأثرها على سلوكهم، وطرق الاحتفال بالزواج أو قدوم مولود جديد والحياة الاجتماعية للأفراد، وأساليب التعامل وكيفية التصرف وردود الأفعال فى المواقف المختلفة. ولا يقتصر الأمر على المشاهدة بل يتطلب توثيق المعلومات الحوار مع الأخباريين وكبار السن فى مواقف طبيعية إذا ما كان الباحث قادماً من مجتمع آخر، أو ينتمى الى طبقة أخرى، أو غريبا عن الجماعة ولا ينتمى إليها.

وتعتمد الملاحظة على وصف ما يشاهده وما يسمع، ويستطيع الباحث من خلال الملاحظة فهم الثقافة السائدة والبناء الاجتماعى والشخصية (Wilson, p.11)، ولكن الباحث لا يعتمد على ما يشاهده ويسمعه فى مواقف التفاعل، بل تقوم بإجراء المقابلات ويلجأ الى الوثائق بوصفها جزءاً مهماً فى الدراسات الوصفية (Wilson, p.14) فالباحث، أثناء المشاركة فى الموقف قد يسأل ويطرح بعض الأسئلة ويحاول أن يجمع بيانات ليزداد فهمه للسلوك إذ تقدم الوثائق والمقابلة المركزة بيانات عن الظاهرة موضوع البحث لا توفرها الملاحظة بمفردها.

والباحث الملاحظ يعتمد علي الورقة والقلم أو آلة التسجيل- بعد موافقة المبحوث- والخبرين لتوثيق ما يلاحظه ولتوضيح ما يحدث فى البيئة الاجتماعية. فالباحث يعتمد علي العين والأذن ويلاحظ ويسجل السلوك والأفعال

سواء سلوك الفرد أو سلوك الجماعة، وقد تكون الملاحظة مباشرة أو غير مباشرة .والملاحظة المباشرة يقصد بها عدم وجود خطة محددة أى عدم وجود قواعد توجه الباحث فى ملاحظة للظاهرة، كما تعنى عدم وجود أوقات محددة تحدد متى تلاحظ الظاهرة وهذا يعنى استبعاد الاختبارات والمقابلات والأسئلة وترك المبحوث الذى يخضع للملاحظة يتصرف تلقائياً. وعلينا أن نلاحظ السلوك والأفعال فى مواقف الخلاف والشجار، أو أثناء الاستيقاظ من النوم أو الذهاب إلى الفراش بلا كلفة، والملاحظة المباشرة تعد أفضل الطرق لدراسة سلوك الطفل بل أكثر الطرق انتشاراً خاصة لمن تقل أعمارهم عن ست سنوات.

والباحث يستطع أن يلاحظ تصرفات الطفل فى مواقف الحياة اليومية ابتداء من مواقف الخلاف أو الشجار. وحركاته وتصرفاته عند الاستيقاظ من النوم أو عند الذهاب الى الفراش، أو عند الترحيب بالآخرين أو فى مواقف اللعب، أو فى المواقف التى تتطلب التعاون أو التنافس أو تستدعي الدفاع عن النفس، ويمكن للباحث أن يذهب إلى البيوت أو دور الحضانة أو إلى الأندية أو إلى المدارس الابتدائية أو الحدائق أو زيارة مؤسسات إيواء الأطفال. أو السوق وقد تكون الملاحظة يومية لدراسة ووصف نماذج لأطفال معينين.

وقد لجأ علماء علم النفس الاجتماعى، مثل روجر باركر وهربرت ميد إلى ملاحظة سلوك الأطفال. وقام لويس روجر باركر بدرسات مقارنة للإيكولوجيا النفسية للأطفال فى ميد وستَ كنساس وأطفال مدينة يوركشير بإنجلترا. كذلك قام أوسكار لويس بملاحظة سلوك الأسر التى درسها في المكسيك. وكان الهدف من هذه الدراسة أن يوضح أنماط العمل وطريقة تقسيم العمل عند أسر الفقراء، وتصنف دراسة أوسكار لويس التفصيلية عن أسر الفقراء بوصفها دراسة فى مبحث الثقافة والشخصية. وقد قدم لنا أوسكار لويس فى دراسته التى أطلق عليها الأسر الخمس دراسة وصفية مركزة عن حياة خمس أسر مكسيكية وما يحدث خلال اليوم الواحد. ولم يتردد أوسكار لويس فى هذه الدراسة أن يعرض لمشاعر الأفراد وعلاقاتهم. وطريقة كلامهم وأفعالهم واستطاع من خلال ملاحظة سلوك الفقراء أن يقدم لنا صورة صادقة عن الثقافة الخاصة بالفقراء.

وثمة دراسات مصرية استخدمت طريقة الملاحظة المباشرة والملاحظة بالمشاركة مثل دراسة أهل قرية سلوى أهل قرية سلوا ودراسات الواحات المصرية وأسوان ودراسة مصانع تكرير البترول بالسويس، ودراسات أحمد أبو زيد بسيناء. ودراسة امكانات التنمية عند مستويات المعيشة المنخفض في القاهرة وطنطا والمنيا.

ومن الدراسات العربية التى اعتمدت على الملاحظة الأبحاث التى نشرت فى كتاب «فى وطنى أبحث» ويضم هذا العمل ابحاث ستة حقلية لمجموعة من الأنثربولوجيات العرب تستحق التنويه والتقدير. (كاميليا فوزى الصلح «فى وطنى أبحث»).

وتعد دراسة وليم وايت التى أجريت علي جماعات الشباب التى تقف فى نواصى الطرقات خير مثال للملاحظة ولقد قال وايت «إن ما يقوله الناس لى يساعد على تفسير ما يحدث وأن ما ألاحظه بنفسى يساعد علي تفسير ما يقول الناس لى».

ولقد عاش وايت فى مجتمع كور نفيل ما بين ثلاثة أو أربعة أعوام مع عائلة إيطالية لبعض الوقت وتعلم الإيطالية لكى يفهم الاهتمامات العاطفية والوجدانية لأهالى المنطقة. وقد شارك فى كل أنشطة المجتمع وانضم الى عضوية الأندية واشترك فى مسابقة لعبة البولنج ورقص مع فتيات البلدة وساهم فى الحملة الانتخابية للمجالس المحلية بوصفه مستشاراً للمرشح ابن المنطقة. ورغم أن أهل البلدة لم ينسوا أنه أجنبى، وأنه يكتب عنهم دراسة علمية، فإنه نجح فعلاً فى الاندماج فى المجتمع وصار عضواً نشطاً فى النسق الاجتماعى الذى أراد دراسته.

وتصنف الملاحظة إلى نوعين : ملاحظة مباشرة بالمشاركة وملاحظة غير مباشرة (غير المشاركة).

معنى الملاحظة بالمشاركة :

والإجابةعلى السؤال: هل يتسطيع الباحث أن يشارك مشاركة مباشرة في

السلوك موضوع الملاحظة؟ سهلة ويسيرة.

إذ تعد الملاحظة إحدى الصور المميزة لكثير من الدراسات الأنثربولوجية وبل تعد، الملاحظة بالمشاركة أهم أشكال الملاحظة، ويقصد بالملاحظة بالمشاركة أن يقوم الباحث بدور فى الحياة اليومية العادية للمجتمع، ويدلى برأيه فى مشكلاته ويتفاعل مع الناس، ويكون علاقات معهم، ويرتبط بالخبرين ارتباطا وثيقاً بوصفهم مصدراً أساسياً للمعلومات، وقد يواجه الباحث الذى يلجأ إلى طريقة الملاحظة بالمشاركة مشكلة مؤداها أنه يريد الحصول علي المعلومات نفسها التى يتقصى عنها ألطبيب النفسى من مرضاه أحياناً، بينما لا يقوم هو بدور الطبيب النفسي، أى مساعدة مرضاه علي الشفاء. فالباحث ينشد مساعدة المخبرين ويدفعهم إلى الحديث معه بغية الكشف عن الأسرار الخفية فى الجماعة، ومعرفة مشكلات الحياة الزواجية والمشاعر نحو الوالدين والمعاملات الاقتصادية والطقوس والعادات، وعلى مثل هذا الباحث أن يعمل بحرص خشية أن يفقد اهتمام وصداقة المخبرين مصدر معلوماته.

وتتطلب الملاحظة بالمشاركة مواصلة واستمرار الملاحظة لفترة زمانية قد تطول أو تقصر. مثلما تتطلب التفاعل مع حشد كبير من الأشخاص.

وغالباً ما تتغير أدوار الملاحظ من موقف لموقف، ومن بناء لبناء ويعتمد أدائه للسلوك على طبيعة البيئة الاجتماعية وادراكه وفهمه للسلوك المتبادل بين الفاعلين. وعليه أن يضع فى اعتباره: ١- الوقت الذى يزاول فيه النشاط. فالنشاط الاجتماعى يختلف من وقت لوقت فى اليوم الواحد. مثلما يختلف بين أيام الأسبوع .فالباحث الذى يدرس المستشفى أو حركة السوق أو النشاط المدرسى عليه أن يضع في الاعتبار تباين العمل والنشاط من وقت لوقت فى اليوم الواحد وبين أيام الأسبوع وأن أحداث اليوم الواحد متباينة.

٢- أن سلوك الناس يتباين حسب الجنس والسن. فسلوك الكبار غير سلوك الصغار والسلوك المصرح به للإناث غير مسموح به للذكور، كذلك يتباين السلوك حسب الوضع الطبقى ومستوى التعليم ونوع المهنة. وملاحظة تباين الأدوار داخل الأسرة أو فى المصنع أو القرية، والفروق بين الناس أعضاء

التنظيمات الرسمية وغير الرسمية. كما يختلف السلوك من حى إلي آخر.

٣- والحدث الذى يلاحظه الملاحظ قد يكون اجتماعات رسمية أو تجمعات غير رسمية. كأن يلاحظ سلوك الجلساء فى المقهى أو تجمعات عشوائية فى النواصى والطرقات أو تصرفات الناس عند شراء سلعة نادرة.

كما يلاحظ الباحث حدثاً يتكرر يومياً تعوده الناس وألفوه أو يلاحظ حدثاً يلفت أنظار الفاعلين، أو يلاحظ سلوكاً غير مألوف.

كيفية ممارسة دور الملاحظ المشارك:

لكى يمارس الباحث دوره بوصفه ملاحظاً، فمن الممكن أن يعرف أعضاء المجتمع أنهم يخضعون لملاحظاته، كما يمكن أن يخفي الباحث شخصيته كباحث ملاحظ ويتستر وراء دور آخر يمكن أن يقوم به داخل الجماعة. ولهذا التخفى أثره، إذ يمكن أن يكون الأفراد أكثر تلقائية فى سلوكهم لو جهلوا أنهم يخضعون للمراقبة والملاحظة. ولكن من جانب آخر قد تلقى الملاحظة المستترة ظلمة كاملة على النسق. فإذا ما إندمج الباحث اندماجاً كاملاً فى النسق الذى يلاحظه فسوف تثور الشكوك حوله بكل تأكيد، عندما يحاول الحصول على معلومات لا ترتبط بالمجال الذى يلعب فيه دوره، وبالتالى لن يستطيع الملاحظ المتخفى أن يجمع بين الملاحظة والسؤال. ولما كان مثل هذا الباحث يقوم ببحثه متخفياً فإن نتائجه ستبقى أقل دقة وأقل عمقاً وأقل شمولاً فيما لو كان مشاركاً مشاركة صريحة فى نشاط الجماعة.

وتتطلب الملاحظة بالمشاركة من الباحث أن يشارك فى مواقف التفاعل مشاركة فعالة وأن يعمل مع الجماعة بإعتباره عضواً عادياً يشارك فى الحوار اليومى، ويشارك فى العمل، ويشارك فى المجاملات.(Wilson, p. 12)

الملاحظة غير المشاركة:

أسلوب آخر للبحث هو الملاحظة غير المشاركة، فالباحث لا يشارك بنفسه فى التفاعل ولكنه قد يلاحظ جماعة من الأطفال يلعبون فى فناء المدرسة دون أن يعى الأطفال بوجوده كلية، وأيضاً قد يلاحظ سلوك الناس فى الميدان فى ساعة

الذروة ومن وراء النافذة. فالباحث لا يتصل بالفاعلين بل حتى لا يبادلهم النظرات، كما أن الفاعلين يجهلون أنهم موضع الملاحظة، وتقلل هذه الطريقة من الأثر المترتب على الوعى بوجود الباحث، ويتجنب الباحث التحيز الذي قد ينتج عن الانغماس فى الجماعة، ويحد وضع الباحث الملاحظ خارج الجماعة من فهمه للموقف ويعوق من ملاحظاته لتعبيرات الوجه وإدراكه للحوار والمحادثات التى تدور بين المتفاعلين فى الموقف.

ويلاحظ الباحث الناس مباشرة، ويتفاعل معهم وجهاً لوجه فهو يعرفهم وهم يعرفونه ويعون ويدركون وجوده والملاحظة المباشرة لا تحتاج إلى وجود منظم أو إتفاق مسبق بين الباحث والمشاهد، كذلك فإنها لا تحتاج إلى زمن مسبق لإجراء الملاحظة. فهذا يعني عدم وجود خطة محددة.

وتؤكد الدراسات التحليلية أن الملاحظة المباشرة كطريقة لدراسة السلوك تعد أفضل الطرق وأكثرها انتشارا فى المجتمعات القروية والبدائية والتقليدية. والملاحظة أجدى وأنفع اذا ما وطد الباحث علاقته بالمواطنين، وقام الباحث بدور الصديق المهتم بهم لا بدور الحكم غير المشارك والموجه للسلوك.

وبالرغم من عيوب الملاحظة ففى الامكان الاعتماد على النتائج التى تجمع بدقة من خلال الملاحظة المباشرة بشرط أن يكون الملاحظ قد قام بدور الصديق مما يجعل المواطنين يتصرفون تصرفاً طبيعياً لا تكلف فيه وإلا ضاعت الفائدة المرجوة من الملاحظة وظهرت عيوبها جلياً.

أما الملاحظة غير المباشرة فتتم من وراء حجاب، أى عن بعد، فالفاعلون قد لا يعون بوجود الملاحظ الذى قد يقف وراء النافذة أو عن بعد يلاحظ سلوك الناس وتصرفاتهم، فهو مجهول لهم، وهو بعرفهم ويركز على تصرفاتهم وأفعالهم، ولكنه لا يستطيع أن يستفهم منهم فى الحال عن أفعال صدرت أو إيماءات استرعت انتباهه، أو يبادلهم الحوار والنقاش بل قد لا يسمع تعليقاتهم ولا يعرف لماذ يضحكون ولماذا يتشاجرون؟.

وتتطلب الملاحظة من الباحث تكرار مشاهدته، والقيام بزيارات متعددة لمواقف التفاعل. والملاحظة نوعان أولهما الملاحظة العشوائية الحرة، فيها يعايش

ويشاهد ويعاين الباحث كل ما يدور حوله. والملاحظة الأخرى، ملاحظة موجهة منظمة مقيدة، بأفعال معينة في مواقف خاصة. ولسنا في مجال مدى موضوعية طريقة الملاحظة. ولكن يكفي أن نقرر أنه من المحتم أن نلجأ إلى استخدام بعض المقاييس، وأن نقوم بتحديد مجتمع الدراسة إذا أريد أن يكون لوصف المادة التي حصلنا عليها من الملاحظة درجة أدنى من الصدق. وعلينا أن نجمع بين الملاحظات التي قام بها باحثون آخرون لتأكيد صدق ما نلاحظه.

وتتأثر إجراءات الملاحظة بما إذا كانت الملاحظة منظمة أم لا، بمعنى هل يستخدم الباحث وسيلة منظمة لجمع البيانات التي يلاحظها أم لا، وعما إذا كان الباحث يشارك مشاركة مباشرة في السلوك أو التفاعل موضوع الدراسة أم لا؟ وعما إذا كان الباحث يسيطر على السلوك؟ وكيف؟

وتعني الملاحظة المنظمة أن يذهب الباحث إلى مجال الدراسة ولديه صورة واضحة عن النقاط التي ينبغي أن يلاحظها ويجمع بيانات عنها، ويعتمد الباحث في الملاحظ : المنظمة على نموذج واضح يسمح له بصياغة رفيعة المستوى لدليل ملائم للملاحظة يحدد البيانات والحقائق التي يجمعها. وعلاوة على ذلك يساعد هذا الدليل الباحث على دراسة خصائص مميزة لجماعة ما، أو يدرس العلاقات بين هذه الخصائص، فالملاحظ يجمع البيانات وفق خطة محددة.

اما الملاحظة غير المنظمة فتعني أن يذهب الباحث إلى مجال البحث بلا هدف محدد وتستخدم الملاحظة غير المنظمة في الأبحاث التمهيدية والاستكشافية قبل أن يحدد أهداف الملاحظة تحديداً واضحاً. فالملاحظ يلاحظ كل شئ يحدث أمامه. وهو يعطي اهتماماً أكبر لعمليات التفاعل والسلوك الاجتماعي وردود الأفعال إزاء اتجاهات معينة ولا يعطي اهتماما للعمليات النفسية والبيولوجية للأشخاص في الموقف. وهو يحاول أن يسجل تتابع الأحداث، ويصف الموقف الاجتماعي، ويتقصى عن الفاعل الذي يقوم بأداء كل الأفعال، وهو يميز بين ما يلاحظه وبين ما يقدمه من تفسيرات وهو يعمل ذهنه أمام المعلومات الغزيرة التي يجمعها، وهو لا يسلم بشئ مطلقاً ويتجنب الأفكار الفجة.

وتعتمد الملاحظة على الوصف المركز للسلوك ولقد أثبتت دراسات متعددة

فى الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية فضائل المدخل الوصفى المركز، الذى يقدم لنا مجموعة خصبة من البيانات بدلاً من التركيز على مجال معين، كما يجمع الباحث عدداً كبيراً متبايناً من الحقائق التى يستطيع أن يرى من خلالها سلوك الفاعلين فى مواقف متباينة تعبر عن اتجاهاتهم وتعطى الوفرة فى التفاصيل وضوحاً للنتائج حتى أنه يتعذر أن يصل إلى هذا الوضوح من خلال طريقة أخرى.

وعلاوة على ذلك فلما كان الباحث موجوداً أثناء التفاعل فإنه يستطيع أن يفهم عمليات السلوك وأنماطها ولا يحتاج إلى إعادة بنائها ليفهمها كما يفعل الباحث الذى يستخدم المقابلة.

والملاحظة غير المنظمة تعتمد على المشاهدة العشوائية. فالباحث لا يستطيع أن يخضعها للتحليل العلمى، ومن ثم يصبح الباحث فى شك من البيانات التى أمامه. وقد يتعرض لأنواع من الخطأ أثناء إجراء الملاحظة وتسجيل الحقائق وتفسيرها. وهذه الأخطاء ليست محدودة ، كما أن الباحث لا يستطيع أن يحدد مدى الثقة فى البيانات التى يجمعها.

وتتطلب الدراسة المنظمة من الباحث وضع دليل للملاحظة، يضع فى اعتباره ملاحظة الصور الأساسية التالية:(Bynner, pp. 12-13)

١- شكل التفاعل أو العملية الاجتماعية أو صورة التفاعل. ويهتم الملاحظ بشكل الاستجابات اليومية واساليب التنشئة الاجتماعية، وكيفية التعاون والتنافس ونبرات الصوت وحركات الأيدى، وطرق التزين، ومدى الحرية التى تتاح للابن والابنة وشكل الملبس، وأنواع الطعام ومكانه ونظام الضيافة. ومدى الاحترام الذى يضفى على المرأة.

٢- المدة التى يدوم خلالها التفاعل والسلوك، وطول أو قصر الفترة التى يستغرقها أداء السلوك والمدة التى يستغرقها حوار يسوده الألفة، والمدة التى تستغرقها المشاجرة ومن يتدخل فيها إيجابياً، ومن يقف عن بعد مشاهداً، ومن لا يبالى.

٣- مدى تكرار السلوك، وهل هو وقتى أم دائم. ويلاحظ الباحث عدد مرات

حدوث حدث معين وفى أوقات معينة، ومدى تكرار حدوثه فى فترات متعددة، وكيف يتكرر ومتى.

٤- أسباب السلوك ونتائجه.

يلاحظ أنماط السلوك التى تسبق حدثاً معيناً والآثار التى تترتب على هذا الحدث، وملاحظة تعبيرات الوجه قبل إجراء محادثة ما وبعدها في مواقف متماثلة ومتباينة.

وقد أوضح سلستيز خمس نقاط يتعين أن يضعها الملاحظ فى إعتباره عند إجراء الملاحظة المنظمة: (Clireselliz,pp. 209- 20)

١- ما خصائص المشاركين؟ وما وظائفهم؟ وما أدوارهم التى يؤدونها داخل الجماعة؟ وكم عددهم؟ وما طبيعة العلاقات المتبادلة بينهم؟ وهل يحبون المزاح وسماع النكات وهل يتقبلون النقد وهل يتعاونون سويا؟

٢- ما طبيعة المكان الذى يمارس فيه النشاط؟ وما مظهره الخارجى؟ وما الهدف من السلوك؟ وكيف يؤدى؟ وما السلوك الذى يحبذه البناء الاجتماعى؟ وما السلوك الذى ينبذه ويرفضه؟

٣- ما الأغراض التى تسعى اليها الجماعة؟ وهل هذه الأغراض رسمية مقر بها أم غير رسمية؟وما الأهداف التى يسعى التفاعل الى تحقيقها؟ وما طبيعة ردود أفعال أعضاء الجماعة؟

٤- ما طبيعة وأشكال السلوك الاجتماعى الذى يسلكه أعضاء الجماعة؟ ومن يمارسه؟ وكيف يؤدى هذا السلوك؟ وما العوامل التى تؤدى الى المبادرة بأداء السلوك؟ وما نتائج أداء سلوك معين وما خصائص هذا السلوك؟ وما مدته؟ وما شدته وهل هذا السلوك مؤقت واستثنائى؟.

٥- مدى تكرار هذا السلوك واستمراره وهل السلوك غير عادى. أم سلوك متواتر متكرر؟

والاتفاق بين العلماء على ضرورة وضع دليل للملاحظة يوضح أن الملاحظة

العابرة لا تجدى، وأن التخبط وعدم وضوح الرؤية من السلوك الملاحظ لا يفيد، بل يؤدى الي التيه.

وإذا ما حاولنا أن نلاحظ مستويات المعيشة فى منطقة متخلفة فيتعين أولا تحديد الوحدات الإنتاجية ووحدات الخدمات وعددها والقيام بالإجراءات التالية:

Ex

١- ملاحظة أشكال المبانى ونوعيتها، ووصف الحجرات والأثاث، ودورات المياه والحمامات وطريقة الصرف الصحى وعدد الطوابق والنظافة فى الشارع، وداخل المبانى، وكيف تستخدم وموقعها وأين تقع الورش والمقاهى والمتاجر وحظائر الماشية لو وجدت، والمخازن.

٢- تحديد الأشخاص المهيمنين فى المنطقة. أى القادة المحليين وهذا يتطلب تحديد:

أ- القادة حسب السن والجنس ومهنهم.

ب- العاملين لحسابهم والعاملين بالأجر.

ج- تحديد أيام العمل وأيام العطلات وسلوك الناس أيام العطلات وفى محال العمل وعدد ساعات العمل ومدى الإنتظام فى العمل.

د- أنواع الحرف ومستويات التعليم.

٣- ملاحظة العلاقات المتبادلة بين الأفراد والعمليات الاجتماعية السائدة (تعاون وتنافس أو لا مبالاة أو شجار).

٤- تقصى أهداف الوحدات الاجتماعية.

٥- ملاحظة علاقات هذه الوحدات بالمصالح الحكومية وغير الحكومية.

٦-ملاحظة قنوات الاتصال سواء الشخصية مقابل القنوات غير الشخصية أو الرسمية مقابل غير الرسمية، وطريقة الاتصال ومدى ملاءمتها، ومعوقات الاتصال،والنتائج السلبية للاتصال أيضاً النتائج الإيجابية، وعلاقات القادة بالقاعدة الشعبية وأسلوب القادة فى التعامل مع الأهالى. (تسلط- ديمقراطية- إستقلال- لامبالاة) وساعات العمل والاهتمام

بالعمل والإنتاج وتحسين ظروف المعيشة. علاقات القادة سوياً:ومدى تطبيق طريقة الثواب والعقاب فى العمل، والنظرة إلى المرأة، ومدى وضوح الأهداف ومدى الاتفاق بين أهداف القادة والمواطنين وهل يرغب القادة في تحسين الوضع القائم أم بقاء الوضع وإستمراره. وهل يرغب الموظفون فى تحسين الوضع القائم أم الرضى بالأمر الواقع ومدى احترام القانون والعادات والتقاليد ومدى التماسك الاجتماعى داخل المنطقة.

وتساعدنا الملاحظة على تكوين انطباع أولى عن سمات نمط الشخصية السائد، وطريقة الحـ اة السائدة وطريقة أداء الناس لأدوارهم وطبيعة التفاعل الاجتماعى وتركيبات الجماعات، واتجاهات الناس نحو الملكية وحركات الناس . ثم يتبع ذلك محاولة تفسير ما تشاهده العين تفسيراً اجتماعيا أو نفسياً أو ثقافياً أو تاريخياً.

والباحث عند ملاحظته لسلوك الجماعة لفترة طويلة قد يلاحظ السلوك الحركى أو حركات الذراعين والرأس أو تعبيرات الوجه بغية معرفة معدلات التفاعل الاجتماعى. وهو عندما يلاحظ السلوك الظاهر يضع نصب عينيه أن ما يقوله الناس ليس هو المهم، بل مدى التفاعل الاجتماعى بينهم هو الأهم، فعليه أن يلاحظ من الذى يسيطر؟ ومن الذى ينقاد؟ ومن هو الشخص الخاضع؟ ومن الذي يشاهد؟ ومن الذى يتصنت؟ ومن الذى ينصت؟! والباحث لا يهتم بالسلوك اللفظى فقط، بل يعطى القدر الأكبر لملاحظة الاستجابات غير اللفظية، مثل الابتسامة، وإيماءة الرأس، والتجهم، وكيفية تبادل التحية، وعلى الباحث ألا يهتم بأقوال الناس بل بما يفعلونه وما يبدو أنهم يشعرون به. ويستطيع الباحث من خلال الملاحظة أن يلاحظ متى ينفعل الناس أثناء الحديث اليومى، وما يتبع هذا الانفعال عادة، وقد درست مرجريت ميد وجان بيلو مجتمع بالى، واهتما بتحديد العلاقة بين الإيماءات وتعبيرات الوجه وحركات الأطراف بوصفها رموزاً تحدد أنماط الشخصية.(محمد سعيد فرح. الشخصية القومية ص ص ١٣٣-١٣٦).

وثمة شروط أساسية يتوقف عليها نجاح الدراسات التى تعتمد على الملاحظة:

١- قضاء فترة كافية من الزمن تتراوح ما بين عام وأربعة أعوام في المجتمع موضوع الدراسة حتى يستطيع الملاحظ التعرف على كل مظاهر الحياة وأنواع النشاط الاجتماعى.

٢- الارتباط بالأهالى وتوطيد علاقات وثيقة معهم. ليمكن ملاحظة مظاهر الحياة المختلفة والأنشطة المتباينة.

٣- استعمال لغة التخاطب السائدة فى المجتمع فى الحديث معهم ليمكن الاستغناء عن مترجم، وليسهل له الاتصال والاختلاط والاحتكاك بالأهالى، وليستطيع أن يفهم تفكير الشعب الذى يدرسه.

٤- دراسة الحياة الاجتماعية ككل. إذ يستحيل فهم أى جانب من جوانب الحياة فى المجتمع إلا فى ضوء الحياة كلها. وبالنظر الى الحالات الإنسانية الملاحظة نظرة شمولية كلية من أجل فهم الناس، وعليه أن يسجل كل شئ، حتى طريقة حلب الأبقار كما فعل إيفانز بريتشارد فى النوير أو طريقة طهى اللحوم.

٥- دراسة المجتمعات الصغيرة المحددة تمام التحديد. فكلما صغر حجم المجتمع، وتحددت رقعته وتميزت معالمه سهل على الباحث تتبع النظم الاجتماعيةالتى يدرسها.

٦- ويعد اختيار الوحدة الاجتماعية التى يركز عليها الباحث فى دراسته الميدانيه، من أصعب المسائل التى يقابلها كل باحث يعتمد على الملاحظة بالمشاركة، فالأساس الأول فى الاختيار هو وجود نسق اجتماعى واضح المعالم يستطيع الباحث تحليله ودراسة العلاقات المتداخلة المتشعبة التى يتألف منها سواء اكان هذا النسق مجتمعا محليا أو جماعة أو أسرة.

٧- يسعى الملاحظ إلى فهم واكتشاف أنماط السلوك الطبيعى التلقائى غير المفتعل، فالملاحظة بالمشاركة ذات فائدة كبيرة وخاصة فى الأبحاث والدراسات الاجتماعية الاستكشافية لأنها تساعدنا على الفهم الكامل

للجماعة التى تخضع للملاحظة.

ورغم تلك الفوائد. فثمة مساوئ وعيوب للملاحظة أهمها:

١- ثمة تأثير غير مرغوب وغير منظم يفرضه دخول الملاحظ على النسق موضوع الملاحظة، حتى أن الباحث نفسه قد يؤثر فى تغيير الحقائق. وقد يؤدي اندماجه فى الجماعة إلى تغيير الناس لسلوكهم وأفعالهم.

٢- تأثير وجهة النظر المتحيزة للباحث أو اخفاق الباحث فى إدراك الحقائق إدراكاً سليماً أو إدراكاً محايداً. كما أن التدخل فى الموقف مثله مثل النظرة المتحيزة من مساوئ الملاحظة بالمشاركة.

وكذلك فلما كان الباحث يهتم بتكوين روابط وعلاقات مع أعضاء الجماعة، فإنه فى الوقت نفسه يبعد نفسه عن قنوات ومصادر المعلومات التى قد يوفرها أعضاء آخرون.

وإذا ما لاحظ الباحث سلوك جماعة من الصبية، فإنه يلاحظ أن سلوك القائد ودوره يختلفان عن سلوك التابعين وأدوارهم، فإذا اعتمد الباحث على ملاحظة أفعال القائد وحده وارتبط به فإنه يكون قد فشل فى فهم أفعال الآخرين وأدوارهم وبالتالى يكون تصوره عن الجماعة متحيزاً وغير دقيق.

٣- عجز الملاحظ عن مشاهدة كل مظاهر السلوك السائدة فى الجماعة.

٤- يتأثر ما يلاحظه الباحث بعمليتين تؤثران وتحرفان ما يشاهده : العملية الأولى إدراكه لما يلاحظه من أنماط السلوك ومواقف التفاعل والعملية الأخرى، احتفاظ الذاكرة ووعيها بما شاهده واسترجاع ما شاهده عند تسجيل مذكراته.

٥- قد يعجز الباحث المشارك فى الموقف أن يفهم الناس الذين يلاحظهم فهماً متعمقاً بتأثير التقاليد والمعتقدات والشعور الوطنى ازاء الغرباء.

وعلى كل حال فرغم أن الملاحظة تركز مباشرة على التفاعل، فإن كل إجراء من إجراءات الملاحظة له مميزاته وعيوبه. بيد أن هناك عقبات

ثابتة تشترك فيها إجراءات الملاحظة المختلفة وثمة عقبات كثيرة تحد من جدوي الملاحظة:

١- يبدو أن الملاحظة المنظمة ملائمة لدراسة الجماعات الصغيرة أو جوانب محددة مختارة من الجماعات الكبيرة كأن نلاحظ السكان من الجيران، أو الطقوس الدينية فى الأعياد والموالد أو سوق فى القرية أو السوق التقليدى فى الاحياء القديمة- او الشعائر الجنائزية أو مراسيم الزواج فى الاحياء القديمة أو طقوس الختان. وينبغى أن يكون واضحاً أن الملاحظين يسجلون الانطباعات عن المناخ الاجتماعى السائد فى الجماعات الكبيرة، وهم يستطيعون أن يدرسوا أحياناً جزءاً رئيسياً من البناء الاجتماعى الأكبر الذى يصعب دراسته.

٢- تمنع التقاليد الثقافية ملاحظة مظاهر التفاعل الخاصة، مثل الارتباط الوثيق بين الزوجين والمداولات القضائية. وحتى إذا سمح بملاحظة العلاقات الزواجية، فإن وجود الملاحظ إجراء غير مجد. ولن يقتصر تواجدهما معه إلا أثناء تناول الطعام أو فى حجرة الجلوس أو المطبخ.

٣- لا تنطبق الملاحظة الا على السلوك الذى يحدث في الحاضر ومن الصعب استخدام الملاحظة لدراسة إحداث تمت فى الماضى وفى فترات سابقة أو تمتد الملاحظة لتتنبأ بالمستقبل، كما يتعذر ملاحظة وتتبع التطور المنظم للنسق الاجتماعى خلال الزمن.

٤- صعوبة تطبيق مقاييس الشخصية، على أساس الباحث ليس محجوباً أو خافياً عن المبحوث، إذ أن وجود الباحث قد يؤثر إلى حد ما على من يشاهدهم. فالمبحوث يعى عادة بوجود الباحث وخاصة فى بداية البحث، وقد يجد الناس تبريرات لوجود الباحث بينهم. وهذا التبرير يؤثر بلا ريب فى سلوكهم أثناء حضوره.

٥-أن ما يشاهده الباحث يتشكل بوجوده إلى حد ما، كما تتأثر ملاحظاته باتجاهات الناس نحوه وخاصة اذا كان من الغرباء ولكن يمكن التغلب على هذه العقبة إذا استخدم الباحث وسائل خفية لملاحظة السلوك فى البيئة

دون أن يشعر المبحوث بوجود الباحث...

والعقبة الأخيرة مصدرها الباحث نفسه ولقد يتعاطف الباحث تعاطفاً مفرطاً إزاء بعض مظاهر السلوك وقد يدفعه هذا إلى تجاهل مظاهر سلوكية أخرى. فما يشاهده الباحث قد يتأثر باتجاهاته وقيمه وطريقة حياته، وتؤثر تلك العقبة فى الظواهر التى تخضع للملاحظة. والعقبة الثالثة هى تأثر الباحث غير المدرب باستجابات الناس وردود أفعالهم نحوه وشعورهم منه، وينعكس أثر ذلك على تصرفاته نحوهم وعلاقاته معهم.

ويتعين على الباحث الملاحظ كتابة تقرير عن كل زيارة ميدانية يقوم بها، فإذا افترضنا أنه قام بزيارة أكثر من وحدة اجتماعية أو شاهد أكثر من حدث، فعليه أن يكتب تقريراً مستقلاً عن كل فعل شاهده أو كل وحدة زارها وبعبارة محددة لا يكتب عن حدثين أو زيارتين فى تقرير واحد. ويتعين أن يرفق بتقرير الزيارة اسم الوحدة ونوع السلوك الذى لاحظه. وتاريخه وتصنف تقارير كل وحدة وكل فعل أى كل سلوك فى ملف خاص به.

والسؤال الذى يفرض نفسه. متى تلجأ إلى السؤال؟ سواء بإجراء المقابلة- أم إرسال الاستمارة بالبريد أو تسليمها باليد - ومتى تقوم بالملاحظة؟ نحن نلاحظ السلوك والأفعال فى غالب الأحيان أو نصف شكل المبانى والطرقات والأزياء ونسأل عادة عن اتجاهات وآراء المبحوثين.



الفصل التاسع

تحليـل المضمـون

تحليل المضمون

يهتم بعض الباحثين بتحليل الرسومات بضبط الخطوط وحجم الشكل المرسوم وموضعه فى الورقة الأصلية وصلابة الأشكال والألوان التى يستعملها. ومن السهل أن نجمع مثل هذه الرسومات أثناء الدراسة الحقلية ولا يستغرق جمعها وقتاً طويلاً ولا تتطلب أدواتاً كثيرة فهى لا تتطلب أكثر من ورقة وقلم رصاص أو قلم ملون أو طباشير ملون وتكاد تتوارى فى الظل مشكلة الاتصال اللفظى والكلمات.

وتقدم لنا رسومات الأطفال تعبيراً ثابتاً عن الشخصية لإنها لا تتأثر بشخصية الباحث كما هو الحال فى اختبار تفهم الموضوع وتعبر تعبيراً مباشراً عن الشخصية المراد دراستها. فالطفل عندما يرسم يعبر عن نفسه تعبيراً مباشراً تلقائياً على مستوى حسي أو حركى. والطفل فى تعبيره عن نفسه بالرسم يعبر عما يمكن أن يطلق عليه الطابع القومى للثقافة السائدة في بلده.

وثمة انتقادات كثيرة توجه إلى تحليل رسوم الأطفال أهمها أنها غير مجدية مع الشعوب التى تجهل استخدام الورقة والقلم.

كما أعطى إهتمام بتحليل مضمون الأحلام ويرى جورج ميردوك تفسير الأحلام، مظهراً عاماً للثقافة ولا تقتصر أهمية الأحلام على أنها سمة إنسانية عامة بين البشر بل لأن الاهتمام بالأحلام ومحاولات تفسيرها ظاهرة عامة توجد فى كل الثقافات، ويقدم لنا تفسير الأحلام رموزاً ذات قيمة لفهم شخصية الفرد على ضوء ثقافة معينة، ومن ثم تعد هذه الرموز وسيلة للدراسات المقارنة بين الثقافات، وتعكس لنا الأحلام عادة الثقافة التى يعيش فيها الشخص وقد درس فرويد قبل الاجتماعيين الأحلام. وقد بين فرويد أن ثمة أحلاماً تقتصر على ثقافات معينة دون غيرها منها الحلم بأن المرء عار دائماً وما يتبع من ذلك الحلم يقتصر على الثقافات التى نالت حظاً عالياً من الرقي وأصبحت الملابس فى حد ذاتها دليل المركز والشخصية. ولا معنى لمثل هذا الخجل فى المجتمعات البدائية.

وثمة مثال آخر ساقه فرويد هو حلم السقوط فى الإمتحان، ومن الواضح أن مثل هذا الحلم يقتصر على الثقافات المشابهة لثقافاتنا والتي تعد فيها الامتحان خطوة إلى الرقى «فيوم الامتحان يكرم المرء أو يهان».

كما يهتم بتحليل مضمون سير الأشخاص وذكرياتهم، وتعد دراسة الفلاح البولندى التى قام بها توماس وزنانكى، من أروع الأعمال وأكملها والتى سجلت السير الشخصية الذاتية وذكريات الأشخاص ومواقفهم. وتعد المادة العلمية التي جمعها توماس وزميله نموذجاً للمادة التى يستعان بها فى التحليل الاجتماعى ومن أهم الدراسات التى يمكن الاستشهاد بها فى مبحث الثقافة والشخصية أى عند دراسة الأشخاص فى البيئة الاجتماعية أو الثقافية. كذلك كان تلاميذ بواز – الذى شك فى قيمة دراسة سير الأشخاص– من الرواد فى جمع السير وتاريخ حياة الأشحاص فى المجتمعات البدائية التى درسوها. وقد زاد الاهتمام بالسير ابتداء من عام ١٩٩٠، بتأثير مدرسة التحليل النفسى التى ركزت دراستها على الفرد.

ومن أهم المؤلفات التي تضمنت تحليلاً عن حياة الأشخاص فى مبحث الشخصية القومية ما كتب عن الشعب التركى، وما كتب عن السود فى الولايات المتحدة، كذلك دراسة أوسكار لويس عن أبناء عائلة شانزا، والتى عرض فيها قصة حياة الأبناء الأربعة لأسرة فقيرة فى مدينة مكسيكية.

وفى مجال دراسة الشخصية القومية يبدو من الأفضل أن نبذل بعض الجهود لتفسير المادة العلمية التى نحصل عليها من هذه السير، وعلينا أن نرتب ونوفق بين المعلومات التى نحصل عليها خاصة إذا كانت لأكثر من عضو من أعضاء الأسرة. وهذه الدراسة ليست عملاً سهلاً، فهناك مشكلات عديدة تواجه المعلومات المتوفرة عن قصة حياة الأشخاص أهمها مشكلة العينة، وطرق جمع المادة العلمية، وتسجيلها ، وأهم من ذلك كله، أى الأهم من تحليل قصة حياة الشخص هو هل الشخص الذى ندرسه متكيف مع البيئة الاجتماعية أم لا، وهل يسرد الشخص تاريخ حياته وذكرياته ومواقفه واهتماماته وظروف حياته بلا مقابل مادى، أو بقصد الحصول على مكافأة.

أ.د محمد سعيد فرح
استاذ علم الاجتماع

إن دراسة تطور السيرة الذاتية للشخص فى البيئة الاجتماعية تعد شكلاً من أشكال المقابلة، وتبغى هذه الدراسة أساساً تسجيل هدف واضح محدد، وهذه الدراسة منبع خصب لصياغة فروض تخضع للتفنيد ومصدر أساسى للحصول على معلومات خصبة تساعدنا على اختبار الفروض العلمية. وعندما ينصت الباحث إلى المخبرين وهم يسردون قصص حياتهم، عليه أن يوجه المقابلة، ويلقي أسئلته، ويحدد نوع المعلومات وأهميتها. وقد تكون المعلومات ذات دلالة مهمة عند الباحث، ولا أهمية لها عند المبحوث وعلينا أن نعى تماماً أن بعض المخبرين كثيراً ما يزيفون المعلومات، ويختلقون الأحداث ويرتجلون روايات لا تربط بينها علاقات محددة، ويسردون قصصاً خيالية. بيد أن ذلك لا يقلل من قيمة المعلومات التى يحصل عليها الباحث المدرب.

ودارس الشخصية القومية يسعى ألا تكون كل السير مرضية وكاملة بالمعنى الحرفى للكلمة، فنحن نجد فى السير والتراجم الشخصية الرموز التى تدل على قيم واتجاهات الأفراد، كما يمكن لنا أن نستشف منها مدى انتشار أفكار وعقائد معينة، ولما صار الشخص على ما هو عليه. كما أن توثيق ما نحصل عليه أمر ضرورى، لنتأكد أن ما لدينا من معلومات كاف ومقبول فمن المهم أن نقوم بجهد لتفسير المعلومات، إذ أن هذا العمل ليس بالأمر السهل.

بيد أن معظم السير التى قدمها الباحثون لا تدل دلالة كافية على الشعوب التى درسوها، فحتى السير الكاملة التي حللوها ليست إلا انعكاسا باهتاً لحياة بعض الأفراد بكل ما تحمله هذه الحياة من تعقيدات وخروج عن المألوف وعلينا أن نتجنب دراسة الأشخاص الذين لم يوفقوا فى حياتهم مثلما نتجنب دراسة النوابغ والشواذ، ولذا فإذا أردنا أن تكون دراستنا لتحليل السير والتراجم مجدية، فإنه يتعين علينا أن نحصل على معلومات عن أكثر الأشخاص نجاحاً، وأكثرهم توافقاً. إذ أن مثل هذه المعلومات تعطى لنا صورة أكثر توازناً للشخصية الاجتماعية فى المجتمع الذى تدرسه وتكشف لنا عن القيم والاتجاهات السائدة.

وتحليل المضمون طريقة مهمة من طرق البحث الاجتماعى. ويعتمد الباحث على تحليل مضمون الإنتاج الثقافى والفكرى. وتسعى هذه الطريقة لوصف

وفهم كل أنواع الإبداع الأدبى والفني والفكرى (العقلى) مثل الحكايات الشعبية والقصص والأمثال والأناشيد والأغانى والنكت والرسومات والأساطير والفنون الجميلة والأفلام الثقافية، مثلما يهتم الباحث بتحليل كل ما ينشر أو يبث أو يذاع من خلال وسائل الاتصال... كالصحف والمجلات والإذاعات المسموعة والتلفاز.

وتقوم هذه الدراسات على افتراض مؤداه أن تحليل العمل الثقافى أو الانتاج الفكرى أو العمل المكتوب أو المنقول شفاهة يؤدى بنا إلى فهم الواقع الاجتماعى مادام الأديب أو رجل الإعلام أو الفنان ملتزماً بالواقع الاجتماعى، منتمياً إلى قضاياه، مرتبطاً ارتباطا عضوياً بالمجتمع ومشكلاته. ويؤكد هذا الاتجاه أهمية تحليل الأعمال الأدبية والثقافية والفنية والامثال والحكايات أى تحليل الانتاج الفكرى الذى يبدعه المفكرون والأدباء ورجال الإعلام، بوصف هذه الأعمال كلها تعكس الأفكار والقيم والاتجاهات التى تكون المجتمع.

ولكن هل نستطيع أن نفهم الخصائص القومية لشعب معين بعد تحليل مضمون الإنتاج الأدبى والعمل الفنى كما يظهر فى رواية أو مسرحية أو قصيدة أو تمثال. ولا جدال أن العمل الأدبى الذى يجد قبولاً لدى الناس إنما يعبر عما يودون أن يسمعوه أو يتمنون أن يصيروا إليه. ولا ريب أن الأعمال الأدبية والإنتاج الفكرى أو الفنى الصادق والملتزم بقضايا المجتمع مصادر مهمة لمعرفة المجتمع إذا اختيرت اختياراً سليما وفق قواعد موضوعية توصلنا إلى معرفة القيم المحكمات والمتشابهات، وتعبر أصدق تعبير عن خصائص الشعب. وقد اهتم الرواد فى التحليل النفسى بتحليل مضمون الأعمال الفلكلورية المميزة، وقد أمدنا عمل هؤلاء فى مجال الأسطورة والأدب الشعبي، بأبحاث قيمة في الدراسات المقارنة فى الثقافة. ويمكن بتحليل مضمون الأدب الشعبي أن نصل إلى معرفة أنساق اجتماعية معينة فى المجتمع. وثمة محاولات كثيرة لربط الأفكار العدوانية التى يعبر عنها فى الأدب الشعبى مع أنماط تربية الأولاد. ثم تطور البحث من الأدب الشعبى إلى تحليل مضامين القصص الشعبية. ويعتمد هذا الاتجاه فى تحليل الفولكلور على التحليل المركز للأدب الشعبى فى مجتمع

معين. ويعتمد هذا المدخل على فرضين أساسيين أولهما: أن هناك بناءً أساسياً للشخصية يميز المجتمع. والفرض الآخر: يؤدي التكامل الثقافى إلى ظهور نوع من الثبات فى الاد ب الشعبى، وتؤدى بنا مثل هذه الدراسات التحليلية للأدب الشعبى أو الإنتاج الفنى إلى توضيح الخصائص المميزة لكل شعب.

وكان الهدف من طريقة تحليل المضمون كطريقة فى البحث الاجتماعى منذ صدور كتاب برنارد بيرلسون عام ١٩٥٢، تحديد مجال مستقل فى العلوم السلوكية يهتم بتحليل مضمون مواد الاتصال والأفكار المطبوعة، والكلام الذى يتناقله الرواة أو الإشارات أو الرموز. (Berelson, 1952)

وتتجاوز طريقة تحليل المضمون مجال تحليل الوثائق التاريخية. إذ يشير مضمون الاتصال والأفكار - والعبارة مقتبسة من بيرلسون- إلى مجموعة من المعانى الرمزية (Cicourel Aron p. 146)، فتُحليل المضمون طريقة علمية فعالة ومثمرة لدراسة كل أنواع الخطاب والمقال والرسومات، وتمثيليات الإذاعة والتليفزيون والافلام السينمائية وما تنشره الصحف والمجلات. إذ تهتم هذه الطريقة بتحليل كل ما يبدعه عقل الإنسان من أشكال الثقافة، وما يعبر عنه بالقلم أو الريشة وما ينطق به اللسان. فالباحث المهتم بطريقة تحليل المضمون يهتم بالمادة الإعلامية فى أوقات الحرب والسلام، ويعطى اهتماما أكبر إلى الحرب الدعائية فى أوقات الحروب سواء للمادة المسموعة أو المصورة أو المكتوبة والمقروءة. وقد أدت التطورات الإيجابية فى طريقة تحليل المضمون إلى الاستفادة منها فى تحليل مفردات اللغة والإنتاج الأدبى المعاصر والقديم من شعر وقصة ومسرحيات وأساطير شعبية ورسوم الأطفال والأدب الشعبى أو الوثائق التاريخية والمعاهدات الدولية. ومحاضر اجتماعات السفراء ورؤساء الدول مصدر غنى بالمعلومات للباحثين، وأحكام القضاة والمحاضر الرسمية وسجلات مستشفيات الأمراض النفسية- والنكت (راجع عادل حموده) والأغانى وصور الكاريكاتير- مثل التى يرسمها مصطفى حسين أو رسمها صلاح چاهين- والمذكرات الشخصية والإعلانات وخاصة إعلانات التليفزيون والمنشورات السرية والإشاعات والأعمدة والمقالات التى يكتبها الصحفيون والمفكرون فى الصحف اليومية أو المجلات الأسبوعية والشعارات التى يرفعها الساسة



والثوار، والأحاديث السياسية والاقتصادية والدينية وخطب الزعماء السياسيين في المؤتمرات أو تحليل مضمون المقالات الصادرة حديثاً في الصحف العربية والإسرائيلية عن مستقبل السلام أو صحف البلدان العربية والإسلامية عن العدوان الأمريكي أو الصحف المصرية والعربية عن قضايا المرأة العربية والانتفاضة الفلسطينية أو جرائم المال العام أو البطالة أو الصندوق الاجتماعي.

مثلما يهتم بتحليل مضمون المقررات الدراسية في مناهج اللغة العربية والتاريخ أو الصفحة الدينية في الصحف اليومية والأفكار التي تتضمنها الأفلام السينمائية والمسرحيات ومحور الصراع بين أبطال الأفلام السينمائية والمسرحيات- سواء مسرحيات مسرح الدولة أو القطاع الخاص. (احمد اوزى ص٢٣) (Cicaurel,Aron, p. 147 & Babbie, p. 75)

ويركز تحليل المضمون على مجموعة معينة من الأحداث حدثت في فترة معينة ماضية أو حدث معين وقع في الزمن الفائت، وقد قام بعض الأوروبيين المشتغلين بتحليل مضمون الدراسات التي اهتمت بدراسة آثار الحرب العالمية الأوروبية الثانية وحاولوا تحليل العوامل المحلية والشائعة التي سادت أوروبا أثناء الحرب.

كما يمكن تحليل برامج الأحزاب السياسية المصرية قبل ثورة ٥٢ وبعدها إزاء قضايا الاستقلال، والإستعمار والعمل والبطالة والإسكان والاقتصاد والصحة والتعليم.كما يمكن إجراء مقارنة بين برامج الأحزاب الثلاثة التي نجحت في الانتخابات الأخيرة- وهي الحزب الوطني وحزب الوفد وحزب التجمع في القضايا التالية: مجانية التعليم والاقتصاد والشباب. أو تحليل محاضر الشرطة التي سجلت الجرائم التي ارتكبت في فترة ما بعد الانفتاح وقبله، وجرائم المال العام بعد التأميم وقبله. ويدور تحليل المضمون حول المادة الصحفية والإحصاءات الصادرة عن الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء، وبرامج التلفاز في القنوات الفضائية العربية والأجنبية أو برامج التليفزيون في القناتين الأولى والثانية والقنوات المحلية، أو برامج الإذاعة أو التمثيليات والمذكرات الشخصية لرجال الحكم والسياسة والإعلام مثل حسنين هيكل وبطرس غالي وخالد محي

الدين، وفؤاد سراج الدين وأحمد بهاء الدين. كما يمكن تحليل مضمون قصص نجيب محفوظ وعبد الرحمن الشرقاوى، أو تحليل الأخبار الصحفية التى تنشر فى الصفحة الأولي فى الجرائد المصرية فى فترة زمانية محددة. وأخبار صفحة الحوادث معين لا ينضب للمعلومات لمن يهتم بتحليل المضمون . كذلك تفيد مضابط مجلس الشعب المهتمين بالقضايا السياسية والدستورية. وتحليل مضمون تصريحات رئيس مجلس الوزراء يوم تولى الوزارة وبعدها أو تحليل مضمون حيثيات أحكام محكمة النقض فى قضايا المال العام أو أحكام المحكمة الدستورية العليا بشأن عدم دستورية بعض القوانين.

ويمكن للطالب أن يحلل مضمون جريدة الحوادث ومجلة روز اليوسف أو الأهرام العربى أو أخبار الفن، والصفحة الأخيرة لجريدة الأهرام اليومية أو العدد الأسبوعى لجريدة الأهرام أو تحليل مُضمون أفلام فترة الأربعينيات والخمسينيات وفترة التسعينيات أو مسرحيات مسرح الدولة ومسرح القطاع الخاص أو أغانى أم كلثوم وأغانى مطربات عام ٢٠٠٠ .

وقد قامت هيئة بحث تغير «الوضع الاجتماعى للمرأة فى مصر المعاصرة» بتطبيق هذه الطريقة فى مصر، حيث رسمت صورة المرأة المصرية المعاصرة كما تظهر فى المجلات النسائية. وبين هذا الفريق بعد تحليل مضمون بعض القصص أن الشخصية النسائية فى مصر أميل إلى السلبية والعاطفية والغيرة منها إلى الإيجابية والعقلانية والذاتية والأفلام السينمائية التسجيلية والدعائية أكثر الوسائل تعبيراً عن الواقع الاجتماعى وتقدم مادة مهمة إذا ما حللت أفكارها تحليلاً موضوعياً مما يؤدى إلى اكتشاف سمات معينة لا يتسنى اكتشافها من سرد القصة السينمائية التى يعبر عنها الفيلم والتى تتأثر بانحياز المنتج.(مصطفى سويف صورة المرأة كما تقدمها وسـ ـ الاعلام).

ومن الضرورى أن يهتم الباحث بتحليل بريد القراء فى الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والأعمدة الرئيسية فى الصحف والتى يكتبها قادة الرأى والفكر ليعرف مواقف الجماعة، ومدى اهتمام الناس بمشكلات معينة، ومثل هذه الدراسات التحليلية ذات أهمية وفائدة ، لأن تحليل الأفكار التى يتضمنها الإنتاج

الفكرى يعكس لنا الإتجاهات السائدة، وطبيعة عمليات التفاعل الاجتماعى فى المجتمع، مما يوصلنا إلى اكتشاف صور معينة سائدة لا تفسر عادة تفسيراً سهلاً إذا ما حاولنا تفسيرها باستخدام طرق بحث أخرى، فهذه الأفكار والقيم التى تنعكس فى كل إبداع فنى أو كتابات المفكرين والأدباء تعطى صورة عن روح الشعب، وتعبر عن القيم السائدة والمتغيرة.

ويسهل تحليل بعض برامج التلفاز مثل عادات وتقاليد أو بعض البرامج والتمثيليات الإذاعية مثل عائلة مرزوق أفندى، استدلال بعض سمات المصريين مثل الصبر والحزن والمعاناة والتواكلية والتماسك الأسرى.

تكشف لنا تحليل البرامج السياسية التى تُبَثُ من الإذاعات المسموعة أو الإذاعة المرئية مدى الالتزام الوطنى ومدى مصداقية وتجنب الإثارة والحث على التقريب بين الحضارات أو إثارة البغضاء والعداوات بين الشعوب أو إثارة الرغبة فى الاستهلاك الترفى، ومدى التزام هذه الوسائل بتشكيل الوجدان الوطنى والانتماء وبغض التطرف أو التعصب الدينى.

ويمكن لنا لو حللنا النكتة المصرية أن نستدل أن الشعب المصرى مرح ساخر ومحب للنكتة، كما تعبر النكتة عن ذكائه وسرعة بديهيته وخفة ظله، ويظهر تحليل النكت السائدة والرائجة بين المصريين أن النكت السياسية كانت وسيلة هذا الشعب للتفريج عن الغضب المكبوت ضد الحكام، واختفاؤها يعنى أن المجتمع حبلى بثورة. أما النكتة الجنسية فهى تعبر عن ولع المصريين بالجنس واعتقادهم بتفوقهم الجنسى ويقول أحمد الحوفى «إن النكتة سلاح استعمله المصرى لمقابلة المتناقضات والأمور المختلفة والحظ العاثر والسخرية اللاذعة، فهى بقدر ما تعبر عن التهكم والنقد والدعابة تعبر أيضاً عن السخط وتمهد للثورية».(أحمد الحوفى ص ٢٥ وعادل حموده).

ويهتم الباخث الاجتماعى بتحليل مضمون الأغانى الشائعة والمواويل مثل أغانى الحب والقدرية. وتعكس هذه الأغانى عادة السمات النفسية السائدة، وتعبر عن القيم الراسخة المتغيرة، فهى تظهر سمات مثل التفاؤل والتشاؤم والعجز والقدرة. ولقد استدل محمد الصياد من تحليل الأغانى المصرية فى الأربعينيات

من القرن الماضى ولع الشعب المصرى بالغناء والطرب وأن أروج الأغانى تلك التى تتميز بطابع حزين يعبر عن حرمان الشعب المصرى. ولقد أكد تحليل بعض الأغانى أن من خصائص المصريين فى تلك الفترة التعاون والهدوء والأرتباط بالأرض والصبر والحب العميق للنيل والشكوى من هجر المحبوب وعدم معرفة الحب الصريح (محمود الصياد)، وكل هذه الأغانى تصدرها المدينة إلى القرية من خلال أدوات الإتصال، كما يبين تحليل هذه الأغانى الشعبية أنها تصور تصويراً رمزياً ضياع الشعب المصرى.

وقبل أن نتقدم خطوات إلى الامام يتعين تحديد المقصود بتحليل المضمون. يقصد بتحليل المضمون الأسلوب الذى يرمى الى الوصف الموضوعى المنظم والكمى للمحتوى الظاهر لمضمون الاتصال، كما أن طريقة تحليل المضمون أسلوب يستفيد من المحتوى الظاهرة للمادة المكتوبة أو المسموعة أو المرئية استفادة منظمة موضوعية. ونحن نقصد بالموضوعية الحياد والدقة فى وضع فئات التحليل بما يسمح لعدد مختلف من الباحثين بتطبيقها على المضمون نفسه، وأن يصلوا إلى النتائج نفسها. ويشير مطلب تنظيم الوصف إلى أن كل المضمون المتعلق بالمشكلة موضع البحث ينبغى أن يحلل فى ضوء كل الفئات الموضوعة.

كما تعرف طريقة تحليل المضمون كطريقة للدراسة بوصفها إجراء للتقنين والترميز والتصنيف. فالإتصال سواء أكان شفوياً أو مكتوباً يمكن ترميزه وتصنيفه فى إطار عمل. فعلى سبيل المثال تصنف المقالات الصحفية بوصفها محافظة أو متحررة. كما تصنف برامج الإذاعة بإعتبارها دعائية أو ترفيهية أو للدعاية السياسية أو لإلهاء الجماهير عن مشاكل الواقع، أو بوصفها إذاعة موجهة الى جماعة معينة أو غير موجهة. كما تصنف القصص بوصفها تاريخية أو رومانسية أو علمية أو سياسية أو واقعية أو دينية، فالإنتاج الفنى يصنف بوصفه إما إنتاجاً ملتزماً بقضايا المجتمع يرفع شعار «الفن فى سبيل الحياة»، وإما إنتاجاً غير ملتزم يتقيد بشعار «الفن فى سبيل الفن»، ومن ثم يخضع التصنيف لاعتبارات كثيرة، وعلى الباحث تحديد المقصود بالتصنيف وأبعاده، وتتضمن عملية التصنيف عملية إعمال الذهن والتعريف الإجرائى.

والأفكار التى تتضمنها موضوعات الأفلام السينمائية والمسرحيات أو المقررات الدراسية أو الصفحة الدينية فى الصحف اليومية كلها أعمال تخضع للتحليل والفهم، وتتضمن رسالة موجهة إلى جمهور معين. ويستطيع الدارس أن يستنتج منها بناء المعانى الواضحة والكامنة ويستقرأ أفكاراً كثيرة خفية لو أمعن العقل فى هذه الأعمال وكل هذه المصادر توفر معيناً لا ينضب من البيانات والمعلومات يستفاد منها فى تحليل مضمونها. وتحليل مضمون هذه المصادر يسمح للباحث بترجمة البيانات الكيفية إلى بيانات كمية تساعده على فهم الواقع الاجتماعى والمتغيرات التى تتفاعل وتؤثر على الأعمال الفكرية أو الثقافية.

ولكن ماذا يقصد بتحليل المضمون؟ ثمة تعريفات كثيرة وعديدة لطريقة تحليل المضمون:

١- يعرف قاموس علم الاجتماع الحديث تحليل المضمون بأنه طريقة فى البحث تستخدم لوصف وتحليل مضمون مواد الاتصال والكتابات والأحاديث والرسومات تحليلاً موضوعياً ومنهجياً وكمياً ابتداء من القصص وافتتاحيات الصحف والأفلام السينمائية وكتب الفكاهة والخطب والأحاديث العامة. وتصنيف مكونات العمل موضوع البحث. ويستطيع الباحث أن يعرف الأفكار العامة أو الخاصة التى تعجز الدراسة العاجلة المتسرعة التوصل إليها، كما يستطيع الباحث أن يحكم على طبيعة ونوع العمل وتأثيراته على الجمهور المتلقى.سواء أكانت التأثيرات عفوية أم غرضية. (Theodersop, p. 38)

٢- ويعرف شيكوريل أرون تحليل المضمون بأنه طريقة فى البحث تهتم اهتماماً كلياً بالمقالات المنشورة والأعمال الأدبية والفنية لتفسير ما تتضمنه من معان وقيم، ومدى استجابة الجمهور المتلقى لها.وهذا كله يتضمن الإلمام بالقواعد التى تحدد عالم المعانى. (Cicurel Aron, p. 150)

٣- ويرى برلسون أن تحليل المضمون طريقة فى البحث تهدف وصف المضمون الظاهر للأفكار والمعلومات وصفاً موضوعياً ومنهجياً وكمياً. فبرلسون يهتم "بالمعنى الظاهر الصريح للمادة والأفكار". (Cicourel Aron, p. 147)

ويقصد من تعريف برلسون لتحليل المضمون أن دراسة المضمون الظاهر له أهمية فى البحث العلمى- ويتطلب هذا قبول تحليل المضمون بوصفه موضوعاً مشتركاً يتلاقى حوله صاحب العمل والجمهور المتلقى والباحث، من أجل فهم الأوضاع التى أدت الى ظهور وانتشار هذا الإنتاج الفكرى وكونه يتضمن بعض الأفكار الثابتة، وأن إعادة تفسير الآخرين لهذا العمل أمر محتمل. (Ibid,p.149)

ولا يعطى برلسون بوصفه من أوائل الذين أكدوا أهمية هذه الطريقة قدراً من الاهتمام للمضمون الكامن والمعانى الخفية، ولا يهتم بالاستجابات غير الصريحة اللاشعورية، والتى قد تستخرج من العمل أو تظهر للعيان وبعبارة محددة يهتم الباحث بماذا قال صاحب العمل، ولا يهتم بلماذا يتوافق المضمون مع المعقول؟ ولماذا يبدو العمل على ما هو عليه؟ ولا يبالي كيف يتفاعل الجمهور مع العمل أو عدم استجابة الجمهور لهذا العمل؟ كما لا يهتم بتفسير العمل والأسباب التى أدت إلى إنتاج هذا العمل، إذ يستبعد برلسون من دائرة اهتمامه دوافع صاحب العمل والأسباب التى دفعت إلى الكتابة أو الادلاء بالحديث أو التنكيت أو رسم الصورة أو إخراج العمل الفنى الى الوجود، كما لا يهتم بأغراض واستجابات المشاهدين أو المستمعين ومقاصدهم والتأثيرات المطلوبة والمرغوبة من إبداع هذا العمل كما لا يهتم بالنتائج التى يبتغيها صاحب العمل.

وقد أشار برلسون إلى عدة افتراضات تسعى إليها طريقة تحليل المضمون أهمها:-

أ- بيان الارتباط المفترض بين هدف الرسالة والمضمون.

ب- بيان الارتباط المفترض بين المضمون وتأثيره ومدى قوة هذا التأثير على الجمهور المتلقى.

حـ- معرفة أغراض الجمهور المتلقى بعد تحليل المضمون الظاهر.

وتتفق كل هذه التعريفات فى أن طريقة تحليل المضمون تهتم بالأعمال المكتوبة والإنتاج الفنى، ومحتوى وسائل الاتصال وما تتضمنه من معانى وأفكار فى إطار استجابة الجمهور لها.(راجع احمد اوزى ص ١٠-١١ & Cicourel ,p.147).

ويعتمد تحليل المضمون على تحويل المادة المكتوبة أو المسموعة إلى بيانات كمية من خلال حصر وتصنيف متغيرات معينة متواجدة داخل المادة العلمية المراد تحليلها. فالباحث يتقصى أنماط معينة من الكلمات والعبارات ذات الدلالة، والتى تتضمنها النصوص أو البرامج التى يدرسها ثم يحصرها ويصنفها.

ويمكن أن ندرس أدوات الاتصال من خلال تحليل المضمون بغية فهم عمليات الاتصال، أو تقصى مصادر الاتصال. ونحن نبغى من دراسة تحليل المضمون المعنى الآخر. ولقد درس بابى طريقة تحليل المضمون بوصفها طريقة للحصول على المعلومات الملائمة لوصف وتفسير الظواهر الاجتماعية (Babbie, pp.75- 86). ولكى نحدد عما إذا كان بالإمكان تصنيف صحيفة معينة بوصفها محافظة أو ثورية؛ وهل تسطح أجهزة الأعلام وعى الناس وتجذبهم بعيداً عن الاهتمام بالقضايا العامة، أو نقوم بتحليل المقالات وأعمدة الصحف اليومية والأسبوعية التي تعكس رأى الجريدة وتحليل بعض البرامج والتمثليات فى الإذاعة المرئية والسمعية أو المسموعة وحدها.

وقد يتساءل الباحث هل القصص الفرنسية أكثر اهتماما بالحب من القصص الأمريكية؟ وهل قصص نجيب محفوظ أكثر تعبيراً عن هموم ومشكلات الطبقة الوسطى فى مدينة القاهرة ومملوءة بالأحداث التى تقع فى الحارة المصرية ولا تعطى أقل اهتمام للفلاح وظروفه المعيشية؟وقد يسأل الباحث هل الألحان الموسيقية الأمريكية التي انتشرت منذ فترة الستينيات لها أغراض سياسية أكثر من الألحان الألمانية؟ وهل ينجح فى الانتخابات السياسية المرشحون الذين ينادون بقضايا السلام والقضايا التى تربط بمشكلات الحياة اليومية، أم هؤلاء الذين يرفعون الشعارات أو الذين يرتبطون بالعصبيات العائلية أو رجال الأعمال؟ وقد يسأل الباحث الجاد، لماذا اختفى الإنتاج المسرحى والسينمائى الجاد في مصر منذ أوائل السبعينيات، وساد الفن المسرحى والسينمائى الهابط مثلما انتشرت الأغنية الهابطة انتشاراً فاق إنتشار الأغنية الجادة.

وكل سؤال من هذه الأسئلة يدور حول موضوع اجتماعى، فالسؤال الأول يبحث فى موضوع الشخصية القومية، والسؤال الثالث يتقصى الاتجاهات

السياسية، ويدرس السؤال الرابع العمليات السياسية، أما السؤال الأخير فيدور عن علاقة الفن بالدخل والانفتاح الاقتصادى. ورغم أنه يمكن دراسة هذه الموضوعات من خلال ملاحظة الناس وسؤالهم، فإن طريقة تحليل المضمون تقدم مدخلاً جديداً للدراسة.

والقياس مرحلة أساسية ومهمة فى تحليل المضمون، ويتطلب القياس استخدام الباحث خطة بحث منظمة سواء عند تحليل المضمون الظاهر أو تحليل المضمون تحليلاً موضوعياً. وقد يحصى الباحث ويعد عدد المقالات التى نشرت فى فترة معينةحول قيمة محددة؛ ويحصر عدد مرات تكرار كلمة معينة لها دلالة معينة أو عدد تكرار عبارة معينة لها أغراض ومعان سياسية أو اقتصادية؛ أو قضية إيجابية معينة محددة أو قضية سلبية تثير الرأى العام أو جريمة منتشرة.

وتحليل المضمون كطريقة فى البحث الاجتماعى ليست كغيرها من طرق وأدوات البحث، فهى تختلف عن دراسة الحالة وعن الملاحظة والمقابلة واستمارة الاستبيان والمسح الاجتماعى. فالباحث المهتم بتحليل المضمون لا يسأل المبحوثين عن اتجاهاتهم ولا يصف سلوكهم وأفعالهم فى مواقف متباينة، ولا يشارك الأشخاص المبحوثين أفعالهم ولا يعايش الموقف ولا يحاور الفاعلين فى الموقف، ولا يسألهم أسئلة عن بعد من خلال البريد أو يصف العناصر البنائية للأنساق الاجتماعية ومدى التكامل أو التنافر بينها. فالأفراد ليسوا وحدات التحليل، لكن ينصب الاهتمام على مظاهر الإنتاج العقلى وإبداعات المفكرين والفنانين والأدباء ومقالات أصحاب القلم والرأى. وما يرويه الناس تلقائياً من نكت أو إشاعات. فالعمل العقلى والإبداع الفني هما وحدات التحليل. ويحاول الباحث إعادة بناء هذا العمل لكونه حدثاً أنجز فى الماضى وفق مجموعة قواعد للتفسير.

ويحاول بعض الباحثين إعادة تفسير بناء معانى تلك الأفكار ودلالات الأعمال الإبداعية لفهمها وتفسيرها فى إطار نظرية من نظريات علم الاجتماع أو نظريات علوم الاتصال أو علم النفس. ويتبع خطوات البحث الاجتماعى ابتداء من تحديد مشكلة البحث حتى الخطوة الأخيرة، خطوة الوصول إلى نتائج تجيب على التساؤلات أو تختبر الفروض.

ومن المهم أن يضع الباحث في اعتباره عند دراسة مضمون الإنتاج الفنى والأعمال المكتوبة أو غير المدونة استحالة دراسة كل ما أبدعه العقل الإنسانى، وما أنتجه الإنسان من منتجات أدبية وفنية، خاصة إذا كان الإنتاج متنوعاً ومتعدداًوصدر خلال فترة زمانية طويلة. ومن ثم صعوبة أن يدرس كل ما نشر وكل ما يتناقل شفاهة، بل عليه أن يختار عينة من هذه المنتجات، وفق القواعد المتفق عليها فى اختيار العينات، عن مدى تأثر وارتباط ذلك الإنتاج بمتغيرات مثل السن والجنس والتعليم والدين والوضع الاقتصادى- الوفرة أو الندرة- أو المناخ السياسى- الديمقراطى أو الديكتاتورية، حالة الحرب أو السلام- وذلك يفرض على الباحث طرح السؤال التالى باحثاً عن إجابة عنه:

ما وحدات الإتصال التى يمكن إخضاعها للتحليل والقياس والدراسة؟

وحدات التحليل قد تكون صغيرة مثل الكلمات والرموز وليس المهم فقط تكرار الكلمات بل الأهم المقصد منها. (Cicourel, Aron, p. 45 & Goode, p. 329) وما يقصد منها، وقد تكون وحدة التحليل كبيرة مثل الكتب والمجلدات.والباحث أثناء التحليل يحاول أن يتقصى مدى الاختلاف والاتفاق بين الوحدات. وهل ثمة اتفاق كامل بينها أو ثمة تنافر كلى بينها أو تقع على متصل؟ وهل الوحدات محكمات المعنى أم متشابهات؟ويحاول الباحث دوماً استنطاق العمل للإجابة على تساؤلات البحث.

ولما كان من المحتمل أن يخضع كل تعبير لفظى بل كل عمل فنى أو إنتاج عقلى لتفسيرات متباينة قد تنطق عن الهوى ابتداء من صاحب العمل مروراً بالباحث وانتهاء بالجمهور المتلقى، أصبح من الضروري وضع مجموعة من القواعد تحكم وتضبط عملية التحليل (Cicourel,p. 51)، فالتحليل ليس عملية عشوائيةبل عملية منظمة وتهدف هذه القواعد بيان ما إذا كان المعنى المقصود لدى صاحب العمل. قد أدركه وفهمه الجمهور المتلقى أم لا.

والباحث عندما يلجأ إلى القياس يسعى إلى تحليل المضمون الظاهر أو تقصى المعنى الكامن وراء العمل. وقد تكون وحدات لتحليل ١- الكلمة أو الجملة  ٢-الفكرة أو الموضوع ٣-الشخصية- مثل شخصية البطل فى القصة. وتقسم

الفكرة الي عناصر مثلما تصنف القيم التى يتضمنها الموضوع أو التمثيلية ٤-طبيعة العمل هل قصة أو وثيقة سياسية أو خطاب سياسى أو مقال صحفى أو نكته أو لوحة فنية؛ ٥-المساحة التى يشغلها الموضوع فى الجريدة أو الخريطة الزمانية سواء فى الإذاعة والتلفاز أو الصحف اليومية التى صدر عنها العمل وذاع صيته.

والتحليل نوعان؛ الأول كمى والآخر كيفى؛

ويقصد بالتحليل الكمى قياس مدى حضور أو غياب العنصر - وقد يكون كلمة أو عبارة أو فكرة، ومدى تكراره، وندرته أو كثرته أو غيابه، وتعرض هذه البيانات فى جداول وتستخرج النسب المئوية. وقد يلجأ الباحث إلى التحليلات الاحصائية. فالباحث يترجم وينقل البيانات الكيفية الى بيانات كمية ويحاول حصرها وعدها ويصنف المتغيرات المتضمنةَ فى العمل الى متغيرات إيجابية أو سلبية، أو تقدمية أو رجعية.

أما التحليل الكيفى فيقصد به معرفة خصائص الثقافة العامة المشتركة أو خصائص وعناصر الثقافة الفرعية للكاتب أو الجمهور المتلقى وإدراك الخصائص المشتركة أو الفروق بين أغراض العمل الأدبى أو الفكرى أو مادة الإتصال وتوقعات الجمهور وإدراكاتهم وتوقعات الباحث ويحاول الباحث أن يضفى معنى على العمل.

ويصنف التحليل إلى تحليل مباشر يهتم بالمعنى الظاهر وتحليل غير المباشر يهتم بالمعنى الكامن. ويعتمد التحليل غير المباشر على الحدس والقدرة على الفهم والتعمق وراء الظاهر. ويستند الباحث كثيراً على الخيال أو المخيلة الاجتماعية والبرهان المنطقى. ويوجه اعتراض على التحليل غير المباشر مؤداه عدم فهم الباحث للنص، وعدم فهم المقصود من العمل أو تحيزه، والتحيز هو أخطر هذه الاتهامات.

والباحث يهتم بتحليل المضمون الظاهر مثلما يهتم بالمضمون الكامن. بعد قراءة العمل قراءة متأنية والتأمل العميق لمحتواه، ليفهم ما بين السطور أو ما بين الخطوط أو ماذا يرمز اللون أو ما لم يعبر عنه صاحب العمل تعبيراً صريحاً

أى ما يعرف بالكناية فى اللغة العربية.

وتحليل المضمون الظاهر محاولة من الباحث لتجنب الذاتية والبعد عن الهوى، والسعى لتحقيق الحيدة. وقد اختلف العلماء فى مدى الالتزام بالمعنى الظاهر، بينما يؤكد بيرلسون ضرورة الالتزام بالمعنى الظاهر للعمل، يرى أخرون عكس ذلك، وضرورة تقصى الأفكار غير المصرح بها؛ وتجاوز الارتباط بالمعنى الظاهر للإنتاج الفكرى. (احمد اوزى، ص٣٢).

وتعتمد طريقة تحليل المضمون علي الترميز الصريح للعمل، والترميز عملية مهمة لا مفر منها فى التحليل الكمى والكيفى لمضمون العمل، وأداة منهجية مهمة تساعد على تقديم دليل واضح علي صدق وأصالة النتائج (Goode, p, 326). وتبدأ عملية الترميز بعد عملية قراءة متأنية أو تأمل عميق بطيء لمضمون العمل.

وثمة مدخلان لإجراء الترميز. أولهما التحديد، ونعنى به دقة تحديد معان الكلمات والمؤشرات أو الخطوط والألوان. والمدخل الآخر عمق الفهم (Goode, p. 326)، ولكن ترميز المضمون الظاهر إجراء نسبى، يتضمن حصر مؤشرات محددة أو مفهومات معينة أو محاولة اكتشاف مدي تكرار الكلمات والعبارات والألوان .

أما ترميز المضمون الكامن فيتطلب مقياسا ذاتياً، فالباحث يجد صعوبة خاصة فى تحديد طريقة الترميز التى تتلائم مع مفهومات النظريات التى ينطلق منها. ورغم أن الترميز فى تحليل المضمون الظاهر يزيد من دقة العمل ويجعل التحليل أكثر أحكاماً وثباتاً. فإن ترميز المعانى الخفية للمضمون قد يكون أكثر صدقاً وتساعدنا فى الوصول الى صورة عن المعانى الحقيقية للبيانات والمعلومات. ومن الأفضل استخدام مزايا تحليل المضمون الظاهر لإخفاء ضعف ومساوئ تحليل المعانى الخفية. (Babbie, p. 75)

وتتضمن طريقة تحليل المضمون الترميز المقنن للمعلومات التي تحتويها القضية أو العبارة أو القصة أو البرنامج أو الحديث وهذا يعنى أن يرقم الباحث الموضوعات الرئيسية والموضوعات الفرعية. فمثلاً بالنسبة للفئات قد تصنف

الموضوعات وترقم على النحو الآتى:

١- الموضوعات الدينية.

٢- الموضوعات السياسية.

٣- الموضوعات الاقتصادية.

٤- الموضوعات الأدبية.

وقد تقسم الموضوعات السياسية الى: ٢١١ سياسة داخلية، ٢١٢ سياسة خارجية. وتقسم السياسة الداخلية الي ٢١١١، والهيئة التشريعية ٢١١٢، والحزب الحاكم ٢١١٣، والأحزاب المعارضة ٢١١٤، والديمقراطية ٢١١٥ .

أيضاً لو حلل الباحث القيم، فقد يصنف القيم حسب تصنيف شبنجلر على النحو التالى:

٢٠١- القيم النظرية.

٢٠٢- القيم الاقتصادية.

٢٠٣- القيم الجمالية.

٢٠٤- القيم السياسية.

٢٠٥- القيم الاجتماعية.

٢٠٦- القيم الدينية.

وفى الحقيقة فإن منطق وأسلوب اختيار العينة عند تحليل المضمون يرتبط ارتباطا وثيقاً بدراسة العينة. ويطرح الباحث السؤال الآتى باحثاً عن إجابة له.

١- ما وحدات التحليل التى تفحص عند إجراء تحليل المضمون؟

هى جوانب الاتصال التى يمكن إخضاعها للتحليل والقياس والعدد والدراسة. والوحدة قد تكون مقال أو خطبة أو كتاب أو برنامج إذاعى أو مسلسل تليفزيونى أو لوحة فنية.

١- وحدة الكلمة أو وحدة الرمز أو وحدة الموضوع. وتعد أصغر أجزاء

المضمون، حيث تظهر عنصر المضمون المطلوب تحليله واحصائه مرة واحدة.

٢- وحدة سياق الموضوع وتشير الى جملة أو فقرة لبيان مدى تماسك الفكر.

٣- وحدة التصنيف وترتبط بعملية التحليل.

٤- وحدة العد وهى تكرار وحدات التصنيف.

وعادة ما تبدو قضية وحدات التحليل عند تطبيق تحليل المضمون أكثر صعوبة مما لو إستخدمنا أدوات جمع البيانات الأخرى. وخاصة عندما تكون وحدات الدراسة متباينة عن وحدات التحليل، ولنفرض أننا مهتمون بمعرفة موقف القانون والتشريع المصرى من كل من ابن الزوج المصرى المتزوج من أجنبية أو ابن الزوجة المصرية المتزوجة من أجنبى، أو موقف التشريع المصرى من الرجل والمرأة. وفى تلك الحالة فإن القوانين المصرية هى وحدات الدراسة ووحدات التحليل.

وثمة مثال أكثر تباينا فقد نرغب فى تحديد عما إذا كانت البلدان العربية تتفق على قانون موحد للأحوال الشخصية أم لا؟ وهنا تكون قوانين أحوال الشخصية في كل بلد هى وحدة التحليل.

ودعنا نفترض أننا مهتمون بفن الرسم. وإذا كان اهتمامنا يدور حول شعبية الرسومات الواقعية أو الرسومات المجردة الرمزية فإن اللوحات الفردية هى وحدات التحليل. وإذا كنا نرغب فى اكتشاف ما إذا كانت اللوحات التعبيرية الواقعية تميز الرسامين الأثرياء أو الرسامين الفقراء أو الرسامين الأكاديميين خريجى المعاهد العلمية أو الفنانين الموهوبين فإن اللوحات الفردية هى وحدات التحليل. ومن الضرورى أن تكون تلك القضية واضحة، ولما كان اختيار العينة يعتمد إلى حد كبير على المقصود بوحدات التحليل، وإذا كان الكتاب والمؤلفون هم وحدات التحليل، فإن تصميم العينة يتطلب اختيار كل الكتاب المناسبين لموضوع البحث أو عينة منهم، وإذا كانت الكتب السياسية أو الدينية من جهة هى وحدات التحليل فإننا قد نختار عينة من الكتب بغض النظر عمن ألف هذه الكتب،

ويوحى ذلك كله على أن العينة تعتمد فقط على وحدات التحليل. وفى الحقيقة فإننا نختار عينة جزئية ذات خصائص جزئية من العينة الكلية تمثل كل وحدة من وحدات التحليل.

وهكذا فإذا كان الكتاب أو المؤلفون هم وحدات التحليل، فإننا قد نختار عينة من الكتاب من قائمة تضم كل الكتاب، أو قد نختار عينة من الكتب كتبها كل كاتب اخترناه ضمن العينة، أو قد نختار أجزاء من كل مؤلف اخترناه للدراسة.

ويطرح الباحث المهتم بتحليل المضمون عادة أدوات الاستفهام الآتية نصب عينيه بغية الحصول على إجابات لها:



١- تحديد من قال هذا؟ أو من كتب هذا؟ ويعنى هذا السؤال تحديد المفكرين أو الكتاب أو الإذاعيين أو الرسامين الذين كتبوا أو أذاعوا أو رسموا. وتواصلوا مع مجتمعاتهم وتحديد أصولهم الطبقية وانتماءاتهم الحزبية ومكانتهم فى البناء الاجتماعى، وتقصى قيمهم والجذور الفكرية لكل منهم، ومعرفة أعمارهم وما مستوى تعليمهم وجنسهم، وقد يكون صاحب العمل حاضراً أو قد يكون غائباً- فالإجابة عن سؤال من قال هذا؟ تنحصر فى معرفة صاحب العمل، وما مشاعره نحو المتلقى؟ فثمة فرق بين مشاعر ياسر عرفات عندما يوجه خطاباً الي الفلسطينيين بعد الحصار ومشاعر شارون؟ أيضاً ثمة فرق بين خطاب الشيخ سيد طنطاوى وخطاب الحاخام الإسرائيلى نحو الفلسطينيين.

٢- ماذا قال وماذا كتب؟ ويقصد بهذا السؤال تحديد المضمون الفكرى والثقافى للرسالة. وتحليل ماذا قيل؟ وماذا كتب؟ وفى المقام الأول بيان ما تدور حوله مادة الإتصال؟ وكيف عولج المضمون، وما القيم المتضمنة والأهداف؟ ومن هم الذين قاموا بالأدوار، ومن الذى تصدر التعبيرات والأقوال على لسانه؟ وما المكان الذى انطلقت منه هذه الأقوال؟ هل العاصمة؟ أم مقر هيئة الأمم؟ أم البيت الأبيض؟ أم الكرملين؟ أم مكان للعبادة؟ أو تجمع عمالى أو مؤسسة صناعية أو مقهى. ويقصد بماذا قال هل ما قاله قديم معاد؟ أم جديد؟ هل يتناول قضية سياسية أو اقتصادية أو

اجـتماعـيـة أو دينيـة؟ وهل يتـحدث عن الحـرب أم السـلام؟ وهل يرسخ الواقع؟ أم يدعو للتغيير؟وما المثل والمعايير التى يتبناها المؤلف؟ وما اللغة التى كتب بهـا؟ وهل هى اللغة المكتـوبة؟ أم نقل رسالة إلى المتلقى شـفاهة؟ وهل اللغة التى كتب بها هي اللغة الفصـحى أم العامية وهل ما قيل قيل فى احتـفاليـة جمـاهيرية أم مـؤتمر صحـفى تبثـه شبكات الإذاعـات والقنوات الفضائية.

٣- لمن قيل هذا الكلام؟ وعمن كتب؟ ويقصد به تحديد الجمهـور الذى توجه إليه الرسالة أو البرامج. وسمات هذا الجـمهور الذى توجه إليه الرسالة أو البرامج، من أجل فـهم عملية التفـاعل الاجتمـاعى والنفسى بين من يرسل ويصدر الرسالة ومن يتلقاها أى تحـديد نوع المتلقى الذى يرسل إليه المبدع رسـالتـه، وهل هم الطلاب أو العمـال أو أعـضـاء الطبـقـة الوسطى أوهم صغار الفنانين أم الطبقة المثقفة؟ ومـا إهتمامات ذلك الجمهور المتلقى؟ وما قيمة؟ وما اتجاهاته؟ وهل ترسل الرسالة إلى الرجال وحدهم أم النساء؟ أو إلى الكبار أم المراهقين أم الشباب أم الأطفال.

٤- كيف قيل الكلام؟ هل من خلال الإذاعة؟ أو كيف كتب الكلام المكتوب فى الصحف؟ أى كـيف كتب مـا كتب؟ وكـيف قال مـا قاله؟ وما الوسـيلة التى عبر من خلالها صاحب العمل عن أقواله؟ وهل يعبر عن فكرة بنبرة جادة حاسمـة واضحة أو أظهر غير ما يبطن. وهل كـان متردداً أو خائفـا غير واثق مما يقول. هل أرسل رسالة من خلال الخطاب أم المقال أو الكتاب أو التمثيلية أو قصيدة شعر، وهل بنية الخطاب مفهومة أم غامضة.

فالباحث يتقصى شكل الخطاب المرسل وطبيعته وكيف ارسلت الرسالة؟ هل من خـلال الكتاب أم الأغـنية أم الإعـلانات التليـفزيـونية أم خطبـة عـصمـاء فى اجتـماع الحزب، أم فى جلسة مجلس تشـريعى أو عبأ أقـواله فى شريط كـاسيت مثل الداعـية عمرو خـالد- ويعتمد البـاحث فى تقصى الإجابة على كيف قـيل ما قيل علـى الكلمة والحركـة والصوت والألوان والظلال. والموسيقى والحـركات والإيماءات والإرشادات وتعبيرات الوجه.

والهدف من السؤال استخلاص بنية الخطاب سواء أكان فى صورة كلمات صيغت صياغة لغوية أم صورة مرسومة.

٥- **ما تأثير هذا الكلام على القارئ** أو المستمع؟ أى ما مدى فاعلية الرسائل فى المجتمع؟

وما النتائج التى توصل إليها صاحب العمل. أى ما نتائج الخطاب السياسي للرئيس الأمريكى على الرأى العام العالمى بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١؟ أو ما تأثير الإعلان على جمهور المستهلكين؟ما تأثير الإعلام الغربى الأمريكى علي تعبئة المشاعر ضد الإرهاب وما تأثير الصور التى تصور إرهاب شارون التى تبث من القنوات التليفزيونية على اتجاهات الأوروبين والعرب نحو القضية الفلسطينية، وما تأثير مقالات محمد حسنين هيكل وإبراهيم نافع ورسوم مصطفى حسين وتعليقات أحمد رجب على المصريين إزاء قضايا معينة؟

٦- **لماذا قيل هذا الكلام**؟ هل يقصد به الجدية؟ وهل هناك أسباب واضحة لما كتب أو أذيع؟ أم أن هناك تلميح لشئ قادم أم مجرد هزل؟ وما الهدف وما القصد من العمل المكتوب أو الرسالة الشفاهية أو اللوحة الفنية أو قصيدة الشعر أو النكت التى راجت عن البخل.

ويرى المتخصصون في تحليل المضمون أن الإجابة التي نحصل عليها من طرح أداة الاستفهام «كيف»؟ تعكس طابعاً كيفياً.. إلا أن أوزى يرى أنه سؤال يدرس شكل المضمون فالخطاب الدينى أو الخطاب السياسى أو اللوحة الفنية أو الكتاب المدرسى يختلف تأثيرها علي الناس كما يختلف الهدف بينهم. (أوزى ص٤٠).

ثمة فوائد من اللجوء إلى طريقة تحليل المضمون أهمها:-

١- إستنباط فروض فى نهاية البحث تخضع للاختبار التجريبى.

٢- تساعد على صياغة منظور عام يوظف لتفسير البيانات والمعلومات التى حصل عليها الباحث أو إعادة صياغة منظور شائع.

٣- تكمن القوة العظمى فى طريقة تحليل المضمون فى كونها طريقة اقتصادية تحقق الأمان النسبى للباحث بمعنى أن وقوع الباحث فى الخطأ فى أية مرحلة من مراحل البحث يمكن أن يصوب ويعالج دون أن ينال ذلك أو يقلل من قيمة الدراسة الكلية.

٤- لا يصنف الباحث المهتم بتحليل المضمون بوصفه إنساناً فضولياً أو متطفلاً على مجتمع البحث.

٥- تساعد طريقة تحليل المضمون على فهم أعمق وأوسع لكل ما أبدعه عقل الإنسان، وعبر عنه رمزياً. (Cicourel, p. 147)

وإذا كان المثل العامي يقول «ليس كل من ركب الحصان خيال» فبالمثل فليس كل من قرأ كتب تحليل المضمون الأساسية أو الثانوية أجاد وتمكن من طريقة تحليل المضمون، فالأمر يتطلب الممارسة والفطنة وتكرار تطبيق قواعد تحليل المضمون.

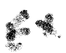
الفصل العاشر

دراسة الحالة



دارسة الحالة

دراسة الحالة



تعد طريقة دراسة الحالة شكلاً من أشكال التحليل الكيفى وتوصف بأنها طريقة أكثر كفاءة للحصول على بيانات أكثر وفرة وأكثر غزارة. وقد تضاءل الاعتماد على هذه الطريقة فى السنوات الأخيرة بعد تزايد الاهتمام بالتحليل الكمى، وتعاظمت النزعات المتنامية للفصل الزائف بين التحليل الكمى والتحليل الكيفى، والتفرقة بين الطريقة الإحصائية وغير الإحصائية، وقد نجم الإفراط فى الدفاع عن التحليل الكمى نتيجة الاعتقاد بأن طريقة دراسة الحالة تعتمد على أدوات تفتقد الدقة والصدق وثبات النتائج. (Goode, pp. 330-331)

وتعرف طريقة دراسة الحالة أنها طريقة لجمع بيانات اجتماعية منظمة تتعلق بمجموعة منتقاة من الوحدات الاجتماعية (Goode, pp. 339- 340)، ويستخدم الباحث فى جمع هذه البيانات أدوات كثيرة تتقصى تاريخ حياة الشخص أو تاريخ الجماعة التى ينتمى اليها ويرتبط بها، كما يتقصى الباحث عمليات اجتماعية معينة من أجل الحصول على بيانات شاملة تؤكد أن الموضوع محل الدراسة وحدة متكاملة متطورة.

وثمة تعريف مماثل لطريقة دراسة الحالة بوصفها طريقة لدراسة الظواهر الاجتماعية بانتقاء حالة فردية أو مجموعة حالات وتحليلها تحليلاً كلياً شاملاً بإعتبارها وحدة كلية شمولية (Theodorson, p.38). وقد تكون الحالة شخصاً أو جماعة اجتماعية أو أسرة أو مجموعة أسر أو حدثاً (القتل أخذاً بالثأر) أو عملية اجتماعية أو مجتمعاً محلياً أو مجتمعاً كبيراً أو وحدة اجتماعية. وتجمع البيانات الملائمة عن الحالة وتنظم فى إطار الحالة، وتضفى طريقة دراسة الحالة طابع التميز والشمولية والكلية على البيانات التى تجمع عن الحالة. كما تحاول طريقة الدراسة أن تربط مجموعة الحقائق والعوامل التى تتعلق بالحالة سوياً فى وحدة متكاملة. وتتيح دراسة الحالة الفرصة للتحليل المتعمق لتفاصيل كثيرة قد تهملها أدوات بحث عديدة. وتعتمد طريقة دراسة الحالة على افتراض مؤداه أن الحالة

تدرس بوصفها حالة نمطية، ويمكننا التحليل المتعمق للحالة تعميم النتائج. (Theodorson, p.38)

وتجمع هذه البيانات وتدرس لوصف وحدات اجتماعية محددة، وقد يتجاوز الوصف المظاهر التى تبدو للعيان إلى مكنون الظاهرة، وعلاقاتها المتعددة فى البيئة الاجتماعية والوسط الثقافى. وعلى نقيض التحليل الإحصائى، تهتم طريقة دراسة الحالة بالتطور والتغير الذى يطرأ على الحالة خلال الزمان منذ النشأة والتكوين، كما يركز على التجارب التى عايشتها الوحدة وأثر القوى الاجتماعية التى تفاعلت مع الموضوع الاجتماعى وأثرت على تطوره.

ويعرف ميتشل طريقة دراسة الحالة بأنها طريقة مشهورة فى البحث الإجتماعى تعتمد على الممارسة والتطبيق العملى، نشأت فى أحضان الدراسات القانونية. وقد تكون الحالة حدثاً أو مجموعة من الأحداث ويتعلم الطالب أثناء تطبيقه لدراسة الحالة أن فهمه للقانون تزايد بقدر ما يتزايد عدد الأحكام التى يدرسها. (Mitchel, p. 26)

وتتطلب دراسة الحالة فى مجال الخدمة الاجتماعية وصفاً كاملاً للمبحوث أو المؤسسة الاجتماعية أو الأسرة وقد تجمع كافة البيانات والموضوعات التى تؤثر فى نتيجة أو نتائج موضوع الدراسة. وقد استخدم الأخصائيون الاجتماعيون طريقة دراسة الحالة كأداة تعليمية هامة لوصف واستخلاص النتائج بعد دراسة مجموعة متباينة من الوحدات الإجتماعية.

وفى مجال علم الاجتماع تعتبر طريقة دراسة الحالة دراسة كلية شاملة للموضوع من خلال دراسة تفصيلية لمجموعة معينة من البيانات المتعلقة بمجموعة من الوحدات الاجتماعية. وهذا يتطلب عزل الحالة وفصلها عن غيرها من أجل الدراسة. وقد انتقدت هذه الطريقة لعجزها- فى رأى النقاد- عن تقديم نتائج واضحة منظمة ذات طابع عام. ولكن من جانب آخر قد تكون لهذه الطريقة قيمتها كمدخل تمهيدى لاكتشاف المتغيرات المهمة ولإيجاد مقولات جديدة تؤدى إلى صياغة فروض يجوز أن تختبر بالرجوع الى عدد من الحالات هى موضوع دراسة الحالات. (Michell, p. 29)

كذلك يهتم دارسوا علم النفس بتاريخ حالة المصاب بمرض نفسى لسنوات طويلة لتدعيم أو رفض نظرية من نظريات علم النفس.

وطريقة دراسة الحالة بوصفها نوعاً من التحليل الكيفى ونشاطاً لجمع البيانات ، يستغرق تطبيقها فترة من الزمان، والباحث يحاول أن يضفى على الوصف الطابع الإنسانى. وهو لا يكتفى بوصف الحالة كما تبدو له فى الظاهر، بل يحاول التعمق إلى ما وراء السطح الظاهر للكشف عن أغوار الحالة، ومعرفة العوامل التى تؤثر على خصائص ووظائف الوحدة موضوع الدراسة. ويعتمد نجاح هذه الطريقة فى البحث على انفتاح عقل الباحث وقدرته على التبصر وخيالة الاجتماعى وقد كان جيد نج أول من لفت الانتباه وتنبه إلى أهمية هذه الطريقة.

ويصعب أن يدرس الباحث الجماعات الإنسانية كلها أو الأنظمة أو الجماعة كلها كما يصعب عليه اختيار عينة ممثلة ومناسبة، لذا يختار الباحث حالات خاصة.

والحقيقة أن الباحث، فى اختياره لحالات الدراسة، لا يستطيع أن يتجنب التحيزات الشخصية أو يبعد الرؤية الشخصية إزاء الواقع الاجتماعى ومدى مساهمة ورغبة الحالة فى التعاون أو عدم التعاون معه، ومدى إحساسه بالألفة معها أو نفوره منها.

وتقتصر الدراسة دوماً على عدد محدود من الحالات قد تكون حالة واحدة أو تصل إلى عشرين حالة أو أكثر. ويتقصى الباحث ويسبر أغوار كل حالة من جميع جوانبها ليحصل على بيانات أكثر فائدة وأكثر ثراء، وهو يحاول أن يضفى معنى على البيانات والوثائق وعلاقاتها بالجماعة التى ينتمى إليها وتلك التى تعايشها الحالة كما يؤكد على مدى واسع من التجارب الشخصية التي يتفاعل معها المبحوث وعايشها (Goode, p. 339). وتعطى هذه التجارب للباحث رؤى جديدة عن مواقف اجتماعية كانت مجهولة له.

إن هدف طريقة دراسة الحالة تحدده المصالح البشرية، والباحث لا يدرس إلا مواقف طبيعية أو مؤسسات واقعية أو أشخاص حقيقيين. ويمكن أن تكون الحالة

التى تدرس دراسة متعمقة فرداً أو حدثاً عرضياً فى حياة الشخص أو الأسرة أو الدولة أو المدينة أو حدثا تاريخياً. أو مسجداً أو مصنعاً أو مؤسسة مالية أو مصلحة حكومية أو حزباً سياسياً أو مدرسة أو نادياً أو دار إيواء، أو جمعية دينية أو مستشفى أو قسماً من أقسام الشرطة أو عصابة من العصابات أو مؤسسة اجتماعية أو بعض الحرفيين (حالات النجارين أو الحمالين أو باعة الصحف) أو جماعة هامشية أو عرقية تعيش فى أطراف المدينة أو القرية أو جماعة النواصى فى المدينة. أو جمعية رجال الأعمال أو دار المسنين وقد يدرس الباحث الثقافة الكلية فى القرية أو عملية اجتماعية أو أزمة عائلية، أو يدرس توافق المريض مع المرض مثل دراسة مرضى القلب. أو عملية الخطوبة، أو التوافق الاجتماعى والنفسى للمطلقة، أو طلاق الخُلع أو كبار السن فى القرية. أو الحارة أو حتى الزقاق وقد تكون الحالة موضوع الدراسة طبيعية سوية أو تكون غير سوية مثل حالات المشاحنات الزواجية .

ومن نماذج دراسة الحالة مايلى:

- تقييم الكفاءة الصناعية لمصنع.
- دراسة ظاهرة البغاء فى مدينة القاهرة.(دراسة المركز القومى للبحوث).
- دراسة طريقة من طرق الصوفية.
- دراسة حالات بعض المدمنين.
- دراسة شعائر الموتى.(الموت عند عائلة شانزا)

وقد يكون المبحوث مطلقاً أو أرملاً أو عاملاً أو موظفاً أو مريضاً أو مزوراً أو مدمناً أو مديراً ناجحاً أو بغيا.

والباحث عندما يدرس الحالة يدرسها دراسة متعمقة مركزة، وهو لا يحاول أن يدرس جانباً واحداً منها، إذ إن الاقتصار على دراسة جانب واحد سيؤدى به إلى الجهل بالجوانب الأخرى، وهو عندما يفعل ذلك لا يعرف إلا هذا الجانب وحده، فالباحث يدرس الحالة كوحدة متكاملة لها طابع شمولى ويجمع عنها بيانات واضحة متعمقة ومركزة ووفيرة عن جميع جوانبها، وقد تكون الوحدة طبيعية سوية مثل كفاءة المصنع أو يكون الموضوع شاذاً غير مألوف يعبر عن

سلوك غير مرغوب اجتماعياً (Judith, p.12) .

ولكى يحصل على هذه البيانات الشاملة الوفيرة يستخدم الباحث أدوات كثيرة لجمع البيانات، ويلجأ الى مصادر عديدة ، ابتداء من المقابلة المركزة واستمارة الاستبيان والملاحظة، والوثائق الشخصية والرسمية والاختبارات الإسقاطية، وكتابة تاريخ الحالة أو تاريخ البيئة الاجتماعية التى تحيط به.

والفرق بين طريقة دراسة الحالة كطريقة مفضلة لجمع البيانات، وكل أداة من أدوات البحث الاجتماعى، أن الباحث عندما يلجأ الى طريقة دراسة الحالة لا يطمس هوية الحالة، ولا يحولها ويترجمها إلى رقم أو يقصر تعامله معها على دراسة سمة أو بعض سمات، ويترجم النتيجة إلى أرقام فى جدول. بل يدرس الباحث الموضوع كوحدة متكاملة.

واستمارة الاستبيان أداة مفيدة لجمع البيانات التى تتعلق بالسن والجنس والمهنة والدخل والحالة الزواجية وبنية الأسرة، كما تساعد صحيفة الاستبيان الحصول على إجابات تتعلق بأهداف الباحث ولكن دارس الحالة ليس بالسائح العابر والذى يجلس مع المبحوث بضع الساعة، فهو يريد أن يعايش الموضوع الاجتماعى الذى يدرسه، ويحصل على إجابات مركزة.

ولذا يلجأ الباحث إلى المقابلة المركزة بوصفها أداة مفيدة وناجحة لمعرفة اتجاهات وآراء الموضوع الاجتماعى، أو تاريخه الشخصى، أو تاريخ البيئة التى تحيط بالموضوع والعلاقات الشخصية والتطلعات المستقبلية، والعثرات التى واجهت الموضوع أثناء تطوره سواء تغلب عليها أو قهرته، ويساعد الحوار بين الباحث والحالة على تبسيط الأسئلة وشرحها بل والمشاركة فى بعض المواقف. كما يستطيع الباحث أن يدرك مدى تقبل الحالة لكلمات الأسئلة، وما تثيره من انفعالات، وقد تستغرق المقابلة زيارة واحدة أو بضع زيارات. فالهدف الأول من المقابلة الأولى الحصول على أكبر قدر من المعلومات التى تسهل للباحث إجراء مقابلات أخرى بعدها، فهى تتيح له الحصول على إجابات عن الأسئلة التى يطرحها وفهم مجرى الأحداث، وطبيعة التفاعلات التى تحدث فى مواقف اجتماعية يلتزم بدراستها.

وفى كل مقابلة يحاول الباحث أن يسأل مايعن له من أسئلة ومبررات لما حصل عليه من إجابات فى فترة سابقة، ويحاول أيضاً الحصول على الرسائل والصور والخطابات والتقارير التى تدعم الحوار والإجابات. كما وقد يلجأ الباحث إلى الملاحظة بالمشاركة خاصة فى المرحلة الأولى من البحث، أو فى مرحلة صياغة المشكلة وتحديدها، كما يستخدم الملاحظة لجمع بيانات عن أفعال الحالة أو سلوك الأعضاء وطبيعة التفاعل بينهم فى مواقف التفاعل وعادة ما تتم الملاحظة المقابلة وتكمل المقابلة نقائص الملاحظة.

وقد حاول الباحثون أثناء دراسة بعض الحالات اختبار وفحص الوثائق سواء الوثائق الرسمية أو الشخصية. والوثائق الرسمية متعددة مثل الأحكام القضائية، والبيانات الصادرة عن الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء، والقوانين؛ والمعاهدات والملفات ومحاضر الشرطة والعقود واللوائح والوثائق الشخصية، مثل المذكرات اليومية الشخصية وسير الحياة الذاتية والرسائل المتبادلة مع الأهل والأحباب والأصدقاء.

وقد عارض بعض الدارسين فائدة هذه الوثائق والمذكرات والرسائل، ولكن إذا ما قبلنا المذكرات والبيانات الرسمية فيتعين أن تقبل بطريقة علمية، إذ يساعد تحليل وتفسير الوثائق على الغوص فى حياة الحالة، والعبور إلى ما وراء السلوك الإنسانى الظاهر.

وتساعد الوثائق الحصول على بيانات صادقة محكمة ومتوفرة ومفيدة ولها صلة أساسية بالموضوع، وتساعد الوثائق الباحث على فهم الموقف، والسيطرة عليه والتنبؤ بأحوال المستقبل.

وجمع البيانات التي تتعلق بتاريخ الحالة مهمة ضرورية لدراسة الحالة دراسة متعمقة منذ النشأة الأولى حتى الحاضر. ويمكن أن تجمع معلومات عن تاريخ الحياة بطرق متعددة أهمها:

- كتابة الشخص مذكراته اليومية.

- قراءة الرسائل والخطابات المتبادلة.

- تحليل الوثائق.

- إجراء المقابلات مع الشخص بقصد سماع ذكرياته وتاريخ حياته.

- إجراء مقابلات مع الأشخاص الذين يرتبطون بالشخص بعلاقات وثيقة.

ويستخدم تاريخ حياة الشخص لمعرفة وفهم سلوك واتجاهات الشخص. وإلقاء الضوء على خصائص مواقف اجتماعية، والأدوار الاجتماعية والجماعات المختلفة التى يتفاعل معها. ودراسة حياة الشخص، أو مجموعة من الأشخاص، تكشف لنا كيف تستمر بنية الطبقة الاجتماعية (Goode, pp, 339- 341)وقد يجمع الباحث بيانات كثيرة فقد يقع على بئر مملوء بالمعلومات، ولكنه يتعين ألا يضل ولا يشقى بهذه المعلومات الوفيرة.

وليتذكر الباحث عند كتابة الحالة أنه أشبه بمن يكتب قصة، ولكنها ليست قصة رومانسية، بل قصة واقعية، تمتلئ بالتفاصيل الدقيقة، وألا تخدع المقابلة الأولى الباحث، ولا يصدق ما تراه العين وتسمعه الأذن فى المرة الأولى، إذ عليه أن يتبع خطوات الشك من أجل الحقيقة، لا الشك من أجل الشك، ومن ثم فسؤال الناس المرتبطين بالحالة ويتفاعلون معها دوما وأصحاب المصلحة والتحرى عن صدق أقوالهم ومتابعة أفعالهم- كلها اعتبارات مهمةتؤكد جدوى دراسة الحالة.

والباحث أثناء دراسته للحالة يدون ملاحظاته باستمرار ولكن يفضل ألا يستخدم آلة تسجيل، فوجود هذه الآلة يمنع الناس من الاسترسال فى الحديث وتلقائية الحوار، والبوح بمعلومات كانوا يودون البوح بها.

وطريقة دراسة الحالة تستخدم أكثر من أداة لجمع البيانات ويعى الباحث ضرورة هذه الأدوات لتحقيق صدق المعلومات والثقة فيها. كما إنها تحقق صحة الإجابات التى يحصل عليها الباحث من المبحوث، وكلها مرحلة من مراحل البحث العلمى.

ولما كان الهدف من دروس ومحاضرات طريقة دراسة الحالة تعليم الطالب كيفية كتابة تقرير عن الحالة التى يدرسها، لذا يتعين على الطالب أن يتُدرب على كيفية جمع بيانات عن الحالة، من مصادر مختلفة، وكيف يدون هذه البيانات،

وكيف يميز بين البيانات التى تفيده فى البحث عن غيرها من البيانات، ويقصد من تدريب الطالب على قواعد طرق دراسة الحالة تحقيق أهداف تربوية وتعليمية تبغى تحسين قدرته على أداء الأعمال الآتية:

١- جمع بيانات متباينة من مصادر ومستويات مختلفة.

٢- إظهار قدرته على حل المشكلات التى تواجهه حلاً واقعياً.

٣- تحليل البيانات تحليلاً موضوعياً ودقيقاً.

٤- عرض أفكاره المكتوبة عرضاً واضحاً ليقرأها القارئ المتخصص وغير المتخصص. (Johnson, p. 90)

وبالإضافة إلى ذلك فإن كتابة تقرير عن الحالة كتابة علمية تسمح للباحث اكتشاف قدرته علي مواجهة بعض المشكلات عندما يندمج فى الموقف الاجتماعى الذى يدرسه ويتعامل معه معاملة حيادية بلا تحيز. ويساعد دراسة الحالة دراسة متعمقة مركزة وكتابة التقرير كتابة منظمة على فهم مايلى:-

١- إمكانيات المجتمع ومشكلاته.

٢- كيف تعمل بعض الجماعات الثقافية أو العرقية أو السياسية أو الحرفية.

٣- كيف تنتشر أنماط السلوك المنحرف أو المشكلات الاجتماعية مثل جريمة الاستيلاء على المال العام أو الإدمان أو العنف أو الفقر أو البطالة أو البغاءأو الإصابة بامراض القلب.

٤- العلاقات المتداخلة بين الأبنية الاجتماعية، أو الناس بعضهم بعضا والقواعد والسياسة وأنماط العلاقات وعوامل أخرى كثيرة. (Johnson,pp. 190- 191)

والسؤال الآن ماذا بعد جمع البيانات بأدوات البحث المختلفة؟ وما العناصر التي تنسج منها الحالة؟ وتحدد الطبيعة المميزة لطريقة دراسة الحالة، وتحدد شمولية الموضوع الإجتماعى وتحافظ وتحمى طابعه الكلى.

العنصـــــر الأول الشمولية: ينظر إلى الموضوع الاجتماعى بوصفه وحدةمتكاملة سواء أكان اجتماعيا أم فيزيقيا، وكلية الموضوع وشموليته تشييد

خمسة عناصر

عقلانى تحدده المشكلة موضوع البحث، ومن الناحية العملية، لا توجد قيود تحدد أية عملية اجتماعية أو أية موضوع إجتماعى. وكل متغير تحدده العلاقة المتداخلة مع المتغيرات الأخرى، كما أن هذا المتغير لا يعمل بمفرده بمعزل عن المتغيرات الأخرى. ومن الصعب أن نحدد متى وأين ينتهى تأثير الناحية العضوية ومتى تبدأ البيئة. ولذا فمن الصعب أن نحدد حدود عناصر الموضوع الإجتماعى تحديداً جامعاً مانعاً.

العنصر الثانى : تعدد مصادر البيانات واتساعها، تتميز البيانات بالوفرة والكثرة والوضوح. ويتعين أن ندرس الموضوع كوحدة متكاملة، وجمع كافة البيانات التي تتعلق بكافة جوانب الحالة سواء أكان الموضوع شخصاً أو جماعة أو مؤسسة. والباحث لا يدرس سمة ما منعزلة عن السمات الأخرى، ولا يحول الخصائص الى بيانات رقمية ونسب مئوية، ولا يهتم بجمع البيانات الخاصة بهذه السمة وحدها، بل يجمع كل ما يتعلق بالموضوع فى حاضره وماضيه وعلاقاته بموضوعات أخرى، وهو فى سعيه إلى جمع كافة البيانات والمعلومات توجهه مشكلة البحث، ولا يقتصر على جمع البيانات الرقمية وحدها، بل يكد ويسعى لإيجاد الفرصة التى تسهل له الحصول على بيانات تمكنه من فهم حياة الشخص وطريقة حياة الجماعة، وطريقة التفاعل مع الجماعات الأخرى، وكيفية عمل التنظيم الاجتماعى، ومدى كفاءته، وطبيعة المعوقات التى تؤثر علي هذه الكفاءة وكيف تطور وتحقق النجاح أو كيف تعثر وأخفق وأنحرف وفشل فى أداء الدور المطلوب منه؟

العنصر الثالث : تباين مستويات البيانات : تتميز طريقة دراسة الحالة بجمع بيانات وفيرة وكثيرة من مستويات مختلفة سواء أكانت اجتماعية أم غير اجتماعية. وقد تكون هذه البيانات اقتصادية أو سياسية أو تعليمية أو نفسية أو طبية أو عضوية. ويستفاد من كل هذه البيانات فى وصف وتحليل الحالة، والباحث بعدما يحدد مشكلة البحث يبدأ فى تقديم تعريف واضح للحالة من جميع جوانبها، ومظاهرها ويحاول الربط بين هذه المستويات.

ويحاول الباحث أن يفيد من كل أدوات البحث لمعرفة شبكة علاقات الحالة مع

الحالات الأخرى، ويسجل هذه البيانات ويستفيد منها، وعندما يبدأ فى تحليل وتفسير هذه البيانات يفسرها فى إطارها الاجتماعى كأن يحاول تفسير كيف يؤثر المرض على العلاقات الاجتماعية، أو يؤثر مرض القلب على طموحات وتطلعات المرضى... أو أثر الركود الاقتصادى على الزواج أو التسرب من المدرسة، مما يعطى أبعاداً جديدة للموضوع محور الدراسة. وعندما نرى الموضوع فى إطار شبكة العلاقات الكبرى يصعب أن يغيب عن الباحث أنه يكوّن وحدة متكاملة متميزة.

العنصـــــر الرابع : التأكيد على التفاعل الاجتماعى للحالة في فترة زمانيةمحددة ويقصد بذلك الكشف عن طبيعة التطورات والتغيرات التي تطرأ على الحالة، واستقصاء التجارب الاجتماعية التى عايشها الموضوع وأثرت عليه. فالتأكيد علي عامل الوقت كعملية مهمة تقوى الحالة أو تضعفها أمر لازم وضرورى عند تطبيق طريقة دراسة الحالة، ويؤكد عامل الوقت أن التغير فى فترات متتابعة متلاحقة ينعكس على الحالة موضوع الدراسة سواء سلباً أو إيجاباً، فالإنسان أو المؤسسة خلال فترة زمانية طويلة ينتقل من طور الى آخر؛ وقد يكون صداقات جديدة، مثلما تضعف صداقات أخرى، وتتغير الأدوار والمكانات الاجتماعية وتتبدل الاتجاهات والقيم والرغبات، وقد يتغير الوضع الطبقى وينتقل من الرفاهية إلى المعاناة والعوز أو من العسر الى اليسر، مثلما تتغير المرتبة المهنية، وتحدث تحولات فى أدوات الإنتاج، أو تحدث ثورات في النظم السياسية كما يحدث فى بعض بلدان العالم الثالث، أو تحولات فى الاقتصاد، وتتغير الأجور ومستوى المعيشة مثلما يتغير الشكل الفيزيقى، وتضمر القدرة على العمل أو يفقد الشخص وظائفه بالتقاعد.

وقد تكون الفترة الزمانية طويلة أو قصيرة خلال عقد من الزمان أو نصف قرن ومن ثم يسترجع الباحث تاريخ الحالة من الطفولة الى وقت الالتحاق بدور المسنين.

ويسجل الباحث الخصائص المتغيرة فى كل طور من أطوار العمر والذى يبدو جلياً أثناء التفاعل مع الأخرين، والتى تتبدل من طور لطور. والباحث

الماهر لا يسجل بيانات كل طور منفصلة عن الأطوار الأخرى، ولا يصف الحالة فى فترات زمانية متعاقبة ، ولكن الأهم من ذلك هو التأكيد على عملية التفاعل مع الآخرين وآثارها، وهذا هو ما يميز تكامل الموضوع واستمراره خلال الزمان.

العنصر الخامس : بنية المتغيرات والأنماط التى تعبر عن الحالة. ويقصد بالمتغيرات السن والجنس والدخل والمهنة والموطن الأصلى والحالة الزواجية ومكان الإقامة، والجنس متغير يميز الذكور عن الإناث والسن مؤشر يميز الشباب عن الشيوخ والدخل مؤشر يميز الأغنياء عن الفقراء والعمل والدخل والتعليم متغيرات تميز طريقة الحياة.

وهذه المتغيرات تزيد من ثراء المعلومات، وتساهم فى التحليل، وهى التى تحدد وتميز الحالة، وتضفى عليها طابع الكلى الفريد وتبرز شموليتها.

وتأخذ كتابة تقارير دراسة الحالة فى دروس علم الاجتماع شكلين أساسيين:

الشكل الأول:

يمكن أن يطلق عليه الشكل التعليمى، إذ لا يطبق هذا الشكل إلا داخل قاعات الدرس، ويتعلم الطالب كيف يصف ويفسر الموقف أو العملية أو الحالة فى بيئة محددة. وتقتصر الكتابة على تقرير ما يشاهده الباحث وما سمعه من إجابات، ولا يتقدم خطوة نحو عملية التفسير، ولا يستخلص نتائج، ويدرب الطالب منذ بداية تطبيق طريقة دراسة الحالة على صياغة مجموعة من الأسئلة، ثم السعى للحصول على إجابات عليها، سواء من الموضوع الذى يدرسه أو من خلال الحوار داخل قاعات الدرس بتمثيل أدوار الآخرين، وهذا الشكل التعليمى فى تعلم كيفية دراسة الحالة يسمح للمحاضر بتقييم مهارات الطالب وتوجيهه، مثلما تتيح للطالب فرصة المقارنة وتقييم جهده وأدائه وأفكاره مع الأخريين.

الشكل الثانى:

طريقة التحليل، وتعتمد هذه الطريقة على وصف الحالة وتجاوز مرحلة الوصف الى مرحلة تحليل البيانات وتفسيرها. وهذا الشكل هو الأصعب والسائد

فى دراسات علم الإجتماع.

والباحث عندمـا يدرس الحـالة يدخل فى الاعـتـبـار العـوامل الموضـوعـيـة والعوامل الذاتية التى أثرت فى تكوين الحالة وتطورها ولا يغيب عنه أن يعقد المقارنة بين الحالات المختلفة، وأن يدرك كل حالة فى كامل فرديتها، وأنها حالة متميزة وثمة عوامل نفسية وفيزيقية واجتماعية واقتصادية وسياسية تؤثر على الحالة وتطورها. فالباحث يتقصى كيف نشأ الموضوع الاجتماعى خلال فترة زمانية يحددها الباحث، وكيف تغير وتطور، والعوامل التى أدت إلى التغير.

وهو يبذل جهداً عقلياً فى ترتيب البيانات، وتنظيمها ويحدد متى يبدأ المتغير تأثيره، ومتى ينتهى ومتى يبدأ تأثير المتغير الآخر. ويدخل الباحث فى اعتباره أثناء الوصف والتفسير العوامل الموضوعية والذاتية التى تؤثر على الحالة سواء أكانت شخصاً أم جماعة اجتماعية أم مؤسسة.

ويضع الباحث فى الاعتبار عند تفسير الحالة المظاهر التالية للموقف، وربط تلك العناصر سوياً:

١- العوامل الاقتصادية والسياسية المتواجدة فى البيئة الخارجية التى تؤثر على نشاط الحالة مثل الأحزاب السياسية أو جماعات المصالح أو الأيديولوجيات السائدة.أو حالات الوفرة أو الندرة. أو حالة الحرب والسلام ومدى انتشار الخرافة.

٢- والعوامل الاقتصادية والسياسية داخل البيئة التى لها قوة التأثير على الحالة إبتداء من ضغوط المال والتيارات الثقافية وأدوار ومهام الأعضاء.

وهنا نضع أمام الباحث علامة حمراء، بقصد إفهامه وتذكيره دوماً بعدم كتابة الأسماء الحقيقية للمشاركين فى المواقف التى يصفها، وعليه أن يستبدل بأسماء هؤلاء أسماء رمزية حماية لهم ولسرية وخصوصية حياتهم، لكن دون أن يترتب على ذلك تغيير من الوقائع والحقائق الأساسية، فصدق الأحداث عند دراسة الحالة أمر ضرورى لتفسير ما يحصل عليه من وقائع، والباحث أثناء تحليل الحالة يعرض للمشكلات والوقائع ويبين العنصر الذى يساهم مساهمة

إيجابية، ومن يدعم المؤسسة؟ ومن يعوق نشاطها؟ ويحدد تلك المعوقات وهل تأتى من الخارج أم تنبثق من الداخل؟ وقبل ذلك يسرد أهداف المؤسسة وهل تتحقق الأهداف؟ كما يحدد المنتفعين من المؤسسة وآثار ذلك عليهم. وهل يساهم رجال الأعمال مساهمة حقيقية فى النشاط أم لا؟ وهل هذه المساهمات جبرية أم إرادية؟ وهل يتربحون من هذه المساهمات؟.

أما إذا كان يدرس حالة بغى مثلاً فعليه أن يبين كيفية ممارسة البغى للبغاء ومن حرضها عند بدء الممارسة والأعمال التى مارستها البغى قبل احترافها البغاء والمكان الذى تباشر فيه البغى الاتصال الجنسى وعلاقاتها بالوسطاء وعلاقاتها بالمستغلين وطبيعة العملاء، وهل تشرب الخمر وتتعاطى المخدرات، وموقف الأهل من الممارسة- والموطن الأصلى واصولها الحضرية والريفية، والحالة الزواجية للبغى. وهل نزحت الى مكان الممارسة وأسباب الهجرة أم من أهل المدينة.

وقد اهتم بحث البغاء فى القاهرة بالتاريخ الاجتماعى للبغى، مثلما اهتم بالعوامل العضوية والنفسية التى أثرت على البغى كما أجري للبغايا إختبارات لقياس الذكاء- كما استخدمت ثلاثة اختبارات للشخصية.

ومن الدراسات المهمة التى استخدمت دراسة الحالة الدراسة المشهورة التى كتبها كل من توماس وزنانيكى، وعنوانها «الفلاح البولندى فى أوربا وأمريكا» تلك الدراسة التى تركت أثراً كبيراً فى تاريخ علم الاجتماع الأمريكي وتتكون هذه الدراسة من ٢٢٥٠ صفحة وتقسم إلى ثلاثة أجزاء، وصدرت هذه الدراسات فى عام ١٩١٨. ويتضمن الجزء الأول الرسائل المتبادلة بين أعضاء العائلات البولندية القروية فى الموطن الأصلى وبلاد المهجر، والغرض من هذه الدراسات عرض طبيعة البناء الاجتماعى للجماعة القروية التقليدية قبل الهجرة، كما درس الجزءان الآخران وفق طريقة دراسة الحالة تفكك النظام الإجتماعى التقليدى بعد الهجرة وعرض لمظاهر التفكك التى طرأت على الفلاح البولندى المهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ومدى قدرة هذا الفلاح المهاجر على التكيف. ولقد اعتمد الباحثان على تحليل الوثائق الشخصية والرسائل

المتبادلة. وقد تفوقا فى هذا التحليل تفوقاً كبيراً، وبفضلهما أصبحت المذكرات الشخصية نموذجاً كاملاً للمادة الاجتماعية الخصبة.

ولقد استخدمت دراسة الحالة فى دراسة جناح الأحداث، مثلما استخدمها لبلاى لدراسة ميزانية الأسرة الفرنسية عندما انتقى ١٣٦ أسرة كحالات لتطبيق دراسته، وقد تكون الحالة قرية أو مدينة صغيرة مثل مدينة Middle town، وهو اسم وهمى مستعار لمدينة أمريكية صغيرة كانت تضم ٣٦٠٠ مواطنا، وقد وصف الباحث مجموعة من الأنشطة بدلاً من وصف نشاط واحد بوصفها أنشطة متكاملة.

مزايا إستخدام طريقة دراسة الحالة فى البحث الاجتماعى :

والباحث المهتم بدراسة الحالة، يرى أنها طريقة مثمرة لجمع البيانات والمعلومات.وأنها تقدم مزايا عديدة للباحثين أهمها : (Johnson, p.191)

١- تقدم مجموعة وفيرة من المعلومات المفيدة والأساسية للذين يخططون لإجراء بحث كبير على المستوى القومى، وقد توحى نتائج دراسة الحالة بفروض خصبة، تمهد لدراسات جديدة تقدم أمثلة محددة لاختبار نظريات عامة سائدة.

٢- يستطيع الباحث ،عندما يقوم بإجراء دراسة الحالة دراسة متعمقة مركزة الحصول على معلومات وبيانات أكثر وفرة وأكثر عمقاً مما لو استخدم طرق وأدوات أخرى لجمع البيانات. كذلك فإن التعمق فى دراسة حالة واحدة يسمح للباحث بمعرفة جوانب عديدة لموضوع البحث قد لا يلاحظها عندما يدرس السلوك الظاهر. وقد وجه المتخصصون الانتباه إلى الطبيعة الاستكشافية لدراسات الحالة، وعلى سبيل المثال فقد يهتم الباحثون بما يحدث داخل وحدة رعاية الأحداث، ولكنهم قبل البدء فى مشروع البحث (Johnson, p.191) قد لايعرفون الأحوال الاجتماعية للوحدة أو تاريخ الحالة معرفة كافية ليمكن لهم صياغة الفروض التى يودون صياغتها واختبارها. فالهدف من دراسة الحالة جمع أكبر قدر من المعلومات لمساعدتهم على صياغة الفرض. أو توجيه الباحثين إلى

ملاحظة ووصف كل ما يحدث داخل الحالة التى يدرسونها.

٣- إنها تساعد الباحث على اكتشاف معنى وقيمة المعلومات التى يحصل عليها من خلال سرد تاريخ حياة الحالة.

٤- تعد طريقة دراسة الحالة، طريقة خاصة لجمع البيانات والكشف عن مكنونها وتنظيمها فى إطار الوحدة المختارة للدراسة وفى إطار تاريخ حياة الشخص أو تاريخ حياة الجماعة وفى إطار العمليات الاجتماعية التى يدرسها.

٥- تؤكد هذه الطريقة أن مجموعة أدوات البحث المستخدمة فى جمع المعلومات يكمل بعضها بعضاً فى فك الشفرات والثغرات وتساعد على التعمق والتبصر فى حياة صاحب الحالة، كما تساعد على تكييف صياغة الأسئلة. وإعادة صياغة كلمات السؤال لتلائم التجربة الشخصية للمبحوث ومشاركة الأفراد الذين تدرس تجاربهم فى مواقف مختلفة ولذلك تقدم لنا دراسة الحالة رؤية جديدة للواقع الاجتماعى تختلف كل الاختلاف عن الرؤية التى تحققها الأدوات التقليدية للبحث الاجتماعى.

٦- تمهد دراسة الحالة لإجراء أبحاث جديدة، ويرى بعض الدارسين أن هذه الطريقة تعد ضرورية قبل البدء فى دراسة المجتمع، وإعداد استمارة الاستبيان فى صورتها النهائية، إذ من المفروض أن يحاول الباحث الملتزم الحريص قبل دراسة المجتمع دراسة بعض الحالات التى تتعلق بموضوع الدراسة لمعرفة نمط الحياة السائد وإرتباط ذلك بالمتغير الذى يدرسه. وتكتمل الطبيعة المميزة لدراسة الحالة فى تعمق الباحث فى دراسة الحالة، وتعدد مستويات التحليل، واستخدام متغيرات عديدة والتأكيد على التفاعل خلال الزمن.

٧- تتميز دراسة الحالة بعمق وغزارة المعلومات، فالباحث قد جمع قدراً وفيراً من المعلومات مستخدماً أدوات بحث متعددة مما يضفى على دراسة الحالة رؤية شمولية كلية أكثر عمقاً وأكثر اتساعا. ومن ثم تتبرأ دراسة الحالة من الاتهام الذى يوجه إلى كل أداة من أدوات جمع البيانات، ومؤداه

أن كل أداة على حدة تعبر عن نظرة ضيقة الى الحقيقة الاجتماعية وتنظر إلى موضوع البحث نظرة أحادية، فهى قد تهتم بالسمات وحدها أو الاتجاهات وحدها أو السلوك بمفرده، وتهمل العلاقات بين السمات والاتجاهات والسلوك.

٨- يؤكد دراسة الحالة على بعد الزمن، فالباحث أثناء دراسته يؤكد على عامل التغير خلال الزمان وعلى العمليات التى تؤدى إلى التغير، فقد يدرس الباحث تاريخ حياة الطفل طوال سنوات المدرسة الإبتدائية والفترة التى سبقت ذلك حتى يوم مولده. وقد يدرس تاريخ الجامعة العربية منذ الأربعينيات كمؤسسة سياسية تهدف تجميع كلمه العرب.

٩- بالاضافه إلى قدرة الباحث على إدراك واقع الحياة من خلال الحالات التى يدرسها، تمكن دراسة عدة حالات الباحث من تكوين رؤية اجتماعية تماثل رؤية المواطن الأصلى عن نظام القرابة أو النظام الطبقى أو المشاعر التى يثيرها صراع التقاليد.

عيوب وأوجه قصور طريقة دراسة الحالة :

وبعد عرض مزايا دراسة الحالة نقرر أن طريقة دراسة الحالة ليست أداة لجمع البيانات بل طريقة لتنظيم وترتيب البيانات الاجتماعية من أجل المحافظة على الطابع المميز للموضوع الاجتماعى الذى يدرس، وبعبارة أخرى فطريقة دراسة الحالة مدخل يهتم بدراسة كل حالة بوصفها وحدة متكاملة متطورة.

ولكن عادة يقل ويندر اللجوء إلى دراسة الحالة كطريقة للبحث فى أبحاث ودراسات علم ألاجتماع ويكثر استخدامها فى مجال الخدمة الاجتماعية، ويرجع ذلك الى أسباب عديدة أهمها:

١- السبب الرئيسى لندرة استخدام دراسة الحالة فى الأبحاث الاجتماعية يرجع إلى التمييز الزائف بين الدراسات الإحصائية والدراسات غير الإحصائية والنظر إلى دراسة الحالة بوصفها طريقة تستخدم أدوات عديدة لجمع البيانات لا يعتمد عليها اعتمادا كبيراً فى الحصول على

بيانات موثوق فيها.

٢- الاعتقاد بأن دراسة الحالة طريقة للدراسة تعتمد على الحدس الذى ينبثق من الملاحظة بالمشاركة ومعايشة الوثائق. ولذا يتهم الباحث بأنه يعطى تفسيرات تنبع من التجربة الشخصية ولا تتلاءم مع حالات خاصة وتتعارض تماماً مع الطابع المميز للعلم.

٣- صعوبة التعميم. إذ يرى بعض الدارسين أن الباحث قد يلجأ إلى دراسة عدد قليل من الحالات بدلاً من حالات كثيرة وهو يكتفى بحالات قليلة يجمع حولها البيانات، وهنا تنشأ مشكلة التعميم. والتعميم هو الهدف النهائى للعلم، ولكن إذا كانت هناك صعوبة فى التعميم لقلة عدد الحالات، فإنه لأمر صادق كل الصدق أن عمق الدراسة الذى يميز دراسة الحالة يعوض هذا العيب ويساعدنا على صياغة فروض مثمرة نبدأ منها دراسات جديدة على مجال أوسع وأكبر. ومن ثم فدراسة أثر الوعى الطبقى على حالات بعض التلاميذ الذين يتسربون من المدرسة يساعدنا علي صياغة فرض مؤداه «أثر الوضع الطبقى على الاستمرار فى الدراسة» كما نستطيع صياغة فرض آخر عن «العودة إلى الجريمة والوضع الطبقى» بعد دراسة عدة حالات لمجرمين عائدين، أو فرض مؤداه «مجانية التعليم والحراك الاجتماعى».

٤- الاخفاق فى التفرقة بين طريقة دراسة الحالة كطريقة لرؤية الحقيقة الإجتماعية وأدوات البحث الخاصة التى تستعين بها طريقة دراسة الحالة لجمع المعلومات .

٥- عدم اتباع الأساليب الخاصة لتصميم العينة عند اختيار الحالات التى يدرسها الباحث، مما يغلب الرؤية الشخصية والتحيز الشخصى على الأسباب الموضوعية، ويضع الباحث فى مأزق المتهم بأنه وصل الى نتائجه رغم أنه لم يصف كيف وصل إليها.

٦- يتعاطف الباحث بعد طول معاشرته للحالة التى يدرسها معها، ويكون

معها رابطة وجدانية مما يكوّن عند الباحث شعوراً زائفاً بأن نتائجه صادقة. إذ مهما طالت فترة البحث، ومهما جمع الباحث من معلومات ومهما تعمق فى دراسة الحالة، فإنه سيصل إلى الفترة التى يقرر فيها ضرورة استخلاص نتائجه، ووضع البحث فى صورته النهائية.

وقد يساعد الإرتباط الوجدانى بين الباحث والمبحوث على إغرائه بتجاهل القواعد الأساسية لتصميم البحث والهروب من اختبار مدى صحة البيانات التى جمعها. فلو حاول الباحث اختبار البيانات التى جمعها لتكشف له أن هناك نقصاً فى بعض البيانات، ووفرة فى البعض الآخر، وأن ثمة مفاجآت لم تخطر له أثناء البحث، ولذا فبعد فحص واختبار البيانات والمادة العلمية يشعر الباحث أن مشاعره قد خدعته لفترة من الزمن، لذا عليه أن يدرب على أهمية انتقاء البيانات المهمة التى تتعلق بالموضوع الذى يدرسه، وألا يجعل البيانات ترميه فى التيه.

٧- تتهم دراسة الحالة بأنها تتطلب وقتاً طويلاً، فكل حالة تعد بحثاً قائماً بذاته، ولذا فإن دراسة مائتى حالة قد يتطلب فترة زمانية تستغرق عامين، مما يتطلب ميزانية ضخمة، بينما يمكن جمع بيانات عن ٢٠٠ استمارة فى فترة لا تتجاوز أسبوعين. أو فى فترة لا تتجاوز أسبوعاً واحداً؛ إن لم يكن من الممكن جمع كل هذا العدد فى يوم واحد لو جمع الجميع فى مدرج واحد.

٨- تؤثر طول فترة استمرار البحث والميزانية على تحديد عدد الحالات التى تدرس مثلما يؤثران على عدد العوامل التى يحاول الباحث تحليلها.

ويمكن للباحث أن يتجنب الاتهام بالتحيز، ويؤكد للقراء الشعور بأنه يتقصى الوصول إلى الحقيقة واليقين إذا ما أعطى اهتماما كافياً لتحليل العوامل التى تؤثر على الحالة فى ضوء البيانات التى حصل عليها، إذ عليه أن يتجنب التأمل والاعتماد على الحدس فى مرحلة استخلاص النتائج- كما يتعين عليه الاعتماد على نظرية ينطلق منها أثناء التحليل.

ولكن هذه العيوب تخص الباحث وحده، ولا تسئ إلى الطريقة. فالتدريب المستمر على دراسة الحالات والإستفادة من الأخطاء وعدم تكرارها يقلل من هذه الأخطاء بعدما يكّون الباحث فى ذهنه أبعاداً كاملة عن الحالة التى يدرسها، ولذا فلكى يتجنب هذه الاتهامات والعيوب فإنه يتعين على الباحث أن يتبع خطوات المنهج العلمى عند استخدام طريقة دراسة الحالة. فعليه يبين كيفية اختيار حالاته بعيداً عن الهوى الشخصى كما يتعين عليه أن يدرك أن لديه أساساً عقلانياً لاختبار حالات بدلاً من الاعتماد على الحدس لاستخلاص نتائجه،وينبغى عليه أن يتيقن من صدق البيانات التى جمعها، كما يجب عليه أن يحدد فى بداية دراسته المفهومات التى استخدمها ويؤدى غياب هذه الخطوات الى إتهام طريقة دراسة الحالة بأنها طريقة فى البحث تفتقد الطابع العلمى.

حدود طريقة دراسة الحالة :

قبل البدء فى دراسة الحالة يتعين على الباحث أن يعى بحدود الحالة ليتجنب استخلاص نتائج لا تبررها ولا تسندها البيانات التى حصل عليها.

وتعد دراسة الحالة تدريباً ذاتياً نسبياً للباحث. فعندما يكتب الباحث تقرير دراسة الحالة، فإنه يختار الوقائع وينظمها ويرتب بينها فى شكل ما يمكننا من إستخلاص النتائج. وتعتمد طبيعة دراسة الحالة الى حد كبير على طبيعة الجوانب التى يختارها الباحث والطريقة التى يفسر بها تلك النتائج.

وثمة احتمال مؤداه أن دراسة كل حالة مهما كانت روعة كتابتها هى بمعنى ما تبسيط مفرط للأحداث التى يصفها الباحث ووصف للبيئة التى تقع فيها هذه الأحداث. إذ يؤدى تبسيط الحدث أو مجموعة الأحداث إلى سهولة الفهم، ولكن سهولة الفهم قد تؤدى الى تشويه تأثيراتها والتقليل من أهميته، ويدعى أحياناً أن نتائج دراسة أى حالة تقتصر على الحالة محور الدراسة، ومن ثم تقدم لنا القليل لتبرير التفسيرات العامة والتنبؤ.

إن دراسة الحالة أداة تعليمية مهمة، وهى جزء من التدريب الأكاديمى داخل قائمة المحاضرات. وقد يختلف تطبيق الحالات فى المواقف الواقعية. وتصنف دراسة الحالة فى علم الاجتماع بوصفها دراسة حالة وصفية أو دراسة تفسيرية.

ويدرب الباحث عادة على وصف الحالات وتفسيرها داخل قاعات الدرس.

وهذا الشكل من الدراسات هو الشكل السائد فى دراسات علم الاجتماع.

ويستخدم الباحثون الاجتماعيون دراسة الحالة لأغراض عديدة، أهمها الدراسات الوصفية، وهى دراسة وصفيه متعمقة لبضعة أفراد سواء داخل التنظيم الاجتماعى أو ينتمون إلى الجماعة خلال فترة زمانية محددة، والغرض الأساسى لهذه الدراسة توجيه الباحثين لفهم السلوك الإنسانى أفضل فهم من خلال مشاهدة الناس والأحداث فى مواقف التفاعل وسماع إجاباتهم وتعليقاتهم على التساؤلات التى توجه لهم. أو تفسير المعانى والرموز فى مواقف التفاعل الطبيعية. وقد يكون موضوع الدراسة مجتمعاً كبيراً أو مجتمعاً صغيراً أو مجتمعاً محلياً قرويا.

وعلي خلاف الدراسات الوصفية التى تدرس المجتمعات المحلية أو الكبيرة تركز طريقة دراسة الحالة فى مجال الخدمة الاجتماعية على التنظيمات الرسمية وغير الرسمية التى تقدم خدمات اجتماعية معينة أو خدمات خاصة لقطاع معين من المواطنين أو المجتمع كله. وهذا الشكل من دراسة الحالة يصف عادة جانباً واحداً من جوانب التنظيم أو المؤسسة التى تقدم الخدمات الاجتماعية، ومثل هذه الدراسات لا تحاول تفسير كل شئ موجود داخل المؤسسة أو التنظيم الاجتماعى بغية معرفة كيف يعمل التنظيم ويؤدى وظائفه، ولماذا يحقق التكامل بين مكوناته؟ أو كيف يعوق عن أداء وظائفه؟ ويتعين أن تتبع الخطوات التالية عند دراسة مؤسسة اجتماعية بوصفها حالة: (Johnson, p.192)

١- اختيار مؤسسة أو جمعية تقدم خدمات اجتماعية معينة لدراستها.

٢- صياغة هدف عام يوجه الدراسة من أجل فهم كيفية عمل المؤسسة الاجتماعية.

٣- وصف المؤسسة في عبارات عامة وبيان كيف تعمل.

٤- وصف بناء المؤسسة والممارسات والوظائف التى تمارس داخلها والإجراءات الإدارية التى تتبع.

٥- اختيار هدف محدد مثل اكتشاف مدى استجابات الناس لبرنامج المؤسسة.

٦- وصف طريقة الدراسة والإجراءات التى تتبع فى البحث.

٧- وصف نتائج البحث.

٨- استخلاص النتائج.

أن الهدف الأساسى المحدد لدراسة الحالة هو تفسير فاعلية أو عدم فاعلية المؤسسة، ويساهم مثل هذا البحث المركز على فهم أفضل لكيفية أداء المؤسسة للدور المطلوب منها.

وتطبق دراسة الحالة على كل أنواع المؤسسات الاجتماعية سواء كانت دار إيواء الأحداث أو مشروع الأسرة المنتجة أو مركز تنظيم الأسرة أو جمعية رعاية المسجونين أو دار المسنين. وتتضمن دراسة الحالة وصفاً لكيفية إتساع نشاطها ودراسة الحالة لا تنبع من الخيال، بل هى دراسة واقعية تتبع ارشادات محددة، وتطبق فى مواقف محددة.

اختيار موضوع دراسة الحالة :-

يقصد باختيار موضوع الدراسة السعى للبحث عن موضوع يستحق الدراسة، أى البحث عن موقف يمكن أن يقدم رؤى جديدة ذات أهمية عن كيفية تأثير المؤسسة على حياة الناس، وثمة طريقان للبدء فى البحث واختيار موضوع الدراسة. (Johnson, p. 193)

√ أولهما : ارتباط المؤسسة أو الوحدة الاجتماعية موضوع الدراسة بمسألة تهم الباحث، وتشغل اهتمامه، بعد ذلك يتقصى الباحث كيف تؤثر المؤسسة على حياة الناس المعاصرين المحيطين بها.

وإذا كانت مسألة الضمان الاجتماعى وجدواه عند الأسر الفقيرة أو كيف تساهم المؤسسة الاجتماعية فى تدعيم نظام الرفاهية أو إعاقة هذا النظام موضوع اهتمام الباحث فالأمر يتطلب من الباحث مقابلة بعض المسئولين فى هيئة الضمان الاجتماعى، وطرح الأسئلة التالية عليهم لتحديد موضوع الدراسة:-

- ما مظاهر النجاح التى حققتها المؤسسة فى الفترة الأخيرة؟

– ما التحدى الأكبر الذى يواجه المؤسسة ؟

– ما الأهداف الرئيسية للمؤسسة فى عام ٢٠٠١ ؟ أو العقد الاول من القرن الواحد والعشرين.

– ما المعوقات التى تواجه المؤسسة، وتعوقها عن تحقيق هذه الأهداف؟

وإذا ما نجحنا فى العثور على إجابات لهذه الأسئلة إلى اجابات أسئلة أخرى نستطيع أن نحدد الموضوع المناسب الذى يستحق الدراسة.

وقد نجد موضوعات كثيرة تستحق الدراسة مثل:-

أ- القصور فى ميزانية المؤسسات لتؤدى الخدمات المطلوبة منها.

ب- تأثير الضغوط السياسية فى تقليص أنشطة الخدمات.

ج- إعادة تنظيم عمل المؤسسات الاجتماعية.

د- الانتقادات التى يوجهها الرأى العام والمتعاملون مع المؤسسة.

هـ- اتباع المؤسسة لسياسات تثير الجدل.

والطريقة الأخرى لاختيار موضوع الدراسة قراءة مقال يثير الاهتمام فى صحيفة يومية أو مشاهدة برنامج تليفزيونى يفجر مناقشات وحوارات بين المشاهدين.

وقد تدفع قراءة مقال فى جريدة أو سلسلة مقالات متتابعة أو مشاهدة برنامج تليفزيونى الباحث لتطبيق طريقة دراسة حالة، فالجرائد اليومية تنشر يومياً أخباراً تثير اهتمامات الباحثين، ولا تتوقف يومياً عن نشر موضوعات تتعلق بالجماهير، فنحن نقرأ يومياً عن مظاهر للنجاح، وأشكال للفشل ونماذج لقهر التحديات وأنماط لأخطاء كثيرة تضر الوطن والمواطنين. كل ذلك قد يدفع الباحث الملتزم الجاد للبحث عن موضوع يستحق الدراسة ، والصعوبة الكبرى فى دراسة الحالة هى إمتناع موظفى المؤسسة عن تقديم معلومات كافية تساعد الباحث على فهم المؤسسة، أو تقديم معلومات غير صادقة تساعد الباحث علي إدراك وفهم الحالة.

موضوعات التحليل :

والباحث عند تحليل الحالة موضوع الدراسة يجيب على الأسئلة التالية :-

أ- كيف ظهرت المشكلة الأساسية أو الموقف الأساسى أو الحالة التى يدرسها؟

ب- ما العوامل الداخلية أو الخارجية الهامة التى توجه ما حدث؟

ج- ما المصادر الأساسية للقوة. وكيف تؤثر هذه القوة فى الموقف، وكيف تستخدم؟

د- ما طرق وأساليب المؤسسة فى تقديم الخدمات؟وهل تلك الطرق فعالة وملائمة؟

هـ- كيف تؤثر العلاقات داخل المؤسسة على أداء البرامج؟

وأخيراً يتعين على الباحث أن يوضح ويفسر الأسباب والنتائج، ويلخصها ويفسر أفعال المشاركين وسلوكهم.

فالغرض الأساسى من دراسة الحالة- سواء أكانت مؤسسة خدمات أم مؤسسة إنتاجية- إعطاء القارئ فرصة للإستفادة من أخطاء أو نجاح الآخرين، وبيان ما تعلمه الباحث فى الموقف. وكيف تغلب على العثرات (Johnson, p,96) وإذا ما درسنا أندية الشباب كحالات فى مجتمع محلى، فيتعين أن يضع الباحث فى اعتباره النقاط التالية:

- تاريخ إنشاء كل ناد.
- أهداف هذه الأندية.
- هل تحقق أهدافها؟
- هل تجذب الشباب للانضمام إليها؟
- ما الأنشطة التى تؤديها؟
- هل يواظب الشباب على ممارسة هذه الأنشطة؟
- هل يعزف الشباب عن التردد عليها؟
- ما أسباب انسحاب الشباب من هذه الأندية؟

- ما طبيعة علاقات القادة سوياً؟
- ما طبيعة علاقات القادة بالمدربين؟
- ما طبيعة علاقات القادة والمدربين بالشباب؟
- ما الفوائد التى تعود على الشباب من أهل المنطقة من هذه الأندية؟
- ما الأجهزة المتوفرة فى هذه الأندية؟
- مدى ملاءمة المبنى فيزيقياً، وما طبيعة الموقع؟
- من هم أعضاء النادى(السن- الجنس- ومستويات التعليم- العمل)؟
- هل تشبع الأنشطة رغبات ومطالب الشباب؟
- الفئات العمرية التى يخدمها النادى.
- طبيعة الإتصال بين الجهاز الفنى والشباب.
- مدى إحساس الشباب بكفاءة المدربين والقادة.

والباحث المتمرس يستطيع أن يميز بين الوقائع والحقائق وزيف القول، وإذا كانت الوقائع سليمة موثوقا فيها، فإنه يستطيع وضع تصور أولى، ثم يكتب المسودة الأولى.

عناصر دراسة الحالة :

رؤية شاملة للحالة.

وتتكون دراسة الحالة من أربعة أجزاء أساسية :

١- حقائق عن الحالة.
٢- حقائق عن البيئة ووصف الأحداث والمشاركين مع الحالة.
٣- حقائق عن العلاقات بين الفاعلين.
٤- حقائق عن المشاركين في الداخل والخارج.

وتكتب دراسة الحالة على النحو الآتى:

١- صفحة العنوان. ٢- ملخص للحالة.

٣- المحتوى أو الموضوع. ٤- صفحة المراجع.

وتعرض العناصر وفق الترتيب المبين عاليه، وقد تتداخل العناصر سوياً لحد ما، وعلى العموم يجب أن تكون دراسة العناصر موجزة ويبعد الباحث عن الإسهاب، مقتديا بالمثل «خير الكلام ماقل ودل».

وتتضمن الدراسة معلومات وفيرة يحصل عليها من خلال المقابلات المتكررة، أو من الوثائق، والباحث لا يكتب الا العناصر الأساسية، وقد تتكون الدراسة من ٣ أو ٤ صفحات ولكن لا تزيد عن ١٥ صفحة. والبحث المكون من ١٥ صفحة ملائم لوصف وتحليل الحالة. وتكتب الحقائق التى تتضمنها الحالة فى شكل قصة تقريرية ويهتم بالشكل مثلما يهتم بالمضمون وطريقة الكتابة تحدد العائد الذى يعود من القراءة.

وبإيجاز شديد نقول أن دراسة الحالة طريقة مثمرة فى البحث الاجتماعى تتيح لنا الحصول على بيانات وفيرة وخصبة إذا ما قارنا هذه البيانات بالبيانات التى تجمعها كل أداة من أدوات البحث الأخرى. ولكن هذه الطريقة لم تستعمل بعد استعمالاً كافياً ولم يدرب عليها بعد إلا عدد قليل من الباحثين الأكفاء فى الوطن العربى.



الفصل الحادى عشر

المسـوح الاجتماعية

المسوح الاجتماعية

المسوح الاجتماعية

أحياناً ما توصف المسوح الاجتماعية بأنها أبحاث الإنسان الفقير، فهى طريقة للبحث الاجتماعى للكشف عن طبيعة وطريقة حياة بعض الطبقات الأشد فقراً؛ لمعرفة أحوالهم السكنية والاقتصادية والمهنية والتعليمية والصحية. وقد يكون هدف المسوح دراسة موضوع واحد مثل عائلات العمال أو حى سكنى أو المشتغلين فى حرفة ما ، أو أوقات الفراغ عند الطلبة أو الأجور أو أوجه الانفاق فى حى سكنى . وتتطلب المسوح فى البداية تعريف الظاهرة التى ندرسها ووصفها وصفاً متعمقاً. وكان شارل بوث أول من إستعمل المسوح عندما درس حياة وعمل سكان مدينة لندن عام ١٨٨٩، ونشر خرائط اجتماعية رائعة عن كل شارع من شوارع مدينة لندن فى تلك الفترة.

فالمسح الاجتماعى طريقة لجمع البيانات والمعلومات بشكل منتظم من مجموعة من الناس من خلال الاحتكاك المباشر بهم. ويتحقق الانتظام فى جمع البيانات من خلال توجيه الأسئلة نفسها لكل فرد من أفراد المجموعة.

والمسوح الاجتماعية دراسة منهجية منظمة شاملة لكل جوانب المجتمع أو الظاهرة الاجتماعية، تطبق قواعد المنهج العلمى، وعادة ما تنشر نتائج هذه المسوح. وتعتمد المسوح على جمع البيانات الكمية، وتصنف بوصفها غالباً دراسات وصفية توضيحية ودراسة واقعية لأحوال المجتمع والناس. والمسوح الاجتماعية أبعد ما تكون عن كونها دراسات تحاول اختبار نظريات علم الاجتماع، ولا تتم فى فراغ بل يحدد نطاقها بمنطقة جغرافية محددة وقد يكون شارعاً أو مصنعاً أو حياً سكنياً أو مدينة أو مجتمعاً محلياً، وتسعى الى تقديم توصيات للجهات الإدارية تعتمد على الأرقام والإحصاءات، بغية تحسين الوضع، وتحقيق شيئاً من الرفاهية الاجتماعية وتخفيف المعاناة وتحديد طرق القضاء على أسباب الظواهر السلبية ومن ثم علاجها.

وهناك نوعان من المسوح:

١- مسوح تهتم بالوصف والحصر وتعتمد على السجلات والمقابلات.

٢- مسوح تهتم بالتحليل.

١- المسوح الوصفية :

تخبرنا المسوح الوصفية بخصائص مجتمع معين، كما تبين لنا كيف تحدث أحداث معينة، وقد يغطى المسح المنطقة كلها ويعرف بالمسح الشامل.

وقد يعجز عن حصر كل الحالات فيلجأ الباحث إلى العينة الممثلة ويعرف المسح باسم المسح بالعينة. ولا تصمم مثل هذه المسوح لتفسير أى شئ أو كشف العلاقات بين المتغيرات، ولكن الهدف الأقصى هو حصر وعد الخصائص التى نبحث عنها. والمسوح شائعة ومعروفة لأهميتها، وتصنف تعدادات السكان بوصفها مسوحاً تقدم معلومات كافية وضرورية ومفيدة إلى الحكومة والاقتصاديين والسياسيين، وهذه المعلومات مسجلة فى بيانات وإحصاءات رقمية.

وثمة أمثلة كثيرة لأسئلة قد تعجز المسوح التى تجمع الحقائق الرقمية عن الإجابة عليها أو تقدم عنها إجابات غير مناسبة لأن المسوح لم تصمم إطلاقا للإجابة على هذه الأسئلة، مثل الأسئلة التى تبدأ بأداة الإستفهام لماذا...؟ أو الأسئلة التى تحاول أن تختبز الفروق بين الجماعات أو التى تحاول الربط بين المتغيرات. وقد يتعجب من شعبية ناد معين أو قد نسأل لماذا هذه الشعبية؟ ونرغب فى اكتشاف ما يبرر لنا أن سياسية هذا النادى تهدف اجتذاب الشباب. مثل هذه الاسئلة بعيده عن وظيفة المسوح الوصفية.

٢- المسوح التحليلية :

وهذا النوع من المسوح التى تبحث عن العلاقات يحاول أن تكشف عن العلاقات بين المتغيرات، تشبه فى تصميمها التجارب العملية والمعملية، ويحاول إيجاد تفسيرات فى عالم الواقع. وهى أقل اهتماما بالوصف الاجتماعى وأكثر اهتماما بالتنبؤ. ومثل هذه المسوح لا تسأل عن عدد المرات التى حدثت فيها

الظاهرة أو الحدث وكيف حدثت؟ بل تهتم أساساً بالأسباب التى أدت إلى وقوع هذا الحدث، كما تحاول أن تفسر فروضا معينة.

وللمسوح هدفان:

هدف علمى : لاختبار فرض أو مجموعة فروض أو اختبار نظرية أو الوصول إلى حقائق يمكن أن تعد أساساً لنظرية جديدة وهذا الهدف هو إجراء البحث لمجرد البحث من أجل إثراء العلم وحده.

هدف عملى : ويبغى هذا الهدف تسخير العلم لخدمة المجتمع ولرفاهية أفراده، وإستخدام المعرفة لفهم الواقع للوصول الى حل للمشكلات التى تواجه المجتمع.

والسؤال الذى يفرضه الواقع الذى نعيش فيه، هل نحن فى حاجة إلى بحوث تبغى التحقق من الفروض أم مسوح عملية تكشف الواقع الاجتماعى وبمعنى آخر هل نحن فى حاجة الى مسوح وصفية تصف الواقع أو مسوحاً تحليلية بقصد اكتشاف العلاقات. والحقيقة أن المسوح الوصفية كانت أكثر فاعلية بينما كانت المسوح التحليلية محدودة.

وتهدف المسوح جمع بيانات ومعلومات عن الناس والأنظمة والتنظيمات الاجتماعية، بغية إجراء تعديلات وثمة مسوح أجريت فى الأحياء الفقيرة أو معاهد التعليم، وعن أوضاع العمال والحرفيين والعاطلين،أو الأحياء المتخلفة والتجمعات السكنية العمالية، والسوق الاستهلاكية، والمجتمع اليهودى فى لندن ومجتمع القرية والمشكلات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية، والمسوح التى تصف البيئة سواء المدينة أو القرية، أو المجتمعات المحلية الحضرية.

والهدف من المسوح دفع المتخصصين التنفذيين لإجراء تعديلات تغير ظروف المعيشة.

وقد تجمع المعلومات بتوجيه السؤال أو الاعتماد على الملاحظة والمشاهدة. ويعتمد المسح الاجتماعى على أداتين مهمتين هما المقابلة أو استمارة الاستبيان. ويحاول الباحث وصف العمليات الاجتماعية من خلال سؤال الأفراد الذين يعيشون هذه العمليات.

ويعتمد المسح الاجتماعى بوصفه طريقة فى البحث الاجتماعى على جمع البيانات الكمية ويعتمد على الإحصاء كأداة تحليلية، وتساعد الأساليب الإحصائية الباحثين الاجتماعيين فى اختيار العينات وفى تصنيف البيانات وتحليلها.

وثمة صعوبات تواجه تطبيق المسوح الاجتماعية:

١- اختيار العينات الممثلة.

٢- صعوبة جمع البيانات.

ولكن ثمة مزايا للمسح الاجتماعى:

١- إنه يسمح بجمع بيانات حول الوحدة الاجتماعية فى ماضيها وحاضرها والمساهمة فى وضع خطة مستقبلية.

٢- إنه الوسيلة الوحيدة للحصول على بيانات عن أفعال معينة.

٣- يشمل كل الناس ويغطى كل جوانب الظاهرة وهذا البحث ملائم فى ثلاث حالات.

أ- إذا كانت أهداف البحث تتطلب بيانات كمية.

ب- إذا كانت البيانات محددة ومألوفة.

جـ- إذا كان الباحث على ألفة بموقع البحث، فإنه يستطيع أن يقدم توصيات إلى الجهة الإدارية. تستفيد منها في عملية إصلاح المؤسسة أو التخطيط العمراني للمنطقة، والتعرف علي الاحوال السكانية المعيشية لعلاجها.

وللمسوح مجالات عديدة:

Ex فهناك مسوح طبية. وهناك مسوح للحوانيت والورش والمصانع والمدارس والمستشفيات والابنية والاسر. وهناك مسوح للأسرة. ومثال للمسوح الطبية مسح القرى المحرومة من الخدمات الصحية.

ولقد قام المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية فى مصر بإجراء مسح اجتماعى شامل للمجتمع المصرى عن الفترة من ١٩٥٢-١٩٨١ فى مجالات

السكان .وغطى هذا المجال النمو السكانى والهجرة وتركيب السكان وتوزيعهم والمشكلات السكانية، ودرس الأسرة وأنواعها فى المجتمع والزواج ودور الحياة الأسرية وإقتصاديات الأسرة ومشكلاتها والمرأة والطفولة والشباب. والتدرج الطبقى والتحولات الطبيقية فى الريف والتحولات الطبقية التى طرأت على الحضر. وخط توزيع الدخل والثروة ودعم السلع وتطور القيم والأساليب الثقافية المرتبطة بالجماعات. اما عن البناء السياسى الداخلى فى مصر فدرس الأحزاب السياسية قبل الثورة وبعدها وجماعات المصالح والمؤسسة العسكرية وثم التطور السياسى والدستورى ثم درس السياسة الداخلية والخارجية فى مصر على مستوى العالم مع إعطاء تأكيد لسياسة مصر نحو فلسطين. ثم درس علاقة مصر السياسية مع الدول الإفريقية وأمريكا وأوربا الغربية والإتحاد السوفيتى ثم أوروبا الشرقية وبعض الدول الأسيوية ثم درس فى الفصل الخامس البناء الاقتصادى المصرى مركزاً على الزراعة ومراحل التنمية الصناعية ثم درس التجارة الداخلية والخارجية وتطور السياسات المالية والنقدية عارضاً لنظام البنوك فى مصر. ثم درس السياحة فى موضوع مستقل، وعرض فى الفصل السادس لحركة النقل والمواصلات ووسائل الإتصال. وفى الفصل السابع درس موضوع الإسكان. عارضاً للإسكان فى الريف والحضر ثم عرض للخدمات الدينية والعلاقات الطائفية ثم المؤسسات الدينية واهتم فى الفصل التاسع بالتعليم ابتداء من التعليم الابتدائى مروراً بالاعدادى والثانوى وانتهاء بالتعليم الجامعى. كما أعطى أهمية للتعليم الأزهرى. مثلما أعطى أهمية لطرق إعداد المعلم. كما بين الجهود الأهلية والخدمات الطلابية فى مجال التعليم.

ثم عرض للخدمات الصحية فى مصر، والموارد الصحية سواء ما تم فى الريف أو الحضر والأنفاق الصحى وتطور الصناعات الدوائية فى مصر ثم عرض لتطور المسار الصحى وعرض لمرفق الأمن في المجالات المختلفة ولموضوع التشريع والعدالة فى الفصل الثانى عشر ثم اهتم فى الفصل الثالث عشر بالإعلام ابتداء من الصحافة والإعلام السينمائى والإذاعة والتلفاز موضحاً فى النهاية طرق تأهيل الإعلاميين.

وفي الفصل الرابع عشر عرض الباحث للمؤسسات الفنية والثقافية فى مصر

من مسرح وفنون تشكيلية وموسيقى وغناء وحركة الأدب والترجمة والنقد.

والهدف من هذا المسح كما يوضح التقديم تقييم صورة المجتمع قبل بدأ عملية التنمية الاجتماعية. وهو دعوة لكى نعلم ونعمل بعيداً عن الارتجالية والتخطيط وبناء المجتمع العلمى فى مصر من أجل توضيح أهداف التنمية. ولذا كانت الحاجة إلى المسح الاجتماعى فى مصر. ويعد هذا المسح أول مسح علمى للمجتمع المصرى، من أجل أن تقوم خطة التنمية على وعى كامل بهذا المجتمع والإحاطة الكاملة بحقائقه وإدراك شامل لأوضاع قطاعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ولنحدد نقطة الانطلاق القومى لرسم مستقبل واضح لمجتمع مصر.

وهذا المسح ضم بيانات اجتماعية واقتصادية مما يعنى الإيمان بالتوازن بين التخطيط الاجتماعى والتخطيط الاقتصادى.

أهمية المسح:

ولكى نرى أهمية هذا المسح لابد أن نضعه فى إطاره المناسب:

١- **يجب أن نراه على أنه حلقة أولى فى سلسلة من المسو**ح تتناول المجتمع المصرى وجهوده فى فترات محددة- قد تكون عشر سنوات- وحينئذ يفيد القارئ من المقارنة بين أوضاع المجتمع وجهوده فى مراحل مختلفة.

٢- يجب أن نفرق بين الجهود المسحية الميدانية من ناحية. والجهود المبذولة فى إعداد تقرير يتضمن البيانات المتاحة من ناحية أخرى. فالمسح الذى بين أيدينا لم يلجأ إلى البحث الميدانى لتوليد بيانات جديدة وإنما لجأ إلى البيانات المتاحة أى المسجلة فى أجهزة الدولة وانتهى إلى توصيات باجراء عدد من البحوث الميدانية لتكملة الصورة لسد النقص فى البيانات التى قام بحصرها المسح الأول. هذه البيانات الجديدة سوف تكمل الصورة فى تقرير المسح التالى فتأتى بذلك أكثر وضوحاً ونضجاً. لابد إذن من النظر للمسح على أنه عملية مستمرة بدأت بكتابة هذا التقرير الأول فى حدود البيانات المتاحة، وسوف تتلوها مرحلة مسوح ميدانية، ثم تتلو ذلك مرحلة إعداد التقرير الثانى فى ظروف أفضل ولا شك من حيث كمية ونوعية البيانات المتاحة حينئذ، وهكذا يتطور المسح تدريجياً من مرحلته المكتبية

الأولى الى مرحلة المسوح الميدانية.

٣- يجب أن نرى هذا المسح على أنه أحد الأدوات- لا كل الأدوات- التى تساعد المخطط المصرى فى إعداد خطته لتوجيه عمليات التغيير فى المجتمع إذ لابد وأن يلجأ المخططون إلى البيانات الإحصائية المتاحة فى الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء والى التقارير الدورية فى مختلف الوزارات والهيئات العامة وإلى تقارير الخطط السابقة... كما يلجأون أيضاً إلى تقارير المسح.

مرحلة المسح :

وقد اهتم هذا المسح بالفترة من ١٩٥٢-١٩٨٠ بالذات لثلاثة أسباب :

١- لأنه حدث تغيير جذرى فى أوضاع المجتمع المصرى بقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فكان ذلك بداية لمرحلة تستحق التسجيل.

٢- لأن رصد فترة الثلاثين عاماً الأخيرة أمر ممكن من الناحية العملية حيث إن البيانات المسجلة قبل هذه الفترة محدودة للغاية وبعضها يكاد يكون فى حكم المفقود.

٣- أنها فترة كافية للرجوع للوراء تسمح للمخطط والباحث بالانطلاق إلى المستقبل.

أهداف المسح :

مما سبق يمكن القول بأن هذا المسح يهدف إلى رصد واقع المجتمع المصرى وتغيره فى الفترة من ١٩٥٢-١٩٨٠ بغرض:

١- تحديد ملامح المجتمع المصرى والجهود التى تبذل لإشباع احتياجاته لمعاونة المسئولين عن التخطيط القومى والقطاعى فى التعرف على الصورة الكلية المتكاملة من مصدر واحد.

٢- معاونة القائمين على البحث العلمى فى أكاديمية البحث العلمى ومراكز البحوث العلمية والجامعات ووحدات البحوث بالوزارات على إعداد سياساتهم وخططهم البحثية وتوجيهها لخدمة التنمية فى مصر.

٣- توثيق الدراسات والأبحاث والدوريات التى تناولت المجالات التى عالجها المسح فى المرحلة من ١٩٥٢-١٩٨٠ .

٤- معاونة المواطن المصرى عامة فى التعرف على صورة المجتمع أبان المرحلة من ١٩٥٢-١٩٨٠ .

الفصل الثانى عشر

الترميز والتفريغ والتحليل



الترميــز والتفريغ والتحليل

الترميز

والغرض من ترميز الاجابات تسهيل عملية تفريغ البيانات. وتتم عملية الترميز قبل عملية التثقيب التى يعقبها عملية التفريغ فى جداول، وأحياناً ما تفرغ الاستمارة كلها مرة واحدة، وأحيانا ما يفرغ كل سؤال على حدة. ويتعين أن يعطى لكل استمارة رقم، وترقم الأسئلة ترقيماً مسلسلاً.

ويقصد بالترميز فى الأبحاث الاجتماعية تحويل البيانات التى خضعت للدراسة الى فئات وتصنيفات من خلال تحديد رقم أو علامة لكل متغير من المتغيرات التي يضمها السؤال، أو لكل معلومة من المعلومات أو جزء من المعلومة أو كل إجابة من الإجابات، حتى يمكن إجراء التحليل الكمى. والترميز جزء أساسى فى البحوث المسحية والبحوث التى تعتمد على تحليل المضمون- (Cicourel Arron, p.20) والترميز عنصر أساسى فى عملية القياس- ويعنى الترميز تكميم النتائج.أى تحويل البيانات الكيفية الى بيانات كمية، ليمكن اللجوء إلى النسب المئوية واستخدام الأساليب الإحصائية. والترميز عمل يقصد منه تحقيق أكبر قدر من الموضوعية فى البحث الاجتماعى، وأشبه بمصفاة تمنع مشاعر وانطباعات ومعرفة الباحث من التداخل فى قرارات إجراء البحث، والتأكيد على اتباع قواعد البحث العلمى، وأفضل وسيلة للتعامل مع البيانات وتحليلها، وثمة أسئلة كثيرة يطرحها الطالب المبتدئ فى تعلم إجراءات البحث.

السؤال الأول: متى ألجأ إلى الترميز؟ يلجأ الباحث إلى الترميز بعد جمع البيانات ومراجعتها، بوصف الترميز عملية مهمة لتنظيم البيانات فى فئات، كما يعطى رقم أو رمز لكل عنصر تبعاً للفئة التى يقع تحتها، ويعطينا حصر الرموز عدد عناصر أى فئة.

ولاستخلاص البيانات يدوياً أو آلياً يتعين أن ترمز البيانات على استمارة البحث، أى تترجم البيانات إلى صورة رقمية بواسطة أعداد الترميز المتفق عليها (عبد المنعم الشافعى ،ص٣٩)، وهى التى تحدد الفئات والتقسيمات والتبويبات الفرعية الممكنة للبيانات وعملية الترميز اليدوى تعتمد على تكوين الحزم .

أما الترميز الآلى فيعنى الاعتماد على الآلة فى ترميز وتفريغ البيانات، ويعتمد التفريغ الآلى على نقل البيانات إلى بطاقات ويعتمد فى هذه العملية على الحاسب الآلى والتكنولوجيا الحديثة بتنظيم برامج تلائم نوع البيانات المطلوبة وطبيعة مشكلة البحث، ويقصد بذلك ترتيب البطاقات فى نظام معين ، وأخيراً التبويب ويقصد به عد البطاقات أو البيانات التى بالبطاقة وتجميعها فى مجموعات.

وقد يتولى الباحث بنفسه ترميز الإجابات، وقد يتولاها خبراء ترميز إما يدوياً- وتستغرق وقتا طويلا- أو آلياً. وبعد الترميز يغذى الحاسب الآلى بالبيانات لتحليلها وجدولتها ويتعين ترك مسافة لتدوين الرموز المرتبطة بكل إجابة.

فالهدف الأساسى من الترميز تصنيف البيانات، ويعتمد تصنيف البيانات على نوع الأسئلة التى يوجهها الباحث، والمفهومات التى يوظفها فى البحث. وقد يسأل أسئلة مفتوحة أو مغلقة، وترميز الأسئلة المفتوحة أصعب من ترميز الأسئلة المغلقة.

والسؤال الثانى: هل من المفيد ترميز البيانات؟ وتعتمد الإجابة عن هذا السؤال على ثلاثة متغيرات:

١- عدد المجيبين أى مصادر البيانات- فإذا كان عدد المجيبين كبيراً- فإن أى محاولة لجدولة البيانات تصبح مستحيلة اذا لم ترمز البيانات.

٢- عدد الأسئلة التى تضمها استمارة البحث.

٣- عدد الإجراءات والأساليب الإحصائية التى تعتمد عليها الدراسة ومدى تعقدها أو بساطتها.

وعادة ما تستخدم استمارة أو صحيفة لتفريغ البيانات، سواء أكان التفريغ والترميز آلياً، أم يدوياً، وفى حالة التصنيف الآلى، تضم استمارة التفريغ عدداً كبيراً من الاسئلة، وقد يبلغ خمسين سؤالا، وتفرغ بيانات كل استمارة فى خانة معدة لذلك، أما فى حالة التفريغ اليدوى، فقد تخصص صحيفة لكل سؤال. أو تصمم استمارة تضم كل الاسئلة.

ومراجعة عملية الترميز عملية أساسية ومهمة، إذ من الضروري توقع خطأ المرمز، وهذا أمر بديهي- فالمرمز بشر غير معصوم من الخطأ.

وقد يرمز الباحث البيانات أثناء ملء الاستمارة، وقد يرمزها المرمز بدلا عنه.

وعلى سبيل المثال قد يسأل الباحث المبحوثين عن أعمارهم. وقبل تفريغ البيانات، ترمز فئات العمر على النحو التالي:-

الرمز	فئة العمر
١	(٢٠-٢٩).
٢	(٣٠-٣٩).
٣	(٤٠-٤٩).
٤	(٥٠- ٥٩).
٥	(٦٠ فأكثر).

وقد يسأل المبحوثين عن ديانتهم : مُسلم- مسيحى - يهودى وترمز على النحو التالى :

الرمز	١	٢	٣
الديانة	مسلم	مسيحى	يهودى

وقد يسأل المبحوثين عن مرتباتهم الشهرية، ويضع علامة أمام المرتب ثم يضعه فى الفئة المقابلة:

الرمز	المرتب	الرمز	المرتب	الرمز	المرتب
١	أقل من ٢٠٠	٧	٧٠١- ٨٠٠	١٣	١٣٠١- ١٤٠٠
٢	٢٠١- ٣٠٠	٨	٨٠١- ٩٠٠	١٤	١٤٠١- ١٥٠٠
٣	٣٠١- ٤٠٠	٩	٩٠١- ١٠٠٠	١٥	١٥٠١- ١٦٠٠
٤	٤٠١- ٥٠٠	١٠	١٠٠١- ١١٠٠	١٦	١٦٠١- ١٧٠٠
٥	٥٠١- ٦٠٠	١١	١١٠١- ١٢٠٠	١٧	١٧٠١- ١٨٠٠
٦	٦٠١- ٧٠٠	١٢	١٢٠١- ١٣٠٠	١٨	١٨٠١- فأكثر

وعملية الترميز عملية متقنة ويتعلم الباحث من التجارب الكثيرة التى أجراها تحديد كل مصادر الخطأ، وتجنبها، وضرورة اتباع إجراءات خاصة عند الترميز، لضمان إمكانية إجراء المقارنة. ومن الأهمية بمكان فى عملية الترميز تعريف الفئات تعريفاً واضحاً ومحدداً وإذا لم يحدد الباحث المطلوب، فضلا عن ضرورة الترميز والتحليل، فالجهد الذى يبذل فى البحث سيذهب هباء منثوراً، ولن تكون النتائج صادقة.

ولهذا فقبل ترجمة الفئات والعناصر التى تصنف تحتها إلى أرقام، يتعين أن تحدد الفئات وتوضح المقصود منها ليمكن للمرمز أن يفهمها، وعليه أن يحدد المقصود برب الأسرة والحالة الزواجية، والأعزب والأجور والفرق بين الأجور والدخل وميزانية الأسرة، وأوجه الإنفاق الأسرى. والجنس، ومشكلات الأسرة والمشكلات الشخصية لرب الأسرة، والثقة والإيمان.

وإذا كان الباحث يدرس المشكلات التى يواجهها رب الأسرة وطرح السؤال التالى:

ما المشكلات التى تواجهها؟ فيمكن أن نرمز الإجابات على النحو التالى:

الرمز	المشكلة	الرمز	المشكلة
١	مشكلات مجتمعية	١٩	الديون
٢	ازدحام المواصلات	٠٢	عقوق الأبناء
٣	تلوث البيئة	٢١	إصلاحات المسكن لقدمه
٤	التسيب فى تطبيق القانون	٢٢	الضوضاء
٥	المحسوبية	٢٣	نفقات المطلقة
٦	عدم العقاب على الخطأ	٢٤	موقع الحى
٧	نقص المعلومات	٢٥	وسائل المواصلات مكلفة
٨	سوء الخدمات العامة	٢٦	ارتفاع أسعار السلع
٩	نظام التعليم	٢٧	المرض
١٠	ارتفاع مصاريف العلاج	٢٨	كثرة عدد الأولاد
١١	ارتفاع أسعار الدواء	٢٩	ضيق المسكن
١٢	نظام التأمينات	٣٠	الإدمان
١٣	مشكلات أسرية	٣١	فشل الابن فى الدراسة
١٤	الغيرة	٣٢	طلاق الابنة
١٥	عدم الاتفاق على تنظيم النسل	٣٣	طلاق الزوجة
١٦	مشكلات شخصية	٣٤	بطالة الابن
١٧	مشكلات مالية	٣٥	المرتب لايكفى
١٨	قلة الأجور	٠٠	

مثال آخر للتفريغ والترميز :

يدل الرقم المبين أمام كل اجابة على الرمز.

س١١- فى نظرك أحسن البنت تتجوز ولا تكمل تعليمها( )

١١١- تتجوز وتكمل تعليمها....... ( )

١١٢- تتجوز وكفاية تعليم .... ( )

١١٣- حسب العريس المتقدم .... ( )

١١٤- حسب رغبة البنت .... ( )

١١٥- تتعلم وتتوظف الأول .... ( )

١١٦- تتعلم ومش ضرورى تتوظف .... ( )

١١٧- تشتغل عشان تساعدنا بشهادة متوسطة .... ( )

١١٨-تتعلم صنعة تأكل منها .... ( )

١١٩- أخرى تذكر .... ( )

يتعين أن يضع الباحث أو المجيب علامة √ أو O أو X ثم يحول هذه العلامة إلى رقم ١-٢-٣-٤-٥- أو ٢١-٢٢-٢٤-٢٥ لو اختار الباحث متغيرين أو ١١١-١١٢-١١٣ لو اختار ثلاثة متغيرات.

مثال آخر : «ترميز إجابات محددة تفرض اختيار عنصر واحد».

مثال (١) : يعطى كل فئة رمزاً (يقسم الى فئات)

١- السن :
٢- الجنس : (١) ذكر (٢) أنثى
٣- الدين : (١) مسلم (٢) مسيحى (٣) يهودى
٤- المرتب : (١) عال (٢) متوسط (٣) ضئيل
٥- الحالة الزواجية : (١) لم يتزوج (٢) متزوج (٣) مطلق (٤) أرمل
٦- عدد حجرات المسكن (١) حجرة (٢) حجرات (٣) أكثر من ذلك

مثال (٣) : ترميز اسئلة مفتوحه:

١- فى أى جهة أقمت معظم وقتك قبل سن العشرين؟

٢- ماذا كان عمل والدك الرئيسى فى ذلك الوقت؟

٣- إلى أى مرحلة دراسية وصل والدك؟

٤- الى أى مرحلة دراسية وصلت الزوجة؟

٥- الى أى مرحلة دراسية وصلت والدتك؟

مثال (٤) :

ترميز أسئلة تفترض أكثر من إجابة :

إحياناً ما ترّمز الاستمارة عند طبعها، وهناك نموذج لبضعة أسئلة مرمزة، ضمنتها استمارة «بحث احتياجات الأسرة المصرية الذى أجراه المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة. نعرضها كما هى. ونذكر ان الرقم الموضوع أمام المتغير يدل على الرمز.

أولاً : بيانات عامة:

١- الحالة الزواجية لرب الأسرة :

١- متزوج ....( )

٢- لم يتزوج ....( )

٣- مطلق ....( )

٤- أرمل ....( )

٢- نوع رب الأسرة :

١- ذكر ....( )

٢- أنثى ....( )

٣- الديانة فى الأسرة :

١- مسلمة ....(   )

٢- مسيحية ....(   )

٣- أخرى ....(   )

٤- ديانات مختلفة فى الأسرة

٤- يا ترى حد من القرايب عايش معكم على طول؟

١- لا ....(أسرة نووية) (   )

٢- نعم ....(أسرة ممتدة) (   )

٣- مجموعة أفراد ....(   )

٤- لا تربطهم قرابة أسرة معيشية ...(   )

٥- عدد الحجرات ....(   ) [العدد الفعلى للحجرات يدل على الرمز]

٦- الشقة ؟

١- ملك ....(   )

٢- إيجار ....(   )

٣- إسكان شعبى ....(   )

٤- مسكن مجانى (بحكم المهنة)......(   )

٥- حوش ....(   )

٧- الإضاءة :

١- كهرباء ....(   )

٢- كيروسين ....(   )

٣- غاز ....(   )

٨- المرافق (يقصد بها المطبخ ودورة المياه)

١- مستقلة ....(   )

٢- مشتركة مع أسرة أخرى .....( )

٣- مطبخ مستقل ودورة مياه مشتركة أو العكس ....( )

٤- لا يوجد ....( )

٩- يا ترى مسكنكم ده مناسب لكم ولا متضايقين منه فى حاجة؟

١- مناسب ....( )

٢- ضيق علينا ....( )

٣- آيل للسقوط ....( )

٤- غير صحى (رطوبة- مظلم- الخ ....( )

٥- إيجاره غالِ...................( )

٦- تنقصه مرافق ....( )

٨- كويس لكن المنطقة وحشة...................( )

٩- أخرى تذكر...................( )

...................( )

ثانياً - تركيب الأسرة :

١٠- يا ترى أسرتكم اللى عايشة على طول فى الشقة دى مكونة من مين؟

١- الزوج .... أو رب الأسرة ...... ( )

٢- الزوجة ....( )

٣- عدد الأبناء الذكور ....( )

٤- عدد الأبناء الإناث ....( )

٥- الوالدين للزوج أو الزوجة ....( )

٦- الأخوة والأخوات ....( )

٧- الأقارب ....( )

٨- مجموعة أفراد عددها ....( )

٩- شغالة ....( )

١١- سن الزواج أو رب الأسرة ....( )

١٢- سن الزوجة ....( )

١٣- المرحلة التعليمية التى وصل إليها رب الأسرة؟

١- أمى ....( )

٢- يقرأ ويكتب ....( )

٣- ابتدائى أو اعدادى ....( )

٤- مؤهل متوسط (ثانوى بأنواعه) ....( )

٥- مؤهل فوق المتوسط (أعلى من ثانوى وأقل من جامعة ....( )

٦- مؤهل عال (جامعة أو معاهد عليا)......................( )

٧- درجات علمية (دبلومات- ماچستير- دكتوراه)..................( )

تفريغ البيانات :-

بعد جمع البيانات والترميز تبدأ مرحلة تفريغ البيانات فى جداول، وقد يكون تفريغ البيانات يدوياً إذا كانت العينة صغيرة والجداول بسيطة، أما إذا كانت العينة كبيرة والجداول مركبة، يصبح التفريغ الآلى حتمياً لتجنب الخطأ.

وتبدأ عملية التفريغ :

١- بترميز متغيرات كل سؤال فى استمارة البحث.

٢- التأكد مما إذا كان يمكن تحويل الإجابات بشكل يسمح بمعالجتها إحصائياً أم لا.

٣- تحديد الأساليب الإحصائية اللازمة.

٤- تصميم جدول لكل سؤال.

وبمجرد تحديد كيفية إجراء تبويب البيانات وترميزها. يجب تحديد كيف سيتم تفريغ البيانات الخام من استمارة البحث كما يجب تحويل البيانات غير الكمية المراد تحليلها الى رموز عددية. وفيما يتعلق بتبويب وتفريغ البيانات فمن المفيد نقل البيانات بعد ترميزها الى جداول لتفريغ البيانات يدوياً، أما التبويب على الحاسب فينبغى ترميز البيانات على البطاقات القياسية الخاصة بالكمبيوتر، وهنا يجب إعداد التعليمات الخاصة بترميز البيانات وذلك بالنسبة لكل المتغيرات محل الدراسة.

مثال جدول تفريغ البيانات

رقم السؤال / رقم الاستمارة	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠
١																				
٢																				
٣																				
٤																				
٥																				
٦																				
٧																				
٨																				
٩																				
١٠																				
١١																				
١٢																				
١٣																				
١٤																				
١٥																				
١٦																				
١٧																				
١٨																				
١٩																				
٢٠																				
٢١																				
٢٢																				
٢٣																				
٢٤																				
٢٥																				
٢٦																				
٢٧																				
٢٨																				
٢٩																				
٣٠																				
٣١																				
٣٢																				
٣٣																				
٣٤																				
٣٥																				
٣٦																				
٣٧																				
٣٨																				
٣٩																				
٤٠																				

وتعد عملية تفريغ البيانات فى جداول- أى جدولة البيانات- قلب أو عقل البحث العلمى (Day, p.59)، ولا تستخدم الجداول إلا إذا تكررت الحالات، وجمع الباحث بيانات ومعلومات متكررة. وثمة سببان أساسيان لجدولة البيانات، السبب الأول أن العلم قد يتنبأ بالبيانات، إذ يفترض جمع البيانات مسبقاً، والسبب الثانى أن البيانات تفرغ أما فى جداول بسيطة أو مركبة، وترصد القيم العددية للبيانات فى جداول وقد تكون البيانات عن أشخاصا أو الاسر أو المهن أو الأعمار أو النوع أو المنازل ... وقد تصف الجداول متغيرا ما أو علاقات بين متغيرين أو أكثر. والجداول المركبة هى عيون الباحث فالأرقام لاتتحدث عن نفسها بل يسعى الباحث إلى العلاقات بين الأرقام والعلاقات بين المتغيرات وتفسير هذه الأرقام، إذ يساهم الباحث بعد الحصول على البيانات على توليد وتركيب وتوليف بيانات أخرى- ومعلومات جديدة وإذا ما أراد الباحث جدولة البيانات، فعليه أن يسأل نفسه , كيف أرتب وأنظم البيانات؟

ويكتب عنوان الجدول ببنط ١٢ ولا ننسى أن لكل جدول رقماً وعنواناً، وهذا العنوان يبين وظيفة الجدول والغرض منه ويكشف لنا عن العلاقات بين المتغيرات.

ولكل جدول عنوان يميزه ورقم مسلسل يحدد ترتيبه فى البحث. ويساعد عنوان الجدول قارئ البحث على فهم النتائج المبينة بالجدول من خلال الأرقام والنسب المئوية والتحليلات الإحصائية، ويجب أن يكون العنوان واضحاً ولا يقسم الى جملتين أو ثلاث جمل أو فقرتين أو ثلاث.

ويوضع عنوان الجدول ورقمه فى منتصف الصفحة فوق الجدول مباشرة ولا يفصل بين الجدول وعنوانه كما لا يبعد المسافة بين الجدول والنص الذى يشرحه وعليه أن يحلل الأرقام المبينة بالجدول فى لغة سهلة وعبارات واضحة.

فالقارئ عند قراءة الجدول، يكتشف قدرته على التحليل ولذا يجب أن يفهم القارئ الجدول ويدرك دلالات الأرقام قبل أن يقرأ تحليل الباحث والتعليق عليه، وعلى الباحث أن يفرق بين الأرقام والنسب المئوية ودلالة هذه الأرقام وألا يخلط بينها.

وللجدول أبعاد أربعة– بعد على اليمين وبعد على اليسار وبعد من أعلى وبعد من أسفل. وأمام الباحث خياران إما أن يعرض بيانات كل استمارة أفقيا أو رأسياً. وهذا يعنى أن تنظم البيانات وترتب ليقرأها كل باحث وكل من يهتم بطبيعة هذه البيانات قراءة متأنية ويفهم المقصود منها ويعرف كيف يفسرها، ويعيد استخدامها فى بحث آخر. وكل ما يتضمنه الجدول له دلالة ويشير الى شيء ويشبه العلم المرفوع فوق قمة الجبل. وإذا كانت البيانات وصفية أو استكشافية تهدف تقديم بيانات كيفية ووصفية لحال الجماعة أو السلوك موضوع البحث، فإن تخليل البيانات فى هذه الحالة ليس إلا ترتيب للمعلومات والبيانات ترتيباً منطقياً فى عبارات لفظية واضحة سلسة وفى فقرات مترابطة منظمة منطقياً.

ومقابل الدراسات الكيفية هناك دراسات تعتمد على التحليل الكمى، وتستخدم لغة الأرقام، وتفيد كثيراً من الأساليب الإحصائية لكشف دلالة الأرقام ومغزاها، وتفرغ هذه البيانات فى جداول. واللجوء إلى الإحصاء يجعل التحليل أكثر تعقيداً للأسباب الآتية:

١– يجب تحديد ما إذا كان تفريغ البيانات سيتم يدوياً أم آلياً.

وإذا كان يدوياً فيتبع فى التفريغ الجدول السابق « عن استمارة تفريغ البيانات» وتفريغ بيانات كل استمارة على حدة، بعد ترقيم الأسئلة، وترميز كل سؤال أما إذا كان التفريغ آليا، فيعتمد فى ذلك على برنامج محدد يحدده محلل البيانات ومن ثم يتعين تخزين المعلومات أولاً فى جهاز الكمبيوتر (الحاسب الآلى)، سيتم بعد ذلك ترميزها، لكن بعض المعلومات قد لا ترمز، مثلما هو فى حال اجابات الأسئلة المفتوحة فى استمارة المقابلة المقننة والتى يفضل تحليلها وصفياً «كيفيا».

ويجب تحديد ما اذا كانت المعلومات يمكن تحويلها إلى شكل يسمح بمعالجتها إحصائياً بكفاءة.

٣– يجب تحديد المعالجات الإحصائية التى سيتم اجراؤها.

٤- يجب تقديم النتائج المهمة الناشئة من هذه المعالجات في سلسلة من التقارير. (فيشر، ص٨٠).

التحليل

بعد الاجابة على التساؤات التى طرحها الباحث وجمع البيانات وتفريغها تأتى مرحلة تحليل وتفسير وشرح الوقائع فالاجابة على هذه التساؤلات ليست الهدف من البحث ولكن الهدف الوصول إلى معلومة أصيلة تؤكد مدى تواجد الظاهرة أو غيابها وتنظم البيانات تنظيما منطقيا. فالتحليل الاجتماعى مرحلة أساسية فى البحث. ويقصد من التحليل إجراء محاولة منظمة لتفسير الظواهر الاجتماعية وأنماط الأفعال الاجتماعية فى إطار منظورات اجتماعية، وكما نعلم فإن تحليل البيانات قد يكون كمياً أو كيفياً. فالعلم الإجتماعى مثل كل علم آخر، يهدف تفسير الوقائع الإجتماعية فى ضوء النظرية. ولكن إجراء البحوث الاجتماعية لا يتحقق بسهولة فهناك مشكلات تعوق الدراسة العلمية للظواهر الاجتماعية وأفعال الناس.

وهذه المشكلات التى يعانى منها الباحثون فى دول العالم الثالث، تغلب عليها زملاؤهم فى البلدان الأخرى، التى ازدهر وتقدم فيها البحث الإجتماعى.

فالهدف من تحليل البيانات: تقدير إجابات اسئلة البحث موضوع الدراسة. ويقوم التحليل بتقسيم البيانات الى أجزاء حيث يتم تصنيفها إلى فئات وترتيبها، وقد تسعى الدراسة إلى وصف البيانات لبيان مدى الاتفاق والاختلاف أو عقد المقارنات بينها أو (المقارنة بين) متغيرات محددة. وعلى سبيل المثال المقارنة بين سكان الحضر والريف، أو الذكور والإناث أو بين الشبان وكبار السن، أو بين الفئات المهنية المختلفة أو تحديد العلاقة بين متغير وآخر مثل العلاقة بين تأخر سن الزواج والتعليم، أو الجريمة والبطالة أو ترتيب اتجاهات المبحوثين ازاء قضية ما ابتداء من الموافقة الكاملة وإنتهاء بعدم الموافقة.

ولا يقتصر عمل الباحث على مجرد جمع البيانات، ولا على وضع نتائجه فى صورة وقائع محددة، بل إنه يعبر هذه المرحلة إلى مرحلة المقارنة والتفسير.

وتبعاً لذلك فهو قد يبدأ من نظرية ثم يكمل الدائرة ويغلقها بالجانب التفسيرى عندما يربط النتائج بالنظرية. ويضع حقائق جديدة فى سياق البيانات التى جمعها والأفكار التى انطلق منها.

ويستخدم الباحث فى مرحلة التفسير هذه أساليب العالم الرياضى والباحث المنطقى كما يلجأ إلى التبرير والخيال، وعادة لا يخطط الباحث لأساليب التفسير تخطيطاً واضحاً محدداً، فيمكن للباحث أن يتبادل المرحلة التفسيرية والمرحلة الميدانية فى دراسة واحدة، ويغدو ويروح بين النظرية والحقائق الواقعية، فأحياناً يبدأ الباحث من الجانب التجريبى أى يبدأ من المعطيات ويصل الى النظرية بإضافة أفكار جديدة إلى النموذج بعد أن يتحصل على النتائج من الواقع، وعادة ما يحدث ذلك فى الدراسات الاستكشافية التي تكشف الاضطرادات الموجودة فى عالم الواقع، والتى تقود الباحث الى أفكار جديدة وفروض يمكن أن تفسر هذه النتائج واستعمالها لتحديد النموذج النظرى أو إضافة أفكار جديدة إليه. فمثلاً فالباحث الذي يريد تفسير الارتباط الإحصائى بين الدين والانتحار قد يقيم تصوراً جديداً فى نموذجه يقوم على مدى التكامل الذى يميز الإتفاقات التنظيمية بين البروتستانت والكاثوليك والقوى المتباينة للروابط التى تربط الأفراد مع أتباعهم ومع الحياة ذاتها. فالباحث يستطيع أن يستخدم الفكر النظرى الجديد التصورات ليفسر الانتظام التجريبى الذى يخضع للملاحظة فى إطار مبدأ نظرى أكثر عمومية. وقد يضيف أن الدين الاسلامى يحرم الانتحار وبناء عليه تنعدم هذه الظاهرة فى المجتمع الاسلامى مؤيدا ذلك بالاحصاءات والمقابلات مع المبحوثين.

وأحيانا يبدأ الباحث بالجانب التفسيرى وفى هذا المجال فهو يعمل مبتدئاً بالنظرية، وينزل إلى المجتمع لجمع البيانات مقدماً تفسيره بوصفه جزءاً من النموذج النظرى الذى صاغه قبل جمع البيانات ويتضح ذلك عن إختياره للفروض، فهو يحدد للباحث ما يجب أن تكون عليه النتائج المتوقعة، وهو فى هذه الحالة يقارن بين نتائجه وبين القضايا والافتراضات التى تضمنها النموذج النظرى التصورى وانطلق منها الباحث، وهو يبحث فيما إذا كانت هذه النتائج

تتفق مع قضايا النموذج أو تختلف عنه؟

إن مهمة الباحث هى الحصول على النتائج المستمدة من الواقع واختبارها ليرى ما إذا كانت هذه النتائج متسقة ومتفقة مع النتائج المتوقعة أم لا؟ وهكذا ومهما كانت الإجراءات المستخدمة، فإن خطوة عملية التفسير فى البحث تعنى تفسير المعطيات التجريبية فى ضوء النموذج النظرى وإدماج النتائج فى جسم النظرية بإعتبارها مبادئ عامة.

وثمة سؤالان يطرحهما الباحث قبل بداية عملية التحليل والتفسير: السؤال الأول هل تؤدى البيانات إلى نتائج مهمة وجديدة، والسؤال الآخر هل تجيب البيانات التى جُمعت على التساؤلات التى طرحها الباحث وهل تثبت أو تفند الفروض. ومن المهم أن نوضح أن التحليل فى اللغة يعنى بيان الأجزاء التى تتكون منها الظاهرة ووظائف كل منها، وحلل الشئ رجعه الى عناصره، ودرسه لكشف خفاياه.

كما يعنى التفسير، الشرح والبيان، ومن ثم ما تنطوى عليه بيانات البحث من معانى واضحة وكامنة، وعلاقات، ويقصد بتفسير الشئ وضّحه ونظر إليه ليستدل على علاقات جديدة ومعانى جديدة، ومن المهم أن نوضح أن التحليل يرتبط بالتفسير، وإن الرابطة بينهما ضرورية وحتمية. (Tesseler, p.55)

بعد هذا الشرح لمعنى التحليل والتفسير، نبين أن عملية تحليل البيانات تتضمن معان أساسية فى البحث وتظهر تداخل وتكامل العلوم الاجتماعية، وقدرة الباحث على الإلمام بقضايا علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الأخرى، وتنظيم خطوات البحث تنظيماً منطقياً والاستفادة من الإجراءات الإحصائية- وفى الأونة الأخيرة بدأ بعض الباحثين الاستفادة بالبرامج الآلية فى التحليل، ولكن أحياناً ما تطبق هذه البرامج دون فهم لمعناها، وكيفية استخدامها. والتفسير هو الجسر الذى يربط النظرية بالوقائع (Bulmer , p. 20) والبيانات التى جمعها الباحث، وتعد عملية التفسير أكثر مراحل البحث أهمية، إذ يتم فى هذه المرحلة اختبار فروض الباحث، والمقارنة بين متغيرات تتعلق بالسن أو الجنس أو الموطن (ريفى أو حضرى) أو التعليم أو المهنة، وتقصى عما إذا كانت هناك

علاقات واضحة بين متغيرين مثل العلاقة بين تعليم الأبناء والحراك الاجتماعى، أو عمل الأم وأساليب التنشئة الاجتماعية، أو تعليم الفتاة وتأخر سن زواجها، أو عما إذا كانت الطبقة الاجتماعية تؤثر على التحصيل الدراسى للطالب، أو مقارنة نتائج بحث معين بنتائج بحث أخر أو المقارنة بين نتائج ظواهر حدثت فى فترات زمانية متباينة، وقد يكون القصد من التحليل والتفسير تفسير سبب العلاقة بين متغيرين أو الأسباب والآثار المترتبة على انتشار ظاهرة ما. فهنا يتعين أن نوضح المقصود بالمتغير وأشكاله.

ويقصد بالمتغير أى خاصية قابلة للقياس وفق مقياس محدد؛ وترتبط فئات المتغيرات بالعدد والإحصاء (Lewis, p 9). وقد يكون المتغير مستقلاً، ويقصد به السبب المفترض للسلوك والفعل ويكون المتغير تابعا، ويقصد به السلوك الذى يثير اهتمام الباحث، والذى يحاول تفسيره وفهمه. (Evans Jeff, p. 14-15)

وإذا ما حاول الباحث دراسة «الضغوط التى تمنع البيروقراطية من أداء دور إيجابى فى عملية التنمية الاقتصادية» - فإن المتغيرات المعتمدة التى يحاول تقصيها هى: التجديد والدافع إلى الإنجاز والرضا الوظيفى وتحمل المخاطر وقبول المسئولية أما المتغير المستقل فيتصل بالسن والجنس والحالة الزواجية والتدين والتحديث ومصادر المعلومات.

لقد تزايد فى السنوات الأخيرة الإعتماد على التحليل الكمى وغلب التحليل الكمى على التحليل الكيفى- وبالتالى تزايد اعتماد الباحثين على الإحصاء عند تحليل الوقائع الاجتماعية- ويرى دوركيم «أن اعتماد علم الاجتماع على الإحصاء مكسب له أهميته وفاعليته لو أحسن الاستفادة منها.(ميران فرانسوا ص١٢).

والتحليلات الكمية فى مجال الأبحاث الاجتماعية محدودة، إذ لا تستخدم الأساليب الإحصائية استخداما شاملاً واسعاً فى دول العالم العربى (Zurayk Huda, p, 55-56)، ونرى أن الاعتماد على لغة الأرقام فى الأبحاث الاجتماعية أكثر من التحليلات الكيفية، ولكن ما مدى المهارة فى تطبيق الأساليب الإحصائية- هو السؤال الصعب والإجابة عليه أصعب.

فعلم الاجتماع لا يرفض مبدأ القياس لذاته، ولكنه يشترط في الباحث إجادة وإتقان استخدام أدوات القياس والأساليب الإحصائية، كذلك يعنى استخدام الأساليب الإحصائية والاستعانة بلغة الأرقام التخلى عن الرؤية الذاتية للحقائق الاجتماعية، كما تكشف عن مقدرة الباحث على فهم المعانى الظاهرة والكامنة للظواهر الاجتماعية أو أشكال التفاعل الاجتماعى أو أنماط السلوك، وعن قدرته على إضفاء الموضوعية على العالم الاجتماعى.

وكثير من الباحثين ينفقون الوقت فى عرض الإحصاءات ولا يقرأون ما وراء الأرقام ودلالاتها، ولا يتجاوز جهدهم عرض بعض القضايا النظرية بل لا يفهمون ولا يستوعبون هذه النظريات والظروف التاريخية والبيئة الاجتماعية الاقتصادية التى أدت إلى صياغها، ولا يبذلون الجهد فى تقييم ملاءمة هذه النظرية مع واقع بلدان العالم الثالث، ومن ثم يعجز الباحث عن تفسير المعلومات والواقع الاجتماعى.

وقد يجمع الباحث بيانات كمية كثيرة، ولكنه يقف مغلول الأيدى أمامها، إذ يجهل كيف يستفيد من الأساليب الإحصائية فى تفسير دلالتها؛ أو يستخدم هذه الأساليب استخداماً خاطئاً، مما يؤدى الى نتائج خاطئة.

وتفيد الاحصاءات كثيراً الباحث المهتم بالتحولات التى تطرأ على المجتمع الذى يدرسه، سواء الإحصاءات الحيوية، أو إحصاءات الأجور والإنفاق أو التعليم أو الإحصاءات السكانية أو الهجرة أو التصنيفات المهنية أو النشاط الاقتصادى أو معدلات الجريمة وأنواعها، وأوجه الدخل فى مجال الصناعة والزراعة وسكان المدن الجديدة ونشاطهم وأعدادهم، ومعدلات النمو فى المدن التقليدية والبلدان الريفية المجاورة لها. ومقابل الحماس لاستخدام العدد والتصنيف وفق الأرقام واستخدام المقاييس الإحصائيةوتوظيف الباحث للبيانات الإحصائية مسلحاً بوعى اجتماعى، فهناك من يقلل من فائدة الإحصاء بوصفه مجرد حصيلة من الأعداد التى ليس لها صلة حقيقية بالواقع الاجتماعى.(هيران فرانسوا ص٢٨).

والحقيقة أن التفسير الإحصائى لا يعد تفسيراً كاملاً، إذا أهمل التحليل الكيفى

للبيانات.

وتأتى مرحلة التحليل بعد الترميز والتفريغ وتلك أهم خطوات البحث، وتلك الخطوة التى تكشف قدرة الباحث على الإبداع والتأصيل. والتحليل نوعان تحليل كمى يستخدم الأساليب الإحصائية للأرقام وتحليل كيفى. والتحليل الكيفى هو الغالب فى الدراسات الأنثربولوجية، وأغلب الدراسات التى تهتم بملاحظة السلوك الإنسانى.

وينطلق التحليل الكيفى من منظور اجتماعى، يهدف إلى تفنيد أو تدعيم هذا المنظور، والتحقق عما اذا كانت البيانات الحقلية تؤكد هذا المنظور أم ترفضه، وهل البيانات تؤكد الخصوصية الثقافية أم لا. وقد يطرح الباحث البيانات ويحللها فى إطار منظرى البنائية الوظيفية أو قضايا كوزر أو ماركس. أو قضايا السلوكية الاجتماعية.

ويعرف دارس علم الاجتماع من خلال دروس النظرية الاجتماعية ومحاضرات مناهج البحث مثلما يعرف الخبراء صعوبة إجراء تحليل اجتماعى قبل صياغة الإفتراضات أو طرح تساؤلات محددة عن طبيعة الناس وكيف يسلكون، وكيف يكونون العلاقات الإجتماعية ولماذا يتبادلونها ولماذا يفككونها؟ فمن الصعب تحليل البيانات تحليلاً إجتماعياً بمعزل عن خطة البحث التمهيدية، أى نبدأ التحليل منطلقين من البنائية الوظيفية أو الصراع أو السلوكية الاجتماعية ونتجاهل طرح القضايا الأساسية الاجتماعية التى إنطلقنا منها.

وعندما يحلل الباحث الاجتماعى الظواهر الاجتماعية، أو السلوك الإنسانى أو تفاعلات بنى البشر فإنه يعتمد على نظرية ما قد يعدلها أو يفندها أو يد عمها ، ولذا يتعين أن يستوعب الدارس هذه النظريات وتحليل البيانات فى ضوئها.

وإذا لم يستوعب الباحث هذه المنظورات وعجز عن الاستفادة منها، فعليه أن يطلب نصيحة المشرف عن أى المنظورات يفيده فى التحليل أكثر، وأحياناً ما تتحول الدراسات من دراسة تحليلية تفسيرية إلى دراسة وصفية أو إستكشافية.

وليس من مهامنا وليس من غرضنا أن نشرح هذه المنظورات، ولكن نؤكد أن

البحث الاجتماعى لا ينطلق من فراغ، بل يبدأ من فكرة ثم يجمع البيانات فى ضوء تلك الفكرة، ثم يقارن بين هذه البيانات ويفسرها فى ضوء قضايا المنظور الاجتماعى.

وإذا ما حاول الباحث الإستفادة من منظور اجتماعى ما فعليه أن يتبع الخطوات الآتية:-

١- تعريف القضايا أو القضية التى يختبرها تعريفاً واضحاً.

٢- تلخيص الوقائع الوثيقة الصلة بالقضية التى يدرسها.

٣- الإعلان صراحة عن المنظور الذى ينطلق منه، ويستفيد منه فى التحليل.

٤- ويستخدم هذا المنظور فى التحليل بوصفه منظاراً يرى به الباحث الواقع الاجتماعى ويفسر به القضايا ويحلل معناها.

وعندما يحلل البيانات الموضحة فى الجدول عليه ألا يعيد كتابة الأرقام الموضحة فى الجدول، ولكن عليه أن يقول شيئاً جديداً غير الذى وقعت عليه عينا القارئ عندما يطلع على الجدول ومن ثم فمرحلة تحليل البيانات تبدأ بعد جمع البيانات وتفريغها فى جداول وثمة أساليب إحصائية عديدة أعدت لتحقيق المهام الثلاث الآتية مثل:

١- وصف البيانات.

٢- المقارنة بين البيانات.

٣- تقييم البيانات، وبيان دلالتها ومغزاها.

ويساعد المشرف الطالب فى اختيار أفضل الاختبارات الإحصائية فى التحليل، وبعض الأساليب الإحصائية التى تستخدم فى التحليل بسيطة للغاية وبعضها الآخر مركب ومعقد، ويكفى طالب علم الاجتماع على مستوى مرحلة الليسانس معرفة الأساليب الإحصائية التى تفيده فى تحليل البيانات التى جمعها، أما على مستوى مرحلة الماجستير أو الدكتوراه أو ما بعدهما فعلى الباحث أن يستخدم أساليب إحصائية متقدمة.

وتفيد الأساليب الإحصائية الباحث عند تحليل إجابات الأسئلة المغلقة عادة أكبر إفادة.

وثمة عدد من النصائح يهمس بها فى آذان طلاب البحث قبل كتابة التحليل

ضرورة تحديد موضوع البحث تحديداً دقيقاً، فلا يترك الموضوع فضفاضاً، فمن الأهمية تحديد الموضوع ثم وضع تصور أولى عن البحث وأهميته قبل جمع المصادر.

يتوقع من الطالب أن يطل إطلالة على ما كُتب فى الموسوعات ودوائر المعارف والتى تفيد القارئ العادى للإلمام بالموضوع، وتزويد الطالب بأهم المراجع عسى أن تمهد له الطريق للحصول على المعلومات اللازمة عن الموضوع الذى يريد دراسته، وعليه ألا يبدأ الكتابة إلا بعد أن يدرك أنه قد حصل على قدر طيب من المعلومات كما يتعلم أن استخدام الخيال الاجتماعى قاعدة أساسية للاستفادة من هذه المعلومات التى حصل عليها من المصادر.

يتوقع المشرف من الطالب أن يطلع على ما كتب حول موضوع البحث بأكثر من لغة، سواء نشرت فى الكتب أو المجلات. والتردد على المكتبة وتصفح الكتب والمجلات التى تفيد الباحث فى بداية البحث لإلقاء الضوء على الجوانب المختلفة للموضوع.

فالطالب المصرى الذى يود إعداد بحث عن الإدمان يتعين عليه أن يقرأ فى البداية ما كتبه مصطفى سويف فى هذا الموضوع، أما الذى يريد دراسة التغير فى القرية فعليه أن يقرأ كتاب «القرية المتغيرة» لعاطف غيث، والمهتم بالدراسات البنائية عليه أن يقرأ كتاب «البناء الاجتماعى» لأحمد أبو زيد، والراغب فى «دراسات الفولكلور» فليقرأ لمحمد الجوهرى وعلياء شكرى.

وإنها لفكرة جيدة أن يراجع الباحث ما جمعه من معلومات ويسبر أغوارها، ويتمعن فى الموضوع الذى يبحثه. وتحقق فائدة التمحيص وإعمال الفكر أثناء كتابة الخطة الأولية للبحث، إذ يدرك الباحث أثناء الكتابة الثغرات التى عليه أن يعالجها.

وحدات التحليل :

وتدور موضوعات الدراسة فى الأبحاث الاجتماعية حول السؤالين الآتيين :

١- من ندرس؟ ٢- ماذا ندرس؟

ولا نقصد بذلك تعدد موضوعات البحث بل نقصد وحدات التحليل، ولكى نوضح ذلك يتعين أن نشير الى أن الباحثين الاجتماعيين يمكن أن يدرسو الشخص بوصفه وحدة إجتماعية من وحدات التحليل، ويقوم الباحث بإجراء الملاحظة من أجل وصف خصائص عدد كبير من الناس مثل الجنس، والعمر ومكان الميلاد، ومناطق الإقامة واتجاهات الناس وقد يجمع الباحث كل ما يتعلق بخصائص الطلبة ليقدم صورة وصفية عن مجتمع الطلبة:

- عدد طلاب كل فرقة.
- عدد الإناث .
- الموطن الأصلى للطالب أو الطالبة (ريف وحضر).
- أعمار الطلاب.
- عدد أفراد أسرة الطالب.
- هل الطالب متزوج؟
- هل الطالبة متزوجة؟

ويعطى اهتماماً أكبر بوحدات التحليل فى الدراسات التفسيرية، ولنفترض أن الباحث يرغب فى اكتشاف عما إذا كان التلاميذ لديهم قدر مرتفع من الذكاء أم لا. وقد تكون وحدة الدراسة الأفراد، وقد تكون وحدة الدراسة هى الحدث. ونحن ندرس الوحدة للحصول على معرفة تتعلق بخصائص الاشخاص أو الحدث. أى نحن ندرس ونصف جماعة ما أو نصف ظاهرة ما.

ويتم التحليل على مستويات ثلاثة:

أ- مستوى الأفراد :

يُعَدُّ الاشخاص أهم وحدة من وحدات التحليل فى البحث الاجتماعى، فنحن

نرغب فى وصف الجماعات الاجتماعية. ومظاهر التفاعل التى تتم بين هذه الجماعات. ويمكن أن يعد الأفراد وحدات التحليل فى البحث الاجتماعى العلمى. وقد تبدو تلك النقطة أكثر أهمية من غيرها ويشير معيار تعميم الفهم فى العلوم الاجتماعية أن النتائج العلمية تحقق قيمة أكبر عندما تطبق على كل أنواع الناس، بيد أنه من ناحية الممارسة الفعلية، فإنه نادراً ما يدرس الإجتماعيون كل الناس، كما أن الدراسة محدودة بأناس يعيشون فى مجتمع معين رغم إمكانية إجراء الدراسة المقارنة أى دراسة الجماعة التى حولنا على مستوى الأفراد: سواء الطلاب أو العمال أو الموظفين أو الناخبين أو الأباء والأمهات وأعضاء النادى أو الحزب السياسى أو المصانع.

ب- مستوى الجماعات:

ينتمى كل الأشخاص إلى جماعات، ويمكن أن تكون الجماعة هى الوحدة الاجتماعية المناسبة للتحليل فى البحث الاجتماعى، فيمكن أن تكون الأسرة هى وحدة التحليل (فى حالة دراسة ميزانية الأسرة، فيصف الباحث كل أسرة فى إطار الدخل القومى السنوى. وكم تنفق على الطعام والملبس والمكيفات والترفيه وعما إذا كانت تمتلك جهاز فيديو أم لا؟ كما يدرس الباحث متوسط دخل الأسرة؟ ومعدل ما تمتلكه من أجهزة كهربائية؟ وعلاقة الدخل بالإنفاق، ومعدل ارتفاع أو انخفاض دخل الأسرة. فالأسرة هى وحدة التحليل. وثمة وحدات أخرى للتحليل شبيهة بالأسرة، مثل الزمر والعصابات وشلل الأصدقاء وجماعات النواصى. ويتعين أن نلاحظ أن كل مفهوم من هذه المفهومات يتضمن أفراداً وتوصف كل جماعة حسب خصائص أفرادها.

وعندما تكون الجماعة هى وحدة الدراسة، فإن خصائص هذه الجماعات هى خصائص الأفراد، ويمكن أن توصف الأسرة فى إطار السن والجنس والتعليم والمهنة ويمكن أن توصف الجماعة فى إطار البيئة (جماعة الفلاحين) أو فى إطار المسكن أو مدى الانتماء إلى جماعة أكبر أو الدخل أو العائلة الممتدة أو العائلة الزواجية.

ج- مستوى التنظيمات :

يمكن أن تكون التنظيمات الرسمية وحدات التحليل فى البحث الاجتماعى، مثل النقابات العمالية والاتحادات النسائية والطوائف الحرفية، وفرق القوات المسلحة أو المصنع والأقسام الأكاديمية بالجامعة والمتاجر الكبيرة.

ويهمنا أن نبين أن دراسة التنظيم تتضمن عدداً من الأفراد. قد تدرس مكاسبهم وإنجازاتهم، والمساعدات التى تقدم إليهم. ونسبة العاملين فى جماعة معينة، وأعداد العاطلين والأميين والمتعلمين، ونسبة القادمين من الريف إلى الحضر ومستوى التعليم.

ويمكن أن تتميز كل وحدة من وحدات التحليل فى إطار خصائصها التنظيمية ووصف عناصر كل تنظيم.

د- مستوى الطوائف الحرفية:

وثمة جماعة أكبر من وحدات التحليل السابقة، هى الطائفة الحرفية الاجتماعية، إذ يمكن أن تكون الطائفة الحرفية محور البحث الاجتماعى العلمى، ويمكن أن ندرس سلوك أعضاء طائفة حرفية مثل صناع الكتب أو التنجيد أو البناءين أو صناع النحاس بخان الخليلى ويمكن أن نصف إنتاج كل طائفة، وحجم هذا الإنتاج وأسعاره، ومدى القدرة على التسويق المحلى والعالمى، والقدرة على منافسة السلعة المصنعة آلياً وكمية مبيعات هذه السلع يومياً؟ ونوعية المشترين؟ كما يمكن أن ندرس طبيعة التفاعل الاجتماعى بين أعضاء الحرفة الواحدة وبين أعضاء الحرف المختلفة. كأن ندرس مدى إمكانية التنافس بينهم أو التعاون أو حتى تبادل الزواج فيما بينهم. ومدى الرغبة فى توريث الحرفة للأبناء- والحراك الاجتماعى بين أبناء الحرفيين.

ومن المهم أن نعرف من الدراسة الاجتماعية إذا كنا ندرس ظاهرة الزواج أم ندرس المتزوجين، وهل ندرس ظاهرة الجريمة أم ندرس المجرمين وهل ندرس الأسرة أم أعضاء الأسرة وهل ندرس النقابة أم أعضاء النقابات. فإن الفهم الواضح لوحدة التحليل مهم للغاية وملائم لتحديد أسئلة البحث لنتجنب الأخطاء

الممكنة.

ومهما كانت وحدات الدراسة التى اختارها الباحث فإن الباحث يهتم بدراسة خصائص معينة فى كل وحدة من وحدات الدراسة ويطلق مصطلح موضوع الدراسة على الخصائص التى وضع عليها الاختيار لتطبيق الدراسة.

موضوعات البحث :

أشرنا فى الصفحات السابقة إلى الوحدات الممكنة المختلفة للتحليل وخصائص هذه الوحدات، ونتحول الآن الى دراسة ظروف واتجاهات وسلوك كل جماعة.

١- أحوال الجماعة وظروفها:

يمكن أن نميز وحدات التحليل المختلفة فى إطار شروطها أو حالة وجودها، وقد يميز الأشخاص وفق أعمارهم أو جنسهم أو طول قامتهم أو حالتهم الزواجية أو موطنهم الأصلى، فالجماعات الاجتماعية والتنظيمات الرسمية يمكن أن يميز بينها حسب الجنس والسن والحجم والإقامة. ويمكن أن توصف فى إطار الخصائص الفيزيقية مثل اللون والوزن أو خصائص البشر الذين يتفاعل معهم ويرتبطون بهم، ويمكن أن يتميز التفاعل الاجتماعى بين وحدات التحليل فى إطار مكان ونوع التفاعل ووقت حدوثه.

٢- اتجاهات الجماعة :

عندما نتقصى الأفراد كوحدات للتحليل. فإننا نتقصى عادة ما يعرف بالاتجاهات، ونقصد بالاتجاهات المعتقدات وسمات الشخصية مثل الجمود والمرونة والانبساط والتعصب والاستعدادات والأحكام. ويمكن أن يوصف الأفراد بالتدين أو التحرر السياسى أو العداء للصهيونية أو التفكير الخرافى أو التفكير العلمى أو الجمود الفكرى. والجماعات الاجتماعية هى جماعات رسمية تتميز وتتباين فى إطار أغراضها وسياستها واضطراد سلوكها وإجراءاتها؛ أو فى إطار الاتجاهات المتراكمة للأعضاء. ويمكن أن تتميز الجماعة بشكل التفاعل الاجتماعى كما تتأثر بالمناخ السياسى.

٣- سلوك الجماعة:

أحيانا ما يكون السلوك الإجتماعى محور البحث. نحن نلاحظ السلوك مباشرة، وقد نقبل التفسيرات الثانوية عن الأفعال والسلوك الإنسانى، كأن ندرس سلوك الناخبين أو المستثمرين أو التجار أو الموظفين فى أماكن العمل والاضطرابات العمالية. والمتسربين من المدرسة ويمكن أن نحصل على التفسيرات الثانوية للسلوك إما من المشاركين أنفسهم أو من مصادر أخرى.

وهكذا فإننا عندما نتقصى ما إذا كان الناخبون قد أدلوا بأصواتهم أم لا، فإننا نرجع إلى سجلات الناخبين بدلاً من سؤالهم لمعرفة أعمارهم ومستوى تعليمهم ومهنهم وأصولهم الحضارية والريفية والاستفادة من كل ذلك فى التحليل، كما نرجع إلى السجلات عندما نريد معرفة اتجاهات اعضاء الجماعات كما يحلل الباحث وسائل جمع المال لاشباع الحاجات الضرورية والدوافع وراء العمل الاضافى أو الهجرة أو قبول الرشوة أو تفسير اتجاهات اعضاء النقابات المهنية المختلفة أو النقابات العمالية ازاء قضية ما أو تفسير أثر الثروة على التفاعل الاجتماعى أو تفسير سلوك المطلقات والارامل فى المناسبات الاجتماعية واتجاهات وردود افعال المتزوجات منهن.

ويتعين عند تحليل البيانات اختيار أوضح الكلمات وأدقها وتجنب الكلمات الغامضة فمن مهام المحلل ان يوضح للقارىء ويشرح مايكتبه ويبين له كيف حدث ماحدث والعوامل التى وراء ماحدث.

الباب الرابع
كيفية كتابة البحث

الفصـــل الثالث عشر
الكتابة وأهميتها فى البحوث

الكتابة وأهميتها فى البحوث

المقصود بالكتابة ؟

الكتـابة شكل من أشكال التفكيـر. لذا فالنصيحـة التى تعطى للكاتب الاجتماعى أن يحدد ويوضح الفكـرة فى ذهنه قبل أن يسطرها فوق الورقة (Becker, pix). فعندما يبدأ الباحث الاجتماعى الكتابة، يتعين عليه أن يتمثل الأفكار والقضايا التى يكتب عنها وهناك من يعرّف الكتابة بأنها نشاط يهدف إلى التوفيق بين قضايا وأفكار متعارضة. والقدرة عل التوفيق والتركيب بين هذه القضايا والأفكار هو ما يظهر براعة وقدرة الكاتب على الإبداع والتأصيل، ويميز باحث عن آخر.

وهناك من يعرف الكتابة بأنها طريقة للتعبير عن الأفكار الواضحة، لنقل هذه الأفكار الى الآخرين (Becker, p.30) .

تعريف رابع للكتابة بأنها وسيلة لتنظيم وترتيب خبراتنا، فنحن نفكر فيما نكتب قبل أن نمسك بالقلم وننقل خبراتنا إلى الآخرين.

والحقيقة أن الكتابة ليست عملية سحرية تخرج عن سيطرة الكاتب. فليس كل من أمسك القلم كاتباً، فالكتابة مجموعة من المهارات المترابطة، يستطيع كل من يرغب فى الكتابة أن يتعلمها ويتقنها ويحسنها بالممارسة ومن ثم إجادة الكتابة، فممارسة الكتابة ليست تمرينا عديم الجدوى.

إذ قد يهدف من هذه الممارسة الحصول على درجة علمية أم احتراف مهنة الصحافة أو المحاماة أو حرفة الأدب أو كتابة الشعر. وفى مجال البحوث الاجتماعية تعد الكتابة أداة تعلم فعالة ووسيطا أساسيا يحقق من خلالها الباحث الاجتماعى أهدافه وأغراضه، وتتحقق الكتابة من خلال الممارسة، فالكتابة- كما يقول الأديب السودانى الطيب صالح- «نشاط يمارسه الكاتب» مثل أنشطة أخرى فى الحياة... وهى ليست غاية فى ذاتها بل وسيلة لنقل

الأفكار، ولكنها ليست وسيلة سهلة.

والكتابة أنواع وأشكال. فنوع وغرض بحث وعدد صفحات البحث الذى يتقدم به طالب مرحلة الليسانس يختلف عن أبحاث طالب الماجستير وأبحاث طالب الدكتوراه وأبحاث الخبير الاجتماعى، وأبحاث من يريد أن يرقى إلى كرسى الأستاذية.

ومن أنواع الكتابة الكتابة الإنشائية، والكتابة الخبرية، والكتابة العلمية والكتابة الأدبية.

قيمة الكتابة:

للكتابة قيمة عظيمة، ودلالة عظمتها أن الله سبحانه وتعالى أقسم بها فى أول سورة القلم (ن والقلم وما يسطرون)، والأمم القادرة على الكتابة وحفظ تراثها مكتوباً أمم صاحبة حضارة. وانتشار التعليم وعدد الذين يكتبون رمز من رموز تقدم المجتمعات الإنسانية ورقيها، مثلما الجهل رمز من رموز التخلف. ويستحيل أن يعيش إنسان في هذا الزمان وفي هذا العالم– صغير السن– لا يستطيع أن يمسك بالقلم ليكتب (Zerubavel. p.1) أو حتى لا يتعامل مع جهاز الكمبيوتر وشبكة الإنترنت، سواء أكان هذا الإنسان طالب علم أم باحثاً أم كاتباً محترفاً أم مواطناً عادياً.

إذ يصعب أن يغمض الإنسان عينيه عما يحدث حوله ولا يفكر فيما يحدث ويسطر خواطره أو يعلق على ما يحدث وألا يمسك بالقلم ليفسر ما يحدث وما يشاهده أو يكتب ما يشاهده وتعليقاته عليه، أو لا يتعامل مع الكتابة ويقرأ صحيفة أو يسمع المذياع أو يشاهد التلفاز ليزيد معلوماته ثم يحتفظ بها.

والحقيقة أنه منذ وجد الإنسان فوق هذا الكوكب وعرف القراءة وتعلم الكتابة، كانت القراءة والكتابة أداتين مهمتين لتحرير الإنسان الضعيف من سيطرة الإنسان الأقوى، مثلما ساهمتا فى تقدم الإنسانية. وثمة فرق كبير بين

أن تجـهل القـراءة والكتـابة وبـين أن تعـرف كـيف ولماذا تقـرأ؟ وكـيف ولماذا تكتب؟

والكتـابة ليست عـمليـة آلية أو فطـرية بل نشاط إنسـانى فى بدايتـه معـاناة ونهايته مـتعة وراحة. وقـد ينجم القلق والمعاناة من صعوبة البدء فى الكتابة، وتعثر ولادة الأفكار التى تسطر بالقلم.

وشعـور الكاتب بالعجـز عن الاستمـرار فى الكتابة شـعور طبـيعى يلازم أشهر الكتاب، ولا يشفى من هذا الشعور أحد مهما أوتى من تجارب الكتابة.

والكاتب المتـمرس على الكتـابة يشعـر بالرهبة عندمـا يبدأ فـى كتابة عـمل جديد، ولكن الباحث المبتدئ أكثر شعوراً بهذا القلق، وهذا الشعور لا مفر منه فى مرحلة إعداد الرسالة العلمـية، أو إعداد أبحـاث ما بعد الدكـتوراه، أو فى فترة تأليف كتاب جديد ويتزايد هذا الشعور عند الباحث الملتزم لأسباب عديدة أهمهـا ضغوط الحياة والعمل والرهبة من الكتـابة، ومحاولات إرجـاء العمل خـشيـة الفشل أو عـدم وضـوح الأفكار أو الخـوف من الشـروع فى دراسة الموضوع أو نسيان بعض عناصره لتسربها من ثقب الذاكرة؛ والتأجيل لص الزمان، إذ قد يؤدي الإرجاء إلى الغـاء العمل كله أو تشتت الأفـكار وتداخلها أو تسربها إلى الآخر الذى يسبق صاحبها ويكتب عنها.

وعندمـا يندمج الكاتب فى الكتـابة، يعنى هذا أن الأفكار تبلورت فى عـقله وأنه وّفق فى اختـيار موضوع البـحث، وتحديد أهدافه، وخطـط لكيفية كـتابة البـحث. فـالبـدء فى الكتـابة بداية مـوفـقة تـدل على أن الكاتب خطط لعـمليـة الكتابة.

ولنناقش بعض الخيارات التى يتعين أن يتبعها الكاتب فى مرحلة التخطيط للبحث، ونحن نهتم بهذه الخيارات لأنها تحدد :

١- مـوضـوع البـحث، ٢- وافـتـراضـات البـحث، ٣- والهـدف منه، ٤-ومَنْ يقرأ البحث.

وهذه العناصر الأربعة تمثل مضمون البحث، وتسهم فى تحديد المفهومات وتحديد مجتمع الدراسة والموضوع الذى نكتب عنه، وقرّاء البحث .

وفى كل وقت يمسك فيه الكاتب القلم، سواء ليكتب مذكرات أو مقالا أو قصيدة أو مقالا صحفيا أو بحثا علميا أو يكتب رسالة- يجب أن تكون هذه العناصر الأربعة ماثلة أمامه، وقد لا يعطى الكاتب بالاً كبيراً لهذه العناصر الأربعة فى كل مرحلة من مراحل البحث الذى يكتبه، ولكن من الأهمية القصوى أن يفكر الكاتب تفكيراً متأنياً فى أهمية هذه العناصر الأربعة عند كتابة رسالة يقدمها لنيل درجة علمية، أو إعداد بحث للنشر فى مجلة علمية. وقد يفرض البحث الذى يكتبه الباحث خطوة من هذه الخطوات، وقد يقدم خطوة ويؤخر أخرى، ولكن يتعين علي الكاتب الباحث أن يتحكم فى هذه العناصر دائماً.

وتعنى الكتابة الجيدة، أن يوصل الكاتب أفكاره إلى عقل القارئ بالطريقة الصحيحة، فالغرض من الكتابة أن نخبر القارئ بما يود الكاتب أن يقوله، ويعرفه، دون أن يكشف عن ذلك صراحة؛ ولا يرغب فى الإفصاح عن مراده، والحقيقة إذا فهم القارىء من البحث رسالة لم يقصدها الكاتب فهذا يعنى أن الكتاب قصر وأهمل.

والكاتب عندما يسطر أفكاره فوق الورق، يضع نصب عينيه دوماً الهدف من البحث، وهل الهدف إقناع القارئ بما هو واقع، أو الوصف أو التحليل أو الدعوة إلى فهم الواقع وتقصى الأسباب، أو التمرد عليه.

وتتضمن الطريقة الصحيحة للكتابة التخطيط السليم المحكم للقضايا والأفكار التى تكتب، وهذا التخطيط هو مفتاح السيطرة على ما يكتب، وتنظيمه وتجويده، مثلما هو مفيد فى تنظيم أوقات الكتابه (Zerubavel, p.2).

الكتابة عملية اتصال :

والكاتب لا يكتب لنفسه. وكما أننا لا نكتب إلا بعد أن نتعلم قواعد النحو وقواعد الإملاء، ونعرف كيف نقرأ ونحصل على المعلومة وندونها. فالكاتب يكتب بعد أن يتعلم، ولكنه ليس إنساناً نرجسياً يعشق ذاته، بل يتعلم ليعلم الآخرين ويؤثر عليهم.

ولا قيمة ولا فائدة فيما نكتب، سواء كنا نكتب بحثاً أو قصيدة شعر أو قصة رومانسية أو حيثيات حكم قضائى أو إعداد خطة بحث أو خطاب إلى الأهل نرسلها من المهجر أو مسرحية، إذا ظلت هذه الكتابات حبيسة الأدراج، وكانت مجرد رص للكلمات (Johnson, pp. 113-115) وجمع لعبارات غير منظمة، وإضافة العبارات بعضها إلى بعض لتكوين فقرات مبهمة. فمن المهم أن يقنع الكاتب نفسه أنه يعى وعياً كاملاً بهذه الكلمات، ويفهم كيف يرتب هذه العبارات فى فقرة كاملة، تهدف التأثير على الآخرين، وينظم الفقرات تنظيماً منطقياً .فإذا كانت الكتابة تقتصر على جمع الكلمات؛ تحولت الكتابة إلى عمل نفسى شاق، فمنذ اللحظة الأولى التى تعترك فيها المعلومات والأفكار غير المحدودة التى يتصارع معها العقل باستمرار، ثم يخزنها فى الذاكرة، فإن الباحث يختار فقط بعض المفردات الملائمة والمهمة التى تفيده فى التعبير عن أهداف البحث وقضاياه، وهو يربط هذه المفردات مع مفردات أخرى، يصوغها فى كل متماسك مترابط يميز كتاباته عن كتابات الآخرين.

فالكاتب منذ البداية يرتب ويخطط وينظم جزءاً من عالم صغير مجهول، وهو يحاول أن يسيطر سيطرة كاملة على العمليات التى يتفاعل من خلالها مع العالم المحيط به.

وهذا هو السبب الذى يبرر أن الكتابة ، مهما كان نوعها، فعل له مغزاه وأهميته. فالكتابة تعبر عن عملية اتصال مستمر، وطريقة للاتصال اللغوى مع العالم الذى ينتمى إليه الكاتب.ومن ثم فالكتابة أحسن وسيلة لتعليم

الآخرين، وتغيير أفكارهم وأحوالهم.

وفى البداية يبدو أن هذه القضية قد تفصح عن عكسها فإذا كان الباحث غير متمرس فى الكتابة، فإنه قد يشارك الآخرين فى فكرة شائعة مؤداها أن الغرض الوحيد من الكتابة هو التعبير عما يفكر فيه الكاتب أو نقل ما جمعه أو يعرفه من معلومات، ولكن فائدة ما يتعلمه الكاتب يبدأ منذ أن يمسك بالقلم ويسطر أفكاراً منظمة على الورقة؛ وحسب هذه الرؤية فإن مهمة الكاتب هى إعلام القارئ ومباغتته وإثارة إعجابه وإقناعه. واستمالته لافكاره.

فالكاتب المتمرس يعرف قدرته فى كل مرة يكتب فيها على إثارة إعجابه بنفسه، والحوذ على إعجاب وتقدير القراء. ويتحقق إعجاب الكاتب بذاته إذا ما ادرك ان ما يكتبه نتيجة الشعور بالصدمة عندما يتأكد للعقل سقوط ما كان يراه مستقراً وتقليدياً من آراء وأفكار وأنماط سلوك وعلاقات، أوتحطم أفكار متشابهات ورؤى غامضة ،أو احتدام الجدل والحوار حول قضايا اجتماعية. وتأتى بعد مرحلة الشعور بالصدمة مرحلة بناء مجموعة من الحقائق الجديدة، يحاول الكاتب توصيلها الى الآخرين، إلا أن هذه المحاولة قد تصطدم مع بعض الأفكار الراسخة. فالكتابة إذن عملية تحاول أن تركّب وتكّون فهماً جديداً للموضوع محور الدراسة، وتحاول الإجابة على السؤالين التاليين؟

- كيف أعرف وأحددُ ما أفكر فيه؟
- ومتى أشاهد ما أفكر فيه مكتوباً على الورق؟

وهذان السؤالان يطرحهما الجميع. فنحن نضفى معنى على ما نكتب ونشغل أنفسنا باكتشافات قليلة تحدث فى عالم اجتماعى أرحب.

وتساعد الكتابة الواضحة على تعريف القارئ بأشياء كانت مجهولة عنه فى هذا العالم، وإدراك تناقضات وغموض الوجود الإنسانى. وتعبر الكلمات عما يميز موقف الكاتب من هذه التناقضات عن غيره من البشر، كما تعبر عما هو مألوف لدى الكاتب ومقر به من قواعد أساسية.

إن فوائد الكتابة تتحقق فيما تعلمه الكاتب، والسيطرة على ما تعلمه، وقدرة الكاتب على إعلام الآخرين الذين يقرأون له ما يجول فى خاطره من أفكار. فالكاتب لا يكتب لنفسه بل يكتب من أجل الآخر، الذى يود إعلامه بما أبدعه من أفكار وقضايا. ولذا فالسؤال من يقرأ للكاتب؟ أى من يقرأ أبحاث طلاب مرحلة الليسانس، والماجستير والدكتوراه ومن يقرأ أبحاث ما بعد الدكتوراة؟ ومن الذى يجيز المقالات العلمية للنشر فى المجلات المتخصصة ويصدر قراراً بصلاحيتها للنشر؟ أو من الذى يقرأ الرسائل العلمية، ويرضى ضميره الخلقى ويصدر قراراً بصلاحية العمل للمناقشة؟ فجمهور القراء متباين ومختلف . فهناك فرق بين قارئ صحيفة يومية أو قصيدة شعر أو رواية أو رسالة جامعية أو بحث. ففى مرحلة الدراسة الجامعية قد يقرأ عضو هيئة التدريس الأبحاث قراءة جادة ،وقد يقرأ أعضاء لجنة امناقشة الرسالة قراءة موضوعية ، ولكن مجال هؤلاء القراء محدود لا يتجاوز نطاق مجتمع الجامعة.

ولكن عندما ينشر الباحث أبحاثه خارج أسوار الجامعة، فالمتوقع أن يتغير جمهور القراء بل يتسع مجالهم، ويتزايد عددهم. وهؤلاء تفتقد آراؤهم المجاملة، ودائماً ما تكون أحكامهم منزهة عن الهوى. وهؤلاء القراء يؤكدون أن الموضوع المكتوب يعبر عن عملية اتصال بين الكاتب والقراء، أى عملية اتصال بين ما يكتبه (Johnson, pp.23-24) الكاتب من معلومات وأفكار وما يطرحه من قضايا يود توصيلها إلى القراء، بطريقة تتناسب مع معلومات القراء وتحترم تفكيرهم، فالمهمة الأساسية للكاتب أن ينقل إلى القارئ ومضة من حماسة وإعجابه إزاء الموضوع الذى كتب عنه محاولاً إقناعه بما كتب.

فالقراء غير المبالين بالموضوع الذى كتب عنه الكاتب، قد يعدلون آراءهم، وينظرون إليه نظرة جديدة بعد الفراغ من القراءة؛ وقد يتحولون من اللامبالاة إلى التعاطف، أو قد يتحول القارىء من جبهة المؤيدين للموضوع

إلى جبهة المعارضين بعد الانتهاء من القراءة.

ولا جدال فى أن المهمة الأولى أمام الكاتب إقتحام عقل القارئ، وترك معارف جديدة، تفجر أسئلة تحتاج إلى إجابات. وإن لم يفعل الكاتب ذلك فهذا يعنى أن الكاتب لم يؤثر فى القارئ. ولذا فالأصوب أن يتعامل الكاتب مع عقل القارئ قبل القراءة وكأنه صحيفة بيضاء، ويدرك القارئ بعد القراءة أن الكاتب لم يملأ سطور صفحة واحدة بل ملأ صفحات كثيرة. وأنه لأمر مثير للاهتمام والإغراء أن نفكر أنه يتعين حل أغلب مشكلات الكتابة، إذا ما أعاد الكاتب قراءة ما كتبه بوصفه من تأليف كاتب آخر. وأحياناً ما يحجب غرور الكاتب الاتصال بين القارئ والكاتب، وهذا الغرور يعد الحاجز الأكبر أمام اتصاله المناسب بالقراء. فمن الضرورة لكى نزيل هذا الانفصام بين الكاتب وما يكتبه، فَهْم القارئ لما قرأ وأن نضع فى الحُسبان حاجات القارئ.

والحقيقة أن القارئ لا يدرك النتائج والمعلومات التى توصل إليها الباحث إلا فى نهاية البحث، وفى الوقت نفسه فهو يجهل معاناة الباحث للوصول إلى تلك النتائج، ومن ثم فإذا أهمل الباحث كتابة المادة العلمية كتابة محكمة لكى يفهم القارئ المقصود والهدف مما كتب فهماً كاملاً؛ فهذا يعنى أن الكاتب عجز عن الحصول على المعلومة وفهمها فهماً واضحاً. إن عدم فهم القارئ ظاهرة عادية، ولا تعنىٰ غباء القارئ، بقدر ما تعنى أن الكاتب لم يحقق المرجو منه تحقيقاً كاملاً وما يأمله القراء منه. كما لا يجب أن يستخف الكاتب بعقلية القراء ويتهمهم بالغباء وعدم فهم ما كتبه. فالغبى هو من اعتقد أن الآخر غبى.

ونجاح عملية الاتصال بين القارىء والكاتب تحقق هدفين: أولهما القبول من الوسط العلمى والآخر الفهم، فالبحث يُقبل ويُفهم من القارئ المتخصص ولكن ثمة أبحاث تكتب ولا تقبل، وقد تقبل بسبب المجاملة ولكنها لا تفهم، ومصيرها المقبرة «أى وضعها فى رف من رفوف المكتبة».

عملية الكتابة عملية إبداع:

بعد أن يحدد الكاتب موضوع البحث ويفهم أن المقصود بالكتابة توصيل أفكار معينة إلى الآخر، يخطو خطوة إلى الأمام ويفكر فى نوع قضايا المنظور الاجتماعى التي يتعين أن يسطرها على الأوراق، والوقائع التى يتعين جمعها من المجتمع، والتى تؤيد أو تعارض هذا المنظور. كما يفكر فى نوع الدراسة، وهل هى استطلاعية أم تفسيرية. ثم يخطو خطوة ويفكر كيف يحصل على المعلومات، وما الأداة المناسبة لجمع البيانات.

إن اكتشاف الكاتب ما نريد أن نعرفه عن الموضوع الذى يدرسه والجديد الذى يريد إضافته ليس عملاً سهلاً. فالإبداع يشير إلى اكتشاف جديد أو إعادة اكتشاف ما تختزنه الذاكرة من بيانات ومعلومات عن موضوع البحث.

فكل كاتب يحاول أن يرقى إلى مستوى معين من الإبداع الذى يساعده على اكتشاف جوانب معينة من الموضوع الذى يدرسه، أو إلقاء الضوء على نقاط غامضة عن هذا الموضوع. وقد يبدو فى الظاهر أن بعض الباحثين يواجهون مشكلة فى البحث قليلة الأهمية لكن المشكلة الكبرى هى كيف يفيد الباحث مما تخبئه الذاكرة ويخرجه فى شكل جديد؟

وينظر بعض الناس إلى الباحث بوصفه إنساناً «شاطراً»، وأن كتابة البحوث الاجتماعية مسألة «شطارة». وهذه النظرة تتجاهل قواعد كتابة البحوث الاجتماعية. إن الكتابة نشاط يسعى إلى شئ جديد، يظهر قدرات الباحث فى الوصول إلى نتائج لم يسبقه إليها أحد، فالكتابة عمل يتصف بالجدة والأصالة والإبداع والتميز والتفرد، يتطلب قدراً من التخيل يحقق فيه الباحث ذاته ويعبر عن رؤية جديدة وفكر جديد، ويبنى علاقات جديدة بين قضايا اجتماعية.

وأصعب مرحلة من مراحل كتابة البحوث الاجتماعية هى أن نعرف كيف نبدع؟ وكيف نؤصل؟ ونكتب شيئاً جديداً على غير مثال سابق. ولكى

يصل الباحث إلى مرحلة الإبداع عليه أن يعرف كيف يفيد من الوقائع وكيف يستخدم منظورات علم الاجتماع في تحليل المادة الحقلية التى جمعها، وتظهر القدرة علي الإبداع فى عملية تحليل البيانات. وتطلق هذه القدرة على الإبداع وتتأتى بالممارسة والدأب والمثابرة، وقبل ذلك تتكون لدى الطالب من خلال ملاحظات وتوجيهات المشرف الملتزم.

والباحث عندما يدرس الضمان الاجتماعى، قد يستخدم الخيال السوسيولوچى، وقد يلجأ إلى التحليل التاريخى لفهم تاريخ الضمان الاجتماعى فى الريف والمدينة. ولكن يتعين أن يكون لدى الباحث رؤية خلاقة قادرة على الإبداع لاكتشاف معلومات جديدة، ويُحسن تحليل العلاقات بين المعلومات، فالغرض من الكتابة تعويد الطالب على التأصيل ودفع الطالب إلى الإلمام بالمنظورات المختلفة فى علم الاجتماع، وتحسين مستواه فى الكتابة، ليعبر عما يكتبه بأسلوب علم الاجتماع ولغته. وتكشف عملية الإبداع فى الكتابة عن إدراك وبصيرة الباحث بعلم الاجتماع.

والسؤال الذى يطرحه الكاتب المبتدىء دائما، **متى أبدأ الكتابة؟**. والإجابة على هذا السؤال ليست صعبة. فلا يبدأ الباحث الكتابة بعد أن ينتهى من جمع المادة العلمية، سواء بعد ما يفرغ من قراءاته النظرية أو ينتهى من جمع البيانات، بل يبدأ الكتابة عندما تنضج الأفكار فى عقله. وعليه أن ينظم أفكاره، ولا يقتصر على الكتابة الأولى، بل عليه أن يعيد الكتابة ويجود فيها، والكتابة الجيدة عادة ما تقبل من المشرف أو المحكّم، أما الرديئة فترفض. والكتابة الرديئة عادة تعنى الإبهام والغموض، غموض الأفكار والعبارات وعدم الدقة فى طريقة عرض القضايا محور الدراسة وإفتقاد الترابط بينها.

وعندما يكتب الكاتب المبتدئ، لا يبدأ من فراغ، ففى البداية أعد نفسه ليكون باحثاً اجتماعيا، ودرس وقرأ كتابات الأساتذة. وتلك القراءات هى التى تميزه عن كتابات الصحفى المهموم والكاتب السياسى الملتزم، والقصاص– فنجيب

محفوظ أروع وأفضل من وصف واقع الحارة المصرية ولكنه ليس عالم اجتماع مثله مثل القصاص الفرنسى بلزاك.

وبعدما يقرأ الباحث ويتمثل ما يقرأ وقبل أن يكتب، يتساءل كيف أفيد مما قرأت؟ وكيف أستعين بتلك الفقرة أو البيانات التى جمعتها، أو كيف أفيد من دوركيم وأرفض كارل ماركس؟ المسألة ليست حرية اختيار، بل التزام بالقضايا التى يتضمنها المنظور الاجتماعى الذى يقتدى به الباحث، أو الواقع الاجتماعى الذى ينتمى إليه. وقد يجمع الباحث معلومات يدرك عندما يكتب أنها عديمة القيمة وتحجب عنه اختيار المدخل النظرى الملائم. وقد يتساءل الباحث عن الأسئلة التى ينطلق منها، ويحاول الإجابة عليها، ونوع البيانات المطلوبة، وكيف تجمع؟ فهو يختار بين مجموعة من البدائل، وما التحليل الملائم للدراسة؟ هل التحليل الكمى أم الكيفى، أم يجمع بينهما؟ وكيف ينهى البحث؟ ويكتب النتائج؟ وبعد الانتهاء من طرح هذه الأسئلة، وتحديد الخيارات أمامه، عليه أن يحدد الطرق الملائمة لجمع البيانات، ويطرح تساؤلات تربط بين التراث النظرى الذى يعرضه والبيانات الميدانية، فلا انفصام بين ما قرأه من كتابات المنظرين والبيانات التى جمعها. فهو يختار المنظور لأسباب عملية وعلمية. وهو يختبر ويفسر البيانات الميدانية فى ضوء قضايا المنظرين. فآراء وقضايا المنظرين ليست أفكاراً شاذة شاردة سابحة فى الفضاء، بعيدة كل البعد عن الوقائع التى جمعها، بل تكمل وتدعم البيانات الميدانية أو تفندها وتكون معها بناءً منطقياً متكاملاً ومنظماً. وهو يلم ويتعمق فى دراسة المنظور الاجتماعى ليفيد منه فى التحليل والتفسير. كما أن النص أو العبارة التى يفيد بها ومنها، لا يخطفها خطفاً ويقحمها فى التحليل لتبدو غريبة، فالتعمق فى دراسة النظرية أمر مهم، أما جمع القشور والحصول على قضايا مبعثرة من كتابات من الدرجة الثانية والدراسة السريعة السطحية لقضايا المنظورات المختلفة واقتباس فقرة من هنا وفقرة من هناك بلا رابط بينهما كالجمع بين آراء الماركسيين والبنائيين والتلفيق بينهما،

فأمر بعيد عن مهام الباحث العلمى ويشوه البحث ومن الضرورى للباحث أن يعرف لمن يقرأ؟، ومن يتعمق فى دراسته؟ وَمَنْ مِنْ علماء الاجتماع يفيده فى كتابة بحثه؟

والطريق الوحيدة لإثبات الإصالة أن تربط أفكار المنظرين بالواقع الاجتماعى والبرهان على أن الوقائع الاجتماعية تفند هذه الأفكار أو تؤيدها أو تعدلها، وهذا الجهد يساعد الباحث على تأكيد أصالة ما يكتبه وأنه لا يكرر غيره، ولا يعيد أعمال الآخرين.

وإذا كان الباحث يفيد من قضايا جيل رواد علم الاجتماع أمثال فيبر أو دوركايم وماركس أو من علماء علم الاجتماع المحدثين أمثال بارسونز أو بلاو أو منظرى التفاعلية الرمزية أو منظرى الماركسية البنيوية أو ما بعد البنيوية أو ما بعد الحداثة أو لوكاش أو هابرماس. أو يستفيد من شراح هؤلاء المنظرين، فمن المهم أن تحدد الموضوعات الحقيقية الجديرة بالدراسة عند علماء الاجتماع، واستخدام مفهومات كل منظر عند الكتابة، وتجنب الأفكار الشائعة بين العامة، أثناء التحليل والتفسير.

والباحث الاجتماعى مثله مثل أى باحث إنسان يلتزم بالمعايير الأخلاقية عند الكتابة، وهذه المعايير لم يبطلها ولم ينكرها الوضعيون أو الماركسيون أو منظرو التفاعلية الرمزية. ومن المهم أن نحترم عملنا، ولا يتحقق ذلك إلا بتحقق الأمانة العلمية، وتنقية أعمالنا من الشوائب، واختيار المراجع العلمية محل تقدير الوسط العلمى. وإذا كان مقبولاً ومسموحاً لطالب مرحلة الليسانس الاستفادة من كتب الشراح وما كتب من كتب مدرسية داخل أسوار الكلية؛ فالأمر غير ذلك فى مرحلة إعداد الدكتوراة وما بعدها؛ فهذا الطالب ملزم بقراءة كتابات ومؤلفات علماء الاجتماع باللغة التى كتبت بها والاطلاع على كتابات الأساتذة الأفاضل الذين ينشرون كتاباتهم فى دور نشر تنال احترام القراء. والطالب الجاد الذى استوعب ما قرأ لا يخلط بين قضايا

المنظرين فلا ينسب دوره الصفوة إلى رايت ميلز. ويميز بين الصراع عند ماركس وكوزر؛ ومفهوم السلطة عند ماركس وفيبر ودارندورف، مثلما يميز بين قضايا النظرية البنائية الوظيفية، وقضايا نظرية الفعل الاجتماعى ويفرق بين البنائية المحدثة والبنائية العضوية، أو الحداثة وما بعد الحداثة. ولكن الأمر لا يقتصر على استيعاب هذه المنظورات، ومعرفة الفروق بينها بل كيف يفيد من هذه الأعمال عندما يكتب بحثه وألا يكرر ما كتبه الآخرون، عليه أن يضيف جديداً إلى جهد الآخرين، وأن يعرف أن الدراسات الإنسانية عمل متراكم، وعليه أن يتساءل هل قضايا هذه المنظورات تتلاءم مع الواقع الاجتماعى والسياسى فى بلده. ولم يولد بعد الباحث الذى يبدأ من فراغ؛ أو العالم الذى صاغ نظرية بأكملها من الألف إلى الياء! فالجيل المعاصر يعتمد على كتابات الرواد السابقين ويمهد المناخ الفكرى للجيل القادم من الباحثين.

والباحث الاجتماعى ،عندما يكتب، يعتقد أنه الشخص الأفضل لإقناع الآخرين بالقضايا التى يطرحها، وأنه لا يكتب إلا ما هو مقنع وأصيل ويتواصل مع قضايا العلم الاجتماعى.وهذا الباحث يدرك الفرق بين عقم الأفكار وعمقها، مثلما يدرك افتقاد الصلة بين الوضوح والسطحية كما يدرك أن استخدام الكلمات المبهمة يعنى أن الأفكار غير واضحة فى ذهن الكاتب.

والكتابة العلمية فى أمور المجتمع عمل منظم تعبر عن استجابة الكاتب لما يحدث فى البيئة الاجتماعية والضغوط التى تؤثر عليها، وهى تعبير عن إعمال فكر منظم متناسق يتبصر فى أحوال المجتمع الذى يعيش فيه الباحث، أو قام بزيارته من أجل الدراسة وبقصد وصف وفهم وتفسير العلاقات الاجتماعية فى مواقف التفاعل الاجتماعى.

والكاتب المتميز هو من يجيد الكتابة الواضحة، القادر على التعبير بلا خوف. إذ لو تملكه الخوف من الكتابة، فلن يجد فرصة التعبير عن أفكاره، مهما كانت قيّمة.

طرق الكتابة :

وهناك طرق عديدة للبدء فى الكتابة وترتيب الأفكار وتنظيم المادة العلمية، وهناك من يرى البدء من أكثر عناصر الموضوع سهولة أى يبدأ من الجزء الذى يرى أنه أكثر سهولة، وألا يبدأ كتابة أصعب الأجزاء، وعليه أن يتمهل فى الكتابة. وهناك من يرى البدء من كتابة المقدمة وهناك من يرى تأخير كتابة المقدمة؛ وأياً كانت طرق الكتابة، فالميزة الكبرى لها هى تحول العمل الذهنى الصعب وما يعترك من أفكار إلى عمل فيزيقى وهذا هو الجزء السهل فى عملية الكتابة، وتحقيق الانسجام بين حركة اليد التى تمسك بالقلم والعقل وما يعترك داخله من أفكار.

والكاتب قبل أن يكتب عليه أن يدون ملاحظاته على ما جمعه من قضايا اجتماعية فى بطاقات ولا يهمل أية فكرة كتبها ويصنف الأفكار حسب عناصر الموضوع؛ ويمعن فيها عقله ويتعايش مع القضايا الاجتماعية التى يقرأها أو البيانات الميدانية التى يجمعها.

فالباحث أثناء الكتابة لا يوقف عقله الباطن عن التفكير، ويسعى للربط بين الأفكار والقضايا، وقد تدفعه مخيلته الاجتماعية إلى التنقيب عن معلومات جديدة أو المقارنة بما قرأ فى الكتب وما جمع من البيانات الميدانية. وهذا الجهد، وتلك القدرة التى تميز العقل الباطن قد لا يدركها الباحث فى بداية البحث، ولكن قد يكشفها عندما تبدأ رحلة نضج المعلومات والأفكار.

وعندما يسطر الباحث أفكاره على الورق، فمن الأهمية أن تكون الأفكار واضحة، وألا يكثر فى الإطناب، ويهتم باستخدام الأفكار والعبارات الدالة الواضحة ويتأكد من ثراء المعلومات التى يستعين بها وغزارتها. ويتميز الكاتب المبدع بالقدرة على الربط بين البيانات وتمحيصها، والقدرة على التخيل والتفسير، وإيضاح الصلة المنطقية بين القضايا كلها والربط بين

المقدمات والنتائج، فالقدرة على تنظيم المعلومات وترتيبها معياران مهمان لكل كتابة جيدة.

ومن الأهمية تجنب الكلمات الغامضة أو البراقة التى تفتقد المعنى الاجتماعى وتجنب استخدام الجمل الطويلة؛ إذ أن كتابة العبارات القصيرة الواضحة تدل على المعنى الحقيقى المقصود، وتعكس ما يشعر به الكاتب ويؤمن به.

والكاتب المتمكن من الكتابة، يتقن قواعد اللغة ويختار الكلمات المحددة المعنى، ويستخدم لغة العلم الاجتماعى، ويصيغ العبارات صياغة واضحة ، ويعرض أفكاره وقضاياه عرضاً منطقياً. أما إغراق الكاتب للقارئ فى بئر راكد من المعلومات الآسنة والكلمات الغامضة، ثم تركه بين قضايا متلاطمة، فيعني أن الكاتب لا يعى ما يكتب.

والأسلوب هو صوت الكاتب إلى القارىء. فهو الصوت الذى يتحدث به عما يعرفه الى القارئ (Becker,p. 36). والكاتب إنسان مسؤول، والكتابة مسؤولية، لها تأثيرها الإيجابى والسلبى على القارئ. فالكاتب عندما يكتب لا يكتب أفكاراً مبهمة عديمة الجدوى، ولا يعرض قضايا مألوفة شائعة، إذ تعكس الكتابة عادة شخصية الكاتب، وهو لا يكتب لنفسه، بل يكتب لمن يقرأ له سواء بإرادته أم مجبراً.

والكاتب عندما يكتب ينتمى إلى مدرسة اجتماعية يقتدى بقضاياها، ويتوحد أفكارها، ويؤكد هذا الانتماء المجالات التى يدرسها، والآراء التى يطرحها، والمفهومات التى يستخدمها والتى تختلف عادة عن مفهومات مدراس اجتماعية أخرى، وعليه أن يميز بين مفهومات كل مدرسة ولا يخلط بينها، إذ أن مفهوم كل منظور له دلالته ومعناه عند من صاغه.

٨- قواعد الكتابة:

ومن قواعد الكتابة أن يكتب الكاتب أسماء الأعلام كتابة صحيحة، فلا يخلط بين أحمد الخشاب ومصطفى الخشاب أو ينسب كتابات أحمد أبو زيد إلى محمود أبو زيد أو يخلط بين محمد الجوهرى وعبد الهادى الجوهرى أو بين سامية الساعاتى وسامية جابر وسامية الخشاب وسامية فهمى، كما أن علياء شكرى غير علية حسين.

وثمة نقطة أساسية يتعين توضيحها لطلاب البحث العلمى، مؤداها أنه لم يولد الشخص الذى يكتب كتابة جيدة من المرة الأولى، فتعلم الكتابة عملية مستمرة تتأثر بتجارب كثيرة، ولا يدرك الباحث أن الكتابة مسألة خطيرة وأن كل ما يكتبه قد يرفض، إلا عندما يواجه موقف إجازة بحث للحصول على درجة علمية أو نشر مقال فى مجلة محكمة ، إذ قد يعاد له البحث من المشرف، أو يرد المقال من المجلة لغموض الأسلوب أو كثرة الأخطاء الإملائية، أو عدم ترابط الأفكار أو تناقض القضايا، أو الجهل بقواعد التوثيق، أو يرفق بالبحث العائد تعليق ساخر يتهكم من كاتبه.

والحقيقة فالكاتب المبتدئ قد يجد صعوبة عادة فى كتابة ما يقصده، وتتأتى هذه الصعوبة من كونه لا يعرف كيف ينظم أفكاره، وكيف يرتب الفقرات، وكيف يلتزم بقواعد اللغة وكيف يتجنب أخطاء الإملاء والنحو.

ويتعلم الطالب المثابر أثناء قراءة المجلات العلمية والكتب القيمة المتخصصة كيف يُجَوِّد وكيف يتقن عمله، وكيف ولماذا يلم بمنظورات علم الإجتماع؟كما يتعلم الطالب ضرورة تسطير كلمات قوية الدلالة، ذات هدف، ولها معنى، ويعرف الذى تعبر عنه بالكلمات، ويتعلم أن تغيير الكلمة أو تبديل موضعها فى الجملة، قد يخل ببناء الجملة، ويضللنا عن المعنى المقصود، ويتعلم أهمية تناسق العبارات، وأن الجملة بناء منطقى. مثلما أن الجمل كلها تشييد منطقى، لا تسبق إحداها الأخرى، فالبحث بناء متكامل

تتواصل قضاياه، فالقضية الأولى تمهد للقضية الثانية، والقضية الثانية تستند على القضية الأولى وتمهد للثالثة، والثالثة تستند على الثانية وتمهد للرابعة، فالقضايا والموضوعات كلها مترابطة ومتكاملة.

ويُدَرَّب طالب البحث على أن موضوع البحث يقسم إلى عناصر وأن كل عنصر يقسم الى عناصر فرعية. ويشغل هذا العنصر حيزاً لا يتجاوزه. ومشكلة الطالب العربى فى مرحلة الدراسات العليا الذى يدرس العلوم السلوكية ويقرأ الكتب الأجنبية أنه يفكّر بعقل العربى، ويقلد الكُتّاب الأجانب فى طريقة الكتابة نتيجة تأثره باللغة التى يقرأ بها. وقد يجد الباحث المبتدئ أن الكتابة عملية ذهنية مرهقة، بينما يجدها باحث آخر عملية ممتعة. وهذا الباحث عندما يكتب كتابات اجتماعية علمية، هو مواطن منتمى إلى بلده، قد يتبنى نظرية اجتماعية كبرى، وقد يعارض نظرية أخرى ويرفضها، مثلما يخالف اتجاه معين ينسب إلى النظرية التى يدافع عنها. وقد يهتم بالدراسات الوصفية الاستطلاعية بدلاً من الدراسات التفسيرية، وعادة لا يستطيع الباحث المنتمى أن يهرب من المناخ الاجتماعى والثقافى الذى يحيط به.

معايير الحكم على طريقه كتابة الأبحاث:

ولا شك أن عيوب الكتابة فى أى مجال من مجالات المعرفة مشتركة، وثمة معايير متفق عليها للحكم على مستوى الأبحاث أهمها:

١- مدى القدرة على تنظيم الأفكار وترتيب الأفكار وارتباط المقدمات بالنتائج وقلة عدد الأخطاء.

٢- ثراء أو عقم المعلومات ومدى المعرفة أو الجهل بأهم المنظورات.

٣- مدى الالتزام بقواعد الكتابة.

٤- مدى الإلمام بالدراسات السابقة المرتبطة بالموضوع، والدراية بالمقالات والمطبوعات التى صدرت حول موضوع البحث ومدى القدرة على الاستفادة منها، وأمانة التوثيق. والالتزام باخلاق البحث العلمى.

فالكتابة ليست مجرد تسطير كلمات يسرع القلم فى تسطيرها أو كلمات لا رابط بينها ينطق بها اللسان ينبغى تسجيلها فوق الورق. فالكتابة علم وفن؛ علم له قواعده، وفن يصقل بالممارسة ويتكشف الكاتب أثناء ممارسة الكتابة المعلومات الزائفة. ويتبين له أن صياغة بعض الجمل خاصة الجمل الطويلة المعقدة تحتاج إلى مراجعة. ويتعود الكاتب من خلال الممارسة كتابة الجمل القصيرة. كما يتجنب استخدام الكلمات الطنانة والمبهمة، ويعرف أهمية الاستشهاد بالمثال ليخفف من جفاف النظريات المجردة، كما يدرك من الممارسة أن هذه الأمثلة أكثر إفادة وأكثر أهمية من عرض النظرية عرضاً موجزاً (Becker, p. 106) وبتكرار الممارسة يتعلم الكاتب فن الكتابة، وتتضح الفروق بين الكُتّاب، ويدرك أن ما تلقاه فى حصص التعبير والإنشاء لا يصنع كاتباً جيداً.

والكاتب الماهر لا يترك للقارئ أدنى فرصة لطرح الأسئلة التالية أثناء قراءة العمل. كيف حدث ذلك؟ ولماذا حدث ذلك؟ وكم؟ومتى؟ إذ يجب أن يجيب عليها الكاتب إجابة محددة وصريحة محكمة، ولا يترك القارئ يبحث عن إجابة عنها أو يجيب عليها، أو يتركه حائراً يطرح هذه الأسئلة ويرجع خائباً لصعوبة الإجابة عليها.

ولكن للكتابة شروطاً ومظاهر تتصل بطريقة إخراج البحث أو اعداد التقرير، أهمها : ترك مسافات بين السطور؛ وترك مسافات بين الفقرات، وترك مسافات للهوامش بين جانبى الصفحة وأعلى وأسفل الصفحة. وهناك قواعد لكتابة الحواشى وترقيمها. وتوضح هذه الأرقام فى أسفل الصفحة وفى نهاية العمل، وأيضاً يكتب بداية كل جزء- أى يكتب كل فصل من فصول الكتاب أو الرسالة- من أجزاء العمل فى صفحة جديدة. وهناك قواعد لكتابة العناوين الرئيسية والعناوين الفرعية. أيضاً، هناك شروط لكتابة الجداول التى قد توضع فى المتن أو تعرض فى نهاية البحث.

ولكن هناك مشكلات تواجه الكاتب المبتدئ :

والكاتب المبتدئ عندما يكتب يواجه كثيراً من المشكلات (Becker, p. 164)، ولا يوجد خبير متمرس يستطيع أن يحل كل مشكلات الكُتاب المبتدئين، فبعضها مشكلات تخص الكاتب وحده ويستطيع أن يتغلب عليها وهذه المشكلات نوعان:

(١) والمشكلة العامة الأولى ترتبط بمعرفة متى يبدأ الكاتب كتابة الرسالة أو البحث، ويدرك أنه وصل إلى مرحلة نضج المعلومات وعليه أن يمسك بالقلم ليكتب بعد أن استوفى مرحلة جمع المعلومات النظرية واستيعابها، ومرحلة جمع البيانات.

وبعد الوصول إلى مرحلة الشعور بنضج الأفكار، وقبل أن يبدأ الكاتب فى تسيطر أفكاره، عليه أن يدرك أنه لن يبلغ الكمال فى أول مرة يسطر فيها أفكاره، ففى الكتابة الأولى، عليه أن يسطر كل شئ فوق الأوراق، وعليه ألا ينزعج مما يكتب، إذ يستطيع أن ينساه أو يمزقه، وأن يضعه جانباً عندما يعيد قراءته، أو يبدل فيه. فإعادة قراءة ما كتب أمر مهم، ولكن تكرار الكتابة أهم، وإذا كان تكرار الكتابة يزيل رهبة الكتابة، فإنه يعنى فى الوقت نفسه إتقان العمل وتخليده.

(٢) المشكلة الثانية عدم تقبل انتقادات الآخرين، وهذا أمر ضرورى وقد يكون النقد مخيفاً، ومحبطاً فى البداية، ولكن نتائج النقد على المدى الطويل طيبة.

والحقيقة أن مشكلات الكتابة التى يعانيها أغلب الباحثين العرب ليست من صنع الكاتب وليست نتيجة أخطاء شخصية، بل محصلة أخطاء صنعها المناخ الحالى داخل جدران معاهد التعليم، وإن عجز الباحث عن الكتابة فلا يلوم إلا نفسه، إذ أنه يستطيع بإرادته قهر تلك الصعوبات لو داوم على التعلم.

(٣) المشكلة العامة الثالثة عدم القدرة على التمييز بين كتابة بحث علمى والإجابة على أسئلة الامتحانات، فالبحث العلمى يتطلب الإبداع والمثابرة، أما أسئلة الامتحانات فى مجتمعنا فتعتمد على الحفظ والتلقين.

(٤) أما مشكلة المشاكل والأكثر مرارة فتنحصر فى نقص المحصول اللغوى عند بعض الباحثين الشبان. وبعضهم يجهل أسماء المجلات المتخصصة التى قد تساعده فى بحثه وإثراء كتاباته، كما يجهل أيضاً كتابات رواد العلم على المستوى المحلى أو العالمى مثلما يجهل آخر ما آخرجته المطابع من مقالات أو كتب. واقتصر التكوين العلمى لباحثين كثيرين على قراءاتهم للكتاب الجامعى المقرر عليهم والذى يدرسه لهم أستاذهم داخل الكلية، ولا يقرءون لغيره. فهم أصبحوا باحثين والتحقوا بمراكز البحوث لكونهم حصلوا على أعلى الدرجات لقدرتهم على الحفظ لا لكونهم مبدعين ومتميزين.

أهم مشكلات الكتابة فى مجال الدراسة الاجتماعية :

(١) عدم معرفة الباحث الوحدات أو العناصر التى ينقسم إليها الموضوع منذ البداية، وعدم السعى إلى ذلك أى إلى تقسيم الموضوع المعقد إلى عناصره البسيطة ثم تناول كل عنصر علي حده لكى يمكن إنجاز البحث إنجازاً سليماً والوصول إلى نتائج هامة.

(٢) لا يكّون الباحث فكرة واضحة كاملة عن الطرق البديلة التى يتعين عليه أن يلجأ إليها، لو تعثرت الطريقة التى انطلق منها.

(٣) لا يعرف أنه يتعين عليه المضاهاة ومناقشة آراء المنظرين المنتمين إلى المدارس الاجتماعية المختلفة.

(٤) الجهل بأن الخطوة الأولى فى البحث تقود حتماً إلى الثانية ثم الثالثة، وأن كل فكرة ترتبط بعلاقة مع الأفكار الأخرى.

ومن الصعوبات التى تواجه الكاتب، الكتابة فى موضوع يكرهه أو يجهله، إذ كيف يكتب عن الرفاهية الاجتماعية، وهو يجهل البيانات التى تبين طريقة تحقيق الرفاهية الاجتماعية فى مجتمعه. ومن ثم قد يتردد فى الكتابة لاعتقاده أن ما يكتبه لا فائدة منه.

(٥) ومن أسوأ الأخطاء التى يقع فيها الكاتب غير المدرب، عدم إدراكه مسئوليته عما يكتب أو إخفاقه فى إقناع القارئ بالموضوع الذى يكتب فيه وغلبة الحماس المفرط أثناء الكتابة على البيانات الموضوعية. وكان الكاتب ضجراً غير مقتنع ومتبرماً مما يكتبه، فما بال القارئ بهذه الكتابات.

إن أسوأ شئ يواجهه الكاتب ويصطدم به، أن ينسى عناصر الموضوع التى تشغل فكره، وألا يرتب هذه العناصر ويجهل ماذا يريد أن يكتب؟ والأسوأ من النسيان أن يفقد البطاقات التى دون عليها ما جمعه من معلومات وبيانات، «فالكتابة عمل يتطلب الإتقان» (محمد العدنانى ، ص٦-٧).

وثمة شرطان ضروريان لاستمرار الكتابة: هما تحدى النفس بالمثابرة، والتفكير فيما يكتب من أجل إنجاز عمل متكامل يرضى عنه، لا إنجاز عمل مفروض عليه. وفى بداية البحث قد تكون الأفكار متناثرة ولكنها تتحول إلى ما يشبه الجواهر النفيسة فى نهايته لو حاول أن يعقد ويربط بين ما جمعه ويعمل فيه فكره، ويكشف مهاراته وقدراته على الإبداع.

ولنتعلم من نجيب محفوظ كيف يخزن المعلومات. قال الرجل فى باب «وجهة نظر» «فى زمن بعيد كانت تزدحم في رأسى الأفكار، وكنت أخشى ألا أجدها حين أود الكتابة»، «لذا كان يحتفظ بكراسة يكتب فيها ما يعن له من أفكار. وكان يعود إلى هذه الكراسة دوما».(جريدة الأهرام ١١-يناير ٢٠٠١).

فعلى الكاتب أن يتعلم كيف يوضح العلاقات بين القضايا التى يطرحها والبيانات التى جمعها، ويعمل عقله ليفهم البيانات فهماً كاملاً، ويقارن بينها ليعرف كيف يفسرها، قبل أن يكتب سطراً، ومن المهم أن يقرأها أكثر من مرة، ويدون التعليقات، وعندما تتضح الفكرة يمسك القلم، ويسطر أفكاره لكى لا ينسى ويتعين ألا يكتب الكاتب معلومات مكررة أو سطحية أو متناقضة أو مفككة أو مثيرة للشك.

وثمة فرق بين طالب يكتب على مستوى المرحلة الجامعية الأولى، وطالب يسعى للحصول على درجة الدكتوراه أو باحث يعد بحثاً لما بعد مرحلة الدكتوراه. فالأول يكفيه أن يعرف الطرق الصحيحة للحصول على المعلومات وتوثيقها، أما الآخرون، فالأمر مغاير بالنسبة لهم. فالباحث فيما بعد الجامعه ليس جامعاً للبيانات بل يعرف كيف يميز بين الغث والثمين، وكيف يقارن وكيف يفسر وكيف يصل إلى نتائج جديدة. ويعرف ان التحليل الاجتماعى العلمى يتطلب الإلمام بمنظورات علم الاجتماع ويعرف كيفية استخدامها فى التحليل، ويعرف ما المنظور الملائم الذى يستخدمه ويفيده فى تحليل الظاهرة التى يدرسها ويتعلم الباحث كيفية تطبيق الأسلوب الإحصائى الذى يفيده أكثر.

وعلى هذا الدرب يسيرُ الباحث المبتدئ، فيدوِّن كل ما يعترك فى ذهنه من أفكار أثناء كتابة البحث خشية ألا يجدها عندما يجلس ليكتب، وإذا ما حدد الباحث عناصر الموضوع، ووجد أنها متباعدة وتمتد من العام إلى الخاص، ويبدو أنها تفتقد الصلة فيما بينها، فعليه أن ينظم ويرتب العناصر، حتى تبدو مترابطة في رباط منطقى.

ويعتمد الكاتب الأمين الذى يكتب كتابة علمية على التوثيق والتبرير لما ينقل ويقتبس، فعلى الكاتب أن يبرر عند كتابه البحث ماذا يدرس ولماذا يدرسه وكيف يصف الظاهرة، وكيف يفسرها، وماذا يفاد من البحث وماذا

أخذ من الآخرين؟

إن ما يجعل الكتابة العلمية عملية مميزة كونها تقوم على مبدأ تراكم العلم، وتراكم المعرفة، وإعلام الآخرين بما يكتب وإذا كان عالم المال والاقتصاد يؤكد على أن العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة، ولكن فى هذا الزمان قد تنجح الكتابات الرديئة التى تتصف بالتسيب المنهجى والتزييف العلمى فى حجب الكتابات الجيدة عن التداول والخلود.

وهناك مجموعة من النصائح يهمس بها إلى الكاتب المبتدئ أهمها:

١- ألا يبدأ الكتابة والافكار لم تتضح وتنضج بعد، ولم تتبلور فى الذهن.

٢- الرغبة الذاتية فى تقديم معلومات واضحة محددة جديدة تفيد البحث العلمى.

٣- ضرورة تعلم قواعد اللغة التى تكتب بها، ومعرفة الأخطاء وتجنبها.

٤- الاستمتاع بالكتابة وأن يكون الهدف من الكتابة إسعاد القارئ بما يقرأ . (Day. p. xii)

تحديد أهداف كتابة البحث الاجتماعى:

تهدف أغلب الكتابات إعلام وإخبار القارئ بمعلومة جديدة وإقناعه بها. أما أهداف وأغراض كتابة البحوث الإجتماعية فتختلف، فالهدف من الكتابة الإخبارية نقل معلومة عن موضوع معين إلى القارئ، بينما الهدف من الكتابة الإقناعية هو إقناع القارئ بوجهة نظر محددة أو قضية معنية، لكن التمييزات بين الكتابة التفسيرية والكتابة الإقناعية ليست صعبة وليست محكمة وليست واضحة، ولكن أغلب كتابات علم الاجتماع تجمع بين الكتابات التفسيرية أو الإقناعية. بيد أن الكتابات الحقيقية المؤثرة كانت إما كتابات تفسيرية وإما إقناعية. وعندما يبدأ الباحث كتاباته، فعليه أن يميز تمييزاً دقيقاً واعياً بين الكتابة الإخبارية التفسيرية والكتابة الإقناعية، ثم

يخطو خطوة ويعرض عرضاً منطقياً منظماً خطوات تحقيق الهدف من البحث ولنفرض أن الباحث يبحث في الموضوع التالي:-

«كيف تؤثر الاتجاهات الوالدية على المسار التعليمى للأبناء واختياراتهم المهنية» فإذا كان الباحث يكتب بحثاً إخبارياً تفسيرياً فإن مهمته تبدو فى وصف اتجاهات الوالدين واختيارات الأبناء بطريقة منظمة مترابطة منطقياً وغير متحيزة، وتحديد الأسباب التي تحدد وتشكل اتجاهات الآباء واختيارات الأبناء.

أما إذا كان يكتب ليقنع القارئ بأن اتجاهات الوالدين لا تؤثر فى اختيارات الأبناء إلا تأثيراً ضعيفاً أو لاتؤثر البتة، فإنه يكتب ليقنع القارئ برأيه ومن ثم يصبح هدف هذا الباحث مغايراً عن هدف الباحث الأول الذى يحاول أن يفسر الاتجاهات السلبية والإيجابية للوالدين، إذ تسعى الكتابة الإقناعية التأثير على جمهور القراء إزاء موضوع معين أو قضية معينة (مثلما يكتب فهمى هويدى أو إبراهيم نافع فى جريدة الأهرام أو إبراهيم سعدة في جريدة الأخبار أو فريدة النقاش فى جريدة الأهالى).

ولكن الكتابة فى الصحف اليومية لها طابع خاص إذ تجمع بين الكتابة الإخبارية والكتابة الإقناعية، أما كتابة البحث فأمرها يختلف- إذ يتطلب الأمر من الباحث تحليل مواقف سياسية واجتماعية واقتصادية، أو تقييم برامج الحكومة أو تفسير الإتجاهات السياسية الاجتماعية تفسيراً نقدياً، أو دراسة المشكلات الإجتماعية السائدة دراسة علمية؛ أو وصف المشكلات الاجتماعية السائدة فى المدينة أو القرية أو المصنع أو المدرسة. ويحاول الباحث الإيحاء بحلول معينة مستنداً على البيانات التي جمعها والتنبؤ بنتائج مستقبلية.ولذا فمن الأهمية القصوى قضاء وقت فى تحديد أهداف البحث- وهذا الهدف هو الذى سيملي طريقة الكتابة ونوعها، ويتعين علي الباحث تحديد النقاط التى يريد التقصى عنها، والبرهان عليها. وإذا ما طلب من

الباحث أن يحدد موضوع دراسته، فينبغي أن يكون قادراً على تقديم إجابات مقنعة دون تردد أو تأخير، ومن جهة أخرى إذا ما تجنب الباحث إعطاء إجابة مقنعة عن موضوع الدراسة، لصعوبة تحديد فكرة واضحة عن هدف البحث كما يختمر فى الذهن؛ فهذا يعنى أن الباحث لم يصل بعد إلى مرحلة الإقدام على كتابة البحث. وعلى سبيل المثال فقد يوجه السؤال التالى إلى باحثين كل منهما لديه طريقة مغايرة عن هذه المهمة:-

ما النقاط التى ترغب بحثها فى نظام التعليم؟

والباحث المثالى المتمكن لديه فكرة واضحة عن مهمته. والباحث الاول يعرف أن موضوع البحث هو إصلاح النظام التعليمى ولكنه لا يعرف شيئاً عن كيفية إصلاح التعليم وهذا يعنى أنه يتعين عليه أن يكتب مسودة ليسطر فى كل صفحة ما يعرف عن الموضوع الذى يدرسه.

أما الباحث الآخر فلديه فكرة واضحة عن مهمته وعن موضوع البحث.

وتتضح مهارات الباحث فيما يكتبه بين دفتى المؤلف الذى سطر كلماته، وتظهر هذه المهارات بوصفه واصفاً وشارحاً ومفسراً للمعلومات والبيانات وبوصفه إنساناً يرتب وينظم الوقائع والقضايا التي تعكس آراء المنظرين. والكاتب الواضح إنسان قارئ فاهم لما يقرأ. والحقيقة أن أكثر علماء الاجتماع المعاصرين المشهورين هم الذين امتلكوا مهارة البحث الاجتماعى. وقاموا بإجراء بحوث اجتماعية خالدة. ولكن ثمة فرقا بين باحث مارس البحث الاجتماعى سنوات طويلة وآخر مبتدئ إذ يشعر الباحث الاجتماعى المبتدئ بالتردد قبل أن يخطو الخطوة الأولى، ويساهم فى تنفيذ بحث اجتماعى ومع ذلك فإجراء البحث الاجتماعى عمل يسير. يتكون من مجموعة من الخطوات المتشابكة تنعكس كلها على عملية الكتابة، ولا ريب أن أكثر من نصف البحوث الاجتماعية يبدأ من فكرة أصيلة، تنبثق من هدف الباحث

الرئيسى، ثم يبرهن على صدقها أو كذبها باستخدام البراهين المنطقية والاختبارات الإحصائية. وفى البداية قد يدرس الباحث موضوعاً جديداً، لم تسبق دراسته من قبل، وهذا يعني أنه يتعين على الباحث اكتشاف كل القضايا النظرية والبيانات الجديدة التى تلقى الضوء على الموضوع، وتزيل غموضه، وأثناء ذلك العمل، يتعلم الباحث ويكتسب خبرات جديدة، وقد يشعر الباحث المبتدئ فى الفترة الأولى من إعداد البحث، بالدوار والإحباط نتيجة المطالب الأساسية التى يفرضها البحث، أو ما تطالب به السلطة التنفيذية التى قد تحجب عنه البيانات ولا توفرها له.

وفى بداية البحث، تبدو صعوبة سيطرة الباحث على كل المهام الأساسية التى يتعين أن يقوم بها لإعداد بحث متميز، وإذا ما اعتقد الباحث أن كل جهده وأن كل ما ينجزه لا يعدوكونه جمع البيانات ولصقها بجانب ما كتبه الآخرون، فيمكن أن تقول أنه يقوم بدور يشبه دور حائك الملابس غير المدرب وغير الفنان، ولكن دور الباحث يغاير دور الحائك، وثمة تباين بين باحث مقلد جامع للبيانات، وباحث مبدع، يكتشف أصالة المعلومات وقيمتها ويوفق بينها، ويخرج لنا المعلومات الجديدة، ويفرز لنا فكراً جديداً أصيلاً. ويصيغ قضايا كانت مجهولة أمام الآخرين.

ويواجه الباحث فى بداية البحث عادة عدداً من القضايا غير الواضحة والمعلومات المبهمة، وهذا يعنى ضرورة بذل جهد لإزالة الغموض. فالمطلوب من الباحث أن يتعمق فى الموضوع الذى يدرسه، ويكشف العلاقات بين عناصره ليبرهن على صدق أو كذب القضية ليصل إلى الحقيقة. فالمطلوب من الباحث أن يحدد مقياسا للسيطرة على عملية البحث لإنجازه، إذا كان يريد أن ينجز عملاً منتظماً متكاملاً وأن يفتح عقله لكل الأفكار الجديدة.

ولذا سنعرض بعض الآراء الأساسية لتنظيم عملية كتابة البحث:

١- على الباحث أن يفهم أن مهمته فهم وتفسير الموضوع الذي يدرسه، وأن إخفاقه فى تحقيق هذه المهمة أمر سهل، إذا لم يقرأ أهداف البحث ويستوعبها. وعلى الباحث أن يضع فى الاعتبار الوقت الكبير والجهد الذي بذل فى إنجاز البحث؛ ويتعين عليه أن يكوّن فكرة واضحة عن أهداف البحث، ويفهم فهماً واضحاً لا لبس فيه خطة البحث والمهام المطلوبة منه، وعليه أن يسترشد بآراء المشرف فى كل خطوة وكل قضية غامضة يواجهها، بعد أن يفكر فيها، ولا يترك المشرف يفكر بدلاً منه، إن كان يريد أن يتعلم بالممارسة.

٢- تنظيم الموضوع : قد يجد الباحث نفسه أمام كومة من المعلومات غير المنظمة ولكنها وفيرة. وهذه الوفرة وأن كانت تغرى الباحث فى البداية، فإنها قد تشتت جهوده ، إن لم يجد حبلاً يعصمه من الغرق، تجسده شخصية المشرف، وقدرة الباحث على التنظيم والترتيب. وبعد تنظيم عناصر الموضوع تأتى مرحلة تنظيم الوقت اللازم لإنجاز البحث. وللباحث كل الحرية فى تحديد موضوع البحث؛ فالباحث الذى يختار بارادته دراسة المشكلات الاجتماعية التى تواجه المصريين فى بلدان المهجر أو يتقصى معوقات التنمية فى الريف المصرى، أو يملى عليه موضوع معين أو يشترك فى دراسة مشكلة ما عليه بعد تحديد الموضوع أن يقسمه إلى العناصر التى يتكون منها؛ ويفهم كل عنصر، ويحدد أهميته، ويرتب هذه العناصر ثم يخطو خطوات تصميم البحث.

٣- التحقق من الفروض : على الباحث أن يهتم بكيفية صياغة مشكلة البحث صياغة محكمة، سواء صاغ المشكلة فى شكل تساؤل أو قضية، ويحدد كيفية التحقق من الفروض أو تحديد طرق البحث عن إجابات للتساؤلات التى طرحها.

٤- على الباحث تحديد من يقرأ لهم لحصاد المعلومات النظرية التى تفيده فى بحثه. كذلك معرفة الذين يقرؤون له وسيقيمون عمله. فمعرفة الكاتب جمهور قرائه وجدية هؤلاء ومستواهم الأكاديمى يؤثر على جهده واهتمامه بالبحث. والمشرف على البحث هو القارئ الأول للبحث، ووعى الباحث بالالتزام الأكاديمى للمشرف له أثره فى إثراء البحث أو عقمه.

٥- تحديد نوع البحث الذى يقوم بتصميمه وتنفيذه هل هو بحث رئيسى؟ أم هو بحث ثانوى؟ والهدف الأول من الأبحاث الرئيسية، اكتشاف المعلومة.، والباحث فى مثل هذا النوع فى الأبحاث يجمع المعلومات ويصف البيانات وتتميز تلك البيانات بالجدة، وهو الذى يصنفها وينظمها ويركب بينها فى شكل جديد. أما البحث الثانوى فبحث يعتمد علي النتائج إليها توصلت التى أبحاث أخرى.

٦- تحديد المنظور الذى يعتمد عليه الباحث فى تفسير البيانات ومهما كان نوع البحث الذى ينفذه الباحث هل هو بحث رئيسى أو ثانوى أو بحث استطلاعى أو تفسيرى، فإنه يتعين تحليل النتائج التى توصل إليها الباحث فى إطار منظور اجتماعى بغية تحقيق الموضوعية.

أهميه تعلم كيفية اجراء البحوث:

ورغم هذا الطموح لدراسة المجتمع دراسة علمية، نجد بعض الطلاب يهابون كتابة البحوث الاجتماعية، ونسبة أكبر لا تثابر علي الدراسة العليا لعجزها عن كتابة الأبحاث التى تلقى القبول والتقدير من الأساتذة. لكن الأشد ألماً من خوف الكتابة إدراك بعض الأساتذة أن هؤلاء الخائفين من الكتابة يجهلون كيفية الكتابة، لأنهم لم يؤهلوا لكتابة البحوث، ولا يعرفون قواعد الكتابة. ولذا فمن الضرورى مساعدة هؤلاء علي التخلص من هذا الخوف،



الذى يمنع الطلاب من كتابة أعمال يُرضى عنها. والباحث المبتدئ أو غير الملم وغير المتعمق فى الموضوع هو الذى يجعل الكتابة أمراً صعباً ومرهقاً نفسياً وعقلياً، فمن المهم أن يسترجع الباحث المبتدئ قضايا علم الاجتماع، ويستوعبها ويتمثلها؛ ويعرف من من علماء الاجتماع يستفيد منه فى دراسته، وأن ثمة فرقاً بين كتابات علماء الاجتماع والمصلحين الاجتماعيين، وأن ثمة اختلافاً بين بحوث علم الاجتماع وبحوث الخدمة الاجتماعية. وأن ثمة تبايناً بين خطابات الدبلوماسيين وبين كتابات علم الاجتماع السياسي؛ وأن ثمة تبايناً شاسعاً بين مضمون بحوث تقدم الى أقسام الاجتماع في موضوع من موضوعات علم الاجتماع العديدة للحصول على درجة علمية والبحوث التى تقدم الى كليات التربية أو الاقتصاد أو القانون أو العلوم السياسة وتدرس نفس الظواهر. يعرف دارس علم الاجتماع أهم الأبحاث والدراسات التى تفيد موضوع بحثه على المستوى العالمى والعربى والمحلى، وكيف يفيد من المنظورات الاجتماعية العديدة عند كتابة بحثه لتفسير الوقائع التى جمعها والنتائج التي توصل إليها، ليظهر قدرته علي تفنيد هذه المنظورات أو تعديلها أو تدعيمها. وهذه القدرة التى يظهرها قد تزيل سوء الفهم الذى يحيط ببعض المنظورات والغرض منها أو الحماس لها.

والطالب فى مرحلة الليسانس مثله مثل الأستاذ المتمرس والمتمكن من قضايا العلم، كلاهما له قدرة على الكتابة السليمة الصحيحة، وكلاهما كاتب كفء لو أراد. فطالب علم الاجتماع يتعلم كيف تتكون النظم الاجتماعية وكيف تتغير، ويتعلم كيف يلاحظ السلوك الإنسانى، ويدرس كيف يُدوِّن ما يلاحظه، ويصف ما يحصل عليه من بيانات، ويدافع عما يشرحه ويفسره، ومن جهة أخرى يفترض أن دارس علم الاجتماع يشارك فى صنع بعض القرارات التى تؤثر في المجتمع، وفى حياة المواطنين مشاركة غير مباشرة عندما يكتب أبحاثاً اجتماعية جيدة.

إن ما يجعل بحثاً ما جديراً بالقبول والمثابرة على قراءته، هو إفادة الطالب من ملاحظات المشرف وإرشاداته، وتصويبه الأخطاء التى أظهرها المشرف وانشرح صدره بالانتقادات التى وجهت له، وهذا كله يصنع منه كاتباً متميزاً قادراً على كتابة موضوعات مبتكرة. ولذا يُنصح الطلاب بعدم التسرع فى تسليم ما يكتبونه. فالبحث الجيد نتيجة عطاء دائم من الباحث، الذى لم يبخل بالجهد أو الوقت أو المال، وامتص كل التوترات وخاصة فى المرحلة الأخيرة من البحث التى تتطلب مراجعة كل ما كتب سواء باليد أو على الحاسب الآلى بحرص وتأنٍ لأن ما كتب سيقرأه آخرون يُقَيِّمونه أو سيفيدون منه، فالهدف المثالى من الكتابة يجسم مفهوم الصانع الذى يجود ليحقق ما يجب أن يكون، وينتفع من العائد. ولكن هذا المفهوم قلما يتحقق بسبب الضعف الإنساني، أى ضعف الكاتب، مما يجعل الخطأ أمراً لا مفر منه؛ فالكاتب قد يسهب فى العرض أو يطنب فى موضوع ما أو يسهب فى شرح متغير ما، ويوجز شرح متغيرٍ أخر.

الفصل الرابع عشر
الأخطاء الشائعة
فى الكتـابـة

الأخطاء الشائعة فى الكتابة

وإذا كانت نقطة بداية الكتابة سليمة واستخدمت قواعد الكتابة المقر بها؛ وأعطى الكاتب لنفسه وقتاً للحصول على المعلومات والبيانات كانت الخطوة الأخيرة إنجاز عمل يعكس الجهد الطيب، يجد فيه القارئ متعة القراءة والمعلومات القيمة التى يفيد منها، أو ينال رضا المشرف أو المحكمين أو لجنة المناقشة.

وعلى الباحث أن يسأل نفسه قبل أن يخطو الخطوة الأولى في الكتابة. هل سبقنى مَنْ درس هذا الموضوع؟ وكتب عنه؟.

إن الإجابة على هذا السؤال ستوفر الجهد. كما يطرح الباحث سؤالاً آخر أين تتوافر القضايا النظرية التى نشرت عن موضوع الدراسة؟ وما المنظور الذى اهتم به أكثر؟ ومَنْ مِنَ المنظرين اهتم به اهتماماً رئيسياً سواء أكان مؤيداً أم مفنداً؟ وهل نشرت بيانات إحصائية عن موضوع الدراسة؟ وأين أجدها؟ وما الطريقة الملائمة للبحث؟

إن الكتابة فى البحوث الإجتماعية هى بوابة الدخول إلى الحياة الاجتماعية، لفهم ما يحدث من علاقات وتفاعلات اجتماعية وكيف يسلك الناس سلوكا مقبولا فى موقف ما، ويتباين سلوكهم من موقف لموقف، وما يطرأ من تغييرات على النظم الاجتماعية وأفعال البشر. وهكذا فإن الكتابة تسطر ما يحدث فى عالم الواقع على الأوراق. ولكن كل الأبحاث والوثائق والقرارات قبل أن تنشر فى شكلها النهائى ويتداولها الرأى العام ويتبادل حولها الحوار وتؤثر على أصحاب القرار، يعاد كتابتها أكثر من مرة، ويفضل أن تكتب الأبحاث الاجتماعية دوماً كتابة واضحة، قبل أن يقرأها القراء. وكان للكلمة المكتوبة أكبر الأثر فى اندلاع الثورات وتحرير الشعوب من العبودية؛ والزج بالمعارضين فى غياهب السجون كما تفتح الكلمة المكتوبة أسواق العمل كما تغلقها. ويتابع العرب المنتمون إلى الوطن منذ

حرب ٦٧ الجدل حول تفسير كلمة فى قرار هيئة الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ .

وعادة ما يعتمد تحقيق معرفتنا بأنفسنا، ومعرفتنا بأفكارنا، على طريقة التعبير عن أنفسنا وأفكارنا. ومن ثم فالكتابة الملائمة الواضحة أمر حيوى، وكل باحث يكتب، ولكن ثمة فرقاً بين كتابة جيدة وكتابة رديئة.

والكتابة أداة فعالة للتعليم الذاتى، وتعليم الآخرين وتزويدهم بالمعارف. إذ يتعلم الباحث أثناء الكتابة إختيار أفكاره وتنظيمها وانتقاء الكلمات وصياغة العبارات واختيار الفقرات، وكيف يحقق التماسك المنطقى بين الفقرات وكيف ينظم العناصر التى يتكون منها موضوع البحث.

ولا جدال فى أن الكتابة معاناة، وتعنى تحدى الذات. وإذا ما شعر الباحث بالمعاناة أثناء الكتابة فهذا يدل على قدرته على إبداع عمل جيد. والحقيقة أن الكتابة الواضحة الجيدة أمر صعب لكل شخص، فالكتاب العظماء يعانون أثناء الكتابة مثلما يعانى الكاتب المبتدىء، فتحقيق النظام والترابط فى أى مجال من مجالات الحياة الاجتماعية فى هذا العالم ليس بالأمر السهل ويقول الكاتب العربى الحاصل على جائزة نوبل عام ١٩٧٨ «إننى أومن بالمعجزات فى كل مجالات الحياة عدا الكتابة فالتجربة أثبتت لى أنه لا توجد معجزات فى عالم الكتابة، فالشئ الوحيد الذى يتيح كتابة واضحة هو العمل المضنى». فالكاتب ينتقى كل كلمة ويختار كل عبارة وهو أشبه بالجواهرجى الذى يعرف كيف يرصع السوار أو المشبكه بالأحجار الثمينة. فكل كلمة تختار بعناية ترسم الصورة بدقة، وهو يعرف متى يقصر عند عرض فكرة ما، ومتى يطيل عند الإشارة الى قضية ماتثار فى عقل القارئ.

والكتابة نشاط إنسانى يرتبط بأنشطة أخرى تتداخل فيما بينها، وتجعلنا الكتابة نستفيد من المهارات التى نمتلكها وبعبارة أخرى فالقدرة على الكتابة ليست قدرة سحرية تقتصر على بضعة أفراد أفذاذ يندر وجودهم أو تكرارهم. فالحقيقة عكس ذلك، فكل الناس لديهم القدرة على صياغة أفكارهم صياغة واضحة منظمة لو تعلموا قواعد الكتابة واستوعبوا ما يقرؤون وليس

بالأمر الهين أن نتعلم كيف نصوغ أفكارنا صياغة واضحة، فالأمر يتطلب الممارسة، فالطريقة المثلى لإجادة الكتابة هى أن نكتب دوماً ونتعود الكتابة.

وليتذكر الباحث أن أكثر الكتابات أهمية وأكثرها واقعية تؤكد حماس الكاتب للموضوع الذى يكتب فيه، وتعاطفه معه «وأن هذا الموضوع عرض على عقله، وفكر فيه بجهده حتى قوَّمه، ثم أخرج الكلمات مقومة». (حسين أحمد أمين ص٣٣).

وإذا ما سأل باحث اجتماعى نفسه، لماذا يكتب هذا البحث؟

فإذا أجاب إجابة متسرعة بلا روية «لأحصل على درجة علمية» أو «أرفع من تقديرى ،أو أجمع شيئاً من المال» فهذا يعنى أن الباحث يعانى مأزقاً، أما إذا كانت الإجابة «شرح وتفسير الواقع الإجتماعي» أو أن هذا الموضوع ينال اهتمام الناس ويتبادلون الحوار حوله، وأريد المساهمة فى هذا الحوار مساهمة الدارس لأحوال المجتمع، فهذا يعنى أن الباحث يفكر تفكيراً صائباً فى موضوع البحث، ويستطيع أن يكتب بحثا جيدا.

الأخطاء الشائعة فى الكتابة :

ويعطى بناء البحث الذى يكتب كتابة جيدة انطباعاً بأنه بحث يستحق القراءة، وأنه يضم معلومات تؤثر على تفكير القارئ بشكل مألوف، كما يعطى انطباعاً بالمستوى الأكاديمى المرتفع لكاتب البحث، سواء فى مراحل الليسانس أو الماجستير أو الدكتوراه، أو مرحلة ما بعد الدكتوراه.

ومهمة البحث والغرض منه قد لا تقل أهمية عن وضوح أفكار البحث ووضوح اللغة، وتنحصر المهمة فى رسالة الكاتب التى يرسلها إلى القارئ من خلال مضمون البحث. ومن الضرورى أن يتذكر الكاتب دوماً الأحكام التى قد يصدرها القارئ، ومن مخاطر الكتابة انحياز القارئ ضد الكاتب، لتعدد الأخطاء التى قد يتعثر أمامها القارئ ويعثر عليها أثناء القراءة، والتى

تشتت تفكيره، فمن الضرورى مراعاة بعض الاعتبارات التى تهتم بالشكل أكثر من الاهتمام بالمضمون، فالمنظر العام للبحث يجذب القارئ من البداية وقد يوارى سوأة البحث وقد ينفر القارئ من الاستمرار فى القراءة.

وقد يحبط الجهل بقواعد اللغة والنحو والأخطاء الإملائية المتكررة والجهل بقواعد كتابة حروف الهجاء، الكاتب المبتدئ عن الكتابة إذا ماتعرض لنقد قاس، ولذا فمن المهم أنه يتعلم قواعد الكتابة الصحيحة ليكتب جملاً صحيحة. ولا جدال فى أن ما يجعل عملية الكتابة عملية صعبة هو تكرار الأخطاء الإملائية والزلل فى قواعد النحو.

وتؤكد الطريقة السليمة لكتابة البحث مدى استحقاقه الوقت الذى ينفق فى قراءته؟ كما تعطى انطباعاً بعمق المعلومات التى تقدم للقارئ فى شكل مألوف تؤثر فى تفكيره وتعطى انطباعاً للقراء بالكفاءة الأكاديمية لطالب البحث الذى يدرس فى مرحلتى الماجستير والدكتوراه أو طالب الليسانس أو حتى الأستاذ.

والهدف من البحث، مثله مثل وضوحه وطريقة الكتابة ترسل رسالة أكثر أهمية إلى القارئ تبين مضمون البحث وطريقة البرهان.

والبحث له وجهان: الوجه الأول الشكل، والآخر المضمون. ومن ناحية الشكل يتعين أن يدرك الكاتب أن النظام أساس كل شئ. وعليه أن يترك كل شئ يتحقق بطريقة مُرضية، وبنظام، ويعطى شكل البحث الانطباع الأول عن العمل ومدى ملاءمة مستوى العمل، ومستوى كفاءة من كتبه.

وتولد أخطاء اللغة لدى القارئ شعوراً بالشك فى جدوى ما يقرأ، بل قد يصدر حكماً بأن الكاتب لا يفهم ما يكتبه، وأنه يجهل الموضوع بل لا يلم به، ومن ثم ينسف كل جهد بذل فى إنجاز العمل وتُفْقَدُ الثقة فى الكاتب فى سوق العمل، ويعتمد وضوح الأفكار على كفاءة وسلاسة لغة الباحث.

أمـا المضمـون فيعنى الأفكار والـقضـايا التى يتـصدى البـحث لدراسـتهـا ويرمز لها بالألفاظ والصيغ الأدبية.

والأخطاء ألوان وأنواع :

ومن الأخطاء الشائعة الخطأ فى كتابة بعض أسماء الأعلام أو المفهومات، على سبـيل المثال كتابة ابن خـالدون- إيدلوچيا- البلورتـاريا- الطبقـة العليا- المراءة.

أو عـدم التـفـرقـة بين المثنى والجـمع: كـأن يقـارن البـاحـث بين دوركـيم وماركس ويكتب «اهتم كل منهم بدلاً من اهتم كل منهماً».

ويكثر اهـتمام الاجـتماعـيين بالعدد، عند اللـجوء الى التحليل الـكمى. وقد يجهلون تذكير العدد أو تأنيثه مع المعدود أو كيف يكتب التمـييز، ومتى يكون منصوبا ومتى يكون مجروراً.

والخطأ فى كـتابة الـعدد أمـر شائع بين بـعض الاجتـماعـيين «ويخَطِّئـون مَنْ يقول أضعت الثلاثة أقلام والأربعة كتب. وقد أجاز بعض الأدباء إدخال (الـ) على العدد غـير المعدود معـتمداً فى ذلك على قول النـبى صلى الله عليه وسلم مثل «قرأ الْعشر آيات، وأتى بالآلف دينار» (محمد العدنانى ص١٦٨).

وإذا كان العـدد مركبـاً، أدخلنا «ال» على الجزء الأول منه، نحو قـضينا السبعة عشر يوماً فى فلسطين، وأكلنا الخمس عشرة برتقالة.

والعقود (من ٢٠-٩٠) ندخل الـ عليـها مباشرة نحو: فى القـاعة الثلاثون طالبـاً والأربعـون طالبة. وفى الأعـداد المعطوفـة ندخل «الـ» على الاسـمين نحو: قرأت الأربعة والثلاثين كتاباً والسبع والثمانين صحيفة.

ويكتـسب المضاف التـعريف من المـضاف إليـه المُحلى بــ (ال) سواء أكـانا متصلين أم فصل بينهما اسم أو اسمان نحو:

١- هذه خمسة أحجار المنزل.

٢- هذه خمسة أحجار جدار المنزل.

٣- هذه خمسة أحجار جدار شرفة المنزل.

٤- هذه خمسة أحجار جدران شرفة المنزل. (محمد العدناني، ص١٦٨).

فالعدد يستعمل مخالفا للمعدود (الراجحي، ص٤٠١) مثل جاء ثلاثة رجال،درست أربع حالات.

من الأخطأ الشائعة في كتابة الأعداد: رأيت أحد عشرة رجلاً، والصواب رأيت أحد عشر رجلاً» «ورأيت أحد عشر كوكباً» سورة يوسف آية رقم ٤، أو أكلت اثنتا عشرة برتقالة، «انفجرت منه اثنتا عشرة عيناً» سورة البقرة آية رقم ٦٠ ويخطئون من يقول قرأ صفحات عشرة، لأن العدد من ٣ إلى ١٠ يذكر مع المعدود المؤنث ويؤنث مع المعدود المذكر .

ان العدد من ١٣-١٩ - فهذا العدد مركب من جزئين ثلاثة إلى ٩ بالإضافة إلى عشرة- أي من احاد وعشرات. الجزء الاول (من ٣ ٠ ٩) يخالف المعدود. والجزء الثاني العشرات يكون موافقا له. مثل سألت ثلاثة عشر ربّ أسرة أو سألت خمس عشرة ربة أسرة.

العدد من ٢٠-٩٠

ولايتغير	تذكيراً أو تأنيثا
درست.	عشرين حالة
قابلت	ثلاثين عاملا
زرت	أربعين قرية
جاء	ثلاثة وعشرون عاملا

الخطأ فى وضع علامة الترقيم :

يعرف الترقيم بأنه وضع العلامات والنقط والفواصل بين أجزاء الكلام المكتوب لايضاح مواقع الوقف والمساعدة على فهم الكلام (مجدى وهبة ص٩٦)، وقد دلت المشاهدة وعززها الاختبار على أن السامع والقارئ يكونان على الدوام فى أشد الحاجة إلى نبرات خاصة فى الصوت أو رموز مرقومة فى الكتابة، يحصل بها تسهيل الفهم والإدراك، عند سماع الكلام أو قراءة المكتوب. إلا أن كثيرا من الكتاب المبتدئين يجهلون استعمال علامات الترقيم.

الفصلة :

وترسم هكذا ، وهى غير الفاصلة فى العروض وتسمى أيضاً «الفاصلة» (محمود ياقوت ،ص٦٥) أو الشولة، وتستعمل لفصل بعض أجزاء الكلام عن بعض؛ لذلك توضع بين الجمل أو أجزائها المتصلة المعنى ويقف القارئ عندها قليلاً وتوضع فى المواضع الآتية:

١- بين الجمل التى يتركب من مجموعها كلام تام فى معنى معين، نحو يذهبُ الطالبُ الى الكلية، ويحضر المحاضرات بانتظام، ويحرص على الذهاب إلى المكتبة بين المحاضرات.

٢- بين أنواع الشئ وأقسامه نحو التقديرات الجامعية هى: ممتاز، وجيد جداً، وجيد، ومقبول، وضعيف، وضعيف جداً.

والوظائف الجامعية هى: معيد، ومدرس مساعد، ومدرس، وأستاذ مساعد، وأستاذ.

٣- بين الكلمات المفردة المتصلة بكلمات أخرى، تجعلها شبيهة بالجمل فى طولها، نحو: يجب على كل فرد أن يخلص في عمله: الأستاذ فى كليته، والمدرس فى مدرسته، والفلاح فى حقله، والعامل فى مصنعه.

٤- بعد لفظة المنادى: يا خالد، اجتهد فى دروسك.

الفصلة المنقوطة وترسم هكذا ؛

وتوضع بين الجمل، ويقف القارئ عندها وقفة أطول من تلك التى تكون مع الفصلة، وموضعها كما يأتى:

١- أن توضع بين جملتين تكون الثانية منهما سبب الأولى، نحو: نجح علىّ وحصل على أعلى التقديرات؛ لأنه لم يتهاون فى حضور المحاضرات.

٢- أن تكون بين جملتين تكون الثانية منهما سبباً فى الأولى، نحو مصطفى يبذل جهداً فى عمله، فلا غرابة أن يحظى بإعجاب رئيسه.

٣- أن توضع بين جمل طويلة يتكون من مجموعها كلام مفيد، لذلك يكون الغرض من الفصلة المنقوطة إمكان التنفس بين الجمل، وتجنب الخلط بينها بسبب تباعدها، نحو: إن الناس لا ينظرون إلى الزمن الذى عمل فيه العمل؛ وإنما ينظرون إلى مقدار جودته وإتقانه.

النقطة أو الوقفة وترسم هكذا .

وتكون فى نهاية الجملة التى تم معناها، واستوفت كل مقوماتها اللفظية نحو: خير الكلام ما قل ودل ولم يطل فيمل.

النقطتان وترسم هكذا :

ويفيدان فى التوضيح والتبيين لما بعدهما وتمييزه مما قبله، واستعمالهما فى المواضع الآتية:

١- توضعان بعد لفظ القول والكلام المقول أو ما يشبههما فى المعنى نحو: «وعظ أعرابى ابنا له أفسد ماله فى الشرب، فقال: لا الدهر يعطيك، ولا الأيام تنذرك، والساعات تعد عليك، والأنفاس تعد منك، وأحب أمريك إليك أردهما للمضرة عليك». وكذلك: «من الحكم المأثورة: «لا تؤخر

عمل اليوم الى الغد».

٢- توضعان بين الشئ وأنواعه أو أقسامه، نحو: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك؛ وصحتك قبل سقمك؛ وفراغك قبل شغلك؛ وعناك قبل فقرك؛ وحياتك قبل موتك». وكذلك الخط الهندسى ثلاث أنواع: مستقيم، ومنكسر، ومنحن.

٣- توضعان قبل الكلام الذى يوضح ما قبله، نحو: «الاستيقاظ مبكراً فوائده جليلة: ينشط العقل، ويوسع فى الأرزاق، ويعود بالخير على المجتمع».

٤- توضعان قبل الأمثلة التى توضح قاعدة من القواعد، نحو: يجزم الفعل المضارع المعتل الآخر بحذف حرف العلة مثل: لم يسع خالد فى الشر؛ ولم يدع إلا إلى الخير؛ ولم يرم أحد بسوء.

علامة الإستفهام

وترسم علامات الاستفهام على النحو التالى ؟ وتوضح فى نهاية الجمل الاستفهامية.

ويعتمد الباحثون الاجتماعيون كثيراً على السؤال والاستفهام عن الظواهر الاجتماعية وأحوال المبحوثين المعيشية وسير حياتهم. ويقصد الاستفهام السؤال عن أمر وطلب الجواب له (مجدى وهبه ص٣٠). أى العلم بشيء لم يكن معلوماً لدى الباحث باستخدام أداة من أدوات الاستفهام، مثل :

متى تشير إلى تعيين زمن الحدث

أين تدل على المكان- أى مكان- الذى تم فيه الحدث

كيف تسأل عن الحال

كم تسأل عن العدد (عبد السلام هارون، ص١٩)

وأمثلة الجمل الاستفهامية فى البحوث الاجتماعية الأمثلة التالية:

ما إسمك؟

هل هاجرت من القرية الى المدينة مباشرة؟
متى أنجبت اول مرة؟
ما مهنتك؟
كم عدد أولادك؟
من ساعدك على الهجرة؟
أين تقيم فى القاهرة؟

علامة التأثر

علامة تعبر عن شدة الدهشة والإعجاب لما هو غاية فى القبح أو الخس أو استعظام أمر وترسم هكذا ! وتوضع فى نهاية الجملة التى يعبر بها عن التعجب أو الفرح أو الحزن أو الدعاء أو الدهشة أو الاستغاثة كما فى الأمثلة الآتية:(محمود ياقوت، ص٦٨)

ما أجمل السماء!

يا بشراى!

وا أسفاه!

ويل للظالم!

النار النار!

القوسان

وترسم هكذا ( ) أو هكذا [ ] ويوضع بينهما الألفاظ المفسرة لما قبلها، وتلك الألفاظ ليست من أركان الكلام الأساسية مثل: الجمل الاعتراضية، والتفسير، وألفاظ الاحتراس، نحو: القاهرة (حرسها اللّه) أكبر مدينة إفريقية، خامس الخلفاء الراشدين (عمر بن عبد العزيز) من خلفاء الدولة الأموية .

علامة التنصيص

وترسم هكذا « » وتعنى وضع الكلام بين علامتين لكى ينسب الكلام إلى صاحبه ويميزه عما عداه من الكلام. ويوضع بين علامات التنصيص كل ما ينقل دون تغيير فى الكلام. مثل قال دوركيم «.........».

علامة الحذف

وترسم على النحو التالى .... وتوضع بضع نقاط مكان ما حذف من الكلام للدلالة على الحذف. وتفيد تلك العلامة- فى التأليف العلمى- أن بعض الباحثين يريد أن ينقل نصاً، ولكن ليس كاملاً عن طريق إسقاط بعض الجمل داخل هذا النص؛ لذلك يلجأ إلى وضع ثلاث نقط للدلالة على وجود الحذف.(محمود ياقوت، ص٧٠).

وتفيد تلك العلامة إسقاط ما يستقبح ذكره من الكلام، نحو: سمعت رجلين يتشاتمان ويتبادلان أقصى أنواع السباب، فيقول أحدهما:... ويقول الآخر: ....

ومن الأخطاء الشائعة الجهل بالتركيبات اللغوية السليمة نحو :

١- يقولون أجاب على سؤاله والصواب أجاب سؤاله أو عن سؤاله أو إلى سؤاله. (محمد العدنانى، ص٥٩).

٢- يقولون معرفتك بالشئ خير من جهلك إياه والصواب معرفتك الشئ خير من جهلك إياه أما علمك بالشئ وعلمك الشئ كلاهما صواب.

٣- من الخطأ كتابة الغير متواجدون فالأدق كتابة غير المتواجدون بناء على نص الآية «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» فاتحة الكتاب.

ومن الخطأ أن نقول: يمتلك أحمد بيتان اثنان أو أكل أحمد تفاحتين اثنتين أو تكتب أكل أحمد ٢ تفاحة والصواب له بيتان، أكل تفاحتين.

ثمة خطأ شائع عند صياغة الاستمارة، إذ يكتبون عادة الحالة الاجتماعية: متزوج- مطلق- أعزب .وفى هذه العبارة خطآن الأول الحالة الاجتماعية وهذا خطأ شائع ومبهم والأدق الحالة الزواجية.

والخطأ الأخر كلمة أعزب، فلفظة تشابه يضم أكثر من معنى فالعزب من لا زوج له رجلاً كان أو أمرأة ومن لا زوج له تضم من لم يتزوج، والمطلق والأرمل، ولذا فثمة فرق بين من لم يتزوج والأعزب، والأعزب أعم.

لا يجوز كتابة الألف بعد واو جمع المذكر السالم، فهذا خطأ. والأصوب أن تكتب على النحو التالى :

عاملو المصنع مجتهدون.

طالبو العلم متواضعون ومؤمنون.

دارسو العلم يخشون الله.

ومن الخطأ أن نقول: كتبت البحث فى التسعينات، والصواب كتبت البحث فى التسعينيات. (محمد العدنانى ص١٠٦).

ذلك بعض الاخطاء الشائعة فى الكتابة، ويبدو فى الظاهر أنها هينة، ولكنها مدمرة للعمل.

الفصل الخامس عشر
كتابة البحث
(من المسودة إلى المبيضة)

كتابة البحث
(من المسودة الى المبيضة)

المسودة على وزن مُفَعلَّة. وسود الكتاب فى اللغة تعنى كَتَبَ الكتاب للمرة الأولى

وقد اتفق على تسمية الكتابة الأولى بالمسَّودة الأولى. وتكشف مدى القدرة على الكتابة، والقدرة على تجميع مجموعة من الأفكار المتباعدة فى مجموعة واقعية متكاملة وبذل الجهد لوضع الأفكار كلها على الورق بلا قيود وبلا رهبة حتى الانتهاء من تسطير كل القضايا والأفكار، بغية الربط بينها وإعادة ترتيبها، والكاتب الباحث أشبه بالنحات الذى يشكل تمثالاً من الصلصال. لا كالنحات الذى ينحت المرمر.

ويفضل ألا يهاب الباحث مما كتبه، ويخفيه عن الآخرين. فعليه أن يعرضه ويسمع نصائح الزملاء وانتقاداتهم والإنصات إلى آرائهم. إذ تفيده عند إعادة الكتابة وعليه أن يعيد قراءة ما كتبه، فهو أكثر الناس دراية بما كتبه وقدرة على نقد نفسه.

وتعنى كتابة المسوَّدة الأولى التفرقة بين من يرغبون فى الكتابة والقادرون عليها، مثلما تعنى تحول مجموعة من الأفكار والآراء المتناثرة إلى عمل متكامل يعبر عن الواقع ويفسره، مثلما يعنى وضع كل شئ على الورق تسطير كل الأفكار على الورق بلا قيود خشية أن تفقدة، ثم يعدل ويجود فى المسودتين الثانية والثالثة لتحسين الاسلوب والعبارات وربطها وكتابته الأفكار التي سطرها.

ومن الأهمية أن نتعامل مع المسوَّدة الأولى بتأنٍ، فهذا لا يعنى بلوغ الكمال؛ بل تعنى محاولة للكتابة، أو بداية رحلة الألف ميل ، والمسودة الأولى هى الخطوة الأولى، ولا يوجد ما يبرر الخجل منها أو الخوف من إخفائها، بل يتعين أن يعاد قراءتها لنقد ما كتب، وإعادة ترتيبه وتنظيمه. فالكتابة الأولى

دائماً غير محكمة تمتلىء بأفكار متشابهات غير محكمات، وعبارات غير دقيقة، وفقرات يطنب فيها الكاتب وفقرات يقصر فيها، مما يؤدى الى الإبهام والغموض. ومرونة الباحث وانفتاح عقله ومثابرته تساعد كلها على إعادة الكتابة مرات ومرات لتحقيق الإتقان. وإذا ما استجاب الباحث للصوت النابع من ذاته بإعادة قراءة ما كتب مرة ثانية وثالثة، فهذا يعنى أنه يسير فى طريق مستقيم ويقترب من صعود القمة.

وقد أظهرت لنا التجارب أن أغلب الكتاب المبتدئين يفزعون من إعادة كتابة ما كتبوه، ويشعرون بالإحباط إذا ما طلب منهم ذلك، ويترددون فى إضافة الجديد، أو حذف ما كتبوه ولكن تعود تكرار الكتابة يشجع الكاتب المبتدىء على التعلم من الأخطاء، وتجنب تكرارها . وعليه أن يردد قول إبن الأثير: «ليس الفاضل من لا يَغْلـَط، بل الفاضِل من يُعَـدُّ غَلـَطُه» (محمد العدنانى، ص١٢). وإذا كانت هناك فوائد عديدة من إعادة الكتابة، فالأمر المسلم به، أن الكاتب يتعلم أن يفكر أثناء ما يكتب. فهو يفكر فيما يكتبه، ويفكر فى طريقة تقسيم الموضوع إلى عناصره؛ ويفكر كيف يربط هذه العناصر فى عمل متكامل؛ ويتعلم الكاتب من تكرار تجربة الكتابة أن يقلل أخطاءالكتابة ويعرف أن كتابة جملة صحيحة من المرة الاولى أمر صعب حتى على الكاتب المحترف.

والحقيقة أن الخوف من الكتابة ظاهرة عامة، والرهبة من إعادة قراءة ما كتب تمهيداً لكتابة المسودة الثانية، سببها جهل الكاتب بكيفية الكتابة. وعدم الالتزام بقواعدها، نتيجة نظام تعليم يفصل بين عملية التعلم التى تعتمد علي التلقين وعملية البحث. وليس من الدهشة فى شئ أن يلتحق الطالب بالجامعة ويخرج منها ولا يكلف بإعداد بحث، فلم نعد نرى الطلاب الذين يتناقشون ويتجادلون حول الخطوط الحمراء التى تصوب أخطاء أبحاثهم.

ويرجع عجز الطلاب عن كتابة بحوث مرضية وجهلهم الكتابة الصائبة؛

إلى كثرة أعدادهم، وإلى طريقة التعليم داخل قاعات الدرس، والتى تعتمد علي تعويد الطلاب حفظ المعلومات لا تحليلها وتفسيرها، ولذا يرتبك الطلاب عندما يمسكون بالقلم ويكتبون رسائل إلى غيرهم. فهم لا يكتبون إلا وقت الامتحانات! ويسترجعون معلومات حفظوها دون فهم، وأحياناً ما يكون الترديد معيباً ومشوهاً للمعلومات التى طلب منهم حفظها لكتابتها وقت الامتحان. فالمشكلة التى يعانى منها الكاتب المبتدئ عندما يكتب، هى الأفكار التى تعتمل فى عقله وكيف يعبر عنها فى جمل مفيدة أو فقرات كاملة أفضل تعبير. فاختيار الكلمة المناسبة والجملة الملائمة التى تعبر عن الأفكار أفضل تعبير خلال بضع صفحات عمل شاق ومضن.

العمل الأكاديمى مثله مثل كل عمل ينتج عن عملية إبداع، لا يكتب مرة واحدة خلال جلسة واحدة، أو بضع سهرات ليلية. فالباحث يمشى فى طريق طويل تعتمل فى عقله أفكار متصارعة ومتنافرة تتحداه كلها ويحاول أن يعيد ترتيبها والتنسيق بينها، ونجاحه فى بلوغ الهدف النهائى يحدده قدرته على تحدى نفسه وعدم الخوف والصبر. وقد يسير ساعات طويلة يعانى من القلق ويتردد على المكتبات، ويواجه نقص البيانات وإحباطات العمل الميدانى وهو فى سيره فى هذا الطريق الطويل أشبه بمن يشارك فى سباق الجرى فهناك من يتعثر. وهناك من يصل إلى نقطة النهاية.

والباحث عندما يبدأ الكتابة، لا تمثل الكتابة الأولى له الكتابة الأخيرة. فالأهم من الكتابة الأولى أى كتابة المسودة، عملية مراجعتها، سواء أكان يكتب البحث بالقلم أم على جهاز الحاسب الآلى. ونقصد بالمراجعة إعادة قراءة ما كتب. فالباحث لا يتوقف عن الكتابة بعد الكتابة الأولى، ويدفع بما كتب إلى الطباع، بل عليه أن يعيد قراءة ما كتب ويعيد ترتيب ما كتب، فما كتبه ليس أفضل ما كتب، وعليه أن يقرأ ما كتبه ليعدل ويحسن، فقد يلغى فقرة وقد يقدم فقرة أو يؤخر أخرى أو يعيد صياغة بعض ما كتب لغموضه أو **حذف بعض**

عبارات أطنب فيها كثيراً، أو إلغاء فكرة أو اضافة أخرى.

وإعادة قراءة الكتابة يحرر الباحث من القلق ويزيل بعض الشكوك. فالكتابة معاناة. والكاتب إنسان قد ينسى أشياء مهمة. وإعادة القراءة تكشف له خفايا ما كتبه فالكتابة ليست عملية آلية تتطلب من الباحث أن يضع يده على مفتاح وتنساب بعد ذلك الكلمات والأفكار. والكاتب لا يستنسخ أفكاراً جاهزة بل هو إنسان قادر على التعبير عن أفكاره، وتعديلها بشرط ألا يهمل العناصر الأساسية للموضوع ولا يتناقض ما يكتبه مع أهداف البحث.

فالكتابة الأولى أى المسودة عمل مؤقت غير نهائى، وإعادة الكتابة محاولة لتنظيم الأفكار وإعادة ترتيب عناصر الموضوع ترتيباً منطقياً. وإعادة الكتابة لا تمنع حذف أو إضافة أفكار جديدة إذا وجد الباحث أنه من الأفضل الحذف أو الأضافة أو إعادة الترتيب كما لا تمنع حذف قضايا وعبارات غامضة أو زائدة.

وتعتمد عملية مراجعة الكتابة على المرونة العقلية للباحث. فعند إعادة الكتابة يضع الباحث فى اعتباره إمكان إلغاء فصل أو جزء من فصل أو تطويل أو تقصير جزء من فصل، أو تعديل أو حذف أو إضافة بعض العبارات. فإعادة الكتابة مرة بل ومرات تعنى إمكانية إعادة تشكيل بناء الرسالة. فالكاتب لا يصنع تمثالاً من الصخر ولا يدور حول نفسه، بل يقتدى بتخطيط مؤقت يهديه ويرشده في كتابته بدلا من الكتابة بطريقة عشوائية، ولكن عليه أن يقوم بإجراء التعديلات البنائية المطلوبة التى تترائى له قبل كتابة المخطوط النهائى أى المبيضة.

وثمة فوائد عديدة من إعادة الكتابة:

١- الربط بين الأجزاء والفصول وألا تكون الفصول جزراً متباعدة وألا تكون عناصر كل فصل كواكب متناثرة.

٢- التأكيد على تماسك الأجزاء وتجنب الحشو. (Zerubavel, p, 52)

٣- تعويد الذات على المراجعة، يعنى زيادة كفاءة وجودة العمل، وبلوغ ما يكتب أعلي درجات الكمال.

٤- إعادة الكتابة، وإن بدت فى الظاهر استهلاكا للوقت الذى يبذل فى الكتابة، فإنها تعنى توليد أفكار جديدة، ونضج وكمال العمل وترابطه، فالكتابة فى المرة الأولى أقل دقة من الكتابة الثانية والثالثة. والتعديل والجرأة على إجراء التعديل يدلان على الثقة فى النفس.

فالمسودة الأولى دائما محل شك وارتياب، وتُعَدّ عملاً غير مكتمل، يفتقد الكمال وغير تام، ولم يصل إلى مرحلة الثقة والاتقان.

فالهدف من إعادة الكتابة التجويد والتحسين ومراجعة الأخطاء وإعادة التنظيم والتنسيق وتدارك ما نسيه الباحث، ودمج كل الأفكار فى بناء متماسك، والتحدى الذى يواجه الباحث هو التأكد دوماً أن ما يجوده ويحسنه، يرقى به إلى الأحسن وأنه لا يسير فى مكان ثابت، أو يدور حول نفسه بل كمن يصعد الجبل.

ومن الضرورى أن تأخذ عملية المراجعة فسحة من الوقت ليتدارك الباحث الاخطاء التى قد وقعت سهواً، وهذا يتطلب إعادة القراءة بعناية ودقة، ومراجعة قراءة كل عنصر من عناصر البحث، ومراجعة ما اذا كانت عملية الكتابة فى المرة الاولى قد اعطت هذا العنصر حقه من الكتابة أم لا. والتحقق فى الوقت نفسه من تماسك العناصر سويا، والتأكد من وحدة الموضوع وترابطه، وتماسك عبارات كل فقرة، وان كل فقرة ترتبط بما قبلها وتمهد لما بعدها. والتأكد من عدم وجود ثغرات بين عناصر الموضوع، وعدم تكرار بعض القضايا والافكار أو بعض الكلمات فى العباره الواحدة أو الفقرة الواحدة. وخاصة التكرار غير الضرورى الذى يزعج القارىء ويشتت انتباهه عن فهم البراهين والحجج التى يعرضها الكاتب فالتكرار عدو التركيز.

ويتعين على الباحث فى عملية المراجعة ان يقوم بالآتى :

١- التأكد من الترابط والتكامل بين العناصر التى تكون الرسالة.
٢- التحقق الاخير من الاجابة على كل الاسئلة التى طرحت فى بداية البحث وكل ذلك قبل تسليم النسخة الأخيرة إلى الكتابة على الحاسب الآلى، فعملية اعداد هذه النسخة لاتقل أهمية عن اى عملية من عمليات الكتابه فأى خطأ يتسامح عنه أو يقع سهوا سوف يحسب ضد الباحث بعد ذلك .
٣- مراجعة التركيبات اللغوية وقواعد الإملاء.
٤- مراجعة الصياغة اللغوية.
٥- مراجعة قواعد النحو.
٦- مراجعة حروف الهجاء.
٧- مراجعة علامات الترقيم.
٨- مراجعة أرقام الجداول ان وجدت.
٩- مراجعة طريقة كتابة المراجع وصحة اسماء.

ويدرك الباحث بعد عملية المراجعة وكتابة المبيضة ان العمل تحول من كومه من المعلومات والافكار إلى عمل متكامل، ويتأكد ان ما كتبه يقترب من الكمال، ويشعر بالرضا من إعادة القراءة وإعادة الكتابة مرات، تكتب المبيضة، وتعنى المبيضة تحرير العمل فى صورته الاخيرة وسلامة العمل لغويا وعلميا، وتأكد الباحث أنه لم ينس شيئا، ولم يقصر فى انجاز العمل. بعد عملية المراجعة، تقدم المبيضة للمشرف لقراءتها ومراجعتها.

عـرض النتائـج

عرض نتائج البحث :

إن لم تعرض نتائج البحث فى صورة مفهومة وصياغة لغوية دقيقة وواضحة، فلن يتحقق الهدف من إجراء البحث، ولن يسعى أحد إلى الاطلاع

عليه، ومن ثم تسقط فائدته. وكتابة تقرير البحث تعطى الباحث فرصة تجميع وتحليل البيانات. ولذا فمن المهم كتابة تقرير البحث من أجل الحكم على القيمة العلمية والعملية للبحث، وتقرير مدى ملاءمة خطوات البحث والاستفادة منه سواء بإعادة إجرائه فى مناطق أخرى أو المقارنة بين النتائج التى توصل إليها البحث، ونتائج الأبحاث الأخرى، وإثبات قيمة نتائجه وصدقها.

وتوصف عملية عرض نتائج البحث وهى الخطوة الأخيرة فى البحث بأنها عملية بناء تعتمد على خطوات سابقة.

وتظهر عرض النتائج وكتابة التقرير مهارة الباحث على التلخيص والوصف والتفسير والكتابة بأسلوب واضح سلس.

وينبغى أن يتضمن عرض نتائج البحث كل الخطوات التى اتبعها الباحث عند إجراء البحث؛ فيبدأ الباحث بتقديم ملخص للبحث أى يعرض مقدمة صغيرة عن البحث ثم يعرض للخطوات التى اتبعها خطوة خطوة يلى ذلك عرض النتائج وثمة عناوين أساسية يتعين أن يتضمنها التقرير.

١- صفحة العنوان.

٢- ملخص للبحث.

٣- مشكلة البحث ولماذا تستحق الدراسة.

٤- مجتمع البحث، وسحب العينة ونوعها وأين ستتم إجراء البحث، وفترة اجراء البحث.

٥- الدراسات السابقة.

٦- أهداف البحث.

٧- الفروض أو التساؤلات.

٨- أدوات جمع البيانات، أى الطرق المستخدمة فى إجراء البحث.

٩- عرض البيانات ومناقشتها وفق عناوين محددة.

١٠- نتائج البحث.

١١- المراجع.

١٢- الفترة الزمنية لإجراء البحث، ابتداء من الإعداد لمجتمع البحث ثم جمع البيانات ثم كتابة النتائج.

كيف ترتب عناصر الرسالة

تبويب الرسالة:

بعد تفريغ البيانات وتحليلها، تبدأ مرحلة ترتيب وتبويب الرسالة على النحو التالى:

عنوان الرسالة:

تحوى الصفحة الأولى من البحث عادة عبارة محددة تعبر فى كلمات قليلة عن غرض البحث والهدف الذى يبغى تحقيقه.

ويعبر عنوان الرسالة عن الفكرة المركزية والأساسية للبحث، أى أنه يعكس الفكرة المراد إثباتها والدفاع عنها أو توضيحها أو تفنيدها.

والرسالة -كما نعلم- تعكس توقعات فى ذهن القارئ يتعين تحقيقها، والعنوان أكبر من مجرد حكم يعلم به القارئ.

ويتعين على الباحث عند صياغة عنوان البحث ان يسأل نفسه: ما الذى أبحث عنه، واتطلع إليه؟ ويضم العنوان مجموعة كلمات قليلة تصف مضمون البحث. وبالإضافة إلى عنوان البحث، هناك عنوان الفصل، وعنوان الفصل عنوان رئيسى يكتب فى منتصف الصفحة كما يضم الفصل عناوين فرعية، تكتب فى جانب الصفحة الايمن، ويدل كل عنوان على عنصر من عناصر الفصل. مما يساعد على توجيه الباحث، ويعنى أن

الباحث يسير خطوات ثابتة واضحة، ويكشف أن الدراسة متكاملة متماسكة ويجب ألا يكون العنوان طويلا جدا أو قصيرا جدا، بل يجب ان يعبر عن مضمون البحث. والعنوان القصير مثله مثل العنوان الطويل يبدد الغرض منه، ويضيع المعنى المقصود، إذ يعبر المعنى المحدد عن معنى محدد. وثمة نصيحة يجب ألا تغيب عن كاتب العنوان، وهى ضرورة مراعاة بناء الجملة وخلوها من أخطاء النحو، وترتيب الكلمات ووضوح دلالتها ويبدو ان العنوان ليس مجرد جملة، فهو رمز للمضمون، يلقى الضوء على محتوى الرسالة.

وفى الرسالة الجامعية ترقم الصفحة الأولى بالرقم ١ وهى صفحة الغلاف وتكتب على النحو التالى:

- اسم الجامعة.
- اسم الكلية.
- اسم القسم.

عنوان البحث

مقدم من

للحصول على درجة ....

تحت إشراف الدكتور

سنة تقديم البحث

ومن المهم أن يميز الباحث بين عنوان بحث علمى، وعنوان قصيدة شعر أو عنوان فيلم سينمائى، أو عنوان مسرحية، فعليه أن يتجنب الإثارة، فالإثارة تقلل من قيمة العمل العلمى.

بعد صفحة العنوان، تحدد صفحة يكتب فيها ملخص البحث فى عدد محدد من الكلمات، يوجز فى هذا الملخص إيجازاً وافياً كمشكلة البحث والهدف منه

ومبررات اختيار مشكلة البحث وأدوات البحث، ونوع الدراسة، ثم ملخص لأهم القضايا النظرية التى عرضها الباحث، والتساؤلات أو الفروض التى طرحها وسعى إلى اختبارها، وأهم النتائج وذلك كله لتشجيع القارئ على الاستمرار فى القراءة وليرشده إلى أصالة الموضوع الذى شغل اهتمامات الباحث، ومدى أهميته.

صفحة فهرس المحتويات :

يضم الفهرس محتوى الرسالة ويقسم على النحو التالى :

١- المقدمة

الباب الأول

٢- الفصل الأول

٣-الفصل الثانى

٤- الفصل الثالث

الباب الثانى

١- الفصل الرابع

٢- الفصل الخامس

٣- الفصل السادس

نتائج البحث

وبعد كتابة المقدمة، وفصول الرسالة، تكتب أهم النتائج، ثم يذيل البحث بالملاحق والأشكال البيانية إن وجدت، وصحائف فهرس المراجع التى يكتب فيها أسماء المراجع مرتبة إما ترتيباً أبجديا وأما حسب ورودها فى المتن، وترتب رقميا، ولنبدأ بالمراجع العربية ثم الأجنبية.

وثمة مقاييس متفق عليها تحدد شكل الرسالة ومقياس الصفحة، ولونها الأبيض، ولون الغلاف، ونوع الورق الذى يكتب عليه، وما يكتب على كعب الغلاف وعدد أسطر كل صفحة، وكيفية كتابة الهوامش، وأين تبدأ كل فقرة، والمسافة بين كل فقرة.

وينصح الطالب بمراعاة ترتيب أرقام الصفحات وأن يُوضع الرقم فى وسط أعلى الصفحة.

وهناك من يفضل أن يبدأ الترقيم من صفحة العنوان، ثم الفهرس ثم ترقيم المقدمة، ثم يتوالى الترقيم إلى آخر صفحة.

وتتضمن صفحة الملاحق كل المصادر التى اعتمد عليها الباحث فى كتابة البحث، ابتداء من المستندات الرسمية وبعض أجزاء من المعاهدات والاتفاقيات، والرسائل المهمة التى يرى الباحث ضرورة ضمها إلى البحث والخرائط واستمارة البحث أو دليل العمل الميدانى والصور والرسوم البيانية والجداول غير الرئيسية ولا تضم الملاحق آية بيانات تهدف إلى تزيين البحث ولا تضم الملاحق صوراً كاملة من التقارير الحكومية أو محاضر المجلس النيابى أو مقالاً فى جريدة، ولكن قد يتضمن صوراً من فقرات، والإشارة إلى مصدرها.

والرسالة الجامعية عادة ماتعكس جهد المشرف فى توجيه الطالب وإرشاده ونصحه، فالمشرف يتولى الباحث برعايته واهتمامه، ويقوده فى كل خطوة من خطوات البحث، ويعلمه مهارات البحث العلمى، ويورثه خبراته، ومن الأفضل أن يتابع المشرف العمل خطوة خطوة لكيلا يفاجأ بركام من الأوراق، يصعب عليه ترتيبها وقراءتها، وألا يفاجئ بمن يسأله هل قرأت هذه الرسالة؟ وهل طابقت بينها وبين رسالة أخرى نوقشت قبلها؟!! وهذا السؤال رسالة من السائل إلى المشرف تسأله هل قرأ الرسالة التى يشرف عليها أم لا؟

كيفية كتابة الرسائل الجامعية أو الابحاث :

الهدف من إعداد الرسالة العلمية أو البحث تقديم دراسة أصيلة، تكشف قدرات الباحث على الإبداع وإضافة فكر جديد، أو إعداد بحث تعكس نتائجه أصالة الباحث وقدراته على الوصول إلى نتائج تغير الواقع لو أفيد منها. وإعداد الرسالة يشبه إعداد البحث، فكلاهما يبغى تحقيق الغرض نفسه، ويلتزم بقواعد الكتابة المنظمة المطلوبة فى الأعمال العلمية، وإذا كانت أهداف البحث تنحصر فى دراسة موضوع محدد معين، فيمكن أن تهتم الرسالة بدراسة أكثر من موضوع بغية تحقيق العلاقات بينها، وتطرح أكثر من مدخل لدراسة بعض القضايا، ويعرض مقدم الرسالة دائما أغلب البيانات والمعلومات التى توصل إليها مادامت ترتبط بموضوع البحث، ومن ثم تكون الرسالة أكبر حجماً، وأكثر إحاطة وأكثر شمولاً وأكثر عمقاً من البحث.

ويسود بين الطلاب فهم خاطىء بأن حجم الرسالة الكبير يعنى جودة الرسالة، فتقييم الرسالة، أو الميزان الذى توزن به، ليس الحجم والكم بل الكيف والجودة وقيمة النتائج التى توصلت إليها، والجديد الذى أضافته نتائجها إلى قضية البحث العلمى.

وقد تكون عدد صفحات الرسالة ١٠٠ صفحة، ولكنها أقيم وأفضل من رسالة يزيد حجمها عن ٣٠٠ صفحة، فالرسالة الأولى تضيف علماً نافعاً، أما الرسالة الكبيرة الحجم فقد تضم عبارات طنانة وتفصيلات تافهة ومعلومات ضحلة تؤكد تهافت العمل ولا تعدو إلا أن تكون مجرد حشو .حتى وإن التزم الباحث بالقواعد التى تحدد كيفية إعداد الرسائل، فإن أغلب أشكال الرسائل العلمية المحكمة البناء تكشف قدرة الباحث على الكتابة والتأصيل والجودة، وتظهر أن الباحث ليس مقلداً للأخرين وليس ناقلاً لأعمال الآخرين، بل أثرى العلم بالنتائج التى توصل إليها، ويؤكد عملية الأصالة هذه كل القوانين والأعراف الجامعية وقواعد النشر فى المجلات

العلمية. فقانون تنظيم الجامعات المصرية، ينص فى المادة ٩٢ بند ثانياً- على أن «تقوم رسالة الدكتوراه على البحث المبتكر»- كما تهدف سلسلة عالم المعرفة من صدورها تزويد القارئ بمادة جيدة من الثقافة- أما مجلة العلوم الاجتماعية الصادرة عن مجلس النشر العلمى جامعة الكويت فتشترط للنشر أن يكون البحث مباشراً وله قيمة عظيمة وأن يتضمن ما هو مفيد وأن تخلو من التكرار المل والإطناب وتكتب بلغة سليمة، يفهمها جمهور القراء ابتداء من الأستاذ الجامعى حتى الطالب.

فعملية كتابة الرسائل والأبحاث تؤكد على الإبداع والأصالة وتسعى إليهما- بالإضافة إلى أمانة الباحث والتزامه بأخلاق البحث العلمى، فلا يغطى جهله، وينسب الى نفسه جهد غيره وما لم يتوصل إليه من نتائج، أو يكتب أسماء مراجع لم يستعن بها، فهذا التصرف يعنى الإخلال باخلاقيات البحث العلمى. فالأصالة هدف أساسى من وراء إعداد البحث العلمى والرسائل الجامعية فأى عمل يكتب وينشر ولو فى نطاق ضيق تحكمه مبادئ أخلاقية وقانونية وأكاديمية ينبغى أن توضع فى الاعتبار. ومن أهم هذه المبادئ الأصالة- والأصالة فى الباحث العلمى لها معنى دفين، أما النقل والتكرار فهما إثم كبيرٌ ضد أخلاق العلم.

وإذا كانت الأمانة والأصالة والجودة من أهداف البحث العلمى- فالطريقة الصائبة لكتابة الرسائل تختلف من كلية إلى كلية بل من أستاذ إلى أستاذ داخل القسم الواحد. أيضاً حجم الرسائل الأمثل يتفاوت بين الكليات العملية والنظرية- وبعض الرسائل تتضمن نفائس ومعادن نفيسة، ولكن هناك كثرة لوقرأت بجدية لوجدناها مجموعة أوراق كتبت بحبر أسود إذ تفتقد الترابط والتكامل والمنهج العلمى والأصالة، وتكشف أن الطالب لم ينضج بعد ولم يتعود على الكتابة السليمة كما تكشف عقم أفكاره وسطحيتها، أو أنه أكثر النقل من الغير.

وثمة قواعد يجب أن تتبع قبل كتابة الرسالة العلمية، لمن يريد السير فى طريق البحث العلمى. والقاعدة الأولى التردد على المكتبة ، ومعرفة الطريق إلى أرفف الرسائل وتفحص الرسائل التى أجيزت، وإعمال العقل فى كيفية كتابة الرسائل التى نالت سمعة طيبة فهناك قواعد لتصميم الرسائل وتبويبها.

أهمها الانطلاق أو البدء من مخطط واضح محدد يصف خلاله وصفاً تفصيلياً دقيقاً خطوات البحث من الخطوة الأولى حتى خطوة الوصول إلى النتائج.

وفى بداية الرسالة تعرض المقدمة ثم موضوع أهداف البحث ثم أهميته ثم مشكلة البحث والمنهج الذى اتبعه الباحث ثم تحديد مجتمع البحث ثم النتائج، ومناقشة هذه النتائج وتحليلها وتفسيرها ومقارنتها بنتائج الآخرين ليعرف أوجه الاتفاق والخلاف بينها، وليتذكر الباحث أن لكل فصل عنواناً رئيسياً وعناوين جانبية- وليكن حذراً وألا يخلط بين نتائجه ونتائج الآخرين، وإن ما توصل إليه من نتائج متضمن فى المقدمات.

وثمة ضرورة لتوجيه الباحث إلى الاهتمام بكتابة المقدمة، الباب الملكى إلى الرسالة.

ولكن متى تكتب الرسالة أو يبدأ الباحث فى كتابة الرسالة؟ لا يبدأ الكتابة إلا بعد أن تنضج أفكاره وآن وقت تسطيرها، ولا ينسى أثناء الكتابة أدق التفاصيل ويتذكر فقط أقلها قيمة، فهذا أمر مهين اذ عليه أن يعطى الكتابة حقها- وعلى كاتب الرسالة أن يتذكر أنها ستنسب إليه، ويطبع عليها اسمه وأن هناك من سوف يتسلل إلى المكتبة ويزور الركن المهجور ويقرأ رسالته ويقيمها بلا مجاملة للمشرف!

فقارئ الرسالة - أيا مَنْ كان- هو القاضى الذى سيصدر حكماً لا ينقض، وهذا الحكم سيجلب له الصيت كباحث كفء أو السمعة السيئة كباحث غير متمكن، والباحث المتمكن هو القادر على كتابة عمل متماسك متكامل أصيل

يعتمد على منهج واضح ويبتعد عن الإطناب والتفاهات والحشو ويكتب كتابة واضحة ليس فى حاجة إلى المجاملة، إذ ستدفع به رسالته إلى بداية طريق موفق.

وإذا كانت المقدمة هى الباب الملكى إلى الرسالة فكيف تكتب المقدمة؟ وما الهدف من كتابة المقدمة، وتبدأ المقدمة عادة بعبارة «تهدف هذه الرسالة ....» وترجع أهمية كتابة المقدمة كتابة واضحة لسببين:

السبب الأول : من مصلحة الباحث أن يوضح ويعرف المشكلة التى يتصدى لدراستها منذ البداية. وإن لم تُعرَّف المشكلة تعريفاً واضحاً فلن يجد القارئ حرجاً فى الانصراف عن القراءة ، فعلى الباحث أن يبين لماذا اختار المشكلة وكيف؟ أى مبررات الدراسة وما الذى سيتبعه فى دراستها؟ وما المفهومات التى استخدمها؟والفروض والتساؤلات ؟وماذا استفاد أثناء إجراء البحث؟ وما الأجزاء التى تتكون منها الرسالة؟.

السبب الآخر : ضرورة كتابة المقدمة كتابة واضحة. فالانطباع الأول الذى يكونه القارئ مهم للغاية، وعلى الباحث أن يكسب القارئ وألا يخسره منذ البداية، عندما يشعر هذا القارئ أنه غرق فى بحر من الإبهام والغموض والشرود.

وثمة عدد من القواعد يتعين أن تتبع عند كتابة مقدمة جذابة مقنعة:

١- أن تعرض فى البداية وفى وضوح كامل لا لبس فيه طبيعة ومجال موضوع البحث.

٢- استرجاع الكتابات المشهورة التى لها صلة بموضوع البحث وعرضها، لتوجيه القارئ الى الجديد الذى ساهمت نتائج البحث فى إضافته- وهذا يساعد القارئ فى فهم مشكلة البحث والطريقة التى اتبعها الباحث فى حلها.

٣- عرض طريقة الدراسة، ومبررات استخدام المنهج والأداة.

٤- عرض مختصر لأهم النتائج التى توصل إليها البحث، أى الوصول إلى قمة البحث- والتى تكشف عن الجديد الذى أضافه الباحث.

٥- وعرض تقسيمات الرسالة إلى فصول وعرض مضمون لكل فصل بإيجاز شديد.

وعلى القارئ أن يعى أن البداية السيئة يترتب عليها عواقب وخيمة، وان لم يكن الغرض أو الهدف من الرسالة واضحاً فى عقله فقد يكتب ستة أهداف متعارضة،.ولكن متى تكتب المقدمة؟ وهل تكتب فى بداية البحث أم بعد الانتهاء منه؟ يفضل أن تكتب المقدمة بعدما تنضج الأفكار وتتضح ويصبح كل الأفكار محكمة.

وتكتب المقدمة بصيغة الحاضر لا صيغة الماضى أو المستقبل، فصيغة الحاضر تشير الى المشكلة والقضايا التى ترتبط بها منذ البداية.

وفى الطرف الآخر من العمل تقع الخاتمة، وتسأل الباحث ماذا تكتب فى خاتمة البحث، إويعرض فى الخاتمه عرضاً واضحاً موجزاً لكل جزء من أجزاء البحث إبتداء من المقدمة وأهداف البحث والغرض من مجال البحث، وطرق البحث التى طبقت، والنتائج التى توصل إليها الباحث، كما تلخص البيانات التى برهن الباحث على صدقها أو فنّدها، ويساعد هذا العرض على معرفة القارئ بمحتوى البحث بطريقة مناسبة وسريعة، وترجع أهمية خاتمة البحث إلى الإشارة إليها ثلاث مرات فى المرة الأولى فى المقدمة والمرة الثانية فى الملخص والمرة الثالثة عندما يخصص لها جزءٌ مستقل فى البحث لمناقشة النتائج.

وتصاغ الخاتمة بصيغة الفعل الماضى، إذ تدل على عمل أنجز فعلاً، ولا يضيف الباحث فى الخاتمة جديداً بل يعيد إنتاج أى كتابة ما كتب فى المتن

بايجاز.

طريقة كتابة ملخص البحث :

يقرأ الباحث ملخصا للرسالة فى بداية المناقشة كما يودع مع الرسالة عدداً من الملخصات. وتعنى لخص الشئ فى اللغة العربية أخذ خلاصته، وقربه واختصره وبينه وشرحه ويقصد بملخص الرسالة تقديم عرض واضح مبسط مختصر للبحث أو الرسالة فيما لا يزيد على ٥٠٠ كلمة، لتعريف القارئ بأهم أجزاء البحث أو الرسالة ابتداء من المقدمة، مروراً بمشكلة البحث ومبررات اختيارها، وأهم النتائج- وكل ذلك ليطل القارئ إطلالة سريعة على البحث، ليتخذ قراراً بمدى الحاجة إلى الاطلاع على العمل كله أم لا، وينبغى أن يتضمن الملخص ما يلى:

١- أهداف البحث ومجاله.

٢- وصف طريقة البحث والأدوات.

٣- مجتمع البحث.

٤- أهم النتائج.

٥- الخاتمة.

وأيا ما كان حجم الملخص، يتعين أن يتضمن النقاط الأساسية فى البحث، وأن يكتب بلغة واضحة ويستخدم كلمات لها دلالتها تؤثر على القارئ، ويتجنب التركيبات اللغوية المبهمة، التى قد تؤدى إلى الإحجام عن متابعة البحث.

وقد يقدم الملخص كتابة، وقد يقدم شفاهة قبل المناقشة وعند عرض الملخص شفاهة يفضل أن يتحدث بصوت منخفض بلا انفعال ويبطئ، وألا يسترسل ويتحدث فى موضوعات جانبية، وأفضل طريقة أن يمسك بورقة تضم الأفكار الرئيسية فى البحث، ويعرض هذه الأفكار عرضاً منطقياً وفق

الطريقة التى اتبعها فى كتابة البحث. فيبدأ بتحديد المشكلة، وينتهى بعرض النتائج. والفرق بين الملخص المكتوب والعرض الشفوى للبحث أن الملخص يتضمن خطوات العمل الميدانى، أما الملخص الشفوى فلا يتضمن تفاصيل العمل الميدانى، كما لا يعرض للدراسات السابقة، فهذا العرض -وإن كان قليل الكلمات ويقرأ فى فترة قصيرة لا تتجاوز نصف الساعة- إلا أنه يعرض عرضاً شاملاً لمكونات البحث.

التوثيق وكيفية كتابة أسماء المراجع:

الكتابة مسئولية، والكاتب باحث أمين، وليس كل ما يكتبه من إبداعه، ولذا فهناك عدد من القواعد الأخلاقية التى يلزم الباحث بالتمسك بها عندما ينقل عن الغير، أو يقتبس عبارة. وعندما ينقل عن الغير تطرح الاسئلة التالية هل ينقل حرفيا من الكاتب الآخر؟ وهل ينقل الكلمات والعبارات التى كتبها الكاتب وفق لغته المميزة أم يعدل فيها ويحورها؟ أو يستشهد برأى الكاتب أو نتائج دراساته حرفيا؟ أم يعيد صياغة هذه الآراء بعبارته؟

،سواء نقل الكاتب نقلا حرفيا آراء الآخرين أو عدل وحور فيها وأعاد صياغتها، فالمهم ألا ينسب لنفسه ما نقله ولم يكتبه ولم يبدعه، إذ سيكتشف ذلك إن آجلا أم عاجلا، إن انتحال أفكار الآخرين يعد سرقة بكل مدلول هذه الكلمة. فالاستفادة من اعمال الآخرين، دون الاشارة إلى المصدر الاساسى واصحابها اعتداء على اخلاق البحث العلمى، وتعد جريمة لا تغتفر فى الأوساط العلمية.

ومن المهام الأساسية للكاتب، بل أهم المعايير للحكم على أمانة الكاتب، توثيق المادة العلمية والبيانات التى يستخدمها استخداما صريحا واضحا بلا تعديل وبلا تحريف (Day,p. 111) . ووَثُق فى اللغة تعنى قَوِىَ وثبت وصار محكما كما تعنى الائتمان. وإذا أدرك القارىء بفطنته وخبرته سبق قراءة هذه المعلومات واثبت ذلك بالرجوع إلى المصدر الأصلى وقارن بين تاريخى

النشر وأدرك أن البحث الذى يقرأه أحدث نسبيا وصم الكاتب بتهمة السرقة العلمية.

ولتجنب هذه الوصمة، يتعين على الكاتب أن يوثق كل ما ينقله حرفيا أو يقتبسه عن الآخرين ليتجنب تشويه جهده والإساءة إلى نفسه ككاتب يرجى منه.

والتوثيق مؤشر قوى على جدارة الباحث، ومعرفته بمصدر المعلومة الذى استند إليه. والتوثيق سلم يصعد عليه الكاتب يؤكد مكانته وأمانته كباحث ويزيد من ثقة القراء فيه وما يصدر عنه من أعمال علمية، ويضفى الأمانة والثقة على ما يكتبه.ولسوء الحظ، وكما يعلم كل باحث مبتدىء عندما يحاول كتابة البحث الأول، أن عملية التوثيق عملية ليست سهلة، ولكن ما المقصود بالتوثيق؟ (Johnson, p. 71)

الحقيقة أن عملية التوثيق والاستشهاد بالمرجع الذى نقل عنه، عملية فنية ليست سهلة، تتطلب طرح عدد من الأسئلة عن شكل وطريقة التوثيق. يتعين الإجابة عليها :

ما الذى توثقه؟ وهل الاقتباس مباشر؟ ومن ثم ينبغى أن توثقه وتعزوه إلى صاحبه أو أنه غير مباشر مثل عبارات يعاد صياغتها صياغة جديدة أو معلومة هامة مثل التواريخ الهامة أو المواقيت الهامة فى حياة الشعوب.

لا جدال أن الآراء المسلم بها والحقائق المعروفة عالمياً لا تحتاج إلى توثيق، أما المعلومات المحدودة الانتشار سواء كانت آراء أو حقائق فيتعين توثيقها، كذلك كل الأرقام يتعين توثيقها وإثبات المرجع الذى نقل منه.

طريقة التوثيق :

ثمة طرق عديدة للتوثيق، كل طريقة تلائم الباحث فى مجال معين.

فالتوثيق فى العلوم الإنسانية والاجتماعية مقربه ومعترف به، وهناك

طرق عديدة للتوثيق. هناك من يوثق العبارة أو الفقرة، ويضع بجانب الفقرة اسم المؤلف، واسم الكاتب، وبقية البيانات نجدها فى الفهرس وهناك من يرقم ما يكتبه عن المصدر وتاريخ النشر ومكانه واسم صاحبة فى نهاية الصفحة، وهناك من يضع رقم المرجع بين قوسين على النحو التالى ( ) أو [ ] كما هو مبين فى فهرس المراجع بجانب ما اقتبسه المؤلف. وهناك من يكتب أسماء المراجع فى نهاية كل فصل ثم يرتب المراجع كلها أبجدياً فى فهرس المراجع فى نهاية الكتاب أو البحث. وهناك من يرقم ما يقتبس من الصفحة الاولى ويضع الرقم (١) حتى الصفحة الاخيرة، ويكتب رقم المرجع- ثم يبين فى صفحة المراجع اسماء المراجع والمؤلفين حسب ترقيمها فى الرسالة.

ومن المهم اعطاء القارىء معلومات ضرورية أساسية عن المصدر الذى استعان به الكاتب. وماذا وبمن وبما استشهد؟ هل استشهد بفقرة، أو بعبارة، أو بمصطلح، أو بمجموعة أرقام، أو بجدول إحصائى. أياً كان ما يقتبسه الباحث فعليه أن يضعه بين « » شولتين.

وفى هذه الطريقة اقتصاد للمكان والوقت وتوفير للنفقات.

قواعد التوثيق :

عند الاستشهاد بالمرجع للمرة الأولى : يكتب المرجع على النحو التالى فى نهاية الصفحة:

اسم الكاتب صاحب النص أو مؤلف الكتاب.

اسم الكتاب أو المقال.

رقم الطبعة أن لم تكن الأولى.

مكان النشر.

اسم الناشر.

سنة النشر.

رقم الصفحة.

وإذا تكرر الاستشهاد بالمرجع فى الصفحة نفسها دون الاستشهاد بمرجع آخر فيكتب بالعربية فى اسفل الصفحة المرجع نفسه ثم رقم الصفحة أما لو كان المرجع باللغه الانجليزية فيكتب Ibid .

أما لو تكرر الاستشهاد بالمرجع بعد الاستشهاد بمرجع آخر فيكتب إسم المؤلف ثم اسم الكتاب ثم مرجع سابق ثم رقم الصفحة. أما لو كان المرجع بالانجليزية فيكتب اسم المؤلف واسم الكتاب ثم Op,cit ثم رقم الصفحة.

أما إذا كتب البحث أو الكتاب باحثان فيكتب اسم الكاتب الأول عادة ثم اسم الكتاب أو المقال ثم تأليف س و ص ثم مكان النشر ثم اسم الناشر ... ثم تاريخ النشر ورقم الصفحة.

أما لو تعددت أسماء المؤلفين واشترك أكثر من باحث فى اعداد البحث فيكتب اسم المؤلف أو الباحث الرئيسى ثم اسم الكتاب ثم بلدة النشر، ثم اسم الناشر، فسنة النشر ثم تأليف (اسم المؤلف الرئيسي)وآخرين، ولا يكتب س وآخرون فهذا خطأ فى قواعد النحو.

أما الكتاب المترجم فيكتب بالنحو الآتى: اسم المؤلف: اسم الكتاب، ثم ترجمة .... س ثم بلد نشر الترجمة ثم اسم الناشر ... الخ.

وفى كل الحالات يتعين تدوين رقم الصفحة وليرمز له بالحرف (ص) أما إذا نقل من أكثر من صفحة فيكتب ص ص : ٦٥- ٧٥ على سبيل المثال.

أما إذا اقتبس أو استشهد الكاتب من كتاب صدر عن هيئة علمية أو وزارة، أو جهة حكومية مثل مجلس الشعب، أو المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، أو هيئة الاستعلامات أو الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء، أو .... فثمة طريقة واحدة لكتابة اسم المرجع إن لم يكن هناك

محرر للمرجع :

اسم الوزارة أو الهيئة:

اسم المحرر: المؤلف – دار النشر – بلد النشر :

اسم الناشر أو المطبعة :   – تاريخ النشر :

رقم الصفحة :

أما إذا كان هناك محرر للبحث فيكتب على النحو التالى :

اسم المحرر :   – اسم الكتاب :

اسم الهيئة أو المركز العلمى ...... : – بلد النشر :

الناشر :   – صفحة :

أما الكتب المقدسة (القرآن الكريم– الإنجيل– والتوراة) فتكتب على النحو الآتى: القرآن الكريم. بلد النشر الناشر سنة النشر.

وتوثق الدوريات على النحو التالى :

– اسم مؤلف المقال: ثم عنوان المقال محصورا بين قوسين وأحيانا يوضع تحته خط. ثم اسم الدورية أو دائرة المعارف، اسم جهة النشر، رقم العدد، رقم المجلد، تاريخ العدد، رقم الصفحة.

وتوثق الرسالة العلمية على النحو التالى :

اسم الباحث :   – اسم الرسالة :

رسالة ماجستير أو دكتوراة   – القسم :

البلد : – اسم الجامعة: – اسم الكلية :

تاريخ منح الدرجة :   – رقم الصفحة :

وإذا كانت المكتبة هى المكان المألوف الذى يتردد عليه الباحثون عن المعرفة

منذ آلاف السنين للاطلاع على المصادر والحصول على البيانات فقد ظهر منافس حديث للمكتبة، لا يتطلب الخروج من المنزل والسعى إليه بل يسهم هذا المنافس فى توصيل المعلومات حيث يجلس الباحث سواء فى منزلة أو مكتبه الخاص. هذا المنافس ويعرف باسم الأنترنت.

وثمة فرق بين مرجع صدر فى هيئة كتاب ومرجع نشر فى مجلد ويتواجد فى المكتبات، وبين مرجع حصل عليه الكاتب من خلال شبكة الإنترنت. وإذا استعان الكاتب بشبكة الإنترنت فالتوثيق يتم على النحو الآتى :

Ralph M. Coury, "new- Modernization theory and its search for Enemies: The role of the arabs and Islam- http://WWW. ncal. verio. com/lefcurv/ Lc2Iweb pages/ neomodern. html. pp. 1-2.

Peter Nstearns, "Modernization"

http://soc. unm. edu/nvaldes/soc221 001/modernization. htm. pp. 1-4.

Licia V. and Magda C, "Urban Research in Latin America", towards a Research

Agenda. Unesco, http://WWW. Unesco. Org/most/valleng. htm. p. 12.

Machira Apollos, "Urban Violence", wysiwg: //7/http://WWW. Ccrkenya. 20 m.

Com/ violence. htm. p. 5.

Peter Gizewski, Thomas, H, Dixon, "Urban Growth and violence: will the Future

Resemble the past? part 1,

http:// WWW. Library. utoronto. ca/pcs/eps/urban/urban 1. htm. pp. 2-2.

Peter Gizewski and Thomas H. Dixon, "Hypotheses and evidence on the Links Between Urban growth and "Violence", part 2. http://WWW. Library. utoronto. ca/Pcs/eps/Urban/urban 3htm. p. 1.

(راجع: سعيد امين ناصف)

المراجع

١- أحمد اوزي: تحليل المضمون ومنهجية البحث. الرباط، الشركة المغربية للطباعة والنشر، ١٩٩٣.

٢- أحمد تيمور: معجم تيمور الكبير في الالفاظ العامية، تأليف أحمد تيمور، تحقيق حسين نصار، القاهرة، الهيئة العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١.

٣- أحمد شلبي: كيف تكتب بحثا أو رسالة، دراسة منهجية لكتابة البحوث واعداد رسائل الماجستير والدكتوراة، الطبعة الرابعة عشر، القاهرة، النهضة المصرية ١٩٨٢.

٤- السيد محمد خيري: الاحصاء في البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية، القاهرة.

٥- السيد ياسين: مشرفا، تخصيص الوقت، دراسة استطلاعية، لعينة من الحضر، إعداد ليلي عبد الجواد وعلا مصطفي، القاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٩٨.

٦- برنارد كلود، مدخل دراسة الطب التجريبي، ترجمة يوسف مراد وحمد الله السلطان، القاهرة، وزارة المعارف العمومية ١٩٤٤.

٧- جابر أحمد عصفور محرر: مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، تقديم وتحرير جابر عصفور، الكويت- دار العروبة ١٩٨٨.

٨- جلال أمين: ماذا حدث للمصريين، تطور المجتمع المصري في نصف قرن ١٩٤٥- ١٩٩٥، القاهرة، دار الهلال، كتاب الهلال، العدد ٥٦٥، يناير ١٩٩٨.

٩- حسين أحمد أمين: الف حكاية وحكاية من الادب القديم، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، مكتبة الاسرة، ١٩٩٨.

١٠- خليل شرف الدين: ابن خلدون، بيروت، دار ومكتبة الهلال، د.ت.

١١- ديورانت وول: قصة الحضارة، المجلد الاول، الجزء الاول، ترجمة زكي نجيب محمود ومحمد بدران، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، كتاب الاسرة، ٢٠٠١.

١٢- سعود الضحيان: العينات وتطبيقاتها في الدراسات الاجتماعية، الجزء الثاني، القاهرة، الثقافة المصرية للطباعة والتوزيع، والنشر ١٤٢٠ هـ.

١٣- سعيد أمين ناصف: الاتجاهات النظرية والمنهجية الحديثة في دراسة المشكلات الحضرية، بحث مرجعي، قدم إلي لجنة ترقية الاساتذة المساعدين ، علم الاجتماع، القاهرة، ٢٠٠١.

١٤- عادل حمودة: النكتة السياسية، كيف يسخر المصريون من حكامهم، القاهرة، الفرسان للنشر ١٩٩٩.

١٥- عبد السلام محمد هارون: الاساليب الانشائية في النحو العربي، الطبعة الثانية، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٩.

١٦- عبد المنعم الشافعي: المعجم الديموجرافي المتعدد اللغات، المجلد العربي، ترجمة عبد المنعم الشافعي وعبد الكريم اليافي، القاهرة، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٦.

١٧- علي جواد الطاهر: منهج البحث الادبي، الطبعة الرابعة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٨.

١٨- فرنسوا هيران: الركائز الاحصائية للسوسيولوجيا، القاهرة، مركز الدراسات والوثائق الاقتصادية والقانونية والاجتماعية، مجلة سنوية عصرية في العلوم الاجتماعية ، شتاء ٢٠٠٠.

١٩- فهد الثاقب: الخطوبة والتفاعل الزواجي والطلاق، المجتمع الكويتي، الكويت، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، مجلة العلوم الاجتماعية ، المجلد ٢٩، العدد١، ١٩٩٨.

٢٠- فيشر اندرو: تصميم بحوث عمليات تنظيم الاسرة، تأليف أندرو فيشر وآخرين، وترجمة ماجدة شلبي، القاهرة، المنظمة الدولية لصحة الاسرة، ١٩٩٠.

٢١- فؤاد زكريا: تعقيب علي الحلقة الدراسية الاولي، راجع جابر عصفور: مناهج البحث في العلوم الاجتماعية.

٢٢- كابلو تيودور: البحث الاجتماعي، الاسس النظرية والخبرات الميدانية، ترجمة محمد الجوهري، الاسكندرية، دار المعرفة، ١٩٩٣.

٢٣- كاميليا فوزي الصلح: في وطني أبحث، المرأة العربية في ميدان البحوث الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٣.

٢٤- مجدي وهبة: معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، تأليف مجدي وهبة وكامل المهندس، الطبعة الثانية، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٩٤.

٢٥- محمد العدناني: معجم الاخطاء الشائعة، طبعة ثانية، بيروت، مكتبة لبنان.

٢٦- محمود زيدان: الاستقراء والمنهج العلمي، بيروت، مكتبة الجامعة العربية، ١٩٦٦.

٢٧- محمود سليمان ياقوت: في الكتابة الصحيحة، الاسكندرية، دار المعرفة، ١٩٩٥.

٢٨- المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المسح الاجتماعي الشاملة للمجتمع المصري ١٩٥٢/١٩٨٥.

٢٩- مصطفى سويف: مشكلة تعاطي المخدرات بنظرة علمية، القاهرة، الدار اللبنانية، المركز القومي للبحوث الجنائية، ١٩٨٥، مكتبة الاسرة ٢٠٠١.

٣٠- مصطفي سويف: صورة المرأة كما تقدمها وسائل الاعلام، دراسة في تحليل مضمون الصحافة النسائية، القاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٧٧.

٣١- نايف المطيري: محددات هروب الاموال الساخنة في الاقتصاد الكويتي، الكويت، جامعة الكويت، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، المجلد٧، العدد٢، ١٩٩٩.

٣٢- نجوى الفوال: البرامج الدينية فى التلفزيون المصرى: القائمون بالاتصال، القاهرة، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد ٣٣، العدد الثالث، ١٩٩٦.

٣٣- هدى جعفر حسن: تقنين استخبار الصحة العامة فى دولة الكويت، الكويت، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمى، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد ٢٧، العدد٢، ١٩٩٩.

المراجع الأجنبية

1- Alkinson, Paul: Research Design In Ethnography, Block3, Part 5. The open Uni, Waltn Hall, Milton Keyness, 1979.

2- Azzat, Hegazy: Contemporary Sociology in Egypt. In Handbook and Contemporary Developement in world Sociology, Edited By Don Martindal. westport, connecricut Greed Wood Press, 1975, pp: 379- 388.

3- Babbie, Earl: Practicing Social Research, By Earl Babbie,and Robert Haitt, Belmot, Wads Worth pub com, 1975.

4- Becker, Howard: Writing for Social Scientists. Chicago, The Uni of Chicago, 1984.

5- Berlson, Bernard: Content Analysis in Communicative Research, N.Y. The Free Press, & Glencoe, 1952.

6- Bulmer, Martin: Research Questions and Hypothesis, In, Beginning Research. Walton The open Uni, Hall, Miltm Keyness 1981, Block 2 part 1.

7- Bulmer, Martin, The uses of secondary Resousces, By Martin Bulmer and Paul Atkinson, Block2- part2, In Beginning Reseach, The Open Uni, Walton Hall, Miltan Keyness.

8- Bunner, John, The nature of Data, In Data collection procedures, Block4, part4, The Open Uni, Waltton Hall, Miltan Keyness, 1981.

9- Calder Judith, Introduction to applied sampling, In Research Design, The Open Uni Waltm Hall, Milton Keyness, Block3, part 4.

10- Cicourel, AAron: Method and Measurment in Sociology, N. Y. The free press, 1964.

11- Claire, Selliz, Ressearch Methood in social Relations revised. In Maxwell Mccombs: Hand-book of Reporting Methood. By Maxwell Mccombs and others, Boston. Houghton, Mifflin Com 1975.

12- Day, Robbert, How to write and publish scientific paper, 4th edition, Cambridge editions, Uni 1993.

13- Evans, Jeff: Causation and control. in Research Design. Block3. part1. The open uni, Walton Hall, Milton, Keyness, 1981.

14- Goode W,: Methods in social Research. By W, Goode, and Paul Hatt. N. Y. Mcgra Hill. International student edition.

15- Greene Judith: Expermintal Design. In Reseaarch Design. Block3. part 2. The open uni. 1981. Walton Hall, Milton Keyness. 1981.

16- Hammersleg Marlyn: Data Collection in Ethnographic. - Research: In Data collection procedure. Block 4, part3. The open uni, Walton Hall, Melton Keyness. 1981.

17- Johnson William: The Sociology Student Writers Mannual. -By W. Johnson and others, N. Jersey. Prentic Hall 1998.

18- Lewis, R. W: Descriptive Statistics. in Beginning Research. - Block2B, part4. The Open uni, Aalton Hall, Milton Keynes. 1981.

19- Mitchell Duncan (editor): A Dictionary of sociology. London. Routtedge, Kegan Paul. 1969.

20- Palmer Monte: The conceptualization and Design of survey Instruments for use in the Arab world. In Mark, Tesseler and

others, The Evaluation and Application of survey Research in the Arab world, London, Westview press.

21- Partner Mildred: Survey, Pool's and Samples. Pracrical prodocuve N. Y. Harper 1950.

22- Riley, Matilda, White: Sources and Types of sociological Data. in Fairs Robert. Handbook of Modern sociology 2 th edition. Ran Me Nally & company Chicago 1966.

23- Suniff Betty: Design of Surveys. in Research Design. Block 3 A. Part3. The open uni, Walton Hall, Meltm Keyness. 1981.

24- Tesseler Mark: The Evaluation ánd Application of Survey Research in the Arab world. By Mark. Tesseler, London Westview press.

25- Theodorson George: A Modern Dictionary of Sociology. By George, The dorson and Achilles Theodorson- N. Y. Thomas Y. Crowell. com 1969.

26- Wilson M. J: Styles of Research. In Variety in Social Science Research. Block 1. The open uni. Walton Hall, Milton Keynes. 1981.

27- ZeruBavel, Eviator: The Clock Work Muse, Cambridge. Harvard uni. press, 1999.

28- Zurayk Huda: The Question of Measurment In Survey Reearch in the Arab world In Tesseler Mark op, cit.



الفهـــرس



الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة